

النجاة

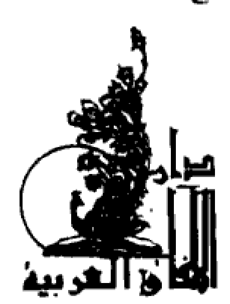
لمن اتبع الهدى واجتنب الردى في إثبات العدل
والرد على عبد الله بن يزيد البغدادي المجبر

للإمام
الناصر لدين الله أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين
ت ٣٢٥ هـ

تحقيق
أ / إمام حنفي سيد عبد الله



الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠١م



القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت
(من شارع الطيران) - مدينة نصر
تليفون : ٢٦١٠١٦٤

رقم الإيداع : ١٨٤٥٦ لسنة ٢٠٠٠
الترقيم الدولي : 0-82-5727-977

الإهداء

إهداء

إلى ابني أحمد

وابنتي آية



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

تعرفت على تراثنا الفكرى منذ زمن بعيد، وتحديداً مع بداية **تفتح** مداركى فى الصبا، فاهتممت بمعرفة التراث، واتجهت إلى الاطلاع على كنوزه الزاخرة فى كل مكان، مطبوعة أو مخطوطة على السواء.

ومع اطلاعى على أمهات الكتب فى التراث، كنت استشعر قلقاً من قلة الاهتمام بجانب على درجة كبيرة من الأهمية، وهوالتراث العلمى والفكرى، والذى خرج منه إلى النور قدر لا بأس به من الأعمال، إلا أن الكثير ينتظر دوره فى الخروج ونفض غبار الزمن عنه.

وكلنا مسئولون عن بعث تراثنا ودراسته وتحقيقه، ليس لأنه جزء من تاريخ أمتنا الفكرى والحضارى فحسب، ولكن ركيزة لنهضة الأمة فى حاضرها، وربما كان هو الذى نحوز به قصب السبق فى المستقبل.

وجدت فى كل المراكز العلمية التى زرتها طلبة ومستشرقين، يعكفون على التراث الإسلامى والعربى، يحصلون به على درجات علمية، أومكلفين من جهات علمية فى دول غربية عديدة، لإخراج هذالتراث وبعثه، وكما أدهشنى طالب يدرس تراث **الفارابى** الموسيقى من جامعة **كاليفورنيا بأمريكا**، أدهشتنى طالبة دكتوراة (**جامعة روما**) تدرس رسالة **للسهروردى** المقتول فى التصوف الفلسفى، وآخر يدرس المحبة عند **ابن تيمية**.

وعلمت من العديد من الدارسين الغربيين ولعهم بتراثنا، وأن اغلب الجامعات فتحت أقساماً للدراسات العربية والإسلامية، يغلب على أكثرها هذا الطابع.

وساءنى تجاهل الكثير من الدارسين العرب، وكذلك أساتذة الجامعات، للتراث والنظر إليه بعين الارتخاص، وربما ذلك لعدم الفهم العميق له، أو للمشقة البالغة التى تقع على العاملين فى مجاله، مع قلة العائد المادى!

ومن الأشياء التى استوقفتنى طالب يحقق فى أحد الأقسام العلمية رسالة عن الموت وحياة القبور!.. وكأن التراث انتهى إلى هذا الحد، ولا غبار على أحد فى تناول ما شاء، إلا أن هناك ما هو أولى، وكما أن للرخيص سوقاً رائجة، فالنفيس له سوقه أيضاً، وإن كان الباحثون ينظرون بعين الناشرين فحسب لعدة أسباب، فلا يجب أن ننساق وراء رغباتهم، حتى لانرى فى أرفف المكتبات عشرات الكتب عن التذكرة وأحوال ما بعد الموت!.. ولانجد إلا النذر اليسير من التراث الفكرى الأصيل تائه فى وسط هذا الكم الرخيص.

إننا لم نمت بعد، ولا ينبغى تعريف الناس أمتنا الفكرى والحضارى من الدخول من هذا الباب. ولست بطبيعة الحال أحاول التقليل من أهمية عقيدة البعث والنشور أو ما كتب عنها أو ينشر، ولكن أشير إلى حقيقة واقعة فى حياتنا الثقافية نعيشها.

أريد أن أقول إن تراثنا، وإلى عهد قريب، كان يتعرض للتبديد والسرقة والنهب، والآن يتعرض للتشوية وسوء القصد، والفهم!.. مع وجود بعض الموظفين القائمين عليه يتعاملون معه كسجين يجب حبسه أو أثر يجب دفنه وحجبه عن العيون، خوف التلف من جراء عوامل التعرية الجوية وتغيرات المناخ!

نريد تراثاً ولكن، هذا هو المقصد، نريد تراثاً فكرياً ينهض بالأمة ويعمل على بعثها فى أحرج فترات المواجهة والصدام مع الآخر، الذى لايؤمن بوجودها ويعمل على استئصالها.

وبهذا الفهم تمرنت على التراث وأحببته، عندما علمت بأن به ما يجعل أمتنا الآن تنهض من عثرتها، وقد وجدت سوقاً فكرياً وفلسفياً شاغراً فى الشرق والغرب على السواء! يقتات فتات عقول عقيمة، وفى أيدينا نهر من الفكر الفلسفى الحر، مازال يجرى ويجود بوافر العطاء، ولا يبخل على شاربيه.

إلى متى سأظل موضوعاً للمعرفة، أنا وأمتى وتاريخى وثقافتى وحضارتى؟

إلى متى سأظل فى خندق متخذاً موقع المدافع عن نفسه، الذى يخشى مغالطات الآخر ويتوقعها؟!

لو تعقلنا تراثنا وأحسنا الانتقاء والدرس، ولوتتبعنا أسلافنا، لربما أدركنا ما فاتنا

من ذلك، فاجدادنا كانوا عباقرة نجباء فى التاصيل والتنظير، ووضع القواعد والأسس للفهم والمعرفة والنظر والاستدلال والاستنباط... إلخ.

هضموا كل حضارات الماضى فى مساحة صغيرة من الزمن، وافترشوا مساحات الوجود بعد ذلك، فلم يطق أحد أن ينافسهم.

المقصد، هذا كتاب من قبيل ما وصفت، وهناك المئات التى تحتاج الدرس والتحقيق، يبحث فى أدق قضايا الفكر الفلسفى الحر، الذى يتناول الله والكون والإنسان، ويتعرض لقضية الإنسان وعلاقته بالله والوجود.

فهل الإنسان مسير أم مخير، وما حدود العدل الإلهى، وما مساحة الفعل الإنسانى، وهل يقيد الإنسان شيئاً أم انه حر التصرف، حر الفعل؛ مسئول مسئولية كاملة عن فعله؟

هل خلق الله البشر ليظلمهم أو يضللهم أو يعذبهم؟ لماذا خلقهم، ولمَ كتب عليهم الموت، ثم البعث؟!... وما الآثار المترتبة على العمل؟!

كل ذلك وغيره، هو حصيلة هذا الكتاب القيم الذى يرد فيه **الإمام أحمد بن يحيى ت ٣٢٥** على الفكر الجبرى العقيم، متمثلاً فى شخصية **عبدالله بن يزيد البغدادى**، والذى يمثل الطرف الآخر للقضية، وكنت قد أعددت دراسة اضعها فى مقدمة هذا الكتاب تحت عنوان: **«نقد المسلمين للفكر الجبرى»** ولكن وجدت أن عدد أورقها ستزيد الكتاب ضخامة على حجمه، ورأى الناشر إصدار الدراسة مستقلة، فكان ما قدره الله.

إذا كنا فى هذه الأيام نتناول قضايا التعددية والكوكبية والآخر والعولمة، والصدام العالمى أم التنافس العالمى، ونفى الآخر أم التعاون معه.. إلى غير ذلك من قضايا، ولدينا رصيد هائل من الفكر العميق الذى تناولها فلم لا نستفيد منه؟!.. هل نريد أن يسبقنا غيرنا لانتهال روافده، والارتواء من ينابيعه قبلنا؟!.. هل اعتدنا استيراد تراثنا وفكرنا وبضاعتنا فى ثوب يخلعه عليه الغرب؟!.. هل أدمنا السقوط لهذا الحد؟!.

علينا ياسادة التناصح بالحق والبعد عن عقلانية الجهلاء، الذين لايفرقون بين

التحذير والوعظ، أو بين النذير والبشرى، فسندخل عهداً جديداً ونحن تحت الصفر بمسافات بعيدة، تخدعنا التماعات السراب، والوعود الكاذبة!

وسمى الإمام أحمد كتابه: «النجاة لمن اتبع الهدى واجتنب الردى، فى إثبات العدل والرد على عبدالله بن يزيد البغدادى المجبر».

والكتاب يناقش قضايا العدل والحرية ومنهج الإسلام فى الفهم والطرح والحوار والاستدلال.. فما هو العدل الإلهى وما قيمة الحرية الإنسانية فى التكليف.. وهل خلق الله أفعالنا أم لا؟ وما الآثار المترتبة على هذه المقالة؟ ثم كيف نفهم العقيدة وما الأسس التى ينبغى التأصيل لها من أجل ذلك.. ثم ما الاستطاعة؟.. وما مفهوم الخلق والقضاء والقدر والجعل والاسم والمسمى.. وغير ذلك من قضايا تهم المسلمين فى دينهم وحياتهم.

ومن هنا تبرز أهمية هذه الرسالة ونفاستها. إذ إنها حفظت لنا كثيراً من الدلالات التى فهمها المسلمون من النص القرآنى مصحوبة بشواهد من الحديث والشعر العربى.

هـذا، وأسأل الله العلى القدير
أن أكون قد بلغت بعض ماأصبو
وأرجو، وهو المستعان

إمام عبدالله

فى وصف المخطوط

المخطوط نسخة مصورة عن الأصل الموجود بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء، تحت رقم ١٤١ علم الكلام، وبعنوان: **«النجاة لمن اتبع الهدى واجتنب الردى فى إثبات العدل والرد على عبدالله بن يزيد البغدادى المجبر»**.

وجاء فى بياناتها: «نسخة بقلم نسخى جيد، سنة ٥٤٨هـ، وعلى حواشيها بعض الشروح.

عدد الأجزاء = جزآن فى مجلد ١٣٣ ورقة.

مسطرتها = ٢٢ سطراً.

المقاس = ٢٠ x٢٧سم.

التعريف بالإمام الناصر ومؤلفاته:

هو أحمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم الحسنى العلوى الناصر لدين الله: إمام زيدى يمانى من علمائهم وبسلائهم (٢٧٥ - ٣٥٢هـ / ٨٨٧ - ٩٣٤) وعرف بترجمان الدين لغزارة علمه، قام بالإمامة، بعد اعتزال أخيه **محمد المرتضى** لها سنة ٣٠١هـ، فجهز جيشاً فى ثلاثين ألف، دخل به عدن، وقاتل القرامطة وظفر بهم، واستمر موفقاً إلى أن توفى بصعدة.

يقول عنه ابن الوزير: «كان من الأئمة السابقين، وعيونهم المعتبرين وساداتهم المطهرين، كان عالما فاضلاً ورعاً وزاهداً، جامعاً لشرائط الإمامة، كاملاً فى صفات الزعامة، سالكاً منهج آبائه الأئمة الأطهار، فى أحواله الخاصة والعامة، كما قال الفقيه حميد، رضى عنه، فى وصفه: «نشأ على علمهم الصافى الكثير، وانتفع من ودق سحابهم الجون الغزير».

أما تصانيفه العلمية فقد أشارت إليها كتب الطبقات، بما فيها كتابنا الذى نحققه، فقالوا: له، عليه السلام، التصانيف الرائعة الشافية ، والكتب البالغة الوافية، فى الأصول والفروع ، والمعقول والمسموع* منها:

١ – كتاب النجاة فى الرد على الجبرية القدرية؛ وفيه علم عجيب، وكلام حسن غريب، وهو مجلد كبير، وهو الذى نقوم بتحقيقه.

٢ – وله كتاب الدامغ.

٣ – وكتاب التوحيد.

٤ – وكتاب الفقه.

٥ – وكتاب التنبيه.

٦ – وكتاب مسائل الطبريين.

٧ – وكتاب الرد على الإباضية. (فرقة من الخوارج)، ونحققه مستقلاً عن هذا الكتاب.

وله فى علوم القرآن ما شهد له بالإصابة والتبريز، إلى غير ذلك من مصنفاته المشهورة، ومن كتبه المعروفة المذكورة:

٨ – كتاب المفرد فى الفقه؛ وهذا (الكتاب) ذكره **الفقيه حميد**، رحمه الله.

«وكان يصحب فى غزواته الحبر والقراطيس، ويؤلف وهو على ظهور الخيل، على ما فى كتبه من مسائل دقيقة» [١].

منهجى فى التحقيق:

١ – قمت بنسخ النص وإعادة قراءته عدة مرات، وتأكدت من نسب الكتاب لصاحبه وتمامه وعدم نقصان شئ منه، وأن النسَّاخ قد راجعوه على الأصل.

٢ – وضعت العناوين الداخلية، وفرقت بين نص **عبدالله بن يزيد**، ونص **الإمام أحمد** وأشرت إلى ذلك.

٣ – خرجت الآيات والأحاديث، ونوهت، كلما أمكن، بالأخطاء غير العادية، والتى لا تتكرر بصفة مستمرة، وراعيت ضبط النص.

---

(١) انظر ترجمته فى **ابن الوزير**: هداية الراغبين مصور بدار الكتب المصرية، ميكروفيلم ٢٧٥. لوحة ١١٢ و١١٣ط حتى ١١٥و، **والمحلى**: الحدائق الوردية، مصور بدار الكتب، ميكروفيلم ٢١٣٦ جـ٢ ورقة ١١١ – ١١٢، **وعبدالله بن حمزة**: **الشافى** جـ١ ورقة ميكروفيلم ٢٣٤

والزركلى: الاعلام ١ / ٢٦٨، وكحالة: معجم المؤلفين: بلوغ المرام؛ ص٣٣. طبع بمصر ١٩٣٩، واتحاف المسترشدين، ص٤٥، **والجندارى**: تراجم الرجال جـ٦.

٤ - خرجت الأشعار، كلما أمكن وقدر الاستطاعة، وكذلك ترجمت للشخصيات التي جاءت في النص.

٥ - عرفت بالمصطلحات التي جاءت بالنص، كلما كان ذلك ضرورياً، وكذلك الفرق ووضعت الفهارس المختلفة.

هذا، والله ولي التوفيق،

القاهرة في ١٧ / ٥ / ٢٠٠٠م

إمام عبدالله

نماذج من المخطوط

ولم يعجل إلى الفعل الذي له فيه استطاعة وهو له ممكن من قبل فعله، وهذا خبر الله
عز وجل وهذا كما أنه ينقض بخلاف قول من قال إن الاستطاعة مع الفعل، وفي هذه [illegible] من الحجة
في إثبات العدل وبراءة الله عز وجل من [illegible] من قبل [illegible] قوله عز وجل فطوعت له نفسه
قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين، ولم يقل فقضيت عليه قتل أخيه ولا أردته منه
ولا خلقته فيه فعله [illegible] على [illegible] لا يدري كيف يصنع
به فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه، قال يا ويلتا أعجزت
أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين، ثم قال الله عز وجل
على أنه هذا مثلنا للعدل [illegible] من الظالم من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا
بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا،
أفلا ترى [illegible] ابن آدم ولام نفسه على أنه لم يدفن أخاه وقد كان يمكنه قبل فعله، ولو
مستطيع لذلك، ولذلك قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأعلمه
أنه قد كان قادرا مستطيعا أن يدفن أخاه ولو كان لا يستطيع دفنه ما قال يا ويلتا أعجزت
أن أكون مثل هذا الغراب، ولا يجوز أن يخبر الله عز وجل بما لا يكون، وكيف يتلهف على أمر لم يكن
يستطيعه الآمر فعله، وكيف يحكي الله عز وجل خبر [illegible] ولا يجوز في العقول ولا يستطيعه
الناس الآمر فعله، فمن عرف قدر هذه الحجج القاطعة لكان فيها كفاية لمن عقل وتدبر
رب العالمين، ومن الحجة في أن الاستطاعة قبل الفعل قول الله عز وجل ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين
من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون، وفي هذه الآية دليل أنه دل على أن معهن استطاعة
قبل الفعل [illegible] للنساء أن لا يضربن بأرجلهن لما علم أن معهن استطاعة الضرب بالأرجل
من قبل أن يفعلن فافترض عليهن أن لا يضربن بأرجلهن ولو لم يكن معهن استطاعة الإمساك عن
الضرب [illegible] لم يفترض عليهن ما لا يقدرن عليه، وتكليف ما لا يطاق عن الحكيم [illegible] منفي
وكذلك قوله [illegible] وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون، فلم يكن ليأمرهم عز وجل ويفترض عليهم
التوبة من قبل أن [illegible] السبيل إليها ويمكنهم منها، وأكبر الشاهد لنا على

ذلك قوله عز وجل أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم [illegible]
ممكنة [illegible] وهم فهذا أكبر دليل وأقوى حجة، وما نعلم آية [illegible] من الموت
الهدى [illegible] قوله عز وجل [illegible] التوبة [illegible] سبحان الله العظيم ومن الحجة في أن الاستطاعة قبل
الفعل قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار، فهل
يوجب [illegible] كانوا يستطيعون أن لا يولوا الأدبار من قبل الفعل ولولا ذلك ما قال عز وجل ومن
يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله، فلم يكن الله
ليغضب عليهم في أمر لا يستطيعون أن يحيلوه، ومن الحجة لنا في إثبات العدل وأن الله
عز وجل لم يعذب أحدا إلا بظلمه وجرمه وإثمه وحسن [illegible] واختياره، قوله عز وجل
فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ولم يقل بما قضيت عليهم [illegible] وقد روي عن كعب
الأحبار رحمه الله أنه قال قرأت في الكتب السالفة الأولى من يظلم [illegible] وكنت
على ذلك [illegible] من دهري حتى بعث النبي محمد صلوات الله عليه وعلى آله، فلما سمعت به [illegible]
الله وأسلمت وافقت [illegible] ما نزل عليه من القرآن وطلبت [illegible] التي وجدتها
في التوراة فلم أجد فيما أنا على [illegible] أنزل عليه صلوات الله عليه هذه الآية فتلك بيوتهم خاوية بما
ظلموا، قال الله عز وجل لا يؤاخذ أحدا من جميع خلقه إلا بعد ظلمه وذنب يرتكبه هو واكتسبه
واختاره بعد النهي عنه والدعاء إلى [illegible] من الطاعة ولم يرد منهم عز وجل أن يكفروا ولا أن يردوا
عن أمره، ألا تسمع كيف إلى قول نوح صلى الله عليه وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم
في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا، ثم إني دعوتهم جهارا، ثم إني أعلنت لهم
وأسررت لهم إسرارا، ثم قال ما لكم لا ترجون لله وقارا، ثم كان [illegible] وقالوا لا تذرن آلهتكم
ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا
[illegible] دعوة [illegible] إلا [illegible] وتعاميا
أفلا تسمع إلى هذا القول العجيب والحكمة البالغة [illegible] الكفار [illegible] الجهل
البصيرة الذي [illegible] الله تعالى إنما أراد [illegible] ومطالبة العقول وميلا إلى
[illegible] عن [illegible]

الى جدها والاخراج لهم من ظلمها الى نورها ورشدها ثم لم يترك احدا من خلقه في ضلاله ولم
يخلهم من امره في حال الفاقة ولم يحل بينهم وبين الطاعة ثم ولم يبخس بهم عن طريق الصواب ولم
يعمهم عن وضوح صالح الابواب بل ابتداهم بالرافة والرحمة ودلهم على النجاة والسلامة واتم
العصمة ثم فارسل اليهم الرسل وانزل عليهم الكتب لئلا يكون للخليقة عليه تبارك
وتعالى حجة بعد ذلك حجة يدعي فيها مدع انه اتي في دينه من قبل ربه في تقدير قدره عليه
او قضا قضاه او حتم فصله به او صد عن هدايه او خلق لفعله او جبره على ما
نهاه عنه وحتم امانه ثم يا باذ لك على المجبرين المفترين في العز والرحم والعدل
الحكيم ثم يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك
كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ان الابرار لفي نعيم وان
الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين ثم فاستمع الى هذا القول والى
هذه الحكمة البالغة والحجة القاطعة لعذر كل مجبر افترى على ربه والزمه ذنبه ثم كيف
قال ما غرك بربك الكريم فلو كان الغرور من قبل ربه عز وتعالى لم يكن في الحكمة ولا في العدل ان يقول
ما غرك بربك ثم وهو الذي غره وصرفه وقدر عليه شره ثم قال كلا بل تكذبون بالدين ثم
فلو كان تكذيبهم من قبله عز وجل لم يعذبهم عليه ولم يعنفهم على تقديره ثم فيخرج من الحكمة
ويصير الى صفة الجائرين ثم قال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فلو كان هو عز وجل الذي
خلق فعل الفاسقين لم يعذبهم ولما جعل لهم الفجور والجميع الامر لهم ثم انه امنه عن
ان يشبههم في ثوابه احدا يوم اكتسبوه بوجه العقاب لم يكن لارساله لرسله ولا لانزاله
للكتب الى اهل الفجور معنى ثم ولم يكن في ذلك حكمة بعد ان جبله لهم ومن ثيابهم وتقديره ذنوبهم عليهم
ثم وجعلهم عليه عصوما ونعمهم ما انهم كلفهم الخروج مما قدروا والدخول فيما لم يردوا فعله
ابرا ام التشبيه فسبحانه القضية هو حاشا للعلي العظيم والعدل البر الحكيم الرؤوف بعباده الرحيم

و ...

والجواد بجوله الكريم والقدوس بربه وجلا بسمه العظيم عما قال المفترون ونسب اليه المبطلون
لو كان ذلك لسقط اسم الحكمة عنه ونسبها الحكمة ونفي عن نفسه الظلم وامر بالعدل وحث على النصفة
والجود والكرم ودعا الى الحسن وحذر من القبيح وعاب الفساد وعاقب على الكبر ثم فهل يرحل
حليم بما عاب او يفعل ما كره او يقضي ما عنه نهى او يحول دون ما اليه دعا او يصد عما به امر عز ذلك
رب العالمين وعظم عما قال المجبرون واسنده اليه المعتدون ثم لا اله الا هو رب العرش العظيم ثم
وصل كتابك يا ابا محمد اعزك الله ولنا عبد الله بن عمر اتم الله نعمه كاملة عليك وان
شرك لطاعته وجاء برسالة تذكر ان سبب اتفاقه الى البكا صاحب بعض اهل الجبر والفرية على
الله تبارك وتعالى وهو كتاب عبد الله بن يزيد البغدادي الذي وضع كلها ان الله بما اسعر اليهم ومنه
عليهم واحتج على اهل العدل المومنين بحرف من القول لا يحوز عند المسلمين ويسميهم قدرية
ومفترين على الله جل ثناؤه واعلم اصحابه في كتابه ان الكوفة وفيه دون غيره ثم وليس هو
كما ادعاه بل هو الجنبه نفسه وكذب على نفسه ثم ترحمة الله جل ثناؤه ثم وابطل قوله وفعله ثم
فقال الله عز وجل يصفه ومكان مثله من اشكاله قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل
سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه
فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ثم وقال ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون
وقد قال المشركون يحتجون على النبي صلى الله عليه وعلى اهل بيته الاخيار وسلم اجعل الآلهة الها واحدا
ان هذا لشيء عجاب ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق ثم وقد نظرت اكرمك الله
الى ما جهلت في كتاب المجبر عبد الله بن يزيد البغدادي والتبت على معرفة ما قال وما هو صنائعه
على الله جل ثناؤه ومن الجور على عباده والطعن على كتابه ثم وقد اجبته بما احسن علمه في كتابه
مع العجب الا واعيونا كثيرة وفساد امر اللغة وسوء ادبه في اللغة والعربية بما يكثر علمكم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة فى التوحيد والعدل

١ ظ / الحمد لله الذى لا يحويه قطر، ولا يفنيه دهرٌ ولا يجرى عليه عصرٌ، ولم يسبقه خلف ولا أمام، ولا يمين ولا شمال ولا وفوق ولا تحت، المحدثُ للآشياء من غير شئ مخترعاً، والموجد للبرايا كلها بغير كُلْفة مُبتدعاً، لا يطويه إضمار، ولا ترويه أفكار، وهوالواحد الجبار، والعزيز القهار.

والحمد لله الواحد ذى البرهان، والأول ذى السلطان، والكائن قبل الدهر والحدثان وقبل الأين والأوان، وقبل الجسم والزمان، وقبل الحرور والأكنان، وقبل الجن والإنسان وقبل الجماد والحيوان، وقبل السموات والأقطار، وقبل الليل والنهار، وقبل الظلم والأنوار، وقبل الأرض والبحار، وقبل الأنهار والأشجار، وقبل الهواء والقرار، وقبل الرياح والأمطار، وقبل الفلك الدوار، وقبل الشمس والقمر السارى، وقبل النجم الزهار، والفلك الجوارى.

مبتدع البرايا بلا ظهير قديم ولا معين عُلم، ولا مثال انتظم، ولا تكليف تجشم، ولاحركة تؤلم ولا نصب يسئم [(١)]، ولا فوق ضد يهجم، ولا منافى يقاومُ ولا حاجة تلزم ولا تصرف بتنجم، ولا لامرٍ مُهم، ولا لانس من وحدةٍ، ولاتكثير من قلة، ولا ليعزَّ من ذلةٍ، ولا ليمتنع من وحشةٍ، ولا لخوف من نازلة، ولا لفاقة إلى فائدةٍ إلا إظهاراً للقدرة، ودلالةً على الوحدانية، وإبانة للقوة القوية، والعزة والجبرية، والمجد والربوبية، والقدرة الأزلية، والحكمة والألهية [(٢)]، تدبيرُ الحكيم الذى لاعبث فى حكمته الذى أحسن فى تقديرها، وأتقن فى تدبيرها، وافتنَّ فى تصويرها، وجعلها دلائل تدلُ عليه وتهدى من أناب من خلقه إليه، وإذْ لا تراه عيون الناظرين، ولاتبلغُه أوهام المتوهمين، ولا تمثله أفكار المتفكرين، ولا تحده ظنون الظانين، ولا يدركُه

---

(١) وردت فى الأصل: يسام.

(٢) وردت فى الأصل: واللاهيه.

فحصُ الفاحصين، ولا تبهتهُ بلاغةُ المتكلمين، ولا أعراق المتحيرين، وحسرت عنه الأبصار، وكلت عن ذاته [1] الأفكار، وصغرت عن الإحاطة به الأقطار، إذ لا سبيل إلى أمر يستدل به على ذاته، [2] عز شأنه وتقدست أسماؤه، إلا بآثار صُنعه، ومصابيح دلائله، وغير شواهده، فصار ذلك، فى نظرِ العيان، وأيقن الإيقان، وأبين البيان، وأوضح البرهان.

العدل على الحقيقة، الذى لم يقض بالفساد على أحد من الخليفة، ولم يُملهمُ ٢ و/ عن واضح الطريقة، ولم يظلم منهم ملكاً ولا سُوقة، بل أرشدهم وهداهم وبالنعمة ابتداهم، والذى لم يصدُّهم [3] عن رشدهم، ولم يحل بينهم وبين نجاتهم، ولم يمنعهم عن هدايتهم، ولم يكلفهم غير طاقتهم، ولم يكن علمه بذنوبهم بمانعٍ لهم عن التوبة والإقلاع عن الخطيئة، فهو البرئ من ذنوبهم، والناهى لهم عن ظلمهم، والداعى إلى صلاحهم والمبتدئ بالفضل والإحسان إليهم، والمرسل لرسله، عليهم السلام، والمنزل لكتبه ذات الأحكام: ﴿ **لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾ [4].

فأمر، تبارك وتعالى، تخييراً، ونهى تحذيراً، فلم يُطعْ كرهاً، ولم يُعصَ مغلوباً؛ ﴿ **لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢)** ﴾ [5].

فجاءت الرسل، صلوات الله عليهم، بالإعذار والإنذار، والترغيب فى الجنة، والتحذير من النار، إذ لم يقدِّر الحكيم الخبير ذنوبهم، ولم يصدُدْ منيبهم، ولم يُدخلهم فى معصيته ولم يُخرجْهم من طاعته، ولم يخلقْ من أفعالهم فعلاً حسناً ولا قبيحاً، ولم يحل بينهم وبين الهدى، ولم يحملْهم على كفر ولا ردى، عزَّ عن ذلك العلى الأعلى.

والعدل الحكيم، والكاره للخطايا، والمجازى بالحسنى، والمعاقب على الأسواء،

---

(١) كلمة مطموسة بالأصل.

(٢) وربما تكون: جل ثناؤه.

(٣) فى الأصل: يصددهم.

(٤) سورة النساء: آية ١٦٥.

(٥) سورة الأنفال: آية ٤٢.

والصادقُ وعْدهُ، والمنجز لوعيده. الذى لايبطل كتبه، ولا يكذب رسله، ولا يستحيل امره، ولا يُخلف قوله، ولا يتناقضُ كتابُهُ، ولا تغيرُ حقائقُه ولا يُبدَّلُ حُكمهُ، وهو القوى العزيز.

وصى الله على الاعظم قدراً، والاجل خَطَراً، والارفع ذكراً، والاحمد اثراً، والابين فضلاً، والاشرف اصلاً، والاوضح عدلاً، والاصدق قولاً، والاوسع كرماً، والانزه نفساً، والانصح للامة نُصْحاً، والاطيب ذُرية، والاعلى ذروةً، والابرع حلماً، والاوفر زماماً الرسول المصطفى، والنجيب المرتضى **محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب**، صلوات الله عليه، وعلى اهل بيته الطيبين الطاهرين الاخيار.

الامين على الوحى، والمُبلِّغ للنذارة، والمرشد للبرية، والذى لم يَدْعُ احداً من الخليقة، ولا غيرهُ من المرسلين، عليهم السلام، إلى جبر ولا تشبيه، ولا إلحاد ولا تلبيس، ولا خروج عن العدل، ولا ميل عن الحق، والذى نَزّلَ عليه الكتابُ المبين بالحق اليقين، الذى ليس فيه ما يتعلق على الله، جل ثناؤه، فى ظلم، ولا يخرج من عادل حكم، ولايشهد لجبر ولا يُشكلُ مستبصراً، بل العدل فى كله شاهدٌ لمفترضه، ومبرئٌ لِمنزلِه عن ظلم عباده، وحلمِهم على المعاصى، بعد نهيه لهم عنها، وتحريمها ٢ ظ / عليهم، والإهابة بهم / إلى ضدها، والإخراج لهم من ظُلْمها إلى نجاتها ورُشْدها، لم يدخل احداً من خلقه فى ضلالة، ولم يكلفهم من امره فوق الطاقة، ولم يحل بينهم وبين الطاعة،ولم ينكب بهم عن طريق الصواب، ولم يُعمهم عن ولوج صالح الابواب، بل ابتداهم بالرفة والرحمة، ودلهم على النجاة والسلامة والعصمة، فارسل إليهم رسله، وانزل عليهم الكتب، لئلا يكون للخليقة عليه، تبارك وتعالى، حجة بعد ذلك [١]، يدَّعى فيها مُدَّعٍ، انه أُتى فى دينه من قبل ربه، فى تقدير قَدَّرَهُ عليه، او قضاء الزَمه إياه، او حتم [٢] قصد به، اوصد عن هداية، او خلق لفعله، او جبر جبره فيه على ما نهاهُ عنه، وخَوَّفَهُ من إتيانه.

يابى [٣] ذلك على المجبرين المفترين قول العزيز الرحيم والعدل الحكيم:

---

(١) جاء بعدها فى الاصل: «حجة» وهوخطا.

(٢) جاء فى الاصل: «واوضتم» وهوخطاء.

(٣) يابى: يرفض وينكر.

﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ⑥ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ⑦ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ⑧ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ⑨ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ⑩ كِرَامًا كَاتِبِينَ ⑪ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ⑫ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ⑬ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ⑭ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ⑮ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ⑯ ﴾ [1] .

فاستمع إلى هذا القول، وإلى هذه الحكمة البالغة، والحجة القاطعة لعذر كل مجبرٍ، افترى على ربه والزمه ذنبه، كيف قال: ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ⑥ ﴾ [1]؟!.. فلو كان الغرور من قبل ربه، عزَّ وتعالى، لم يجز في الحكمة ولا في العدل أن يقول:

﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ﴾ [1] ، وهو الذى غرَّه وضره، وقدر عليه شرَّه، ثم قال:

﴿ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ⑨ ﴾ [1] فلو كان تكذيبهم من قبله، عز وجل، لم يعبْ عليهم فعله، ولم يعنِّفهم على تقديره، فخرج من الحكمة، ويصير إلى صفة الجائرين.

ثم قال: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ⑬ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ⑭ ﴾ [2] فلوكان هو ، عز وجل، الذى قدَّر عمل الفريقين، وفعل فعل الطائفتين، ونزَّلَ الجميع المنزلتين، ابتداءً منه، غير استحقاق لثواب، ولا أخذاً بجرم اكتسبوه يوجب العقاب، لم يكن لإرساله لرسله، ولا لإنزاله لكتبه، إلى أهل الدارين معنى.

ولم يكن فى ذلك حكمة بعد تنزيله لهم فى منزلتهم، وتقديره ذنوبهم عليهم، وجعله بعضهم مؤمناً وبعضهم كافراً ، ثم كلَّفهم الخروج مما قدَّرَ والدخول فيما لم يُردْ، بعْدَ إبرام المشيئتين، وسابق القضيتين - حاش للعلى العظيم والعدل البر
٣ و/ الحكيم الرؤف عباده الرحيم / والجواد بطوله الكريم، والقدوس فى وحدانيته القديم، مما قال المفترون، ونَسبَ إليه المبطلون - لوكان ذلك لسقطت الحكمةُ عمن يُسمى بالحكمة، ونفى عن نفسه الظلم وأمر بالعدل، وحضَّ على الرحمة والجود والكرم، ودعا إلى الحسن، وحذَّرَ من القبيح، وعاب الفساد، وعاقبَ على الجور.

فهل يدخل فيما عاب، أو يفعل ماكَرِهَ، أو يقضى ما عنه نهى، ويحول دُون ما إليه

---

(١) سورة الانفطار: الآيات من ٦ - ١٦.

(٢) سورة الانفطار : الآيتان ١٣ - ١٤.

دعا، أو يصد عما به ابتدا؟!.. عزّ عن ذلك ربُّ العالمين، وعظم عما قال المجبرون وأسنده إليه المعتدون : ﴿ اللَّهُ [1] لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) ﴾ [2] .

سبب تأليف الكتاب:

وصل كتابك يا أبا محمد، اعني ولينا عبدالله بن عمر [3] أتم الله نعمه كاملةً عليك، وأرشدك لطاعته، ونجاك من سخطه، تذكرُ، أرشدك الله، انه أُلقي إليك كتابٌ من بعض أهل الجبر والفرية على الله تبارك وتعالى، وهو كتاب **عبدالله بن يزيد البغدادى** الذى وضعه لأهل رأيه [4] بما سطر لهم، وموّه [5] عليهم، واحتج على أهل العدل المؤمنين، بزخرف [6] من القول لايجوز على غير المسلمين، وسماهم قدرية [7] ومفترين على الله، جل ثناؤه، واعلم اصحابه – فى كتابه – ان الحق معه، وفي يده دون غيره، وليس، هو ولا أصحابه، باول من اعجبته نفسُه وظن انه على خير [8] ، ثمّ ذمه الله، جل ثناؤه، وأبطل قوله وفعله، قال الله، عز وجل، يصفه، ومن كان مثله من أشكاله : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ﴾ [9] .

وقال : ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) ﴾ [10] ، وقد قال المشركون تعجباً من النبى، صلى الله عليه ، وعلى آل بيته الاخيار وسلم :- ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ (٧) ﴾ [11] .

---

(١) سقطت من الأصل (٢) سورة النمل: آية ٢٦ .

(٣) لم اعثر له على ترجمته فى كتب التراجم والطبقات، ويبدو من كلام المؤلف عنه انه أحد قضاة الزيدية وعلمائها.

(٤) فى الأصل: ابة .

(٥) كذب وخدع، والبس الحق بالباطل، وليس لعبدالله بن يزيد البغدادى ترجمة فى كتب الاعلام، ولا لكتابه اثر فى فهارس الكتب القديمة مما يبين مدى اهمية هذا الكتاب الذى بين ايدينا، حيث جمع بين كتاب للمجبرة الأوائل ، ومنهم هذا العالم – عبدالله بن يزيد – والذى يبدو انه كان يعيش فى بغداد، فنسب إليها، والرد عليه لمؤلف هذا الكتاب.

(٦) زين لهم الكذب وحسنه.

(٧) هذا لقب يتبادل الاتهام به اهل العدل والتوحيد من المعتزلة والمجبرة، حيث يطلق كل منهما على صاحبه انه قدرى.

(٨) فى الأصل شر. (٩) سورة الكهف : الآيات من ١٠٣ – ١٠٥ .

(١٠) سورة المجادلة : الآية ١٨ (١١) سورة ص: الآيات من ٥ – ٧ .

ملاحظات المؤلف على كتاب المجبر:

وقد نظرتُ، أكرم الله عن النار وجهك، فى كتاب المجبر، **عبدالله بن يزيد**، وأتيتُ على معرفة ما قالَ وما نسب إلى الله، جل ثناؤه، من الجور على عباده والطعن على ٣ ط / كتابه، وقد أجبتُه بما حضرنى - على أنَّ فى كتابه، مع العيب الأول، عيوباً كثيرةً ، وفساداً من اللغة، وسوء تأديةٍ فى اللفظِ، وإلزام أعور غير محكم / وتكريراً فى المسائل لا وجه له، فقد جمع كتابُه كل عيبٍ، فالله المستعان.

وقد تحملت ذلك، على ما قد علمتَ من عِلّتى [1] ، واشتغال قلبى، واشتراك ذهنى، فى وقتى هذا، لئلا يظنُّوا أنا عجزنا عن جوابهم، أو قطَعَنا احتجاجهم، أو بهرَنا تسيطرُهم ، أو كبر علينا الرد عليهم.

وبالله نستعين، وعليه نتوكل، وإليه نرغب فى الثبات على طاعته، والنصرة لدينه، والقيام بحقه، والذبِّ عن عدله وتوحيده، والمضادةً لمن عَنَدَ عنه، وألحد صفته، وشبهه بخلقه، وجوَّره فى حكمه، ومال بالحق إلى غير أهله، حسبنا الله ونعم الوكيل ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [2] .

***

---

(١) مرضى وسقمى.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٢٩.

المسألة الأولى

فى العلم والإرادة

فكان أول ما قاله وابتدأ به من السؤال، وافتراه من الضلال، أن قال: سَل القدريةَ، أهل الفراء والكذب على الله، عز وجل.

• الرد عليه فى ادعائه أن أهل العدل هم القدرية :

فنحن نقول رادين عليه: على القدرية، وأهل الكذب والفراء على الله، لعنة الله، ولعنة اللاعنين [1]، والملائكة والناس أجمعين.

ثم قال: أليس قد علم الله ما هو كائن من خلقه قبل أن يخلقهم؟

فإن قالوا: بلى . فسألهم: هل أراد الله أن يكون بينهم غير ما علم أنه كائن منهم؟

فإن قالوا: نعم. فقل: أليس قد أراد أن يكون غير ما علم، وكره أنْ يكون ما يعلم؟..

فإن قالوا: نعم. فقل: فأخبرونى عمن أراد وأحبَّ أن يكون غير ماعلم إلهٌ هو؟!..

فإن قالوا: نعم . فقل: أليس إلهكم يحبُ ويريد أن يكون فى سلطانه ما لا يعلم، ولا يريد أن يكون ولا يحب أن يكون الذى يعلم؟..

فإن قالوا: نعم. فقل: فإنكم تصفون إلهكم أنه يريد أن يكون جاهلاً لا يعلم!!.. وسينقطع كلامُهم، ها هنا، وينقطع الجواب فيه.، ويركبون فيه ما يدخلهم فى الشرك بالله العظيم؛ لأنه من زعم أن الله يجب أن يكون جاهلاً ، فهو مشركٌ، وهو يُخرجُهم- إن أجابوا فيه - إلى غير منتهى قصد [2] أهل القبلة.

وإن قالوا: لم يحب، ولم يرُدْ أن يكون غيرما يعلم، وإنما أراد وأحب أن يكون ما يعلم أنه كائن، فقد أراد وأحب أن يكون المؤمن مؤمناً والكافر كافراً، كما علم. وهذا هو قولنا، وليس لهم من أحد الوجهين بدٌّ ، فليركبوا ما شاءوا منهما.

---

(١) فى الأصل: اللاعنون ، ولعله قصد سبه، فقال : ولعنه اللاعنون.

(٢) هكذا جاءت فى الأصل : قرد.

• جواب الناصر على المسألة الأولى :

الجواب، قال الناصر للحق أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما، سألتَ فقلتَ: أليس قد علم الله ما هو كائن من خلقه ، قبل أن يخلقهم؟..

• علم الله غير المعلومات :

٤ و – **فقولنا** : إن الله ، تبارك وتعالى . هو الأول قبل / كل شئ من خلقه، ولم يزل عالماً بجميع الأشياء من قبل كونها أنها ستكون، وعلم الله، عز وجل، للأشياء هو غير المعلومات؛ لأن العلم من صفات الذات، والمعلومات من صفات الفعل، وهو غير العلم.

• علم الله بأفعال عباده لا يعني خلقه لها :

والله ، عز وجل، العالم بنفسه لا بعلم هو غيره، وليس علمه لشئ غيره، والأشياء كلها هي غير الله، عز وجل، فلما أحدث الأشياء التي أحدثها هو، مما تولى صنعه ليس ما أحدث العباد، صار علمه محيطاً بما أحدث العباد باختيارهم مما كرهه [١] ، ولم يرضه ولم يخلقه من فعلهم واكتسابهم، وقد علم، جل ثناؤه، قبل أن يحدث الأشياء ما يكون قبل أن يكون، فلم يزدْهُ ذلك علماً لم يكن يعلمُهُ، ولم ينقصه عن علم شئ قد علمه، ولم يكلف الله، عز وجل، خلقه إبطال علمه المحيط بهم ولا الخروج منه؛ لأنه ليس إلى ذلك سبيل، إلا أن يكون لهم سبيل إلى الخروج من بين السموات والأرض، وهو كله محال لا يكون.

• علم الله محيط بخلقه :

فالعلم محيط بالخلق، كإحاطة السموات بالأرض [٢] ، والسموات والأرض لم يشركن في أفعالهن [٣] من الخير والشر بقليل ولا كثير ، لأنهم إذاً زنوا وسفكوا الدماء وانتهكوا المحارم، وعبدوا الأصنام، وكفروا بالرحمن، وفعلوا الجور كله، وفعلوا الطاعة

---

(١) في الأصل : كرههه .

(٢) في الأصل : والأرض.

(٣) في الأصل : افالهم.

كلها ، ولا يجوز أن يكون للسموات والأرض فى فعلهم فعل، ولا نشركُهم بخردلة فما فوقها.

• علم الله كاشف وليس فاعل :

وكذلك العلم محيط بهم، لايشركهم فى فعلهم، بقليل ولا كثير، ولا بمقياس خردلة فما فوقه؛ لأن العلم لا يدخلهم فى معصية، ولا يخرجهم من طاعة، ولا يحملهم على محبوب ولا مكروه، ولا حق ولاباطل.

• لا يكلف الله أحداً من خلقه الخروج من علمه :

وفى باب العلم، جاء غلطُ من غَلَطَ من هذه الأمة، وهلاك من هَلَكَ، وإجبار من أجبر، وإلحاد من الحد فى صفة الله، جل ثناؤه، من هذه المجبرة الظلمة، فكفروا من حيث ظنوا أنهم آمنوا، وإنما كلفهم اللهُ، عز وجل، الخروج من ذنوبهم، وافترض ذلك عليهم فرضاً لازماً جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وجرت به السنن، وسفكت الأنبياء، صلوات الله عليهم، عليه الدماء، «وضربوا عليه الأعناق» [1] وقتلوا وشرِّدوا، ولم يكلف الله ، تبارك وتعالى، أحداً من جميع الخلق، الخروج من علمه، وليس ما افترض عليهم، من الخروج من ذنوبهم، هو الخروج من العلم.

• طلب منهم الخروج من المعاصى :

وإبطالُ المعاصى والخروج منها، ليس هو إبطالٌ لعلم الله، عز وجل ، ولا بخارج منه، فقد احتجوا على الله، تبارك وتعالى، بالمحال، وأرادوا أن يدخلوا فى العلم
٤ ظ/ دخولاً؛ ليثبت لهم القول بالجبر ، وأبى الله ، عز وجل ، ذلك؛ لأن حجته الغالبة، وحقه القاهر / وكتابه الواضح.

فإن زعموا أنَّ الخروجَ من الكفر ، هو الخروج من العلم، لزمهم ان الله، عز وجل، قد افترضَ على العباد الخروج من علمه !.. وإن كرهوا هذا القول، وخافوا أن يقدموا عليه، لزمهم ان الله، جل ثناؤه، افترض على العباد الخروج من الكفر، ولم يفترض عليهم الخروج من العلم، وهذا هو الحق، وفيه قطعهم، وهو قولنا.

---

(١) زيادة من الهامش.

• هل أراد الله أن يكون فى سلطانه غير ما يعلم :

وأما قولك : أخبرنى عمن أرادَ وأحب أن يكون فى سلطانه غير ما يعلم، إلهٌ هو؟! . . فإن قلنا ذلك، زعمت بأنه يريدُ أنه يكون جاهلاً لا يعلم، وأنا ننقطع - زعمت ها هنا .

• جـــواب الناصـــر :

الجواب، قال الناصر للحق أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما :-

فإنا نقول لك : أليس من جهلك بالدين، وغلطك فى العدل، أنك لم تعلم ما فى القرآن ولا تلاوة الفرقان، إذ كان فى سلطان الله ، عز وجل، وفى خلقه من زعم أن له الأولاد والصواحب والشركاء والأنداد، وهو عندنا نحن فى قولنا : إنه لا يريدُ ذلك ، ولا يحبه، ولا يقضيه، ولم يخلقه، ومن قولكم أنتم، أيها المجبرة ، أنه أراد ذلك من المشركين وأحبه، وخلقه من فعلهم!

فقد أكذبكم الله بقوله، عز وجل، ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨) ﴾ (١) .

فالله، عز وجل، لا يعلم له شريكاً ولا ولداً ولا صاحبة ولا نداً ، وقد جعلها له المشركون وسموها أشياءَ .

وزعمت، ياعبد الله بن يزيد البغدادى، أنت ومن قال بقولك، أن الله، عز وجل، خلقَ ذلك من فعلهم وقولهم وقضاه وأراده منهم، وأحبه منهم، وهذا قول الله ، عز وجل ، يشهد أنه لا يعلم ما قالوا ، وأنه كاره لقولهم ، وأنه لم يرده ولم يقضه، فإن قلت غير ذلك، لزمك أنه أراد منهم، وخلق فيهم فعلاً وقولاً لا يعلمه، فيوجب أن له إرادة لايعلمها! . .

وقد قال فى كتابه : ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨) ﴾ (١) ، وكفى بهذه الحجة قاطعة وناقضة لقولك، وقال، عز

---

(١) سورة يونس : الآية ١٨

وجـل: ﴿ وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ﴾ [٢] فنقول لك: أخبرنا عن قوله، عز وجل، «بغير علم» أتقرّ بما قال الله، سبحانه، أنهم قالوا هذا القول فيه «بغير علم»؟!..

فإن قلت: نعم. سألناك عن ذلك العلم الذى عَنى الله، عز وجل، أهو الأمر الذى خلق من فعل العباد وقضاه عليهم وأراده منهم؟..

فإن قلت: نعم . وجب عليك أن الله، عز وجل، قد أبطله، فإنه «غير علم»، ٥ و / **وإن قلت**: إنه عَلِمَ رددت على الله، جل ثناؤه، قوله أنه «غير علم» / وأبطلت كتابه وكذّبته. فاختر أى ذلك شئتَ؟

ثم نقول لك: أحبَّ اللهُ من المشركين أن يقولوا: إن له ولداً أو صاحبةً وشركاء، وأنه ثالث ثلاثة؟..

فإن قلت: نعم، قد أحب اللهُ ذلك، وأراده. **قلنا لك**: فما هو، فسادٌ أم صلاحٌ؟!.. **فإن قلت**: إنه صلاحٌ. لزمك أن الفراء على الله، جل ثناؤه، وإضافة الصواحب والأولاد والشركاء إليه صلاحٌ!.. ومن قال هذا فهو مشركٌ.

وإن قلت: إن ذلك فساد. فذلك هو الحق، ولزمك أنَّ الله، جل ثناؤه، قال فى كتابه: ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) ﴾ [١]؛ **وزعمت، أنت وأصحابك، أنه يحبُّ الفساد**، وفى هذا قطع حجتك، وتكذيب قولك، وإبطال دعواك.

وإن قلت: إنه خلق ذلك من فعل المشركين، ولم يحبه ولم يُرِدْهُ ولم يرضهَ.

قلنا لك: كيف يجوز فى العقل ويثبت فى الحكمة، أو يخرج فى العدل أن يخلق الخالق، عز وجل، خلقًا لا يريده ولا يرضاه ولايحبه؟!.. هذا ما لا يجوز، ولا تقبله العقول؛ **لأن الفاعل لذلك عابث، والعبث عن الحكيم منفى**.

ثم نسألك، فنقول لك: **أخبرنا عن فعل المشركين**، والذى زعمت أنه خَلْقُ الله وإرادتُه، **هل هو حسنٌ أو قبيحٌ**؟

فإن قلت: إنه حسن. زعمت، وجب عليك أن الفراءَ على الله والكفر به حسنٌ!..

وإن قلت: إنه قبيحٌ. رجعت عن قولك، وصرت إلى قولنا بالعدل.

---

(١) سورة الأنعام: آية ١٠٠.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٠٥.

فإن قال قائل منكم، أو من غيركم: فقد خلق الله المشركين وهؤلاء لا يحبهم؟..

قلنا له: إن بغضاء الله للمشركين لم يكن منه إليهم، إلا بعدما استحقوا ذلك منه، واستوجبوه لكفرهم. فأما قبل ذلك، وهم أطفال، فلا يجوز أن يبغضهم، بل يرحمهم ويجرى نعمه عليهم، ويعطف عليهم الآباء والأمهات، **وقد قال**: سبحانه، لنبيه، صلى الله عليه وعلى الله وسلم: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** (١٠٧) ﴾ (١).

ومن الحجة عليك أن نقول لك: هل أراد الله، عز وجل، من الخلق نفاذ ما أمر بترك ما علم، أو ترك ما أمر بإنفاذ ما علم؟.. **فإن قلت**: إن الله - تبارك وتعالى - أراد من الخلق نفاذ ما علم بترك ما أمر. لزمك أن ترك الملائكة والرسل، وجميع من أرسلوا إليه من الأمم، وما أمر الله، عز وجل، به من جميع الطاعات كلها أصلح وأوافق، وأنه أراد أن لا يرجعوا عما علم أنهم يختارون، من عبادة الأصنام والشرك وجميع المعاصى!..

• أراد إنفاذ ما أمر بترك ما علم:

وإن قالو: أراد الله من الخلق إنفاذ ما أمر بترك ماعلم، رجعوا عن قولهم، وصاروا
٥ ط / إلى قولنا، وفُلجت حجتهم، وذلك هو الحق، وهو قولنا / ؛ لأنَّ اللهَ، عز وجل، أراد من خلقه إنفاذ أمره، الذى جاءت به رسله وكتُبه، والدعاة إليه من أئمة الهدى، عليهم السلام، وأن يتركوا قبيح ما علم أنهم يختارونه، بأهوائهم، ويقدرون على تركه باستطاعتهم المركَّبة فيهم، ويرجعوا إلى حسن ما علم أنهم قادرون على فعله، باستطاعتهم المركبة فيهم، المخيَّرين فيها.

وقد قال، عز وجل، فى محكم كتابه ما يصدق قولنا، ويشهد بحجتنا: ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً** (٣٢) ﴾ (٢)، لعلمه أنهم يقدرون على ترك الزنا، ثم قال، عز وجل، ﴿ **وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم** ﴾ (٣)، لعلمه أنهم يقدرون على ذلك، ومعهم عليه الاستطاعة والقوة.

***

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧

(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٢

(٣) سورة الزمر: الآية ٥٥

المسألة الثانية

هل أراد الله أن يؤمن عباده جميعاً؟

ثم قـال **عبدالله بن يزيد البغدادى** : ثم سلهم : هل أراد الله وأحب أن يؤمن العباد جميعاً؟ . . **فإن قالوا** : نعم، فقل : أفليس قد أراد وأحب أن يكون غير ما يعلم؛ لأنه قد علم أنهم لا يؤمنون جميعاً ، فقد أراد وأحب أن يكون غير ما علم؟ . .

فإن قالوا : نعم . فقل لهم : أرايتم الذى لا يعلم ما يكون، إلهٌ هو؟ . . **فإن قالوا** : لا ، الذى لا يعلم ما يكون، فليس هو بإله ؛ لأن الذى يجهل ما يكون ليس بعالم ، وهذه صفة الخلق . **فقل لهم عند ذلك** : صدقتم . أفليس يوجب أن من يكون فى هذه الصفة فهو غير إله ؟! . . فإن قالوا : بلى . فقل لهم : أليس اللهُ يريد ويحب أن يكون غير ما يعلم، وقد أحب أن يكون غير ما يعلم، وقد أحب أن يكون فى صفة المخلوق، وتكون أشياء لا يعلمها، فقد أحب أن يكون شيء لا يعلمه أنه كائن، فقد أراد وأحب أن يكون غير ما علم، وهذه صفة المخلوق، وقد أحب ، تبارك وتعالى، أن يكون بها؛ لأنه قد أراد وأحب أن يكون غير ما يعلم ؛ لأنكم زعمتم أنه قد أحب أن يؤمن من يعلم أنه لا يؤمن. فقد أراد أن يكون ما علم، حتى يكون فى صفة من تكون الأشياء لا يعلمها! . . فإنهم لن يعيدوا لك هذا الكلام، واعلم أنه من أشد ما يلزمهم، إن أحسنت كلامهم فأحسن المسألة، ولا تتركهم يجيبونك بغير ما سألتهم عنه، ولا تنتقل عنها إلى غيرها، فإن فيها ما يفضحهم، ولا يجدون مخرجاً .

• **جواب الناصر: لقد خلق خلقه كلهم للعبادة :**

الجواب ، قال أحمد بن يحيى الناصر لدين الله ، صلوات الله عليهما : إن الله، تبـارك وتعالى، خلق خلقه كلهم للعبادة، وأراد أن يطاع ولا يعصى ، وأنه أراد لكلهم الرحمة والنجاة، ودخول الجنة والسلامة من النار .

والدليل على صدق قولي، وبيان حجتي، قوله، تعالى عز وجل : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧)** ﴾ (١) .

---

(١) سورة الزمر : الآيتان ٥٦ ــ ٥٧ .

٦ و / وقوله لنبيه، صلوات الله عليه وعلى آله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (١)، وقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ (٢)، و«الكافة» في لغة العرب: فهي الكلُ لا البعض، فصح وثبت أنه لم يخلقهم للكفر ولا للمعصية ولا للنار، ولا تلك إرادته ولا حكمه.

• لقد جعل الله عباده مخيرين، بما جعل فيهم من الاستطاعة:

وإنما خلقهم للعبادة والطاعة، لا من حاجة منه إلى ذلك، إذ هو الغنى عن كل شئ من خلقه، وإنما خلقهم رحمة لهم، وتفضلاً عليهم، ودلالة على الوحدانية وتعريفاً بالحكمة، وجعل فيهم الاستطاعة، وخيرهم فيها تخيراً، وركّب فيهم المقدرة، وعلم أنهم إن أرادوا، كلهم، العبادة، أنهم يقدرون على ذلك، لما معهم من الاستطاعة.

وأنهم إن أرادوا المعصية أنهم يقدرون على ذلك، لما معهم من الاستطاعة أيضاً، فامتحنهم، عز وجل، بالأمر والنهي، ليميز المطيع من العاصي، من غير جهل منه بما يختارون، وجعل الثواب للمطيعين والعقاب على العاصين، ثم خيرهم تخييراً، ولم يقسرهم قسراً، وقال لهم: **من أطاعني أدخلته جنتي، ومن عصاني أدخلته ناري، بعدْ** أمري ونهي وإعذاري وإنذاري، وليس واحد من الفريقين مجبوراً على فعله، ولا مقسوراً على عمله، ولا مخلوقاً اكتسابه. ولا علم الله، تبارك وتعالى، فيه وفيما يختار، بمُدخل له في معصية ولا مُخرج له من طاعة، فأرسل إليهم الرسل لإثبات الحجة، وقطع العذر، لما مكنهم فيه من الاستطاعة والقوة على قبول الدين، ودلّهم على طريق النجاة، وحذّرهم من طريق الهلكة، وبين لهم الحق، وقد علم قبل خلق السموات والأرض، من يختار منهم الطاعة ويرغب في الهدى، وعلم من يصد منهم عن الحق ويختار الكفر والظلم ويتبع الهوى، وليس علمه بذلك منهم، يوجب عليهم حجة، ولا يزيل عنهم فريضة، ولا يوقع لهم عذراً، ولا يترك لهم إلى الاعتلال سبيلاً، وقد علم، عز وجل، أن منهم من لا يؤمن، وقد أراد الله، عز وجل، منهم الإيمان طوعاً وتخييراً، ولم يرده منهم قسراً ولاجبراً، لأنه لا يُغلب إذا أراد الحتم والقهر.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

(٢) سورة سبا: الآية ٢٨.

وقد أدخلت ، **يا عبد الله بن يزيد** ، **قولك : «أرأيتم الذى لا يعلم ما يكون، أإله هو»؟!**، وهذا منك مغالطة وتشنيع وجهل بالعدل ، ونحن لم نقل: إن الله، عز وجل، لايعلم ما يكون!.. ومن قال ذلك فقد كفر، وخرج من دين الإسلام، ولعمرُ الله، إن الذى يجهل ما يكون ليس بإلهٍ ولا يُسمى عالماً ، وإن هذه صفة المخلوقين.

• الله عالم لا يخفى عليه شئ :

٦ ط / وإنما قولنا الصحيح: **إن الله، عز وجل، العالم الذى لا يعزب عنه شئ. ولايخفى عليه خافية فى الدنيا ولا فى الآخرة**.. وأنه لما ذكرنا من الشرط فى صفة الخلق، وما جعل لهم من الاستطاعة وندبهم إليه من ترك الهوى ، وأرسل إليهم، وهو يعلم أن منهم من لا يؤمن، **وليس فى هذا تجهيل لله، عز وجل، ولا فساد**؛ لأنه قد علم أن خلقاً من خلقه سيكفرون [1] ولا يؤمنون، علم الله، عز وجل، قبل خلق كل شئ ، أن ذلك الكفر سوف يكون منهم، باختيارهم لا باضطرار اضطرهم إليه، تبارك وتعالى، ولا خلق افعالهم ولا بقهر حملهم عليه؛ لأنه علم أن الكفر لا يكون إلا من كافر، وأن جميع المعاصى لا تكون إلا من العصاة.

وقد قال ، جل ثناؤه: **﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾** [2] ، فاخبرنا، عز وجل، بعلمه فيهم، أن الحسد من عند انفسهم لا من عنده، ولا من عند نبيه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، إلا من عند انفسهم خاصة، غير مضطرين ولا مجبورين ولا مجبولين.

• هل علم الله يمنع من معصيته أوطاعته ؟

ولوكان علمه، سبحانه ، مانعاً من معصية او طاعة ؛ لما آمن من كفر، ولا كفر من آمن؛ لأنا وأياك قد رأينا فساقاً صاروا صالحين وصالحين، صاروا فاسقين ، وقد حكم الله، سبحانه ، فى كتابه وسابق علمه، أن من اضطر إلى شئ ليس له عنه غنى، ولا يستطيع غيره، أنه له حلالٌ وليس عليه فيه تباعة من الله، جل ثناؤه، إثم ولا عقوبة ولا عيبٌ ولا لوم؛ لعدل الله جل ثناؤه، وإتقان حكمته.

---

(١) فى الأصل : سيكفروا.

(٢) سورة البقرة : اية ١٠٩.

فقال، في غير موضوع في كتابه : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [١] ، فإن كان الله، عز وجل، هو الذى اضطر العباد، وحال علمه دون طاعتهم ، وحملهم على ما قالت المجبرة، وقلت أنت، **يا عبد الله بن يزيد البغدادى** ، ومن قال بقولك من الجهال بدين الله، عز وجل، وبعدله من شتمه وتكذيب رسله وقتل أنبيائه، والجحود لكتبه وسفك دماء الأنبياء وأئمة الهدى، عليهم السلام، وجميع ما أسندتم إليه من الفواحش والردى والزنا والربا واللواط والخنا [٢] والخمور والملاهى والغناء والتعطيل والشرك الذى لا يرضى، وجميع المعاصى التى أوجب الله، جل ثناؤه، على فاعلها النار والخلود فى العذاب المقيم، وما أسندوا إليه أيضاً من حملهم على نكاح الأمهات والأخوات والبنات، وأخذ الأموال وقطع الطرق، وغل الزكوات وشهادات الزور والتعطيل، وغير ذلك من جميع الظلم والعدوان والمكر، ٧ و / وجميع ماحرم الله ورسوله فى كتابه على لسان / نبيه ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم . .

فإن كان ذلك كذلك، فأنتم معذورون، وليس عليكم فيما اضطررتم إليه تباعة، ولاحجة ولا إثم فى الدنيا ولا فى الآخرة، وإذ كان المضطر عند الله، عز وجل، معذوراً وغير مذنب، وإلا فهلموا لنا حجة يصدقها القرآن، أن على المضطر، الذى لايستطيع ترك ما اضطره الله إليه، حرجاً أو عقوبة وإثماً ، أو عدواناً أو وزراً فى الدنيا أو فى الآخرة؟! . .

• الكذب ليس من عند الله :

وقد أعلمنا الله، جل ثناؤه ، بعيب المجبرة وفريتهم عليه، وبراءته [٣] من فعلهم وإلزامه – إياهم – ظلمهم وكذبهم، فقال، عز وجل، يصف الكفار فيما أسندوا إليه مما كذبوا فيه عليه : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨) ﴾ [٤] . .

---

(١) سورة البقرة : آية ١٧٣ .

(٢) جاءت فى الأصل : والخنى .

(٣) فى الأصل : وبراته

(٤) سورة آل عمران : الآية ٧٨ .

فهذه شهادة الله، عز وجل، وهذه حجته القاطعة عليهم، وقد أعلمنا، عز وجل، أن الكذب ليس من عنده، وأعلمنا أن القوم الذين قالوا: إن الكذب من عنده . كذبوا عليه، وأنت، يا عبد الله بن يزيد البغدادى، تضع علينا الكتب، فى إبطال هذا البرهان والحجة القاهرة، وتسمينا أهل الفرى والكذب على الله، واتخذ اصحابك قولك، المعاند للقرن ديناً وحجة على أهل العدل المؤمنين، وتركوا كتاب الله، جل ثناؤه، الذى هو شفاء [1] لما فى الصدور والمدحض لكل غرور، وقد سمعوا الله، عز وجل، يقول ﴿ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ [2] فقالوا، مكابرة للعقول: بلى، هو من عند الله. وقوله: ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ [3]، وقوله ، عز وجل: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (١٠٣) ﴾ [4].

انظر كيف يحملهم الجهل وقلة النظر، والبغض لأهل العدل، على الخروج من واضح القرآن ومن فيه الإسلام، بردهم للقرآن بعد ما تبين.

فأى كفر وجحود، ومكابرة أو فرية ، أعظم أو اشنعُ، وأكبر عند الله، عز وجل، من أن يقول الله، جل ثناؤه: ليس من عندى، وأنا منه برئٌ وليس هو فى علمى.. وتقول المجبرة، بلى ، هو من عندك وأنت قضيته علينا!..

• لقد آمن فرعون عندما أراد الإيمان :

٧ ط / فشهدَتْ / باتباعه [5] للهوى، واستطاعته المركَّبة فيه، والتخيير فيها لا بالصد من ربه، ولا أمرُ حال بينه وبين الإجابة لموسى، صلى الله عليه، مع أن لنا فى فرعون حجة قوية قاطعة، لا يقدر أحدٌ لها على نقض، وأنه قد آمن حيث أرادَ الإيمان ورأى العذاب عياناً ، فلم ينفعه ذلك الإيمان الذى فعله ، لقول الله، عز وجل، ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ [6] ، وقد وجدنا فرعون قد آمن حين أراد؛ لأنه مخير ، وليس

---

(١) فى الأصل : سفا.
(٢) سورة آل عمران : الآية ٧٨ .
(٣) سورة النجم: الآية ٢٣ .
(٤) سورة المائدة: الآية ١٠٣ .
(٥) أى فرعون .
(٥) سورة النساء : الآية ١٨ .

بمجبور، وقد أخبرنا الله، عز وجل، بأصدق الشهادة عنه، أنه آمن حين لم ينفعه إيمانه، وذلك قول الله، عز وجل، يخبر نبيه محمداً، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، عن قصته حيث قال: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) ﴾ [١]، فهذا يدل على إيمانه، حيث أراد الإيمان، وهذه حجة قاطعة، لمن يزعم أنه مجبور، وأنه محول بينه وبين الإيمان.

وكفى بهذه الحجة شاهداً لنا عليك، إذ زعمت أن الله لم يُرد إيمانه، لئلا يبطل علمه، زعمت، فقال الله، تبارك وتعالى، إذاً على فرعون: ﴿ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) ﴾ [٢] فهذا القول والإخبار من الله، عز وجل، يوجبُ لنا على المجبرة أن فرعون قد آمن من حيث أراد؛ لأنه مستطيع للإيمان؛ لأنه كان يمكنه ويقدر عليه، من قبل ذلك اليوم الذى غرق فيه لو أراده، فهذه حجة واضحة لا نقض لها، بحول الله وقوته.

وسال عبد الله بن يزيد البغدادى واصحابه المجبرة: هل أمر الله سبحانه، فرعون أن يكون منه الإيمان، أم لا؟

فإن قالوا: لم يأمره.

كفروا بأمر الله وكذبتهم الأمة، وإن قالوا: نعم، قد أمره الله بالإيمان.

فقل لهم: أمره الله أن يكون منه من الإيمان، ما قد علم أنه لا يفعله أبداً!.. فالله، عز وجل، بزعمكم وفى قود قولكم، ينهى عن الإيمان وليس يأمر به.

وإن قالوا: بلى، قد أمر به ليكون من فرعون من الإيمان ما قد علم الله، سبحانه، أنه لايكون منه، وليكون ذلك.

لزمهم ووجب عليهم فى قولهم: إن الله، عز وجل، أمر فرعون أن يجهله، بزعمهم، إذ أمره أن يكون منه غير ما يعلم؛ وقد علم الله، سبحانه، أنه سيجعل فرعون مستطيعاً لترك ما نهاه عنه، وقبول ما أمر به، وقد علم الله، سبحانه، أنه لن

(١) سورة يونس: الآية ٩٠.

(٢) سورة يونس: الآية ٩١

٨ و / يكون منه إلا ما علم انه جعله مستطيعاً لتركه، وجعل الغناء عنه والقوة على تركه، كما قد علم انه لا يكون / منه ، من الإيمان ما قد جعله مستطيعاً لاخذه، وجعل له إليه الاستطاعة والسبيل، وعن غيره السعة والفسحة والمندوحة، ولم ينهه عن المعصية إلا لئلا تكون منه، ولم يامره بالطاعة إلا لتكون منه الطاعة، وليس العلم بحائل بينه وبين اتباع موسى، صلوات الله عليه، والقبول لما جاء به.

وقد قال الله، جل ثناؤه، في كتابه المحكم: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [١] وقد علم، عز وجل، أن الفتنة سوف تكونُ باختيارهم ، وكذلك قال لجميع الخلق: ليكن منكم الإيمان، ولا يكن منكم الكفر.

الأدلة القرآنية على أن أفعال العباد من أنفسهم :

فقد علم الله ، عز وجل، ما العباد عاملون، وما هم إليه صائرون باختيارهم واتباع أهوائهم، لا بقضائه عليهم ، ولا بتقديره لمعاصيهم ، ولا بخلقه لفعلهم، إذ لم يجز في حكمته ولا في عدله ولا في صدقه، ولا في حقائق امره، ولا في واضح كتابه، أن يقول: ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾[٢]، ويقول: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤) ﴾[٣] ويقول : ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ [٤] ، ويقول : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) ﴾ [٥] ، وقوله : ﴿ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) ﴾ [٦] ، وقال للمؤمنين : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) ﴾[٧] ، وقال : ﴿ بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) ﴾ [٨] ، وقال : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠) ﴾ [٩] ، وقال : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) ﴾ [١٠] .

---

(١) سورة الانفال: الآية ٣٩.

(٢) سورة السجدة: الآية ١٤.

(٣) سورة السجدة : الآية ١٧ وكذلك جزء من الآية ١٤ الاحقاف، والآية ٢٤ الواقعة ، وجاءت خطأ في الأصل حيث قال: « جزاء بماكنتم تعلمون » ولم ترد في القرآن ابداً كذلك.

(٤) سورة المائدة : الآية ٨٠.

(٥) سورة البقرة : الآية ٨١ .

(٦) سورة هود : الآيتان ٩٧ - ٩٨.

(٧) سورة الزخرف : الآية ٧٢ .

(٨) سورة الحاقة: الآية ٢٤.

(٩) سورة الرحمن: الآية ٦٠.

(١٠) سورة النجم : الآية ٣٩ .

فأضاف، تبارك وتعالى، فعل العباد إليهم، من الخير والشر، ولم يضف شيئاً من أعمالهم إلى نفسه، إلا ما دلهم عليه من أمره ونهيه وتفضله بكرمه، لا غير ذلك.

الرد على مقالة المجبرة أن الله خلقَ الإيمان والكفر:

قال **أحمد بن يحيى**، صلوات الله عليهما: وادَّعت (عليه)[1] **المجبرة** أنه، تعالى، خلق الإيمانَ والكفر. فجعلوا زنى الزاني مخلوقاً، وصلاة المصلي مخلوقة، وأن الله، عز وجل، هو الخالق لذلك كله!.. فلزمهم أنه شريك لهما جميعاً في فعلهما، أو أن الزاني لم يكن ليزني، حتى خلق فعله، وأن المصلي لم يكن ليصلي، حتى خلق فعله!.. **فنقول لهم عند ذلك**: فكيف أثابهم الله، عز وجل، وعاقبهم على خلقه وهو يقول لهم: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ⑭ ﴾[2]؟!.. فافردهم بفعل ذلك، ولم يقل: جزاء بما كنتم تعملون، وأنا معكم فاعل لذلك الفعل الذي فعلتموه، فكان ذلك
٩ ظ / أعظم للمنَّة، وأقوى للحجة، جل الله وتعالى عما يقول المبطلون (**المفترون**)[3] وعلا علواً كبيراً.

ثم أعجب العجب أن هذا قولهم في الله، جل ثناؤه، ثم[4]/ يسمون **أهل العدل** قدرية مفترين!.. قال الله، عز وجل، ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً[5] أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا[6] فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ⑪② ﴾[7]، فإن كان الله، عز وجل، هو الذي خلق أفعال المشركين وقدَّرها عليهم، وحال بينهم وبين التوبة، بعلمه فيهم، ثم قال: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾[8]، وقال في موضع آخر: ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ⑦③ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ.... ﴾[9]، فنقول لك: عما ينتهون إذ كان الله، عز وجل، هو الذي الذي قدر فعلهم، وكيف يدعوهم إلى التوبة وهم لا يقدرون عليها؟!.. زعمت، سبحان الله العظيم، ما أعظم فساد هذا القول.

وقال الله، سبحانه: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ⑧⑧ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ⑧⑨ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ⑨⓪ ﴾[10]. وقال سبحانه: ﴿ وَمَن

---

(١) جاءت زيادة على الهامش.
(٢) سورة السجدة: الآية ١٧... أعاد المؤلف نفس الخطأ.
(٣) زيادة جاءت بالهامش.
(٤) تكررت الصفحات ٨ ط، ٩ وفي التصوير.
(٥) جاءت في الأصل: خطيه.
(٦) جاءت في الأصل: بريا.
(٧) سورة النساء: الآية ١١٢.
(٨) سورة المائدة: الآية ٧٣
(٩) سورة المائدة: الآيتان ٧٣ - ٧٤.
(١٠) سوة مريم: الآية ٨٨ - ٩٠.

يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا [1] فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (١١٢) ﴾ [2] ، فإن كان القول على ما قلت ، لقد إذنْ دخل فيما عاب ، ورماهم بما فعل بهم، وقدَّره عليهم وقضاه من اكتسابهم ، إذ رمى الأبرياء ، ولولا قضاؤه [3] لم يفعلوا ما فعلوا، على قول المجبرة!.. وقد قال ، عز وجل: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ [4]، ولم يقل: بما خلقت فيهم، ولا ما قضيت عليهم .

فهذا القرآن ينطق بتكذيبهم صراحاً ، وأنتم تكابرون العقول، وتغلطون على الناس، بآيات متشابهات فى القرآن، جهلتم تأويلها ، ولها معان فى اللغة العربية، تفسيرها عند أهل العلم بالدين، والمعرفة باللغة العربية، ولولا طول الكتاب لذكرت من ذلك ، من الآيات ما يبين فيها الحق، وساختصر من ذلك، فى كتابى هذا ، ما فيه البيان والشفاء[5] لكل مسلم، إن شاء الله [6] .

ونحن نسالك ايضاً : حين قال الله ، عز وجل: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) ﴾ [7]، أمن قضائه ومشيئته، وإرادته وخلقه لقول عباده وفعلهم، زعمت، أم من كفر الكفار وشركهم، وفريتهم على الله؟!..

فإن قلتَ : ذلك من إرادة الله وقضائه ومحبته.

لزمك أن السموات والأرض والجبال أردن التفطر والانهداد والانشقاق، من قضائه بهن وقدره وإرادته.

فإن قلت غير ذلك، فزعمت أنهن غضبن من قول الكفار وفريتهم على الله، جل ثناؤه، رجعت عن قولك، وصرت إلى قولنا بالعدل.

* ونسال عبدالله بن يزيد البغدادى عن علم الله، عز وجل، قبل أن يخلق الخلق: هل علم أنه سيامرهم بالخروج مما علم أنهم عاملون؟

فإن قال: نعم، قد علم أنه سيأمرهم بذلك.

---

(١) جاءت فى الأصل : بريا .

(٢) سورة النساء : الآية ١١٢ .

(٣) جاءت فى الأصل: قضاؤه.

(٤) سورة الروم : الآية ٤١ .

(٥) جاءت فى الأصل : الشفا .

(٦) فى الأصل: إن شا.

(٧) سورة مريم : الآية ٩٠ .

هل أمرهم الله بالخروج من علمه أم من ذنوبهم ؟

١٠ و / قلنا له : أمرهم بالخروج من ذنوبهم، أو الخروج من علمه ؟

فإن قال : أمرهم بالخروج من علمه . كفر بالله العظيم، وبانت فضيحته؛ إذ لا مخرج لأحد من علم الله، عز وجل، من جميع خلقه .

وإن قال : أمرهم بالخروج من ذنوبهم .

بطلت دعواه فى العلم وفلجناه؛ لأن الذنوب غير العلم، والذنوب من المعلوم. وبين العلم والمعلوم فرق عظيم، جهلته القدريةُ المجبرة .

الفرق بين الخروج من العلم والمعلوم :

وقد أمرهم الله، تبارك وتعالى، بإبطال المعلوم منهم، وليس فى ذلك إبطال العلم، الذى هو من صفات الذات، ولافساده، وانكسر على عبدالله بن يزيد البغدادى قوله، وبطلت دعواه وزعمه ، وبرأت[1] فيما زخرف من كذبه وفريته على الله، فضيحة[2] أهل العدل، وانهم لايجدون مما قال مخرجاً ، زعم! .. وغلط الجاهل فى دينه، فلينظر الآن أصحابه فى جوابنا، ولينعموا النظر، وليتقوا الله الذى إليه المعاد، ولا يكونوا من أهل الآية التى قال الله، عز وجل: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾[3]، فوالله ماصلوا للأحبار ولا للرهبان؛ ولكنهم كانوا يفعلون ما أمروهم به، فلذلك سماهم أرباباً لهم .

ثم ليعلم أصحاب عبدالله بن يزيد البغدادى أنه قد غشهم وغلط عليهم، وأهلكهم فى دينهم، وصدهم عن رشدهم ، وذلك جزاء [4] من ترك القرآن والقوام به ، وقلّد الرجال، والأحاديث المدخولة أمر دينه، وزهد فى الفتش وإنعام النظر، واتبع الهوى بلا هدىً من الله، عز وجل، ولا طلب للنجاة بالبحث والتمييز، والحذر من الهجوم على من لا يَعْذُرُه؛ لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم[5]، لاعذر فى ذلك لمتعبد ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) فى الأصل : وبات .

(٢) فى الأصل : فضحة .

(٣) سورة التوبة : الآية ٣١ .

(٤) فى الأصل : جزا.

(٥) إشارة إلى الحديث الشريف : «طلب العلم فريضة على كل مسلم..» رواه ابن ماجة ١ / ٨١ (المقدمة ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم) ، وقد اختلف المحدثون حول صحته، ولكن السيوطى فى الدر المنثور حسنه، وذهب المزى إلى ان مجموع طرقه ترفعه لرتبة الحسن، وذهب ابن عبد البر إلى ان معناه صحيح ، وقال الألبانى فيه ٤ / ١٢ (ضعيف جداً) .. وانظر السيوطى ، ص١٨٠ - ١٨١ ، وجامع ابن عبدالبر ١ / ٩ .

* ونسأله أيضاً عن الخروج من الذنوب، أهوالخروج من العلم، أم الدخول فيه؟

فإن قال: بل الخروج من الذنوب هو الخروج من علم الله، عز وجل.

كفر بالله؛ لأنه يلزمه أن من أمر بالدخول في شئ، فقد كان في غيره، ومن أمر بالخروج من شئ، فقد أمر أن يصير في غيره؛ لأنهم يزعمون أن العباد قد أمروا، بزعمهم، أن يصيروا في غير العلم، إذ أُمروا بالخروج منه، فيصرون في غير ما كانوا فيه، بزعمهم وعلى قود قولهم.

وإن قالوا: إن الخروج من الذنوب هو الدخول في العلم. فقد أمروا أن يدخلوا في العلم الآن، إذ كانوا في غيره، بزعمهم. وقد علم الله، عز وجل، ما سيكون من العباد من البر والفجور، قبل أن يكونوا شيئاً مذكوراً.

١٠ ط / فاسمعوا عباد الله إلى ما قلنا، وافهموا ما شرحنا، وبه احتججنا / ثم انظروا لأنفسكم، وميزوا بعقولكم، فإن الإقدام على النار، الخطر العظيم، والهول الجسيم، والحسرة الباقية، فما بعد هذا الاحتجاج والبيان، إلا اتباع الهوى والميل عن الهدى، بلا حجة ولابرهان، فاتقوا الله إن كنتم مؤمنين.

* ونسأل عبدالله بن يزيد البغدادى: هل رضى الله، عز وجل، كل شئ علمه، أم رضى بعضه وسخط بعضه؟

فإن قال: رضى بعضه وسخط بعضه. رجع عن قوله، وصار إلى قولنا بالعدل، ونفى الجور والجبر وخلق أفعال العباد، إذ زعم أنه قد كان من العباد شئ لم يرضه الله، سبحانه، وهذا هو الحق، وهو قولنا.

وإن قال: إن الله، عز وجل، قد رضى كل شئ علمه، من بر أو فجور، أو كفر أو غرور، ولايكون - زعم - إلا ما يرضى ويحب، من البر والفجور، فحينئذ صار من حزب الشيطان.

ثم يقال له عند ذلك: هل يسع العباد في دين الله، عز وجل، الذى افترض عليهم، إلا بان يرضوا ويحبوا ويريدوا لله، عز وجل، وللرسول، ﷺ، ما رضى الله، عز وجل، وأحب وأراد وشاء [1] لنفسه، ولنبيه، ﷺ؟!

---

(١) جاءت في الأصل: شا.

فإن قالوا: لا يسعهم إلا ذلك، ولا يجوز لهم فى الدين غيره.

قيل لهم: أليس ترضون وتحبون وتشاؤن، أن تؤذوا الله ورسوله والمؤمنين .. وأن يقال لله، عز وجل، أنه اتخذوا ولداً وأنه ثالث ثلاثة، وأن نبيه، صلى الله عليه وعلى آله، ساحرٌ كذَّابٌ، وأنه رضى بقتل الأنبياء [1] وأئمة الهدى، والآمرين بالقسط من الناس؟!

فإن قالوا: لا يسعنا ولا يجوز غير القول بهذا؛ لأن الله رضيهُ وقضاه، وأراده وأحبه وشاءه [2] وخلقه من فعل العباد، إرادة لنفسه ولنبيه وللمؤمنين، فلا يسعنا ولا يجوز لنا إلا أن نرضى بما رضى الله، سبحانه، وأراد وأحب وشاء.

لزمهم فى قولهم أن يرضوا بشتم الله، عز وجل، وشتم رسله، صلى الله عليهم، وقتلهم وقتل الأئمة والمؤمنين، وقول **اليهود عزير بن الله**، وقول **النصارى: المسيح بن الله**، وقول الكفار: إن الله ثالث ثلاثة، وأن له صاحبة وولداً وشركاء، وقولهم: إن يده مغلولة، وكل عيٍّ نسبَه الكفار إلى الله، عز وجل، عز عن ذلك وعلا علواً كبيراً، وما نسبوا إلى رسوله، صلى الله عليه وآله وسلم، من السحر والشعر والكهانة والكذب، وأنه يُعلمه بشر، وأنه مجنون.

وإن قال: لا يرضى بهذا ولا يحبه ولا يريده ولا يشاءه ولا يعتقده، ولا يقول به.
١١و / كفر بدينهم الذى كان عليه، وخرج عن مذهبه، وانتقض جميع ما وضعه لهم **عبدالله بن يزيد البغدادى**.

* ونسألهم أيضاً عن قوله، عز وجل: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** (٢٨) ﴾ [3] من عنى الله، جل ثناؤه، بهذا القول، الملائكة والأنبياء والمرسلين والأئمة الراشدين، أم عنى بذلك الكفار والمشركين واليهود والنصارى؟

فإن قالوا: عنى بذلك الكفار والمشركين واليهود والنصارى وجميع العصاة.

لزمهم أنهم قد رجعوا عن قولهم، وأقروا لنا بقولنا، ولابد لهم من جوابنا فى هذا الباب، والإقرار به أو الكفر بالآية.

---

(١) جاءت فى الأصل: الأنبيا.

(٢) جاءت فى الأصل: شاه.

(٣) سورة محمد: الآية ٢٨.

وإن قالوا: عنى به الملائكة والأنبياء والمرسلين، وكفروا بالله صراحاً، وخرجوا من دين الإسلام ، وإنما لزمهم ذلك؛ لأن من قولهم: إن كل شئ عمله العباد فبقضاء الله وقدره، وإرادته ومحبته ومشيئته، وخلقه لذلك الفعل منهم. فبهذا الزمهم الكفر، واكذبتهم الآية في قوله: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾ .

ثم نسال عبدالله بن يزيد البغدادى: هل كان رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، يرضى من الكفار بما يرضى الله منهم، أم دعاهم إلى غير ما لا يرضى الله ، سبحانه، ولايريد؟.. فإنه لا يستقيم لهم، في قولهم الذى يعتقدون، إلا ان يقولوا: إن النبى، صلوات الله عليه وعلى آله، دعا العباد إلى ما لا يرضى الله ولا يريد ولايشاء[1] ولايحب، وأن الشيطان وفرعون وهامان وأتباعهم، كانوا يدعون العباد إلى ما أحب الله ورضى وشاء وأراد وقضى [2] وقدر، وخلق من فعل العباد، من عبادتهم للأوثان، وشتمهم الله ورسوله والمؤمنين والمؤمنات، وقتلهم وظلمهم.

أىُّ العبدين أحب إلى الله، عز وجل، وأكرم عليه، عبدٌ يدعو الناس إلى ما لايحب ولا يريد ولا يرضى ولا يشاء [3] ولا يقضى ولا يقدر ولا يخلق ؟ أم عبدٌ يدعو [4] الناس إلى ما أحبَّ الله ورضى وشاء وقضى [5] وقدَّر وخلق من فعل عباده؟

فيجبُ في قولهم، زاعمين : إن الشيطان وفرعون وأبا جهل بن هشام وقارون وهامان وإخوانهم أحب إلى الله، عز وجل، من محمد، صلى الله عليه وعلى آله، ومن جميع الرسل ومن أئمة الهدى ومن المؤمنين والصالحين.

فإن قالوا: إنا نشنعُ عليهم، ونقول ما لم يكن منهم. قلنا: افليس هذا احتجاجهم، وقولهم في كتاب عبدالله بن يزيد البغدادى يشهد على ما قلنا؟!.. وأن جميع الخلق ١١ط /من اهل المقالات يعلمون ان المجبرة والخوارج يقولون كلهم.. / إن كل شئ في الأرض بقضاء الله وقدره وإرادته ومشيئته [6] ومحبته، وان افعال عباد الله، خلقها وقدَّرها ، وأنه إذا كان لاحدهم ابن فاسد أو به عاهة، وهو على ضلالٍ او فسق، وساله عنه أحدٌ من الناس، قال: ذلك رجلٌ كما شاء الله له، وذلك رجل كما أحب

---

(١) في الأصل : يشا.

(٢) في الأصل: شا... وقضا.

(٣) جاء في الأصل: يرضا ولا يشا.

(٤) وردت في الأصل: يدعوا.

(٥) وردت في الأصل: وشا وقضا.

(٦) وردت في الأصل: بقضا ... ومشيئته.

الله، وذاك رجلٌ كما قضى [1] الله عليه ، وذاك رجل كما قدر الله عليه أن يكون وأراد.

• أمثلة من افتراءات المجبرة على الله:

وإذا كان له ابن صاحب عفاف وصلاح ، فَسئُل عنه قال : ذلك رجل كما تُحِبُ ويسرِّك، وكما ترضى وتريدُ . ولم ينسب ذلك الصلاح والعفاف إلى الله، عز وجل، كما نسب إليه فسق الفاسق، وفعل ذى العاهة وفساد الفاسد!!

ثم تسمع من قولهم، إذا أخذوا فى الأحاديث ، وذكروا المدن، قال القائل منهم سبحان من خَرَّبَ البصرةَ، ولعن الله من خرَّبَ البصرة، فبينما هو يُسبحه إذ لعنهُ ! جهلاً منهم بعدل الله، عز وجل، والفرق بين فعله وفعل الآدميين [2] ، وقلة معرفته بحدود المنطق وواجب العدل. ومن شأنهم أن يقول الواحدُ منهم: كنتُ أهوى فلانة الفاسقة ، فخرجتُ فى طلبها البارحة فلقانيها [3] الله، كما أحب وأشتهى.

وفى هذه الكلمة كفران اثنان عظيمان فاحشان، أما واحد: فكذبه على الله، عز وجل، وإسناده إليه ما هو منه برئ [4] انه ، زعم، أحب وشاء، والآخر قوله: كما أحبَّ الله واشتهى، والشهوة لا تكون إلا من الآدميين، ولا يجوز أن يقال: اشتهى الله؛ لأن هذا تشبيه، وإنما يجوز أن يقال : شاء الله، عز وجل، فافهم هذا الباب.

ثم يقولُ هذا المجبر الجاهل : فباتت فلانة معى فى أَسَرِّ ليلة وأحسن مجلس، فلما كان فى آخر الليل جاء الشيطان، فألقى [5] فى قلبها بليَّةً، فأفسدها علىَّ ، فقالت: لست أقعدُ، وأنا أخرج من عندك . فخرجت وتركتنى.

فنسب - الملعون - إلى الله ، عز وجل عمَّا قال، أنه الذى لَقاها إياه، ونسب إلى الشيطان أنه الذى سَوَّلَ لها الخروج من عنده ! . . فأى كفر أعظم من هذا الكفر، وأى جهل أعظم من هذا الجهل الذى احتج به عبد الله بن يزيد البغدادى فى نصرته والقيام بعذر أهله ، والإبطال للكتاب والعدل والحكمة!..

---

(١) وردت فى الأصل : قضا.

(٢) وردت فى الأصل : الآدمين.

(٣) وردت فى الأصل : فلقانها.

(٤) وردت فى الأصل : برى .

(٥) وردت فى الأصل: جا .. فزلقا .

ومن ذلك وضعه علينا كتاباً يبطل به العدل، زعم، ويثبت حجج الكفار والزناة والفساق، ويُلزم الله، سبحانه، وما أسندوا إليه ورموه به من العظائم والقبائح، قدوس رب العالمين .

* ومن قولهم أيضاً المعروف بينهم، أن يقعدَ الواحد منهم يحدث أصحابه وإخوانه ١٢و / فيقول : كنا البارحة نشربُ الخمر ثم انقطع بنا، فلم يبق معنا خمرٌ، فبينما / نحن كذلك إذ رزقنا الله قرابة [١] خمرٍ ، فأتممنا بها آخر مجلسنا .

أفهذا القول وأشكالهُ يضع فيه عبدالله بن يزيد البغدادى الحجج، ويقول لأصحابه : قولوا لأهل العدل كذا وكذا [٢] ، فإنهم لن يقدروا لكم على جواب، ولن يقوموا معكم بحجة ؟! .. فسيعلم ما يرد عليه من الجوابات فى هذا الكتاب، بحول الله وقوته : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾ [٣] .

* وسالهم [٤] عن قول الله، عز وجل، فى كتابه : ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [٥] ، فسلهم : أرضى الله ذلك القول، أو لا ؟

فإن قالوا : نعم، قد رضى الله بذلك القول الذى بيَّتوُا . ردوا على الله، عز وجل، قوله، وكفروا بالآية، ﴿ إذ يقول ﴾ [٦] : ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ . (وهم يقولون : بلى ، قد رضى وأراد وأحب، ذلك الذى يبيتون من القول، وقدره عليهم)[٧] !!

وإن قالوا : لم يرضه . رجعوا إلى قولنا، وتابعونا وتركوا قولهم بالجبر؛ لأنه لا يرضى أحدٌ [٨] إلا بما يريد .

* ثم سلهم عن قول الله، عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم

---

(١) وعاء من جلد يخرز من جهة واحدة .
(٢) وردت فى الأصل : كذى كزى .
(٣) سورة الشعراء : الآية ٢٢٧ .
(٤) وردت فى الأصل : وسالهم .
(٥) سورة النساء : الآية ١٠٨ .
(٦) تكملة من الهامش .
(٧) تكملة جاءت بالهامش .
(٨) جاءت فى الأصل : يرضا .

مُنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[١] ، فقد أعلمنا الله ، عز وجل، أن هذا كله من إرادة الشيطان ، ليس من إرادة الله ، عز وجل عن ذلك وتعالى ، وأنه من فعل الشيطان، وليس من فعل الله، عز وجل، فهذا من خبر الله، سبحانه ، وهذا كتابُ الله يشهد لنا عليهم، والله شاهد على كذبهم عليه : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾[٢] ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴿١٢٢﴾ ﴾[٣] ، وقد قال الله، عز وجل: ﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾[٤] ، فما بعد هذا من الحق والبيان والعدل والحكمة والحجة الواضحة، فلا يبعدُ[٥] الله إلا من ظلم ، فإن ردوا على الله، عز وجل، قولهُ كفروا، فأما حجتهم فقد بطلت، والحمد لله رب العالمين.

***

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم هل يستطيعون أن يكون منهم غير ما يعلم الله أنه كائن؟

فإن قالوا: نعم قد يستطيعون ذلك.

فقل: فإن شاء[٦] العباد كان منهم ما لا يعلم الله ؟..

فإن قالوا: نعم، فقل : أخبرونى عمّا لا يعلم اللهُ أنه كائن، ما هو؟

فإنهم لن يجدوا شيئًا ، وسيخبرونك أن ما لا يعلم الله أنه كائن، فليس بشئ.

فقل لهم: أخبرونا عن قولكم : إنهم لا يستطيعون أن يأتوا بما لا يعلم الله، وأنتم تقولون: هو ليس بشئ. وهل كلفهم الله أن يأتوا بلا شئ؟!..

فإن قالوا : بلى[٧] قد يستطيعون أن يأتوا بلا شئ.

فقل: أشئٌ يعلمه الله، أم شئ لا يعلمه الله أنه كائن؟

فإن قالوا: شئ لا يعلمه الله.

فقل : هل شئ كان أو يكون لا يعلمه الله؟

---

(١) سورة المائدة: الآية ٩٠ - ٩١ .

(٢) سورة الجاثية: الآية ٦ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٢٢ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية ٥١ .

(٥) فى الأصل : بيعد.

(٦) فى الأصل: شا.

(٧) جاءت فى الأصل: بلا.

فإن قالوا: نعم ، إن الله قد يجهل شيئا لا يعلمه . فقد أمكنوك من أنفسهم، وإن
١٢ط / قادوا لك حينئذ كلامهم، أشركوا بترك أهل [١] / القبلة.

وإن هابوا ولم يقودوا، فلا تعجل عليهم ولا تنحلهم [٢] الشرك، وردّهم إلى أوّل الكلام، فقل لهم: أليس [٣] لا تستطيعون أن تأتوا بشئ، إلا قد علمه الله أنه كائن منكم [٤] ؟..

فإن قالوا: نعم، إنا كذلك نقول: إن الله قد علم ما هو كائن من العباد، قبل أن يكون منهم ، فليسوا يستطيعون تغيير ما علم الله.

فهذا قولنا، ولا تتركهم يتحوّلون، ولا يدخلون وجهاً في وجه آخر، والزم كل مسألة[٥] منها إلى منتهى [٦] قودها، فإنه أقدر لك على حاجتك منهم.

الله يعلم كل شئ :

الجواب : قال الناصر لدين الله أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما، هذا الكلام إعادةٌ منه في السؤال عن باب العلم، وقد مضى في الجواب منا إليك، في المسألة [٧] التي قبل هذه، ما فيه كفاية، غير أنا لابد نجيبك، ونحن نعلم أن أحداً من أهل القبلة لا يُصدقك أن أحداً يقول: إن الله، عز وجل، يجهل بعض الأشياء ولا يعلمه ، وأنا ، زعمت ، إنْ قلناه أمكنا من أنفسنا.

هل يستطيع أحد أن يفعل خلاف ما علم الله منه :

وليس ذلك قولنا، ونحن أهل التوحيد الصحيح، الذي وُرِّثَ عن الأنبياء، صلوات الله عليهم ، وعن أئمة الهدى، عليهم السلام ، ولولا نحن لظهرت الزنادقة في البلاد[٨]، ودعوا إلى دينهم صراحاً ، وأما قولك: إن العباد لا يستطيعون أن يأتوا بغير ما علم الله. فهذا قولك، زعمت، واعتقادك، وتقول لصاحبك أن لا يتركنا نتحوّل

---

(١) مطموسة في الأصل.
(٢) في الأصل: نتخلهم.
(٣) وردت في الأصل : اليسوا .
(٤) وردت في الأصل: منهم.
(٥) وردت في الأصل : مسلة.
(٦) وردت في الأصل : منتها.
(٧) وردت في الأصل: مسلة .
(٨) يقصد الباطنية حيث قضى هذا الإمام عمره في جهادهم.

عنه، فهذا قليل من جهلك وغلطك، كيف لا يتركنا أن نحتج عن مذهبنا، ونقطع من خالف الحق بنور الله، عز وجل ولطفه؟

إذ زعمت أن من عَلِمَ الله، جل ثناؤه، منه أنه لا يستطيع أن يأتى بغير ما علم الله منه، فلم يهده [1] إلى ترك ما علم منه من عبادته للأصنام، وأكله للحرام، وظلمه للأيتام، واكتسابه للآثام، إذ كان العلم هو الذى حال بينه وبين اتباع الرسل، وإجابة الكتب، والدخول تحت لواء الإسلام، وقلت : هل يستطيع أحد أن يفعل خلاف ما علم الله، عز وجل ، منه؟

جواب الناصر:

فالجواب فى ذلك ، بحول الله وقوته، أنا نسألك عن حجة الله، تبارك وتعالى ، على خلقه، أتامةٌ هى بالغة ، أم ليست بتامَّةٍ ولا بالغةٍ؟

فإن قالوا: بلى هى تامةٌ بالغة. **فقل لهم**: ما تمامها ؟ أليس وجود السبيل إلى الاستطاعة إلى ما أمر الله به، عز وجل، ودعا إليه من الدخول فى دينه، والإجابة لرسله والاتباع لكتبه؟ . .

١٣ و / فإن قالوا : لا ، تمامها وبلوغها بلا سبيل ولا استطاعة / إلى ما دعا الله ، عز وجل ، إليه ، ولا إلى ما أمر الله به ولا إلى ما نهى عنه.

كفروا، ولم يجدوا حجةً، ودخل عليهم فى قولهم: إنها وعد خلف وغرور، وأنه دعاهم فى زعمهم، إلى شئ فى العلانية، وحال بينهم وبينَهُ فى السر، فوصفوا الله ، جل ثناؤه، بالصفة التى وصف بها المنافقين، وكفى [2] بهذا كفراً ، وقد علم الله، عز وجل، أن الكفار يقولون : إنه ثالث ثلاثة وأن له صاحبةً وشركاء ، وأن الملائكة بناتُه، وذلك قوله، تعالى ، يرد عليهم: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [3]، فإذا كان قد علم هذا، فَلِمَ افترض عليهم تركَهُ، وقد علم أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بغير ما علم منهم؟ . . فيلزمه أنه قد

(١) وردت فى الأصل: يديه.

(٢) وردت فى الأصل : كنا .

(٣) سورة الزخرف . الآية ١٩

افترض عليهم الخروج من علمه ؟!.. هذا يلزم في الحجة، لأبُدَّ لهم منه، فإن قالوا بذلك، لزمهم أن للناس مخرجاً من علم الله، جلَّ وعزَّ وتعالى، وهذا رأس الشرك، وغاية العمى [1] والجهل ، كفى بهذا كفراً.

***

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادي: ثم سلهم فقل: أخبروني عن رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله ، حين جاء يدعو الناس إلى شئ يعرفونه جميعاً معرفةً واحدة، أم جعل بعضهم يعرف وبعضهم لا يعرف؟..

فإن قالوا: جعل كلَّهم يعرفون ما دعاهم إليه، معرفة واحدة. فقل (فسلهم) عند ذلك: أليس جميع المشركين قد عرفوا أن الله واحد، وأن محمداً رسوله ، ﷺ، وأن ما جاء به فهو حق؛ لأن المؤمنين قد عرفوا ذلك، وهم مثلهم في المعرفة؟..

فإن قالوا: نعم. فاثبت عليهم هذا القول، ثم سلهم عمن وصف الله أنه لا يسمعُ ولا يبصرُ، أرأيتم حيث ما قال الله: ﴿ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [2] ، أتصفونهم يعلمون، والله يقول بأنهم لا يعلمون؟!!..

وحيثُ يقولُ: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴾ [3]، فكيف تصفونهم أنهم يبصرون ويسمعون؟!.. فإنهم لا يعطونك أن خلقه جميعاً يعرفون ما تعرف الرسل والمؤمنون، من توحيد الله ، عز وجل، ورسالاته وجنته وناره، والله يصفهم بغير ذلك؟

يعلم الرسل ما لا يعلم غيرهم :

الجواب قال الناصر بن الدين أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما : أما قولك: إن الرسل تعلم من توحيد الله والعلم ما لا يعلم غيرهم، وكذلك المؤمنون يعلمون من التوحيد والعلم ما لا يعلم المشركون.

فإنا نقول: إن الرسل، عليهم السلام، عندهم من العلم ما ليس عند أحدٍ لحاجة الناس إليهم / وعليهم أن يعلّموا الناس جميع ما افترض الله، عز وجل، عليهم من

---

(١) وردت في الأصل: العما.
(٢) إشارة إلى قول الله تعالى، : ﴿ ..وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ سورة الجاثية: الآية ١٨ .
(٣) سورة البقرة : الآية ١٨.

١٣ط / معرفة دينه، وليس عند الخلق إلا ما علمتهم الرسُل والمؤمنون، وقد كانوا قبل مجئ الرسل لا علم لهم، ولا معرفة عندهم ولا دين. حتى تعلموا وطلبوا العلم، فصاروا علماء مؤمنين.

وكذلك يجبُ على جميع المشركين والظالمين، ان يطلبوا العلم ولا يقصروا فيه، ويدخلوا فى الحق، حتى يصيروا علماء.

وإنما عاب الله، عز وجل، عليهم انهم لا يعلمون ولا يبصرون ولا يسمعون، وأنهم صمٌ بكمٌ ، إذ تركوا ذلك الذى أمروا به، مكابرة ومعاندة، وسماهم بكماً وصُمّاً وعمياً، إذ تركوا العلم والحق والرشد، وهم يقدرون على طلبه وأخذه والدخول فيه، والتعليم له من رسل الله، صلوات الله عليهم، ومن أوصيائهم [1] من بعدهم، ومن العلماء فى كل عصر [2] ، ولو كانوا عمياً وصماً وبكماً لا يسمعون الأصوات ، ولا يفقهون كلام الرسل، ولا يعرفون تاديتها لدين الله، عز وجل، وتبليغها ولا ما تدعوا إليه من كتب الله، وبها ما كان عليهم لله، عز وجل، حجةً ، ولا لزمهم عذاب أبد الأبيد، إذ كانوا صُمّا وبكماً لا يعقلون ولا يسمعون ما دُعوا إليه من دين الله ، جل ثناؤه.

اتفاق أهل الإسلام على أن الله أمكن الناس من معرفة دعوة الرسل:

والدليل على ذلك فى حكم جميع أهل الإسلام، انه لا حجة على الأصم فيما لا يسمع، ولا على الاعمى فيما لا يبصر، ولا على الابكم فيما لا يعقل، ولا على الاعرج ولا على المقعد، وقد عذرهم الله، عز وجل، فى القرآن.

استثناء أهل الأعذار:

فقال : ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [3] ،

---

(١) تقول **الشيعة** بالوصية، وان النبى اوصى ل**على بن أبى طالب** ، وذريته من بعد بالإمامة، وهى مرتبة لا تنبغى إلا لهم ، يجمعون فيها بين السلطة الدينية والزمنية، واجتهادهم وعلمهم حجة على الخلق ، ولذا فهم معصومون كالانبياء، غير ان **الزيدية** لا تقول بها.

(٢) باب الاحتهاد مفتوح عند **الزيدية** وهو واجب على الائمة والعلماء فى كل عصر.

(٣) سورة الفتح : الآية ١٧

وأما المعتوه فهو الذى لا يعقل فليس يلزم فى الحكم ان يجلد إن زنا، ولا يقتل، ولا تقطع يدهُ إن سرق، ولا يؤاخذ[1] على شئ من جميع فعله، وكذلك لا جهاد على الأعرج ولا على الأعمى [2]، ولا على المريض، هذا المعروف فى حكم الإسلام الذى لا حيلة لك فيه، وقد بان جهلك وصحَّ خطؤك [3] وكذبك على الله، عز وجل، أنه لو كان القوم الكفارُ الذين ذكرتهم وقمت بعذرهم، والزمت الله، عز وجل، الجور فى عذابهم، إذ كانوا بكماً وصماً، لا يعلمون ولا يعقلون على الحقيقة لا على المجاز، ثم عذبهم الله، جل ثناؤه، ثم خلدهم فى نار جهنم الأبد الأبيد، إن هذا لهو أعظم الجور الذى وصفت به ربَّك، عز وجل، عن ذلك، العدل الذى لا يجور، فهذا ما جهلته واخطات [4] فيه، وقلت: إن أهل العدل لا يقدرون لك على جواب!..

١٤ و / على انا نقول: أين كنت عن قوله، عز وجل، بخبر نبيِّه، صلى الله / عليه، عن المشركين، حيث قال له: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[5]، وقالوا فى الاصنام ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [6]، وقوله، عز وجل: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ [7]، وقوله: ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾[8]، وقوله: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [9]، وقوله: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [10].

سماها ولم يجبرها:

وقوله، عز وجل، يخبرُ عنهم: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [11]، اى سمَّاهم وحكم عليها بالطبع، لا انه جبرها على ذلك، فيلزمه دعواك.

مثل قوله: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [12]، اى سمَّاها زائغة بفعلهم، ومثل هذا كثير فى القرآن.

---

(١) وردت فى الاصل: يواخذ.

(٢) وردت فى الاصل: الاعما.

(٣) وردت فى الاصل: خطاؤك.

(٤) جاءت فى الاصل هكذا: واخطات.

(٥) سورة الزمر: الآية ٣٨.

(٦) سورة الزمر: الآية ٣.

(٧) سورة البقرة: الآية ١٤٤.

(٨) سورة المجادلة: الآية ٨.

(٩) سورة النمل: الآية ١٤.

(١٠) سورة العنكبوت: الآية ٣٨.

(١١) سورة البقرة: الآية ٨٨.

(١٢) سورة الصف: الآية ٥.

وأما قولُكَ: هل عرف بعضهم ولم يعرف بعض؟ قال **أحمد بن يحيى**، صلوات الله عليهما، وهل اختص الله أحداً دون أحد بدينه ؟!.. **فهذا قول فاسدٌ**.

والقـول الصحـيح : إن الله، عز وجل، بعث رسـوله، صلوات الله عليـه وعلى آله وسلم، إلى الخلق كافَّـة ليطيعوه كافة، لم يختص أحداً دون أحد، ولـم يؤثر أحـداً على أحـد، إلا الرسل، صلى الله عليـهم، فـقـد اصطفـاهم، لما علـم منهـم أنـهم لا يختارون معصيته أبـداً، وقـد فضَّل بعضهـم على بعض بمـا اكتسبوا؛ لا أنـه جار عليـهم ولا حابى [1] ولا مـالأ [2]، واختيارُهُ لهم فإنما كان بعلمه، عز وجل، بصحة ضمائرهم، وأنهم موضع ما استؤمنوا عليه. وقال في كتابه: ﴿ **وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴿٣٢﴾ ﴾[3]، والحجة على الخلق لله، عز وجل، في طلب دينه والدخول فيما دعاهم إليه، لا عذر لهم، ولا حجةً على الله، عز وجل، لمدَّعٍ منهم، ومن هيج مشيئته في الطاعة هاجت، ومن هيج مشيئته في الكفر هاجت.

لم يحل الله بين أحد والهداية:

وليس على أحدٍ كُره في دين، ولا قسر ولاجبر، ولا مانعٌ يمنعه عنه، ولا حائل يحول بينه وبينه، ومن قال بذلك فقد كفر وأبطل القرآن وخرج من الإسلام، لقول الله، عز وجل، يحكي عن نبيه، عليه السلام: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴿١٠٨﴾ ﴾[4]، وقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾[5]، وقوله: ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾[6]، وقوله: ﴿ **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ** ﴿٢٠٥﴾ ﴾[7]، وقوله: ﴿ .. **يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ** ﴿٥٧﴾ ﴾[8]، وقال: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ** ﴿٢﴾ **وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ** ﴿٣﴾ ﴾[9]، ولم يقل: والذى قدَّرَ فاضلَّ!.. وقوله: ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ** ﴿١٢﴾ **وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ** ﴿١٣﴾ ﴾[10]، وقوله: ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ** ﴾[11]، وقوله ﴿ **لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ**

---

(١) اختصه ومال إليه. ووردت فى الأصل: حابا.

(٢) ساعده وعاونه. ووردت فى الأصل: مالا.

(٣) سورة الدخان: الآية ٣٢.

(٤) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

(٥) سورة الاعراف: الآية ١٥٨.

(٦) سورة النساء: الآية ٨٠.

(٧) سورة البقرة: الآية ٢٠٥.

(٨) سورة الانعام: الآية ٥٧.

(٩) سورة الاعلى: الآيتان ٢ – ٣.

(١٠) سورة الليل: الآية ١٢ – ١٣

(١١) سورة فصلت: الآية ١٧.

عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ ١٤ظ / عَلِيمٌ (٤٢) ﴾ [١] وقوله: ﴿ وَمَا / كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩) ﴾ [٢]، وقوله: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً (١٥) ﴾ [٣]، وقوله: ﴿ فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) ﴾ [٤]، وقوله: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) ﴾ [٥]، وقوله: ﴿ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾ [٦]، وقوله: ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ﴾ [٧].

افلا تسمع إلى هذا القول، وإلى هذه الحجج القواطع من الله، عز وجل، والمبطلة لجبرك، والقاهرة لحججك. أهذا أيها الجاهل قول من جبر خلقه على الكفرو وصدهم عن الهدى، وأراد لهم الضلالة والردى، سبحانه الله وتعالى عما يصفون !..

* وأما قولك: إن الله، عز وجل، لم يُعط الخلق ما يأخذون به ما أمرهم به من دينه، ففريةٌ منك على الله، جل ثناؤه، وتكذيبٌ لكتابه وطعنٌ على عدله، وإثبات لعذر من عصاه من المشركين، وافترى [٨] عليه من الظالمين.

* وأما سؤالك عن قول الله، سبحانه: ﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) ﴾ [٩].

لم يقسرهم ولم يجبرهم على حبه أو كرهه:

الجواب قال أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما: فإن الله، عز وجل، لم يجبرهم بذلك التحبيب، ولا بذلك التكريه، جبراً ولا قسراً، ولا جعله في قلوبهم، كما يجعل الشئ في الشئ، مثل السيف في الغمد، والماء في الراوية، وإنما جعل ذلك التحبيب والتكريه، عز وجل، بالدعاء لهم، والتشويق إلى الجنة، وما أعدَّ الله، جل ثناؤه، فيها من النعيم المقيم والفوز العظيم، وما وصف من القصور، وما فيها من

---

(١) سورة الانفال: الآية ٤٢.
(٢) سورة القصص: الآية ١٥.
(٣) سورة الإسراء: الآية ١٥.
(٤) سورة الإنشقاق: الآيتان ٢٠ - ٢٤.
(٥) سورة المدثر: الآية ٤٩.
(٦) سورة المائدة: الآية ٧٤.
(٧) سورة المائدة: الآية ٧٣.
(٨) جاءت في الأصل: وافترا.
(٩) سورة الحجرات: الآية ٧.

نواعم الحور والأنهار الجارية، والثمار الدائمة، والأفنان الدانية، وأنهار العسل واللبن والماء والخمر، الذى لا يشبه شيئاً [1] من نعيم الدنيا، فهذا التحبيب بالصفة، لا أنه، سبحانه، أكرههم عليه جبراً، وكونه فيهم قسراً، وكذلك التكريه للكفر، إنما هو بما خوَّف وحذَّر، وأعذر وأنذر، ووصف من السلاسل والأغلال والحميم، والسحب على الوجوه، والمهل والزقوم والغسلين، وقوله تعالى: ﴿ **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ** ﴾ [2]، فهذا معنى التحبيب والتكريه، الذى جهلته لا غير ذلك، ولو كان على ما ذهبت إليه وغيرك، ومن قال بقولك من أهل الجبر. لم يقل، عز وجل: ١٥و/ ﴿ **جزاء بماكنتم تعملون** ﴾، ولوجب أن يقول: جزاء بما عملتُ / أنا فيكم، وصوَّرتُه فى قلوبكم، قسراً وجبراً، والله، عز وجل، متعال متقدس عن قول المحال، وخلق الأفعال، وإرادة الضلال، ومشابهة الجهال، والدخول فيما عملوا من الأعمال.

التوحيد لا يختلف ولا يتناقض:

وأما ما سألت عنه من اختلاف التوحيد، فالتوحيد لا يختلف ولا يتناقض، ولا يبطل شئ منه، لأنه دين الله، عز وجل، الذى لا يدخل الجنة إلا بمعرفته، وسائر الفرائض، فهى تبعٌ له وللعدل.

فما نعلم التوحيد يختلف فى قول أحد إلا معكم، فإن توحيدكم الذى سميتموه توحيداً، هو الذى يختلفُ ويتناقض، لما شبهتم الله، عز وجل، بخلقه الجائرين وعبيده المفسدين.

معرفة العدل والتوحيد فريضة:

وليس يجوز لأحد من الخلق جهل بعض صفة الله، عز وجل، بل معرفة العدل والتوحيد فريضة لازمة لجميع أهل الأرض، من البالغين الكاملة عقولهم، لاعذر لأحد فى ذلك؛ لأن العدل والتوحيد أصل الإسلام، وقوام الدين، ولا يستقيم اعتقاد (واحد)[3] منها إلا باعتقاد الآخر، ولم يضع الله، عز وجل، علم التوحيد ولا العدل، عن مكلف من جميع الخلق..

---

(١) جاءت فى الأصل: شيا.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٦.

(٣) مكتوب بالهامش

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عمن اقر بان الله، عز وجل، **قادرٌ** ، ولم يقر بانه **فاهمٌ** .

فاهم من صفات الخلق :

الجواب قال أحمد بن يحيى، رضى الله عنه : هذا عندنا سؤال من لم يعرف الله، عز وجل، ولا توحيده، وهذه المسالة مسالة فاسدة، لقولك فاهم، **فقولك : فاهم**، كفر بالله العظيم؛ لان فاهم من صفات الخلق، إذْ منهم من يفهم ومن لا يفهم، والفهم من صفة المخلوقين ، وذلك عن الله، عز وجل، منفيٌّ .

وقولك : فاهم. فهى خارجة من اللغة العربية، فلزمك الخطأ فى وجهين، **فى التوحيد واللغة** جميعاً، وإنما تقول العرب : رجلٌ فَاهِّم ، ولا تقول **فهم، وهذه اللفظة من جهل** بالتوحيد لا يجوز ان يوصف الله، عز وجل، بِفَهِمٍ ، وقول القائل : **الله عالم . يجزئ** عن ذلك كله، ومن قال - زعمت - إنه قادر ولم يقر بانه قاهر ، **واقرَّ بانه إله ولم يقر** بانه خالق، وهذا القول الذى قلته ، فكلُّيَتهُ فاسدٌ لا يجوز فى التوحيد، **ولا يقوله من** له أدنى راى سديد، ومعرفة يسيرةٍ .

وأما قولك، أيها **المجبرُ**، فى المحتلم وليس بمجنون ولا مغلوب على عقله ؛ لانه يعرف حين احتلم انه قد كمل عقله ، فهذا كلام مخلط لم تصححه ، والمحتلم ليس عليه لوم فى نومهِ، والفرائض له لازمة، وإن نام، والتوحيد عليه فريضة، وإن نام؛ لأن النوم لا يُذهب عنه فرض التوحيد، وعليه أن يقوم بفرائضه **ويؤديها ويعتقدها** .

١٥ظ / وقولنا : **«إن الفرائض والتوحيد لازمة للنائم فى / نومه»** ، أردنا بذلك أن فرض الله لازم للنائم واليقظان ، نريد أن على النائم أن يكون ضميره واعتقاده التوحيد، ووجوب الفرائض، فإذا استيقظ لزمه العمل والأداء [١] لما افتُرِضَ عليه .

وأما الفعل فيه يكون الثواب والعقاب؛ لأن الأمر والنهى إنما هو لازم لأهل العقول، وأنت تعلم أن الزنج والهند والحبش، وجميع الأعاجم، إذا طلبوا العلم والتعليم نالوه وأدركوه، وإن قصروا بعد دعاء [٢] الرسل، لزمتهم الحجَّة لقول الله، سبحانه ، لنبيه،

---

(١) وردت فى الأصل : الادا .

(٢) وردت فى الأصل : دعا .

صلى الله عليه : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [1] ، ولا عذر لأحد من الأولين والآخرين فى أداء [2] ما افترض الله عليه من توحيده وعدله ودينه ، وإن عذرته أنت، بجهلك وفريتك على الله، جل ثناؤه ، وجعلت له الحجة على الله، سبحانه، ورددت القرآن، والله ، سبحانه ، يقول: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[3]، وقوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [4]، وكل هذا يُكذِّبُ قولك الذى قلت: **إن الله، عز وجل، أراد أن لا يعبدوه وأراد أن لا يؤمنوا، وأن يكفروا، ويفجروا** !!..

فإن قال لنا قائل: أليس قد تجدون فى الرواية عن النبى، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أنه قال **«رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق، وعن الطفل حتى يبلغ»** [5] .

فإذا قلنا : نعم ، قد صحَّ ذلك ، قال: فكيف زعمتم أن الفرائض لازمةٌ للنائم والمستيقظ، وهذا ينقضُ ما قلتم ؟!!..

قلنا له : إنما يزول عن النائم فعل الفرائض ما دام فى نومه، ولا يزول عنه اعتقادها ولازمها الواجب المحتوم الذى لايسقط، والدليل على ذلك أنه لا يجوز أن نقول لرجل نائم: هذا الرجل النائم قد زال عنه الإيمان، بزوال عقله، وما هو فيه من نومه، ولكن يجوز أن نقول: قد زال عن هذا النائم عمل الفرائض ما دام نائماً . فهذا وجه الصواب، والحمدلله رب العالمين.

فى بيان أن أفعال العباد غير مخلوقة :

ومن الحجَّة لنا عليك أن افعال العباد غير مخلوقة ، قول أمير المؤمنين **على بن أبى طالب**[6] ، صلوات الله عليه ، وقد سئل ما الإيمان فقال : **«الإيمان قول معقول، وعمل معمولٌ، وعرفانٌ فى العقول»** .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٥٨.

(٢) جاءت فى الأصل : أدا.

(٣) سورة النساء : الآية ١٦٥.

(٤) سورة الذاريات : الآية ٥٦.

(٥) رواه الترمذى ٤ / ٢٤ (١٤٣٣) ، والبخارى ١٢ / ١٢٣ (٦٨١٥) ، وابن ماجة عن عائشة ١ / ٦٥٨ (٢٠٤١) ، وأبو داود ٤ / ١٤٠ (٤٤٠٣) ، والديلمى فى الفردوس ٢ / ٤٠٤ حديث (٣١٠٤).

(٦) هو أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين **على بن أبى طالب بن عبد المطلب** بن عم رسول الله، ﷺ، واول من اسلم من الصبية ، ولد فى السنة ٢٣ قبل الهجرة وتزوج من **فاطمة الزهراء** ابنة رسول الله، وكان عمرها ١٨ سنة، وانجب منها **الحسن والحسين**، عرف بالشجاعة والفتوة. وقتل شهيداً سنة ٤٠هـ على يد **عبد الرحمن بن ملجم الخارجى** ، وهو يصلى الفجر بمسجده بالبصرة. انظر ترجمته بالأعلام ٤ / ٢٩٥.

ولم يحد الإيمان بلمس ولا بحس يُحسُّ ، ثم سئل ما الإيمان مرّة أخرى، فجاء، عليه السلام ، بالمعنى الأوَّل بعينه بلفظ غير اللفظ الأول، فقال : «**الإيمان قول باللسان** ١٦و / **وعمل بالأركان ومعرفة / بالجنان**» ، ولم يصف الإيمان أنه مخلوق، ولا أنه موجود بين ستة حدود، وهي الخلف والقدام واليمنة واليسرة والفوق والتحتُ ، التي لابُدَّ منها للشئ من جميع ما خلق الله، عز وجل / وأنتم فلا توجدونا أفعال العباد بين هذه الحدود أبداً ، وذلك الدليل على أنها غيرمخلوقة ، وأنها حركات بنى آدم وفعلهم، شاهد ذلك الأكبر الذى لايُرد ، قول الله ، عز وجل، للظالمين : ﴿ **وتَخْلُقون إفْكًا** ﴾ [١] ، فصحَّ إنما خلقوا ليس بخلق الله، عز وجل، وفى أقل من هذا كفاية، والحمد لله رب العالمين .

***

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى فى كتابه ؛ وهو يخاطب صاحبه، وهو يغريه **بأهل العدل** : واعلم أنك لن تسالهم عن شئ ، هو أشد عليهم من هذا وأشباهه ، لأنهم يقولون : لا يكلف الله العباد إلا ما يستطيعون ، فإن جعلوا الإنسان شيئاً [٢] ، ولم يُعطوا الآخر، انكسر قولهم؛ لأنهم إن كَلَّفوا الآخر حينئذ ما علم الآخر [٣] ، ولم [٤]، يعط ما أعطى، فقد كلَّفوه حينئذ ما لايطيق ؛ لان الشئ الذى كُلِّفَ لا ينال إلا بذلك الفضل الذى أعطيه الآخر ، فهو الآن مكلَّفٌ ما لا يطيق .

***

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

(٢) وردت فى الأصل : شيا .

(٣) بالهامش (اظنه ما على الآخر) وهو صحيح .

(٤) جاءت مكررة بالأصل .

المسألة الثالثة

هل هناك تكليف بغير العقل؟

فإن قالوا : إنه بالعقل وبغير العقل.

فسلهم ما ذلك الشئ الذى هوغير العقل ؟!..

فإنهم لن يصفوه لك أبداً إلا منةً من الله ، فقل لهم عند ذلك : إنا كذلك نقول : إنهم مكلفون حين يبلغون الحلم، وتقوم عليهم الفرائض وتدرك العقول، وذلك حين يبلغون الحلم، ولا يطيقون ذلك الذى كُلفوا إلا بمنّ الله وعونه وتعريفه ، وإن شغب أحدٌ منهم فقال : إنا لا نصفه بمنٍّ من الله، وهو شئٌ سوى العقل.

فقل لهم عند ذلك: افما أعطى الذى تزعمون مثل ذلك الشئ الذى هو العقل؟..

فإن قالوا: بلى [1] . فقل لهم : فما لهم لم يعرفوا كما عرف هؤلاء [2] ، وإنما هو شئ من كان فيه مع عقله عرفَ ، فإنهم سيفرون من هذا الكلام أيضاً [3] ، فلا يوجد لهم حجة، وإن قالوا : هو شئ سوى [4] منَّة الله ، فسلهم ما هو؟ فإنهم لن يصفوه لك، وإن تكلفوا لك شيئاً [5] يلدّون به [6] ، فإنه ليس له أصلٌ .

جواب الناصر:

الجواب قال الإمامُ الناصرُ لدين الله أحمد بن يحيى، عليهما السلام : **أما قولك يا عبد الله بن يزيد البغدادى** ، لصاحبك ، واعلم أنك لن تسألهم عن شئ هو أشد عليهم من هذا وأشباهه ، وقولك فى غير موضع من كتابك أن **أهل العدل** يفرون من ١٦ظ / كلامك، وأنهم يعجزون عن / جوابك.

تُفرّحُ بذلك نفسك وأصحابك ، فكان مثلُكَ فى هذا القول، مثل إنسان قال لجماعة، وقد خرجوا فى سفر : إذ صرتم فى الدهناء [7] فى موضع كذا وكذا [8] من

---

(١) وردت فى الأصل : بلا .

(٢) وردت فى الأصل : هاولى .

(٣) وردت فى الأصل : ايضى .

(٤) وردت فى الأصل : سوا .

(٥) وردت فى الأصل : شيا .

(٦) الخصومة والعناد والجدل بالباطل .

(٧) موضع فى أرض تميم، انظر مختار الصحاح، ص٨٩ .

(٨) وردت فى الأصل : كذى، وكذى .

الرمل، حيث لا يعرفُ الماء، فإنه سوف يلقاكم نهرٌ عظيمٌ، كثيرُ الماء، وحوله فواكه كثيرة، وعنده أسودٌ خوادر[١] ، فكلوا من تلك الثمار، واشربوا من ذلك الماء بلا حساب، ولا عاقبة سوءٍ[٢]، وأما الأسودُ فإنها سوف تفرُّ من لقائكم، إذا رأتكم فلا تهتموا بها.

فذهبوا اتكالاً على قوله، وثقة بنصيحته، وتقليداً له، فلما بلغوا الغائط الآمق[٣] من الدهناء جهدهم العطش والضر، ولم يجدوا نهراً ولا ثماراً ، ووجدوا[٤] الأسود، فساعة عاينتهم، وثَبتْ عليهم، فافترستهم[٥] جميعاً، فلم يفلت منهم أحدٌ.

وكذلك هلك من قلَّد الرجال دينَهُ بلا بيان، ولا حجة قاطعة، ولا بينة قاهرةٍ، فهذا مثلك ومثل أصحابك، وما أعطيتهم من القول المحال، الذى ينتقضُ عليهم عند الرجوع[٦] ، وملاقاة الرجال.

وأما قولُكَ لأصحابك: إن من قولنا، نحن أهل **التوحيد والعدل**، إن الله، عز وجل، لايكلف العباد الا ما يستطيعون ، فذلك قولنا، وأنك - زعمت - تسألناُ بما كلفهم الله ، عز وجل، هذا الدين وما يستطيعون به؟!..

لقد قسم الله العقول بالسوية:

فإنا نقول لك: إن الله، تبارك وتعالى، كلف العباد الفرائض، وجعل فيهم استطاعة البنية المركبة، وأرسل إليهم الرسل، وانزل عليهم الكتب، وأمرهم ونهاهم، بعد كمال العقول، وقسمه فيما بينهم بالسوية؛ ولذلك صارت الفرائض عليهم، واجبة بالسوية.

إلا أن تقول ي**اعبد الله بن يزيد البغدادى**، ومن قال بقولك: إن لبعض الناس عينين ونصف، ولبعضهم عينين إلا ربعٌ!!..

فكلف هذا من الفرض ما لم يكلف الآخر!

ومثل ذلك لو أن رجلاً كان له مائة عبد، فدفع إلى كل عبد فيهم ديناراً، وأمره أن يأخذ له بذلك الدينار مسكاً، والمسك حينئذ مثقال بدينار، فذهب كلُ واحد

---

(١) تلزم عرينها ومكانها فلا تبرحه.

(٢) وردت فى الأصل : سو.

(٣) يعنى لما بلغوا منخفضا واسعاً مجهولاً من هذه الأرض.

(٤) وردت فى الأصل: ووجودوا.

(٥) وردت فى الأصل : ففرستهم.

(٦) غامضة بالاصل

منهم، فجاءه بمثقال مسك بدينار؛ لأنه لم يفاوت بينهم فى العطاء، ولم يرخّص لأحد منهم دون المثقال من المسك للأداء[1]، فهل يجوز فى الحكمة عندك، أو يثبته فى العدل أو يقع عليه الأوهام، أنه لو عاقب كلهم أو بعضهم، أنه يصح له اسم حكمة أو يثبت له اسم العدل؟!

فى بيان أن الله لا يساوى بين المحسن والمسئ:

١٧و / فهذا وجهٌ، ثم نقول لك: لو أنه دفع أيضاً إلى كل / واحد منهم ديناراً مرّةً أخرى، وأرسلهم يأتونه بذلك المسك، على الشرط من الوزن، وهو مثقالٌ بدينار، فجاء واحد منهم بنصف مثقال، وجاءه الآخر بمثقال إلا ربع، وجاءه الآخر بمثقال إلا سدس، وجاءه الآخر بثلثى مثقال، وجاءه الآخر بمثقال على الوفاء، بعد ما ساوى بينهم فى العطاء وكلفهم أن يأتوا بوزنٍ واحد، على ما رسم وبه أمر، ثم رضى عنهم جميعاً، أو جعل ثواب المحسن مثل ثواب المسئ.

هل يجوز عندك أن ينسب هذا إلى الحكمة والعدل والصدق، وإنفاد القول الذى شرط على نفسه؟!!

ولا سيما أن كان القائل قال: ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩) ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً (١٢٢) ﴾[3]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧) ﴾[4]، وقوله: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[5]، ﴿ .. إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾[6]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٩) ﴾[7].

بين العقل الطبيعى والمكتسب:

فإن قال قائل: قد رأينا العقول يزيدُ بعضها على بعض، قلنا له: إن تلك الزيادة التى سميتَ إنما هى اكتساب، اكتسبها المكتسب بأصل العقل المركب فيه، وذلك لما هذب من رأيه، واكتسب من الآداب، واستعمل من النظر والعلم والحكمة، وأما الآخر فضيّعَ عقله وشغلَه بكل فسادٍ[8] يُصدئ[9] العقل، ويذهل عن الصلاح، وليس

---

(١) ورد فى الأصل: العطا .. للادا.
(٢) سورة ق: الآية ٢٩.
(٣) سورة النساء: الآية ١٢٢.
(٤) سورة النساء: الآية ٨٧.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.
(٦) سورة الطلاق: الآية ٧.
(٧) سورة ال عمران: الآية ٩.
(٨) فى الأصل: فساه.
(٩) فى الأصل: يصدى.

يجوز فى عدل الله، تبارك وتعالى ، أن يفاوت بينهم فى العقول ، ثم يُحملهم من الفرض شيئاً واحداً لا تفاوت فيه، فلا يجوز فى العدل غير هذا ، لقوله سبحانه: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾ (٢) ، فهذا جوابُ ما سالت عنْه.

وأما قولك أنك تسألنا - زعمت - إنه بالعقل وبغير العقل - وتقول لصاحبك : فسلهم : ما ذلك الشئ الذى هو غير العقل؟!

ونحن لم نقل : إن الله، عز وجل، زاد العباد شيئاً (٣) يأخذون به دينه إلا الجوارح السالمة، والعقول الكاملة (٤) ، وأما غير ذلك فلا نقول به ، وكفى (٥) بما ذكرنا من الجوارح، والعقول السليمة، منَّةً من الله، جل ثناؤه، عظيمة لا أعظم منها من المنن.

بالعقل وحده يكون الإدراك:

والتعريف من الله ، عز وجل، فهو إرسال الرسل وإنزال الكتب، وأمَّا تكريرك الكلام المعادَ الذى لا وجه له، فلا معنى لتكرير الكلام، ولما يعرف من نفس المسالة (٦) ، والتطويل فيها عيٌّ (٧) ، وقلة معرفة بفصل الخطاب.

١٧ط / وأما قولك: إن ثَمَّ شيئاً سوى العقل ، فلا شئ مع العقل يعطاه العباد إلا / سلامة الجوارح، ولاسبيل لهم إلى وجود معناً (٨) غير الجوارح فى الإيمان، والخروج من المعاصى بغير ما ذكرنا ، فذلك دعوى باطل، وإن ادعيت أمراً، فاصح لنا معناً غير صحة الجوارح والعقول ، وإرسال الرسل وإنزال الكتب.

رد مقالة المجبر بالقسر والجبر على الإيمان أو الكفر :

فإنك لا تقدر على غير ذلك أبداً ، إلا دعواك على الله، عز وجل، وفريتك عليه، أنه قسر بعضاً على الإيمان كما أحبَّ ، وقسر بعضاً على الكفر كما أحب، وهذا

---

(١) سورة الطلاق : الآية ٧ .
(٢) سورة البلد : الآيات من ٨ - ١٠ .
(٣) جاءت فى الأصل : شيا .
(٤) صححها بالهامش.
(٥) وردت بالأصل : كفا.
(٦) جاءت فى الأصل: المسئلة.
(٧) أى عجز.
(٨) فى الأصل : معنى.

خلاف القرآن ورده صراحاً ، وهو مكابرة العقول، والإعراض عن النصفة والتغاضي والتجاهل عن الحق، وحُبِّ الرياسة.

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما: وأما قولك أنك - زعمت - تسألنا [1] فتقول لنا: أليس قد أعطوا كلهم أن يعلموا كما يعلمُ الأنبياء والمؤمنون، من توحيد الله، سبحانه؟..

فإن قلنا: نعم، رددت علينا - زعمت - ما ذكر الله ، سبحانه ، في كتابه من ﴿ **الذين لا يعلمون** ﴾ ، ومن ذكر أنهم ﴿ **لا يبصرون** ﴾ ، ومن ذكر أن ﴿ **ذلك مبلغهم من العلم** ﴾، فإنا - زعمت - سنرجع عما أعطيناك ونترك هذا الكلام، وقد أعلمنا إنك إنما تفرِّح نفسك، وضربنا لك مثل النهر والأسود.

معرفة الأنبياء أكبر:

ونحن نقول: إن معرفة الأنبياء ، عليهم السلام ، بتوحيد الله، عز وجل، وبمعالم دينه أكبر من معرفة الخلق ، وشاهد ذلك قوله : ﴿ **وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦)** ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ **وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا** ﴾ [4] ، وما خصَّ الله ، جل ثناؤه، به الرسل، وفضله به على غيرهم، فذلك أمرٌ غير منكر، لما قلَّدهم من القيام بمعالم دينه، وجعل حاجة الخلق إليهم.

التدليل على أن معرفة الأنبياء أكبر:

ولو كان الأمر في العلم والمعرفة سواء في الأنبياء [5] والأمم ، لم يكن بين العالم والمتعلم فرق، ولم تكن الأنبياء، عليهم السلام، أولى [6] بالمعرفة من العوام، وهذا ما لا يقاسُ ولا يذكره أحد من أهل المعرفة، وكذلك المؤمنون بعضهم أعلم من بعض، فلذلك صارت الأئمة ، عليهم السلام ، أولى [7] بمقامات الأنبياء، صلوات الله عليهم، من الأئمة ، لما عندهم من العلم والحكمة والمعرفة، بالكتاب والسنة.

---

(١) وردت في الأصل: تسلنا

(٢) سورة يوسف : الآية ٧٦.

(٣) سورة الإسراء : الآية ٥٥.

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٧٣.

(٥) في الأصل : سوا ... الانبيا.

(٦) جاءت في الإصل : اولا.

(٧) وردت في الأصل: اولا

حول موقف الخوارج من أمير المؤمنين فى صفين :

وبذلك الفضل الواضح احتج أمير المؤمنين **على بن أبى طالب** ، صلوات الله عليه، على إخوانك **الخوارج** [١] **بحروراء**، فرجع منهم ثمانية آلاف ، لما احتج عليهم بالحجج القواطع التى لم يكن عندهم منها معرفة، فتابوا ورجعوا معه إلى **الكوفة**، ولولا أن ١٨و / تلك الحجج موجودة / معروفة فى كتاب «صفين» وغيره ، لذكرناها ، وبذلك الفضل والتفضيل فى العلم الذى خُصَّتْ به أئمة الهدى ووجبت الله، عز وجل، على خلقه فى أرضه ، لقوله تعالى : ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ⑦ ﴾[٢] ، وقوله : ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾[٣]، وعندما احتج أمير المؤمنين ، عليه السلام ، على **الخوارج بحروراء** فرجع منهم ثمانية آلاف، وتخلف منهم أربعة آلاف، إصراراً على الجهل، واتباعا للهوى ومُساعدة للرؤساء، بعد البيان والإعذار ، فتخلفوا عن إمام الهدى وسيد أهل زمانه، أخى الرسول وابن عمه، وأوجبَ عليهم الحكم بكتاب الله ، سبحانه .

ويلزمكم أن نسألكم أيضاً فى هذا الموضع، فنقولُ لكم : خبرونا عن **أهل حروراء** هل أراد الله، عز وجل، منهم أن يرجع منهم مع أمير المؤمنين **على بن أبى طالب**، عليه السلامُ، إلى **الكوفة** ثمانية آلاف، تائبين عارفين بالخطأ والزلة، وأراد من الأربعة آلاف التى تخلفت وأسرّت على العمى [٤] بعد الحجة، أن يتخلفوا وأن يحاربوا علياً ، خليفة الله فى أرضه فى عصره؟

فإن قلتم : إن الله، عز وجل، أراد من الفريقين جميعاً هذا الفعل الذى فعلاه ، فإذا قلتم : نعم قد أراد الله ذلك.

قلنا لكم : فايهما الصوّابُ ، وأيهما الخطأ؟

---

(١) **الخوارج** تلك الجماعة التى خرجت على **علىّ بن أبى طالب** ونابذوا الخلفاء، وادعوا ضلالة برضاه بالتحكم، وحاربوا المسلمين بالسيف ، ولهم أسماء مختلفة **كالحرورية والشراة**، وفرق عديدة بلغت العشرين منهم : **المحكمة والنجدات والصفرية والعجاردة وغيرهم**، راجع هذه الفرقة فى كتاب الشهرستانى : الملل والنحل ١ / ١٣١ وما بعدها، والأشعرى : مقالات الإسلاميين ، ١ /١٥٦ وغيرها من كتب المقالات

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٧ .

(٣) سورة النساء : الآية ٨٣ .

(٤) وردت فى الأصل : العما

فإن قلتم: إن الصواب مع من تخلف عن الدخول مع أمير المؤمنين، عليه السلام، والخطأ مع من رجع إليه، ودخل معه الكوفة.

قلنا لكم: فلمَ سميتم بعضَ فعلهم خطأ وبعضَهُ صواباً والله، عز وجل، هو الذى قضى [١] ذلك - زعمتم - كلَّهُ على الفريقين، وخلقه من فعلهم، وأراده منهم، وقدره عليهم؟

فيلزمكم ان بعض فعل الله، عز وجل، وخلقه وإرادته وتقديره خطأ، وأن بعضه صواب!! لابد بكم من إثبات ذلك، إذ أصل هذه المسالة إنما وضعتموه، إثباتاً للجبر ونفياً للعدل، وأن افعال العباد كلها مقدرةٌ مخلوقةٌ، وإن الله، عز وجل عما قلتم، هو الذى خلق افعالهم وأرادها وقدرها، وصير بعضهم مؤمناً وبعضهم كافراً، كما زعمت فى كتابك، الذى هذا جوابه.

فما مخرجك من هذا الجواب، الذى أجبناك به فى هذا الموضع، من رجوع بعض أصحابكم إلى على بن أبى طالب، عليه السلام، وتخلف بعضهم عنه؟..

فيلزمكم، على قود قولكم، أنه لا لوم على أحد من الفريقين؛ لأن كليهما، على قولكم، كذا أراد الله منها وخلق وقدَّر وقضى وشاء [٢]، والله، عز وجل، لا يظلم ولايؤاخذ الناس بفعله!..

١٨ظ/ فلابد لكم أن تقولوا: إنهم كلهم مخطئون، أوكلهم مصيبون، أو بعضهم مخطئ، وبعضهم مصيبٌ.

فإن قلتم: إن كلهم مخطئ. كفرتم وكفَّرتم من حاربكم.

وإن قلتم: إن كلهم مصيبٌ.. لزمكم أنكم مصيبون فى حرب أمير المؤمنين، على ابن أبى طالب، عليه السلام، وأنه مصيب فى حربكم، وهذا قول المجانين، وليس مثله يخاطبُ لجهله، وقلة علمه!!..

وإن قلتم: إن بعضكم مصيبٌ وبعضكم مخطئ، وأن ذلك الفعل كله من الفريقين

---

(١) جاء بالأصل: قضا.

(٢) وردت فى الأصل: كذى... وقضا وشا.

إنما الله الذى خلقه وقدره وأراده، فى قولكم. لزمكم أن بعض خلق الله، سبحانه، وتقديره خطأ [1] وبعضه صواب!

وهذه المسألة وحدها تقطع جميع ما قلتم من الجبر فى كتابكم كله، وتوجب القول بالعدل، والرجوع إلى الحق، وهى تجزؤنا [2] وحدها، لقطعها لكل مجبر على وجه الأرض؛ لأنه ما لزم فى حجة واحدة من حجج الله، جل ثناؤه، لزم فى التى يقاس عليها، وفى هذا كفاية من عقل.

ونحن نثق أن كل من سمع هذا الجواب، يشهدُ عليكم بالغلبة والإنقطاع، وأن لامخرج من هذه المسائل لأحد من جميع أهل الجبر والفرية على الله، جل ثناؤه، فَأيّنا الآن الذى دينه دين شيطان، كما ذكرت، ومن المشرك الذى وصفت فى كتابك، أنه حلال ماله ودمهُ وسبيهُ وقتله، فى السر والعلانية، وحرام ذبائحه ومناكحته؟!!.

لأنهم - زعمت - ليسوا بأهل الكتاب [3] ولا مقرين بجزية وإنما هم حَربٌ، فإن قلنا لك - زعمت - نعم - أخذنا بمسائل الصفُريّة [4] ومن سمّى من محدثى أهل القبلة بالشرك.

ونحن نقول لك: أليس قد احتججت، فى كتابك الذى كتب بعض أصحابك، إلى إخوانهم ينهونهم عن الدخول مع الشيعة [5]، ويقولون إن دينهم كان دين الصفرية قديماً ؟!!.

دينٌ - زعموا - اختاره الله، سبحانه، لهم واختصهم به دون غيره، ثم جاءهم بعد ذلك الدين الصحيح الذى اختاره الله، سبحانه، لهم واختصهم به دون غيرهم أيضاً - كما زعموا - فى زمان عبد الرحمن بن خليل، وعبد الكريم بن نعيم فتركوا الصفرية وأخذوا الدين الآخر الذى خصهم الله به دون غيرهم - زعموا - فى كتابهم الذى كتبه المشايخ إلى عشائرهم، وردَّ عليهم فيه بعض أصحابنا ما فيه الكفاية.

---

(١) جاءت فى الأصل: خطا.

(٢) وردت فى الأصل: تجزينا.

(٣) فى الأصل: الكتاب.

(٤) انظر مقالتهم فى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى ص٦٥.

(٥) انظر مقالتهم وفرقهم فى مقالات الإسلاميين للأشعرى ١/ ٨٩ وما بعدها واعتقادات فرق المسلمين .. للرازى، ص٧٧ وما بعدها والملل والنحل للشهرستانى ١/ ١٦٩ وما بعدها، وغيرها من كتب المقالات

وماعلمنا أحداً من جميع الناس، يأتى من التخليط الفاحش، بمثل هذا الذى قلتم، فالله المستعان.

هل علم ، ﷺ ، جميع صحابته بدرجة واحدة ؟

فإن قال قائلٌ: فهل أعطى رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله، الناسَ (العلم)[1] ١٩و/ سواء، حتى كانوا جميعا فيه سواء؟ . . فإنا نقول: إن صلوات (الله) [2] عليه / وعلى آله وسلم، قد نصح وبلَّغ جميع ما أره الله ، جلَّ وعز ، بتبليغه وأوفاهم عليم الفرائض على السواء ، لم يكتمهم نصيحة، ولم يستر عنهم ما تعبدوا به، غير أن بنى آدم مختلفة هممهم وأهواؤهم، وأن بعضهم يستعمل عقله، ويصرفُ همته فى طلب العلم، وبعضهم يستعملُ عقله، ويصرف همته فى أشياء غير ذلك، من الزراعات والصناعات، والأديان والمختلفة، والفرض عليهم سواء ، ولا حجةٌ على الرسول، ﷺ ، فى تقصير، ولا خيانة فى تأدية [3] ، ولذلك صار بعض الناس، من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، ومن تبعهم من جميع الناس أعلم من بعض.

وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ﴾ [4] .

وقد علمتَ ما كان بين موسى وبين العالم ، صلى الله عليهما، الذى لقيهُ، فوجده موسى، عليه السلام، أعلم منه، وموسى نبيٌّ عالم غاية فى العلم، (فهذا جواب ماسألتنا عنه) [5] .

فإن قال قائل: فهل فضل رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، بعلم جميع من طلب العلم، ولا يبخل عليه بما فيه نجاته ولا يخصُّ أحداً بعلم دون أحد.

فإن قال لنا: فلمَ زعمتم أن عليَّ بن أبى طالب أعلم الناس بحلال الله وحرامه، وكتابه وسُنة نبيه بعد النبى، ﷺ ؟

لمَ كان عليُّ أعلم الناس بكتاب وسنة نبيه ، ﷺ ؟

قلنا له : لأنه كان أرغبهم فى طلب العلم، وأحرصهم عليه، وأقربهم بهم منزلة من

---

(١) وردت فى الأصل: اعطا.

(٢) وردت بالهامش.

(٣) وردت فى الأصل: تادية.

(٤) سورة يوسف: الآية ٧٦ .

(٥) جاءت فى الأصل: بخط مخالف وبمداد أحمر، وتامة الشكل.

الرسول، صلى الله عليه، إذ هو معه، صلوات الله عليهما، جميعاً في داره ومقاعده، في ليله ونهاره ، مع ما أراده الله، سبحانه، من استخلافه بعد نبيه، فلا عُتب على النبي، صلى الله عليه، ولا حجة فيما خصه به على غيره، لعلمه أنه موضع حاجة أهل الإسلام ومفزعهم بعده، وأن جميع ما علمه رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، من العلم عائدٌ نفعه ومرفقه على الأمة ، وهو قوام دينها .

فلذلك يوجب نصح النبي ، صلى الله عليه وعلى آله، وكمال تبليغه، ونفى الاختصاص بالإثرة، بالعلم لبعض دون بعض، إذ في ذلك الصلاح للأمة وحسن الفائدة عليها، فلذلك من جودة النظر لها، وعلى أن رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، لايفعل من الأمر إلا ماأمره الله، عز وجل، به، لقوله: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾[1]، وقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾[2] ، وقوله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾[3] .

١٩ظ / فهذا حرف واحدٌ يقرأُ على وجهين، فمن قرأ «بالظاء» وجب في ذلك / أنه، عليه السلام، ليس على الغيب بمتهم، و«الظنين» في لغة العرب هوالمتهم، ومن قرأ «بالضاد» وجبت في ذلك أن ليس على الغيب ببخيل، و«الضنين» في لغة العرب هو البخيل.

وأما قولك واعتلالك بقول الله، عز وجل: إنهم ﴿لا يعلمون﴾[4] ، ﴿ولا يعقلون﴾[5] _ ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾[6] ، فإنما ذلك كله ذم منه، عز وجل ، لهم إذ لم يطلبوا العلم ولم يصغوا إليه، وكابروا الجائي[7] به من عند الله، سبحانه ، وتركوه باتبع الهوى، واختيار العمى، وتقليد الكبراء.

وقد كانوا بصراء إذا أرادوا، وعلماء إذا أحبوا، وبلغاء فيما اشتهوا. الأترى كيف قال، عز وجل: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[8] ، وقال: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۝٣٨﴾[9]، وقال : ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۝٤٦﴾[10]، فهذا مكر

---

(١) سورة يونس: الآية ١٥.
(٢) سورة النجم : الآية ٣.
(٣) سورة التكوير: الآية ٢٤ . (قراءة الظاء).
(٤) وردت مادة «يعلمون» بالإثبات ٨٥ مرة ، ووردت «لا يعلمون» بالنفي ٤٢ مرة.
(٥) وردت مادة «يعقلون بالإثبات ٢٢ مرة ، ووردت «لا يعقلون» بالنفي ١٠ مرات.
(٦) سورة النجم : الآية ٣٠.
(٧) وردت في الأصل: الجاى.
(٨) سورة النمل : الآية ١٤.
(٩) سورة العنكبوت: الآية ٣٨.
(١٠) سورة إبراهيم : الآية ٤٦.

من لا بصيرة معهُ ولا علم ولا تمييز ولا معرفة ، وقولهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [1]، وقول الله، عز وجل: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [2]، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩ ﴾ [3] .

وإنما يقع الذم عليهم من الله،عز وجل، على تركهم للأمر الذى لو أرادوه، لقدروا عليه وأمكنهم، ولو كانوا لا يعقلون لم تلزمهم حجة، إلا كما لزمت المجانين والأطفال.

***

(١) سورة الزمر : الآية ٣ .

(٢) سورة الزخرف : الآية ٨٧ .

(٣) سورة الزخرف : الآية ٩ .

المسألة الرابعة

حول الاستطاعة والفعل

(نص كلام المجبر)

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عمن كان موضوعاً عنه علم الدين، ممن هو طفل، ارايتم حين يقع عليه التكليف، ويؤخذ بعلم ماكان عنه موضوعاً، اخبرونى عنه فى تلك الحال التى كلف فيها، اوقع عليه التكليف والاستطاعة والفعل، فى حال واحدة ، لِمَ يقع بعضه قبل بعض؟..

فإن قالوا : إنه إنما يقع جميعاً لا يقع بعضه دون بعض .. لم تقع الاستطاعة قبل الفعل والا الفعل قبل الاستطاعة. **فقل لهم عند ذلك** : فكل خلق من خلق الله، كلف الإيمان ونهى عن الكفر، فقد وقع له فعل، مع استطاعة إما إيمان وإما كفر، لم تقع استطاعة قبل كفر، ولم يكن يستطيع (لأن) [1] يفعل ذلك الشئ، الذى وقع مع استطاعته.

فإن كان إيمان وقع مع استطاعته، فَلَمْ يكن يستطيع ان يكون ثم كفر مع استطاعته، ومن وقع له فعل كفر مع استطاعته، فلم يستطع [2] ان يكون منه إيمان؛ لأنهما إنما يقعان معاً، لا يقع واحد منهما قبل صاحبه؟..

فإن قالوا : نعم.

فقل : وكذلك قولنا، افليس من كلف الإيمان كان له فعل واقع مع التكليف، إما إيمان أو كفرٌ لا يستطيع معه فعل، غير الذى وقع مع الاستطاعة ، **فإن قالوا** : بلى [3] .

٢٠ و / **فقل** : اخبرونى عمَّنْ وقع/ مع فعله حينئذ كفرٌ، اليس هو مكلفاً فى تلك الحال (بالإيمان الذى لا يستطيعه، اليس لا يستطيع ان يعدل عنه فعل الكفر فى تلك الحال) [4] كما لا يستطيع ان يعدل عنه الاستطاعة؟ **فإن قالوا** : بلى [5] .

---

(١) فى الال: لا.

(٢) فى الاصل : يستطيع..

(٣) وردت فى الاصل: بلا.

(٤) تكمله وردت بالهامش.

(٥) وردت فى الاصل : بلا.

فقل لهم: فهم إذن فى تلك الحال لايستطيعون الإيمان فى حال كفرهم، وهم مكلفون للإيمان، وهم لا يستطيعون الكفر، ولا أخذ الإيمان!!

فإن قالوا: نعم. أعطوك أن الكفار لا يستطيعون الإيمان فى حال كفرهم، وهم مكلفون للإيمان وهم لا يستطيعونه، ولا يستطيعون ترك الكفر فى تلك الحال؟..

فإن قالوا: نعم. فقد تركوا قولهم، وهذا قولنا، لأنا نقول: إن الناس يكلفون فى حال الإيمان، (ونقول: إن الاستطاعة والتكليف والفعل إنما يقع)[1] فى حال واحدة.

فمن وقع له فعل الاستطاعة، فهو لا يستطيع ترك ذلك الفعل، فى تلك الحال التى وقع فيها فعله واستطاعته، فقد أقررتم بما نقول.

وإن قالوا: إنما يقعان معاً، ولكنه[2] قد يستطيع أن يردَّ ما كان فعل بعد فعله، فهذا أقبح وأجور.

فسلهم عند ذلك فقل: هل يستطيع أحد منكم الآن أن يرد شيئاً قد كان فعله حتى يقال: إنه لم يفعله؟.. فإنهم لن يقيدوا هذا جواباً؛ لأن من سرق أو قتل أو أشرك أو عمل عملاً، فلا يستطيع أن يرده ذلك حتى يقال: إنه لم يعمله قط.

فإن قالوا: إن الاستطاعة تقع قبل الفعل.

فى تعريف الاستطاعة:

فقل لهم عند ذلك: أليس الاستطاعة حال، يقع فيه غير حال الفعل، وهى قبل الفعل، فقد يكون الرجل مستطيعاً للإيمان والكفر فى حال، ولم يعمل إيماناً ولا كفراً؟

فإن قالوا: نعم، فقل أخبرونى: أليس قد يستطيع فى تلك الحال أن لا يأخذ بإيمان ولا كفر، وهو مكلف بالإيمان؟!..

فإن قالوا: نعم. فقل: فقد يكون الرجل مكلفاً للإيمان ولم يفعل الإيمان ولا الكفر، فأخبرونى عنه فى تلك الحال، التى كلفه الله الإيمان ولم يعمل به ولا بغيره، ما هو، إذا لم يقر بأن الله واحد[3] معذور هو بأن لا يقرُّ بأن الله واحدٌ؟

---

(١) وردت هذه التكملة بالهامش.

(٢) وردت فى الأصل: ولا كنه.

(٣) فى الأصل: واحداً.

فإن قالوا: نعم . فقل : أفليس الناس قد يكونون مكلفين للإيمان ولا يستطيعون، والله يعذرهم بأن لا يأخذونه؟

فإنهم لم يمكنوك أيضاً من هذا، وسيتركون هذا الكلام؛ لأنهم لا يعذرون (الناس) [1] بإن لا يوحدوا الله، وهم مكلفون للتوحيد يستطيعونه.

ومتى قالوا هذا عذروا من كلف الله معرفته أن لا يعرفونه!

وإن قالوا: إنها تقع قبل الفعل بلا حال بينهما.

٢٠ ط/ فقل: / أليس الاستطاعة لها حال غير الفعل، كما أن حال القائم غير حال القاعد، وحال النهار غير حال الليل، وحال الكفر غير حال الإيمان؟

فإن قالوا: بلى . فقل: أفليس إنما يفعلون الإيمان بما كلفوا بغير استطاعة؛ لأن الفعل في غير حال الاستطاعة، وإنما يكون فعلهم بلا استطاعة؛ لأن الاستطاعة قد ذهبت في حالها ، كما ذهب الليل، في حال الليل والنهار في حال النهار، والقعود في حال القعود، والقيام في حال القيام، والكفر في حال الكفر وأشباه هذا. قد ذهبت الاستطاعةُ وحالها ، كما ذهبَ الليل وحالُه والنهار وحاله، وأشباه هذا.

فإن قالوا: بلى [2] .

فقل: فإنما يفعلون بغير قوة ولا استطاعة؟! .. فإن قالوا: نعم.

فقل: أفليس إنما يعمل الناس الإيمان والكفر بغير استطاعة ولا قوة؟! .. فأخبروني ما ذلك العمل الذي عمل بغير قوةٍ ولا استطاعة؟!

وقل لهم عند ذلك: أخبروني عنكم ، إذ زعمتم أنه إنما وقع التكليفُ بالاستطاعة، وتكلفوا أن يفعلوا بالاستطاعة، ففعلوا بغير الاستطاعة؛ لأنه إنما كلفهم الإيمان بالاستطاعة فعملوا بغير الاستطاعة ، فهم لم يأتوا به على الوجه الذي كلفهم وهم عصاة، في قولكم إذ جاءوا بالإيمان بغير الاستطاعة.

ولن يقولوا: يفعلون بغير قوة ولاستطاعة، غير أنا إنما اتبعنا كل كلام نخاف أن يدخلوا فيه شيئاً يلبِّسونَ به على ضعيف.

فانظر في هذا الوجه من الكلام نظراً لطيفاً، فإن فيه نقض كلام المبطلين القدرية!

---

(١) تكمله من الهامش.

(٢) في الأصل: بلا.

الاستطاعة ليست قبل الفعل عند المجبرة:

ثم سلهم فقل لهم: أخبرونى حين قلتم ان الاستطاعة والتكليف وقعا قبل الفعل بلا حال بينهما ، اليس الاستطاعة قبل الفعل أم لا؟

فإذا قالوا: بلى [١] .

فقل: فإذا كانت قبله، اليس الفعل بعد الاستطاعة؟.. فأخبرونى عن الذى بعدُ اليس الذى هو قبل هو قبله؟.. فإن قالوا : نعم، القبلُ قبلَ البعْد .

فقل: أخبرونى عن القبل حين ذهب وذهبت حاله، بأى شئ كان البعدُ؟، والبعد بأى شئ فعل؟!.. فإنهم لن يقدروا فى هذا الكلام جواب؛ لانهم قد انزلوا الاستطاعة والتكليف قبل الفعل، فالبعد ليس بالقبل. والقبل ليس بالبعد، كما ان الليل لايكون بالنهار، والنهار لا يكون بالليل، وإنما النهار، بالنهار والليل بالليل، كذلك القبل بالقبل، والبعد بالبعد، فالفعل الآن إنما يكون بالاستطاعة ، فليس بالاستطاعة كان، ولكنه[٢] كان بالفعل، فالفعل الآن إنما هو بعد الاستطاعة ، فليس بالاستطاعة كان، ٢١ و / ولكنه بالفعل. / إن قد تمَّ القياسُ على القبل والبعد، وهذا كلام لا يحيرون فيه جواباً ولا حجة لهم فيما يلوون به السنتهم.

ومن زعم منهم، أو من غيرهم ، ان الاستطاعة تقع قبل الفعل، ثم تبقى حتى يمضى الفعل، فقد أعطاك بأنهم يستطيعون الفعل فى غيرحال الفعل، وأنهم قد يستطيعون فى حال الإيمان فعل الكفر، وفى حال فعل الكفر فعل الإيمان!

فسلهم عند ذلك على حدٍّ صدر المسائل، اليس قد يستطيعون الإيمان والكفر جميعاً فى حال واحدة، حين جاءت [٣] استطاعتهم قبل فعلهم، فهم يستطيعون ان يفعلوه والاستطاعة قبلهما؟..

فسلهم عن ذلك: اليس ما علم الله انه واقع مع التكليف ، والاستطاعة مع الفعل، بعد [٤] الاستطاعة لا يستطيعون ان يوقعوا ثمّ فعلاً غيره، كما لا يستطيعون ان يوقعوا تكليفاً ولا استطاعة.

---

(١) فى الأصل : بلا.

(٢) فى الأصل: لاكنه.

(٣) فى الأصل : حات.

(٤) مطموسة فى الأصل.

فمن وقع له فعل كُفْرٍ فى تلك الحال، لم يكن يستطيع ان يوقع ثَمَّ فعلاً غيره؛ لانه لا يستطيع - زعمتم - الإيمان والكفر جميعاً فى حالة واحدة.

فإذا كان لا يستطيع أن يوقعهما جميعاً مع الاستطاعة، فإنما يستطيع ان يوقع احدهما، ولا يستطيع ان يوقع الآخر، فإن كان الله يعلم انه إنما يوقعُ الكفرَ مع الاستطاعة، فهو مكلف فى تلك الحال، حينئذ، إيماناً لا يستطيعه!!..

لا تكليف إلا فى حال الاستطاعة :

فإن قالوا نعم.. فقد اقروا بأن الله يكلف الناس الإيمان فى حال لا يستطيعونه وهم مكلفون.

ثم سلهم: هل يستطيعُ العبادُ أن يأخذوا بالإيمان فى حال الكفر، وبالكفر فى حال الإيمان؟

فإن قالوا: لا .. فقل: اليس من كان كافراً فهو مكلف الإيمان فى حال الكفر، وهو لا يستطيع الإيمان فى حال الكفر؟..

لا يكون الإنسان مؤمناً كافراً فى حال واحدة :

فإن قالوا: نعم. (فقل)[1] فقد يكون الناسُ مكلفين الإيمان، وهم لايستطيعون[2]، فإن قالوا: نعم. فقد تركوا قولهم [3] ودخلوا فى قولك. وإن قالوا: إنهم يستطيعون ان يأخذوا بالإيمان فى حال الكفر، فقل افليس إذنْ قد يستطيعون ان يأخذوا الإيمان والكفر فى حال واحدةٍ!.. حتى يكونوا مؤمنين مشركين فى حالٍ واحدةٍ. أولياء الله أعداء لله.

فإن قالوا: نعم. فذلك ما لا يقبله عقل احدٍ من الناس. وحسبك به - إذا أعطاك ٢١ ظ/ هذا - بأن العباد لا يستطيعون بأن يكونوا مشركين بالله أعداء لله/ مؤمنين بالله أولياء لله فى حال واحدة، وهو كلامٌ لا يحتملهُ أحدٌ، ولن يمكنوك منه.

وإن قالوا: لا يستطيعون. فقل: اليس من كان كافراً فلا يستطيعُ الإيمانَ فى تلك

---

(١) غير موجودة بالاصل.
(٢) بالاصل شطب على: ان يأخذوا، بعدها.
(٣) فى الأصل: مذهبهم (مشطوبة) قولهم.

الحال وهو مكلفٌ له؟... ومن كان مؤمناً فلا يستطيع الكفرَ فى حال الإيمان، وهو منهى عن ا لكفر؟!..

فإن قالوا: نعم. فقد دخلوا فى قولك وتركوا كلامهم، ولن يجدوا أبداً من أن يجيبوك بأحد هذين الوجهين : إما أن يكونوا يستطيعونهُ فى حال واحدة، فيكونوا إن شاؤا مشركين بالله لا يعرفونه مؤمنين بالله يعرفونه ، فى حال واحدة يعرفون الله وينكرونه!!.

وإما أن يكونوا لا يستطيعون الإيمان فى حال الكفر، ولا الكفر فى حال الإيمان . فإن قالوا بهذا دخلوا فى كلامك وتركوا كلامهم.

فإن قالوا بالوجه الآخر، قد يستطيعون أن يكونوا مشركين بالله، عز وجل، ينكرونه، مؤمنين بالله، سبحانه، يعرفونه!.. ولن يعطوك هذا أيضا" لأن هذا محالٌ من الكلام ولا يسمعه أحدٌ إلا كذَّبَ به وأنكره، وبحسبك أن يقول رجلٌ بهذا.

وإن قالوا: إن الكلام ينبغى أن يكون هذا ، لايُستطاع الإيمان إلا فى حال الكفر، ولا الكفر إلا فى حال الإيمان؛ لأنه من كان مؤمناً لم يحسن أن يقال: هو يستطيع الإيمان؛ لأنه قد فعله، وما فعله فقد فعله، ولا يحسن أن يقال: إنه يستطيع ما قد فعل.

وإنما يجوز أن يقال: إنه قد يستطيع أن يفعل الشئ فى حال الشئ الآخر؛ لأنه لا يستقيم الكلام إلا هكذا.

فقل: فَنَعَمْ قد فهمتُ الذى تقولون، أليس قد يستطيعونه فى حال كفرهم، فيستطيعون الإيمان فى حال كفرهم، والكفر فى حال إيمانهم؟ (فقل: أفليس يستطيعون الإيمان فى حال كفرهم، والكفر فى حال إيمانهم) [1] .

فقل: أفليس قد يستطيعو نهما فى حال واحدةٍ ، الحال التى هو فيها كافر يستطيع مع ذلك الكفر فى حاله إيماناً؟

ومع القعود فى حاله قياماً ، ومع الليل فى حاله نهاراً وأشباه هذا؟.. فإنهم سيتركون ما لجئوا إليه، وظنوا أن لهم فيه راحةً، ويصير أمرهم، إلا أن لا يجيئوك

---

(١) عبارة مكررة.

بشئ، وتنقضى حجتهم، فإن لجئوا إلى ان يقولوا: إن الاستطاعة والتكليف والفعل، إنما يقع فى حال واحدة.

فقل: أفليس الذى علم الله انه واقعٌ / مع تلك الاستطاعة والتكليف والفعل، لا ٢٣ و / يستطيعون فى تلك الحال ان يكون ثَمَّ فعلٌ غيره.

لأنه لا يستطع أن يكون ثم استطاعة [1] قبله، فإن قالوا: نعم. فقد أمكنوك من حاجتك، ودخلوا فيما عابوا عليك من العدل ثم سلهم: هل شئ إلا فى حالٍ كان أو لم يكن؟

فإن قالوا: لا، لا يكون شئ إلا فى حالٍ كان، إلا ما كان فى حال لم يكن. فإذا ثبت عليهم هذا، فسلهم عن الحال التى نهاهم الله فيها، هل كان فى حال النهى شئ؟.

فإن قالوا: لا. فقل: أخبرونى فى الحال التى كان فيها الفعل، ثَمَّ نهى عن ذلك الفعل؟

فإن قالوا: نعم. فقل: أفليس كل شئ نَهْى الله عنهُ، فهو فى حالِ فعله، وكونه منهىٌّ عنه بعدَ كونه، فكل ما نهى عنه فى حالِ فعله، فقد يستطيع ترك ما فعل وكان، حتى لايكون بما كان؟!

فإن قالوا: نعم. فقل: فارونى شيئاً واحداً يستطيعون ردَّه بعد ماكان، حتى لايكون كان قطُّ؟ فإنهم لن يقدروا فى هذا على جواب؛ لأن الناس لا يستطيعون ردَّ ما كان، حتى لا يكون ما كان، فأحسن النظر.

من المكلف شرعاً؟

الجواب: قال أحمدُ بنُ يحيى - صلوات الله عليهما - نحن نقول: إن الله، تبارك وتعالى، لا يكلف علم الدين، ولا الدين، إلاكل بالغٍ وبالغة من المتعبدين الكاملين، الكاملة عقولهم وجوارحهم، الساقط عنهم العذر وعلله، فإنا نقول: إنه لم يقع عليهم التكليف ولا الاستطاعة والفعل فى حال واحدة وأن هذا الكلام الذى قلت، يا عبد الله بن يزيد البغدادىّ، كلام فاسد غير صحيح، ولايجوز أن يكون من حكم الله،

---

(١) بالهامش: (غير تلك، ومع تلك الاستطاعة أيضاً فعل ليست استطاعةً).

عز وجل ، ولا من دينه ، ولا أمره الذى افترض على عباده؛ ولكنّا نقول: إن الرجل إذا بلغ مبالغ الرجال، وجبت عليه الحجَّة؛ لكمال التركيب والعقل ، وفى بنيته التى بُنى عليها تركيب الاستطاعة، حين سقط من بطن أمّه؛ لأنه يتحرك ويقبضُ ويبسطُ ويرضع ويصيح، ويبولُ ويتغوط ويبكى، كل ذلك يفعله بالاستطاعة التى هى فيه، وحركاتُه هى فرْعٌ لاستطاعته، والاستطاعةُ موجودةٌ فيه قبل أن يبلغ، أو يؤمر أو ينهى، فلايزال على تلك الحال الطفولية، حتى يرتفع عن تلك المنزلة، إلى منزلة المشى والإفصاح بالكلام، والمجئ والذهاب والحركة، والأعمال التى يعمل من الأكل والشرب والعدو والقعود، والضرب والعبث واللعب، وما عاين الخلق من أفعال ، الصبيان التى
٢٢ ظ / يفعلونها بالاستطاعة، المركبَّة فيهم قبل الأمر والنهى، ثم جاء حدُّ البلوغ والاستواء ، ولزمت الفرائض، ولو كان الأمر على ما قلتم، أنْ ليس معهم استطاعة قبل فعلهم، لم يجز فى حكمة الله ، عز وجل ، أن يندبهم إلى أمر ليس معهم له استطاعة ، ولا لهم عليه قوة ، ولا لهم به طاقة . وهو يقول ، عز وجل ، : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (١) ، و ﴿ .. إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ (٢) .

وأما قولك، يا عبد الله بن يزيد البغدادى، أنا قلنا: إن ذلك إنما يقع جميعاً، وأنه لا يقع بعضه دون بعض، لم تقع الاستطاعة قبل الفعل، ولا الفعل قبل الاستطاعة.

ولعمر الله - لو قلنا ذلك للزمنا ما قلت، ولكنا (٣) نقولُ: إنَّ الاستطاعة قبل الفعل لامعه، وقد كررت من القول فى الاستطاعة ما قد فهمنا، وقد أجبنا على قولك فى الاستطاعة بما أزحنا به حججك كلها، بالصحة الصحيحة، إن الاستطاعة مركبة فى العباد قبل أفعالهم، ولولا ذلك لكانت لهم الحجة على الله ، عز وجل ، أنه كلفهم ما لم يعطهم عليه قوة ، ولم يجعل لهم سبيلاً إلى أخذه.

وهذه أفعال الجائر المتعبث، وذلك عن الله ، عز وجل ، منفى بعدله وصدق قوله ، أنه لا يظلم ولا يجور، ولا يريد الفساد ولا يخلقه ولا يقدره ، جل عن ذلك وتعالى(٤) علواً كبيراً(٥) .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٦.
(٢) سورة الطلاق : الآية ٧.
(٣) فى الأصل : ولاكنا
(٤) فى الأصل : وتعلى.
(٥) بجوار هذه الكلمة مكتوب بخط رقيق « جزء ».

ومن الحجة لنا عليك أن نسألك : إذا وقف الكفار بين يدى الله ، عز وجل ، يوم القيامة، فقال لهم : قتلتم أنبيائى ورسلى . . ؟

قالوا : قتلناهم بالحق .

فإن قال لهم : وأى حق فى قتل الأنبياء؟! . .

قالوا : لأنك قضيت ذلك علينا، ولو لا ما قضيت وقدرت وشئت وخلقت من فعلنا ، ما كذبنا رسلك، ولا قتلناهم .

فإن قال لهم، عز وجل، ما حجتكم أنى قضيت ذلك عليكم، وما فعلتم حق ، هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين؟

قالوا، لا حجة لنا ولا برهان أقوى ولا أوضح ، من قولك فى كتابك ، أنك تقضى بالحق، وأنك خير الفاصلين، وكل قضائك فحسن جميل، وكل ما [١] فى الأرض فأنت قضيته وقدرته، وقولنا أنك ثالث ثلاثة، وأن لك الشركاء والأنداد ، وهو قضاؤك وأنت تقضى بالحق كما قلت .

ثم قلت فى كتابك : ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ [٢] ، والواجب لمن صدق عليك ، أن تخلده فى الجنة . فلا بُدَّ لك ، ٢٣ و / يا عبد الله بن يزيد البغداى ولإخوانك المجبرة فى قولهم هذا، وحجتهم بين يدى الله، تعالى، فى قتلهم الأنبياء الله ورسله، وأنه ثالث ثلاثة، وأن له الشركاء والأنداد؛ لأنهم احتجوا بقضاء الله ومشيئته [٣] وخلقه لأفعالهم ، زعمتم، وقمتم بعذر جميع الكفار فى قتلهم الأنبياء، وإتيانهم جميع المعاصى ، فلابدً لك من تصديقهم؛ لأنه مذهبك!! . .

فإن نكلت عن ذلك ورجعت، وقلت : لا أقول : إن قتل الأنبياء حقٌ ولا صواب، ولا يجوز ذلك لى . لزمك، وأنت مفلوج الحجة، أن الله، عز وجل، يقضى الحق الذى قضى [٤] من جميع ما أمر به، من عدلٍ أو صوابٍ أو رشد أوحتم، ليس فيه معصية له،

---

(١) فى الأصل : كلما .

(٢) سورة المائدة : الآية ١١٩ .

(٣) فى الأصل : بقضا الله ومشيته .

(٤) فى الأصل : قضا .

عز وجل، من جميع المعاصى كلها ، وأن قتل الأنبياء، عليهم السلام، غيرُ حق، بل هو أبطل الباطل وأعظم الكفر والشرك والبهتان، وأن قتل الأنبياء، صلوات الله عليهم، ليس من قضاء الله، سبحانه، ولا من مشيئته ، ولا خلق فعل من قتل رسله، فيكون شريكاً فى قتلهم، ومعيناً لمن ظلمهم، وداخلاً فيما عاب على الكافرين، عز عن ذلك كُله، وفى ذلك تركُ أصلك ورجوعك عن مقالتك، وفى هذه المسألة [1] قطع لجميع مسائلك كلها.

إن الله لا يجبر أحداً مؤمناً كان أو كافراً:

ثم نقول لك أيضاً : وكذلك الرسل والمؤمنون لم يجبرهم الله، عز وجل، جبراً ، ولم يقسرهم على الدخول فيه، إلا بما وهب لهم من العقول والهدى الذى أرسل، ودعا إليه الخلائق وزينه فى قلوبهم، وحببه إليهم بالترغيب فيه وشريف الوعد، والوصف الذى وصف فى الآخرة.

وكذلك ماكره من الكفر، فهو ما خَوَّفَ به من النار والخلود فيها، ثم قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ⑦﴾[2] ، فى آخر الآية ، فاثنى عليهم بالرشد، وهو فعلهم لا فعلُه، ولو كان فعلُه لم يشكرهم عليه ، إلا كما سمعته شكر الشمس والقمر، والسماوات والأرض، والليل والنهار، وجميع ماتولى [3] . فهل سمعته شكر شيئاً من ذلك كله، أو اثنى عليه، أو أن السماوات والأرض، والشجر والدواب والبحار، عنده مشكوراتٌ وراشدات، وكذلك الشمس والقمر والنجوم، هل شكرهن فى شئ من كتابه، أو حمدهنَّ أو اثنى عليهن، كما اثنى على عباده المطيعين؟!..

معاذ الله، لاناتى فى الحجة ابداً ، ولا نجد لك فيه امراً تكسرُ علينا به، إلا ذكرهن فيما فطرهن عليه ،او ما انعم على خلقه من جعله لهن، فاما غير ذلك، فلا والله، ولا نجده ابداً.

الرد على متشابه المجبرة بمحكم القرآن:

وقد بان من عليه الحق واهله للباطل واهله، ان المجبرة لا يحتجون بآية من المتشابه

---

(١) وردت فى الأصل: المسلة.

(٢) سورة الحجرات : الآية ٧ .

(٣) فى الأصل : تولا.

إلا كسرنا / حجتهم بالآيات المحكمات، وأعظم الدليل على أن معنا الحق، وأن من خالفنا مبطل، أنهم لا يقدرون على كسر آية واحدة، مما احتججنا به في العدل، ولايجدون لها تاويلاً يكسرونها به، ولا يردونها علينا بحجة من القرآن ولا غيره، هذا أعظم دليل، وانور برهان، فليقايس جميع من وقع في يده كتابنا هذا، حججنا بحججهم شيئاً شيئاً[1] وحرفاً حرفاً ، وآية آية، ثم لينعم النظر، وليحتط لنفسه.

فإن وجد قولهم يقهر قولنا ، ويكسر احتجاجنا، علم أن الحق معهم فليلحق بهم، وإن وجد قولنا واحتجاجنا ، يكسر قولهم ويبطل دعواهم ، ويفسد احتجاجهم، فليعلم أن الحق معنا، والقولَ في العدل قولنا، والقرآن الشاهد لنا، فلا ينظر إلا لنفسه، وليعلم أنه من لقى الله ، عز وجل ، وهوكاذب عليه، ملزم له فعل غيره من الظالمين، أنه لا جنة له ولا حجة معه، وأنه لا نصيب له في دين محمد ، صلى الله عليه وعلى آله، وهذا من أوله إلى آخره، يشهد للعدل، والبراءة لمن أنزله، عز وجل ، من الظلم.

دور اللغة فى تأويل المتشابه:

وأما ما تعلق به الجهالُ من متشابه القرآن؛ لقلة علمهم باللغة العربية عند أهل اللسان، فإن ذلك يفسره أهل العدل على وجه الحق، وتردُّ المتشابهَ الى المحكم ، والبيان الواضح بالحجة القاطعة، والشواهد من كتاب الله، عز وجل، بعضُه على بعض ، إذ لا اختلاف فيه ولا فساد ولاتناقض.

الا ترى كيف قال، عز وجل: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[2]، ثم قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3]، ثم قال: ﴿لَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[4]، ثم قال: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾[5]، ثم قال: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾[6]، فمن كان غنياً لم يحتج إلى درجات، ثم قال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾[7]، فمن كان الأول قبل كل شئ مما خلق، هل يحتاج إلى درجات؟!.

وإنما الدرجات في لغة العرب عظم القدر والرفعة في المجد، لا أنَّ ثَم درجات كما

---

(١) في الأصل : شياً شياً.

(٢) سورة ص : الآية ٧٥ .

(٣) سورة الشورى: الآية ١ .

(٤) سورة النساء: الآية ٨٢.

(٥) سورة غافر: الآية ١٥ .

(٦) سورة يونس: الآية ٦٨ .

(٧) سورة الحديد : الآية ٣ .

يعـرفُ الناس، فكل آية لها معنى يحتاج إلى تأويل، الا ترى كيف قال، عز وجل: ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ (١)، وليس احد من الكفار عند الله، سبحانه، خير من احد، وإنما يخرج ذلك من اللغة: اهم اكثر ام قوم تبع (٢)، والذين من قبلهم اهلكناهم، وليس أحد منهم بخير من احدٍ، لانه لا خير فى الكفار كلهم، وليس أيهم عند الله، عز وجل، بخيّر ولا رشيد.

ومما يدلك على ذلك فى لغة العرب التى قال الله، عز وجل، فيها: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (٣)، فقال الشاعر ما يدل على ما ذكرنا من انه لا خير فى أحد من الكفار.

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره   تجد خير نار عندها خير موقد (٤)

٢٤و/ وليس بعض النار خيراً من بعض، وإنما هى نار كلها سواء، ليس بينها فرق، وإنما عنى صاحب اللغة العربية انها نار، وأراد انها اوقدت للكرم والمجد والفعل الجميل.

وتقول العرب، إذا ساومها المساوم بالعلق من اعلاقها: أتبيع هذا العلق بكذا وكذا(٥) من دينار؟

فيقول: قد أعطيت خيراً من ذلك!..، لا أن الدنانير خيراً من الدنانير، فافهم هذا.

ثم قال، عز وجل: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ (٦) والله، عز وجل، متقدس عن الجوارح والآلات والحواس، وإنما عنى أنه خلق بقدرته التى هى من صفة ذاته، عز وجل، وقد قال الشاعر:

فحملت من عفراء ما ليس لى به   ولا للجبال الراسيات يدان (٧)

والجبال ليس له أيدى، ولكن جاز ذلك فى اللغة العربية، وقال آخر:

وإذا عادتنى العوائد يوماً   قالت العين ولا أرى من أريد (٨)

---

(١) سورة الدخان: الآية ٣٧.

(٢) انظر المعجم الوسيط: جـ١ / ٢٧٧، مادة «درجة».

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٤) البيت للحطيئة فى ديوان، ص٥١، وكذلك فى الاغانى، ٢ / ٦١، وجمهرة اللغة، ٢ / ٨٧١.

(٥) وردت فى الأصل: كذا وكذا.

(٦) سورة ص: الآية ٧٥.

(٧) تخرج بيت الشعر: لم اجده.

(٨) تخرج بيت الشعر: لم اجده.

والعين لا تقول شيئاً ، إنما يقول اللسانُ، فجاز هذا في اللغة العربية، وكل ما [1] ذهبت إليه المجبرة من التعلق بمتشابه القرآن، فكله يجري عند التفسير على هذا النحو، ولولا طول الكتاب لشرحنا كثيراً من ذلك، بشواهده والاحتجاج فيه.

ولعلنا على فرغة قلب، أو سلوة في شغل، سنضع كتاباً، بحول الله وقوته، ونذكر فيه جميع المتشابة في القرآن ونحتج فيه باللغة العربية وشواهدها، من اشعار العرب البينة ولغاتها، إن شاء الله.

وفي بعض ما قلنا اكفى [2] الكفاية، لمن أراد الرجوع إلى القول بعدل الله، عز وجل، ولم يلحد في صفته، ولم يشبهه بخلقه، ولم يجوره في حكمه، ولم يعدل بالحق إلى غير أهله.

تابع رد أحمد في الإستطاعة:

قال أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما، ثم إن عبدالله بن يزيد البغدادي افتتح في باب الاستطاعة فاكثر فيه القول والاحتجاج، يريد ان يثبت ان الاستطاعة مع الفعل لا قبل الفعل، فراينا ان نجيبه في الاستطاعة، بجمل تقطعه وتفسد عليه دعواه، ويبين فيه كسره، باختصار اختصرناه، من الحجة الباهرة له، ولإخوانة المجبرة، والقوة بالله وله.

٢٤ط / فقبل ان نجيبه عن الاستطاعة، نساله عن أشياء قبلها، مما يفسد عليه الجبر.

إرادة الله ورسوله في الأصل الإيمان:

وذلك انا نساله عن النبي، صلى الله عليه وعلى آله الأخيار وسلم، ما أراد من الكفار؟

فإن قال: اراد منهم الكفر.

قلنا له: وكيف أراد منهم، وهو يقتلهم عليه، ويمنعهم منه؟!

فإن قال: اراد منهم الإيمان.

قلنا له : فما أراد الله ، عز وجل، منهم؟

---

(١) وردت في الأصل: كما.

(٢) وردت في الأصل: اكفا.

فإن قال: الإيمان [1] .. صدق ورجع عن قوله، وصار الى قولنا بالعدل.

وإن قال أراد منهم الكفر، وجب عليه انه ألزم رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، انه مخالف لله، عز وجل، وأنه أراد من الكفار، خلاف ما أراد الله، جل ثناؤه؛ لأنه أراد منهم أن يؤمنوا، وأراد الله منهم أن يكفروا، على قود قوله!..

ما أراد إبليس من الكفار؟:

ثم قال له: فأخبرنا عن إبليس ما أراد من الكفار؟

فإن قال: أراد منهم الإيمان .. كَذَّبه جميع الخلق .. وإن قال: أراد منهم الكفر.

قلنا له: فكذلك هو، ولزمه وأصحبه أن إبليس موافق في إرادته لإرادة الله، سبحانه، وأن محمداً، صلوات الله عليه وعلى آله، مخالفٌ لله في إرادته!.. وكفى بهذا عمى[2] وجهلاً وفضيحة، على من يدعى أنه محقٌّ ومن خالفه مبطل!..

ثم يقال له: أخبرنا عمن رأيته يكفر بالله، سبحانه، أقد افترض عليك ألا تريد ذلك الكفر منه؟

فإن قلت: نعم ذلك على واجبٌ.

قلنا لك: أو ليس قد أراد الله، جل ثناؤه، ذلك الكفر منه؟

فإذا قال: نعم. قلنا له: فأيهما افضل، ما أردتَ منه أنت، أو ما أراد الله، عز وجل؟!

فإن زعم أن ما أراد الله أفضل مما أراد هو، زعم .. وجب عليه أن الكفر أفضل من الإيمان!!.. فكفى بهذا نقضاً [3] على قائله.

هل يصنع الكذب من ليس بكاذب؟

ثم نقول له: **من جعل الصدق في قلوب المؤمنين؟**

فإن قال: الله، عز وجل، جعل ذلك .. قلنا له: فمن جعل الكفر في قلوب الكافرين؟.. فإن قال: الله جعل ذلك.

---

(1) هذه العبارة مكررة من حيث المعنى.

(2) وردت في الاصل: وكفا ... عما.

(3) وردت في الاصل: نقضاً.

قلنا له: فهل يصنع الكذب من ليس بكاذبٍ؟!

فإن قال: قد يصنع الكذب من ليس بكاذب.

قلنا له: فلم لا يصنع الظلم من ليس بظالم؟!!

فإن قال: أما من الخلق، فلا يصنع الكذب إلا كذاب، ولا الظلم إلا ظالم، وأما الله، جل ثناؤه، فيصنع الكذب والظلم، ولا يكون كاذباً ولا ظالماً.

قلنا له: فما المعنى الذى صار به العباد ظلمةً كذبةً، هل هو شئ أكثر من أن يصنعوا الكذب والظلم؟!.. وقد زعمت أن الله، عز وجل، صنعهُ فى قلوب العباد، ٢٥ و / فما جعل هؤلاء أولى [١] بالكذب والظلم منه فى قوله؛ إذ لم يكن ثم معنى أكثر من أنهم / صنعوا الكذب والظلم، وقد صنعه الله، عز وجل عما قلتم، كما صنعوه، زعمتم، فما الفرق عندك؟!

تفرق المجبرة بين من يصنع الشئ بنفسه ومن يصنعه فى غيره؟!

فإن قال: من قبل أنهم مأمورون، وليس هو بمأمور، فمن ثم كان ذلك منهم كذباً وظلماً، ولم يكن منه بكذبٍ ولا ظلم.

قلنا له: أفليس قد يجوز أن يخبر الله عما لم يكن، فيقول: قد كان كذا وكذا [٢].. ولم يكون ذلك الذى قال بحق، ولا يكون منه بكذب؛ لأنه ليس بمأمور؟!..

فإن أجاز ذلك، لزمه لنا أن لعل ما أخبر الله، عز وجل، عن الأمم السالفة أنه لم يكن بحقٍ، ولا يكون ما وعد من الجنة والنار بحق، وغير ذلك!.

ثم نقول له: ما تقول فى رجل وقع فى نفسه أن الله، عز وجل، أحد فردٌ، لا شبيهَ له ولا نظير، ولا عديل ولا مثيل؟.

فإن قال: الله أوقع ذلك فى قلبهِ.

قلنا له: أفصدقَ الله فيما أوقع من ذلك فى قلبه، أم لا ؟

فإن قال: صدقَ الله.

---

(١) وردت فى الأصل: ها ولا أولا.

(٢) وردت فى الأصل: كذى وكذى.

قلنا له: صدقت، وقلتَ الحق.

ثم نقول له: فما تقول في رجل وقع في قلبه أن الله، عز وجل، ثالثُ ثلاثةٍ، وأن له شريكاً وضداً. مَنْ أوقع ذلك في قلبه؟

فإن قال: الله.

قلنا له: أفصدق، سبحانه، فيما أوقع في قلبه، أم لا؟

فإن قال: إن الله، عز وجل، صدق فيما أوقع في قلبه.

قلنا له: فقد لزمك أن قول المشركين: إن الله ثالث، صدق وحق؛ لأن الله، تعالى، لا يفعل إلا الصدق والحق!.. وقد كفرت وخرجت من الإسلام!!

وإن قلت: إنه لم يصدق. كفرت أيضاً، وغلطت وخرجت من الإسلام (بقولك)[1]: إنه لم يصدق.

الله أعدل وأحكم من أن يوقع في قلب أحد كفراً أو إلحاداً أو تشبيهاً:

ولا مخرج لك من هذه المسالة، إلا بالرجوع إلى قولنا، والتوبة إلى الله، عز وجل، ومن ظلمنا، قولك: إنا قدرية مفترون على الله، تبارك وتعالى، فمن المفترى على الله، عز وجل، أنحن أم أنت؟!.. ألا لعنة الله على الظالمين!

ولا نجاة لك من النار حتى تقول: إن الله، سبحانه، اجل وأعظم وأعدل وأحكم، من أن يوقع في قلب أحد كفراً ولا إلحاداً ولا تشبيهاً، عز عن ذلك وتعالى رب العالمين.

ثم نقول لك: هل يجب على الخلق أن يعملوا بما يشاء الله، عز وجل، منهم، وأحب وأراد، أم يجب لهم أن يخالفوه في مشيئته[2] ومحبته وإرادته؟

فإن أقررت أنه يجب عليهم لله، عز وجل، أن يوافقوه في جميع ما أراد وأحب وشاء.

لا يشاء الله الكفر ولا يحبه ولا يريده:

٢٥ ط/ قلنا لك: فهل شاء الله الكفر وأحبه وأراده / وخلقه؟

---

(١) مطموسة في الأصل، ومصححة بالهامش.

(٢) وردت في الأصل: مشيته.

فإن قلت : نعم . قلنا لك : فقد يجب على الناس أن يكفروا بالله جميعاً ، أنْ كان يجبُ عليهم أن يوافقوه في إرادتهِ ، وقد أراد الكفرَ وخلقه، زعمت! .

وإن قلت : إنه لا ينبغي للناس أن يوافقوا الله، عز وجل، في مشيئته [1] لكفر الكافرين، وظلم الظالمين.

قلنا لك : فإذاً يلزمك أن تخالفه في ذلك!

فإن قلت : نعم .

قلنا لك : ومخالفة الله في ذلك، أصلح لك وللخلق من موافقته، فلابد لك من ذلك، على قود قولك واعتقادك، والرجوع الى قولنا بالعدل، ويلزمك أن الكفر أصلح من الإيمان!! .

ومن الشاهد لنا على بطلان ما قلت . قول الله - عز وجل- : ﴿ **وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ** ﴾ [2] . وقوله : ﴿ **وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ** (٢٠٥) ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ **وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ** (٣١) ﴾ [4] ، وقوله : ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** (٢٦) ﴾ [5] ، وقوله: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [6] ، ولا نعلم عسراً أعسر ولا أعظم من الكفر، الذى قلت أنه أراده لعباده وخلقه فيهم، ومن قال بقولك من المجبرة، سبحان الله وتعالى عما يشركون!!! . .

ثم نسألك فنقول لك : **هل لله على العباد حجة؟** . . فإذا قلت : نعم .

قلنا لك : أو ليس قد أمرهم بالطاعة، وأعطاهم القوة عليها، وعلى ماأمرهم به؟

فإذا قلت : نعم . قلنا لك : فما حجتُهُ عليهم فيما يفعلون؟

فإن قلت : أمره ونهيه . . قلنا لك : فهل تجدون في عقولكم انه أمركم، ولم يجعل لكم السبيل إلى ما أمركم به، ولا غناء عما نهاكم عنه، فحجته عنكم ساقطة،

---

(١) وردت في الأصل : مشيته.

(٢) سورة الزمر: الآية ٧ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٠٥ .

(٤) سورة غافر: الآية ٣١ .

(٥) سورة النساء : الآية ٢٦

(٦) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

لعذركم القائم الواضح؟!.. فلا يوجد ما سألنا عنه فى عقل أحد من الناس، فكفى [1] بهذا جهلاً!!.

وإن كان الله، عز وجل، قد أمر ونهى، ولم يقو [2] الخلق على ما أمرهم به، ولم يُغنهم عما نهاهم عنه، فما حجة الله على عباده إذا سألهم يوم القيامة، فقال لهم: لمَ لمْ تفعلوا ما أمرتُكُمْ به؟!.. فقالوا: لم تجعل لنا السبيل إلى الطاعة، وحلت بيننا وبين النجاة؛ لأنك، على قول عبدالله بن يزيد البغدادى، لم تُرد أن نؤمنَ، فيبطلَ علمُكَ!!

وقد قلت فى كتابك: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [3]، ﴿فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ⑳ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ ㉑﴾ [4]، فما ظنك بقوم هذا الجهلُ اعتقادهم فى صفة الله، عز وجل وقلة المعرفة بعدله، وترك التدبر لكتابه، وقد قال: ٢٦و / ﴿لِئَلاَّ / يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [5]، لما أعذر وأنذر، وحذر ورغَّب، وأبلغ فى المواعظ، وضرب الأمثال.

رد دعاوى المجبرة فى الاستطاعة:

فلم يلتفتوا إلى ذلك، وألزموه ذنوبهم، ونسبوا إليه فواحشهم، بعدما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ㉘﴾ [6]، وزعموا أنه لايجوز لقائل أن يقول: إنه لا يستطيعُ شيئاً من جميع الأشياء قبل أن يفعله، ولا يستطيع أن يفعل ما علم الله منه أنه لا يفعله!

وزعموا أن الذى دعاهم إلى ذلك أنهم قالوا: إن العباد لا يستطيعون الأفاعيل كلها، قبل أن يفعلوها، و[7] أنهم قبل أن يفعلوها فاعلين لغيرها، وأنهم زعموا أنهم فى حال الكفر، يستطيعون الإيمان، يجب عليهم - زعموا - أن يزعُمُوا أنهم يستطيعون أن يجمعوا بين الإيمان والكفر، وذلك الذى زعموا، محال.

---

(١) فى الأصل: فكفا.
(٢) جاءت فى الأصل: يقوى.
(٣) سورة النساء: الآية ٣٩.
(٤) سورة الانشقاق: الآيتان ٢٠-٢١.
(٥) سورة النساء: الآية ١٦٥.
(٦) سورة الأعراف: الآية ٢٨.
(٧) ليست بالأصل.

وزعموا أن الذى دعاهم إلى ان يزعموا ان من علم الله منه انه يفعل شيئاً، انه لا يستطيع ان يفعل خلافه؛ لانهم قالوا: لو قلنا: إن ذلك امراً يستطاعُ، للزمنا ان العباد يستطيعون تجهيل الله، عز وجل، ففسد القول - زعموا - بانهم يستطيعون ان يفعلوا ما علم الله انهم لا يفعلونه ؛ لان ذلك - زعموا - يوجبُ على قائله ان يقول : إن العباد يستطيعون تجهيل الله، سبحانه، فمنعهم - ذلك - أن يقولوا: إن العباد لن يستطيعوا ان يفعلوا ما علم الله انهم لا يفعلونه، فذلك - زعموا - ان العباد يكلفون من الفعل ما لا يستطيعون.

جواب الناصر أحمد بن يحيى :

الجواب، قال أحمد بن يحيى، صلوات الله عليه - : ثم نقول لهم: اليس إنما كرهتم أن تقولوا: إن العباد يستطيعون الإيمان فى الحال التى هم عليها كفار، من قِبَل ان ذلك يوجبُ عليكم ان تزعموا انهم يستطيعونِ ان يجمعوا بين الإيمان والكفر، وذلك محال عندكم؟

فإذا قالوا: نعم. قلنا لهم: اليس قد امرهم الله ، عز وجل، فى حال الكفر ان يكونوا مؤمنين؟! فمن قولهم : إن الله، عز وجل، قد امرهم فى تلك الحال من الكفر أن يكونوا مؤمنين.

فنقول لهم: أو ليس قد لزمهم فى حال الكفر ان يكونوا مؤمنين؟! وذلك، عندكم، المحال الذى كرهتموه، وزعمتم انكم إذا اثبتم الاستطاعة لأنفسكم عليه، اثبتم الاستطاعة على المحال، فإن كان من اثبت انه يستطيع الكفر فى حال الإيمان اثبت بذلك انه يستطيع المحال /

٢٦ ظ/ فلم لا يكون من زعم انه مامور بالإيمان فى حالِ الكفرِ ، زاعماً انه مامور بالمحال، كان المامور به هو الذى احلتم انه يستطيع، وكانت الحال التى قلتم هو فيها مامور بالإيمان؟!.

فإن قالوا: من قبل انا قلنا: إنه فى حال الكفرِ مامورٌ بان يفرِّدُ الإيمان فيها ، فيكون بدل الكفر، ولا يكون الكفرُ، فلا يستحيلُ ذلك.

قلنا لهم عند ذلك: فلمَ لا تقولوا: إنه أيضاً[1]، يستطيعُ فى حال الكفر أن يفردَ الإيمان فيها، فيكون كفراً، فلا يستحيل ذلك؟

ونقول لهم أيضاً[2]: خبرونا عن قولكم إن العبد لا يكون مستطيعاً للفعل إلا فى حال الفعل.

مثال يدل على أن الاستطاعة قبل الفعل:

فأخبرونا عن رجل أعتق عبده، متى أستطاع أن يعتقه؟.. فى حال هو فيها عبد، أم فى حالٍ هو فيها حرٌّ؟!

فإن زعموا أنه استطاع أن يعتقه فى حال هو فيها عبدٌ. لزمهم أن الاستطاعةَ قبل الفعل، وذلك الحقُ، وهو قولنا؟ لأن حالَ العبودية قبل حال العتق، وقد تركوا قولهم ورجعوا إلى قولنا .

وإن زعموا أنه استطاع أن يعتقه وهو حرٌّ . لزمهم فى قولهم أن الناسَ يستطيعون عتق الأحرار !! وهذا خروج من المعقول.

ثم نقول لهم خبرونا عن الأحرار ، محتاجون هم إلى العتق ؟!

فإن قالوا: لا .. قلنا لهم: فإذا كانوا فى حال الملك لا يقدرون على أن يعتقوهم وفى حال الحرية لا يحتاجون الى العتق، وإذا استغنوا عن العتق، استغنوا عن الاستطاعة على العتق فى تلك الحال؛ وهى حال الملك ليست حالهم، وقد أعتقوا ، فقد فعلوا إذاً العتق بغير استطاعة، فيلزمهم ترك قولهم.

وإن زعموا أنهم فى حال العتق محتاجون إلى العتق، قلنا لهم : أو ليس هم فى تلك الحال أحرار؟!!

فإن قالوا: نعم. قلنا لهم : فإذاً كانوا أحراراً فما حاجتهم إلى العتق؟!

وكيف يحتاجون إلى العتق أن يكون، وقد كان ؟!... وليس تخلو[3] حاجتهم إلى أن يكون العتق فى حال العتق، من أن يكون قد قضيت أو لم تقض، فهم عبيدٌ

---

(١) ، (٢) وردت فى الأصل ايضىً.

(٣) فى الأصل : يخلوا .

فى تلك الحال التى فيها استطاع المعتق عتقهم! . . وفى ذلك ترك قولهم، والرجوع إلى أن الاستطاعة قبل الفعل ، إذ [١] كانت العبودية قبل الحرية.

وإن كانت حاجتهم إلى أن يكونَ قَدْ العتق قَدْ قضيت، فمن قد قضيت حاجته مستغن، فهم مستغنون فى حال العتق عن العتق، وإن استغنوا عنه فى تلك الحال،
٢٧و / استغنوا عن الاستطاعة [٢] عليه ، فهم قبل تلك الحال لا استطاعة لهم، ورجع لهم الأمر إلى أنهم قد فعلوا العتق بغير استطاعة، وكفى [٣] بهذاحجة لمن عقل.

ومثال آخر:

ونقول لهم : خبرونا متى استطاع الرجل أن يطلق امرأته؟

فإذا قالوا : مع الفعل . . وكذلك يقولون.

قلنا لهم: ومع الفعل هى امرأته، أم ليست امرأته؟

فإن زعموا أنها امرأته . . تركوا قولهم ولزمهم أن الاستطاعة قبل الفعل ؛ لأنها إذا كانت امرأته فى تلك الحال، فتلك الحال قبل حال الطلاق؛ لأنه لو كان الطلاق فى تلك الحال لم تكن امرأته.

فإذا استطاع طلاقها - وهى امرأته - فقد استطاع الطلاق قبل الطلاق ، وأنه - زعموا - إن استطاع تطليقها وليست بامرأته - زعموا - لزمهم أن الناس يقدرون أن يطلقوا غير نسائهم ، وهذا نحو ما أوجبناه عليهم فى العتق.

ومثال ثالث:

ثم نقول لهم أيضاً [٤] . خبرونا عمن كان فى يده حجر، فالقاه من يده، متى استطاع ذلك. . والحجر فى يده أو خارجٌ من يده؟

فإن قالوا: استطاع ذلك والحجر فى يده، لزمهم لنا أن الاستطاعة قبل الفعل، وذلك

---

(١) بالأصل : إذا .

(٢) فى هامش تلك الصفحة شرح ليس من صلب الكتاب ولا تعليقاً عليه، بخط حديث.

(٣) وردت فى الأصل: وكف.

(٤) فى الأصل : أيضيً .

عندنا هو الحق، وتركُ قولهم؛ لأن الحجر إن كان فى تلك الحال فى يده، فتلك الحال حال إمساك، وليست بحال إلقاء ، والإمساكُ قبل الإلقاء ، **وذلك الرجـــوع إلى أن الاستطاعة قبل الفعل**.

وإن زعموا أنه استطاع إلقاء الحجر، والحجر خارجٌ من يده. لزمهم أن الناس، فى قولهم، يقدرون على ان يلقوا ما ليس فى أيديهم!.. وهذا الخروج من المعقول.

مثـال رابـــع :

ثم يقال : خبرونا عن رجل ملك مائتى درهم قُفَلةً [١]. أليس قد فرض الله، سبحانه، عليه الزكاة؟

فإذا قالوا: نعم. قلنا لهم: فإنه قد دفع منها خمسة دراهم إلى إمام هُدى [٢] ، أليس قد استطاع دفع ما افترض عليه، وأُمِرَ به فى تلك الحال.

فإن قالوا: نعم. ولابد لهم من ذلك، قلنا لهم : فكم يملك فى حال الدفع، مائتين[٣] أم مائة وخمسةً وتسعين؟

فإن زعموا أنه يملك مائتى درهمٍ . قلنا لهم: فهو فى حال دفع الخمسةِ الدراهمِ إلى إمامٍ عادلٍ لم يدفعها ؛ لأنه لو دفعها لم يكن بمالكٍ [٤] لها. فإذا كان فى تلك الحال - زعموا - أنه استطاع دفع الخمسةِ الدراهمِ ، وهو مالك لها، وحال الملك قبل حال ٢٧ظ / الدفع، **وذلك الإثباتُ للاستطاعة قبل / الفعل**. وهو الحق، وهو قولنا: وإن زعموا أنه فى تلك الحال دفع، وليس يملكُ منها إلا مائة وخمسة وتسعين. لزمهم فى قولهم أن الله، عز وجل، افترض الزكاة على من لا يملك، إلا مائة وخمسة وتسعين درهماً!.. وهذا الخروج من دين الإسلام، والرد للحق عياناً بالمكابرة، وذلك أنهم زعموا أن الله، عز وجل، فرض عليه فى حال دفع الخمسةِ أن يدفعها، وهو فى حال دفعها لا يملك إلا مائة [٥] وخمسةً وتسعينَ درهماً، فوجبَ عليهم أن يزعموا أن الله، جل ثناؤه، فرض على من لا يملك إلا مائة وخمسة وتسعين درهماً ، أن يزكيها فى قولهم ، وحاشا لله من ذلك.... وكفى [٦] بما قلنا قاطعاً لهم.

---

(١) اى جمعها ؛ وصارت له فى حرزه.

(٢) فى الأصل: هذا.

(٣) فى الأصل: مئتين.

(٤) فى الأصل: لما لك.

(٥) فى الأصل: مئة

(٦) فى الأصل: وكفا.

ثم نقول لهم: أليس في قولكم واعتقادكم واحتجاجكم علينا، في كتابكم الذي وضعتم، وزعمتم أنا نفرُّ منه، وأنا لا نقدرُ لكم فيه على جواب ؟!..

وقلتم: إن الناس لا يقدرون على شئ من جميع الأشياء، حتى يحدث لهم قوةً لذلك الشئ؟

يسمع المجبرة ضعيف الأصوات ولا يسمعون الرعد !!

فإذا قالوا: نعم. قلنا لهم. فهل تدرون لعلكم الساعة ليس فيكم قوة على استماع الرعد والصواعق. ولعلها موجودة عندكم، وليست فيكم القوى على استماعها؟

فإن أجازوا ذلك، لزمهم أنهم لم يدروا لعل الصواعق تكون عندهم، ويستمعها أهلُ بلد هم غيرهم، فلا يسمعون ذلك، ولعلهم لم يعطوا القوة على استماع الرعد والصواعق ، واعطوا القوة على استماع السرار والمخافتة الغامضة!..

ولا يرون الجبال ويدعون رؤية الذر!

وكذلك لعل الجبال، والجبال الرواسي بين أيديهم وهم لا يرونها ، ويرون الذرَّ في صغره، وما هو أصغر من الذرة !.. من قِبل أنهم أعطوا القوة على أنْ يروا الذر ويستمعوا السرار الخفيَّ ، ولم يعطوا القوة على أن يسمعوا الصواعق، ويروا الجبال الرواسي، فهذا غاية التجاهل والتعالي، وقلة النصفة للعقول !!

ومع أنه يجب عليهم إذْ أجازوا هذا القول، أن يضربوا بالسياط ويحرقوا بالنار، فلا
٢٨و/ يعلمون ذلك ولا يألمون له!.. وإن كرهوا الإقدام على هذا القول، وقالوا: إذا / سمعنا السرار، فنحن للرعد أسمعُ.

قلنا لهم عند ذلك: أليس القوة على استماع الرعد، هي غير القوة على استماع السرار؟

فإن قالوا: نعم. قلنا: فلمَ لا يجوز أن تعطوا القوة على السرار، وتمنعوا القوة على استماع الرعد؟!..

فإن أجازوا ذلك، وجبَ عليهم الكلام الاول، حتى يقولوا أنهم في الحال التي يسمعون فيها السرار، لا يسمعون فيها الصواعق وصوت الرعد، وإن هم لم يجيزوا

القوة على السرار، إلا وقد أعطوا القوة لاستماع الرعد، قلنا لهم: فكذلك يجبُ أن من أعطى[1] القوة على حمل مائة رطل فحملها، أنه يقدر على حمل رطل واحدٍ لم يحمله، إذْ[2] كان لا يُعطى القوة على شئ، إلا اعطى القوة على ما هو أيسرُ منه.

وفي هذا ترك قولهم؛ لأنهم يزعمون انه قد يكون الرجل حاملاً لمائةِ رطلٍ، وهو عاجز عن (حملِ)[3] رطلٍ واحدٍ في ذلك الحال!

وإن زعموا أن القوة على استماع السرار، هي القوة على استماع الرعد، قلنا لهم: فكذلك القوة على حمل مائة رطل، هي القوة على حمل رطلٍ واحدٍ.

فإن قالوا: لا.. قلنا لهم: فما الفرق بينهما، ولا نعلم له فرقاً؟!

فإن قالوا: نعم. القول كما قلتم. خرجوا من قولهم، وبطلت دعواهم، ولزمهم أن من حمل مائة رطل، فقوى على حملها، أنه يقدر على حمل رطلٍ واحدٍ لم يحمله، إذْ[4] كانت القوة على شئ، فهي القوة على ما هو أخف منه وأيسر، ولا يقدر على ردِّ هذا إلاجاهل أو متجاهل، مكابرٌ ليس مثله يكلم.

حول الاستطاعة الإنسانية وعلم الله:

ونقول لهم: أليس نحن إذا قلنا: إنا نستطيع أن نفعل ما علم الله، عز وجل، أنا لا نفعله، فقد زعمنا، ولزمنا أنا نستطيع أن نجهِّلَ الله، عز وجل؟

فإذا قالوا: نعم. قلنا لهم: فخبرونا عن الله، جل ثناؤه، هل يقدر أن يجعله فينا؟

فإن قالوا: نعم؛ فقد زعموا أنه[5] يقدر على تجهيله، وذلك مثل ما زعموا أنا نصير إليه، بكذبهم علينا وفريتهم.

وإن زعموا أنه لايقدرُ على شئ؛ وصفوه بالعجز، ومن عجز عن شئ، فليس بإله، وإن ألجاتهم[6] حجتنا، هذه القاطعة العظيمة الجليلة، إلى أن يقولوا: إن هذه مسالة محال، فلا يقال فيها، يقدر ولايقدر.. استكباراً منهم عن الحق وجحوداً، خوفَ الغلبة.

---

(١) وردت في الأصل: يعطا، ومعنى كلامه ان من اعطى القوة على حمل الكثير حمل القليل واليسير.

(٢) في الأصل: إذا.

(٣) ليست بالأصل.

(٤) في الأصل: إذا.

(٥) في الأصل: غيرواضحة.

(٦) في الأصل: الجتهم.

قلنا لهم: فخبرونا عن قوله، عز وجل، ﴿ بلى قادرين على أن نسوي بنانه ④ ﴾ [1]،
٢٨ظ/ وقد علم أنه لايفعله، وقوله: ﴿ ولو / شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾ [2]، وقوله:
﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ﴾ [3]، وقوله: ﴿ ولئن شئنا لنذهبن
بالذي أوحينا إليك ﴾ [4]، وقوله: ﴿ أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق
مثلهم ﴾ [5]، واشباه ذلك من القرآن يطول ذكره.

مثال على أنهم يستطيعون الإيمان ولا يفعلونه:

فنقولُ: كيف يجوز عندكم ان يقول، عز وجل: لو شئت لفعلت كذا وكذا [6]، وذلك محال؟!.. زعمتم - حيث اضطركم احتجاجنا، فلم تقدروا على حيلة، إلا ان قلتم: هذه المسالة محال!

وكيف يجوز أن يقول، جل ثناؤه: ﴿ بلى قادرين على أن نسوي بنانه ④ ﴾، ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك.. ﴾ [4]، والقدرة على ما يعلم انه لا يفعله عندكم - زعمتم - محال!

وإن تابوا ورجعوا إلى أن الله، سبحانه [7]، يقدر على فعل ما يعلم أنه لا يفعله، ولا يكون يلزم احداً تجهيله، فذلك الحق، وهو قولنا: قد يقدر الناس على ما علم الله، عز وجل، انهم لا يفعلونه، ولايكون ذلك بتجهيل الله، تعالى عن ذلك علواً كبيراً؛ لانهم يقدرون ان لا يكفروا وان لا يعصوا، وان لا يشركوا، وان لا يعملوا الكبائر.

ونقول: اليس قد امر الله، عز وجل، المشركين بالإيمان ان يفعلوه؟!

فإذا قالوا: نعم. قلنا: فإذا ابوا أن يؤمنوا، فقد امرهم، سبحانه، بتجهليه!..

فإن قالوا: لا.

قلنا لهم: فكيف وجب علينا، عندكم، الخطا حين قلنا لهم انهم مستطيعون لتجهيل ربهم، وقول القبيح فيه، عز وتعالى، ولا يلزمكم لنا ان تقولوا انهم مامورون

---

(١) سورة القيامة: الآية ٤.
(٢) سورة السجدة: الآية ١٣.
(٣) سورة الاعراف: الآية ١٧٦.
(٤) سورة الاسراء: الآية ٨٦.
(٥) سورة يس: الآية ٨١.
(٦) في الأصل: كذى وكذى.
(٧) في الأصل: سبحنه.

بتجهيله، إذ أمرهم بفعل ما علم أنهم لا يفعلونه ، والمأمور به من الإيمان هو المستطاع، فكيف يجب علينا فى إثبات الاستطاعة عليه، إثبات الاستطاعة على التجهيل؟!.. ولا يلزمكم أنتم فى إثبات الأمر به، إثبات الأمر بالتجهيل ، وهو واحد مأمور به – عندكم – مستطاعٌ فعله عندنا؟!

فإن زعموا أن الأمرَ ليس أمرٌ بالتجهيل، قلنا لهم: فكذلك الاستطاعة، ليست بالاستطاعة على التجهيل ، فكلما ألزمونا شيئاً فى الاستطاعة [1] ، عارضناهم فى الأمر حتى يرجعوا إلى أنه ليس الاستطاعة عليه، استطاعة على التجهيل، ولا الأمر به أمراً بالتجهيل وذلك هو الحقُ ، وقهرناهم عند ذلك ، وبانت غلبتهم.

مثال آخر على الاستطاعة للحج وعدم فعله:

ونقول لهم : أليس إنما فرض الله، عز وجل، الحج على من استطاع؟

فإن قالوا: لا . فرضه على من لا يستطيع. /

٢٩و/ ردوا قول الله، عز وجل، وكذبوا كتابه حيث يقول: ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾ [2] .

وإن قالوا: لم يفرضه إلا على من استطاع.

قلنا لهم : خبرونا عمن استطاع هل يمكنه ألا يحج؟

فإن قالوا: نعم. تركوا قولهم فى أنه لا يستطيع الشئ من علم الله أنه لا يفعله، إذا استطاعه، ومن لم يفعله فقد استطاع ما لم يفعله ، وما علم أنه لا يفعله وذلك ترك لقولهم، إذ زعموا أنه لا يستطيع الحج إلا من حج، وإنما فرضه الله، جل ثناؤه، على من استطاع، فإنما فرض الحجَّ على من قد حج، فأما من لم يحج، فلم يفرض الله عليه الحج؛ لأن الذى لم يحج، لم يستطيع الحج، وإنما الحج على من استطاع.

فقد لزمهم بذلك أن يزعموا أن الحج ليس بفرض، على من لم يحج، والذى لم يحج ليس يستطيع الحج، إنما الحج على من قد حج؛ لأن الذى حج يستطيع الحج!!.. وفى هذا الذى قالوا ، ترك قول أهل الصلاة، ومفارقة دين محمد، صلى الله عليه.

---

(١) فى الأصل: والاستطاعة.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٧ .

مثال ثالث على العتق :

فنقول لهم : خبرونا عن قول الله، عز وجل، ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ منكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ② وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ③ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ (١) ، فخبرونا عمن (٢) كان صحيح البدن، قد ظاهر من امرأته، ولم يجد رقبة، فترك العتق، واطعم ستين مسكيناً ؛ أكان مستطيعاً للعتق؟ . .

فإن زعموا أنه كان مستطيعاً للعتق، فقد زعموا أنه يستطيع العتق من يدعه، وذلك ترك ما بنوا عليه كلامهم؛ لأنهم زعموا انه لا يستطيع احد شيئاً إلا فعله.

وإن زعموا أنه لم يكن يستطيع العتق إذ تركه، فقد زعموا أنه من كان صحيح البدن سليم الجوارح، وظاهر من امرأته، فاطعم المساكين ولم يعتق، أن ذلك جائز له، إذ كان لا يستطيع؛ لان الله ، عز وجل، إنما فرض إطعام المساكين، على من كان لا يستطيع العتق، فإذا كان تاركاً للعتق ولا يستطيعه، فليس عليه العتق، وإنما هو على من يستطيعه ، وفى إثبات انه لا يستطيع العتق تاركُه، إثبات أنه ليس عليه؛ لأن العتق على من يستطيعه ! . . وفى ذلك القول الخروج من دين الإسلام، والخلاف لمحمد ، عليه أفضل السلام، فيما جاء به من الأحكام.

٢٩ظ / وإن زعموا أنه لم يكن يستطيع، وأنه قد فرض / عليه، ردوا قول الله، جل ثناؤه : ﴿ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ وردوا على جميع الأمة.

مثال رابع على استطاعة المنافقين الخروج ولم يخرجوا :

ثم نقول لهم أخبرونا : ما تقولون فى قول الله، عز وجل : ﴿ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (٣)، فهؤلاء (٤) القوم الذين تخلفوا عن

---

(١) سورة المجادلة : الآيات ٢ - ٤ .

(٢) فى الأصل : عن من.

(٣) سورة التوبة : الآية ٤٢ .

(٤) فى الأصل : مها ولا .

الخروج مع النبى ، صلى الله عليه، فكذَّبهم الله، عز وجل، فيما قالوا، وبطل قولهم ﴿ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ﴾[١] ؛ لأن الله، سبحانه[٢] ، علم أنهم يستطيعون الخروج قبل الخروج، ولذلك لزمهم الذنب وصاروا عصاةً.

الدليل القرآنى على أن الاستطاعة قبل الفعل :

ونقول لعبد الله بن يزيد البغداى ، ولمن قال بقوله من المجبرة الكاذبين على الله، عز وجل: ومن الدليل علينا لكم، وظهور حجتنا على حجتكم، وغلبتنا لكم، أن الاستطاعة قبل الفعل، بشواهد قوية من كتاب الله، عز وجل، وقد قال ، عز وجل، : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً (١٢٢) ﴾[٣] ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧) ﴾[٤]، وقال: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾[٥].

فمن ذلك الآية الواضحة الصادقة القاطعةُ لكم من كتاب الله، عز وجل ثناؤه، حين يقول: ﴿ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ﴾[٦]، فأخبر، عز وجل، أن وليه قد يستطيع الإملاء ، والإملاء[٧] معدوم لم يفعل بعدُ ، ولو كان الولى لا يستطيع أن يُملَّ أيضاً، كما الضعيف الزَّمِنُ لا يستطيع أن يملَّ، لم يكن للآية معنى، ولكان تأويلهم على قود قولكم!

فإن لم يستطيع هذا الضعيف أن يملَّ هو، فليملْ وليهُ الذى لا يستطيع أيضاً[٨] ، إذا كانت الاستطاعة مع الفعل ، زعمتم !!

والله، عز وجل ، متقدسٌ عن مثل هذا الكلام الذى لايجوز؛ لأن الرجل الضعيف الذى توجد فيه الاستطاعة، وعدمت عند الإملاء، قد صحَّ أنه لم يقدر لضعفه وزمانته، إن الله، عز وجل، قد أخبرنا وأعلمنا أن قرينه ووليه، الذى هو أقوى منه، السالم من الضعف، فيه الاستطاعة موجودة قبل الإملاء، وكفى بهذه الآية شاهداً عدلاً، والحمد لله.

---

(١) سورة التوبة : الآية ٤٢.

(٢) فى الأصل؛ بياض.

(٣) سورة النساء : الآية ١٢٢.

(٤) سورة النساء: الآية ٨٧ .

(٥) سورة النساء : الآية ٨٢ .

(٦) سورة البقرة : الآية ٢٨٢.

(٧) فى الأصل: إلا ملا والاملا.

(٨) فى الأصل : ايضىً.

الاستدلال من جهة القياس أن الاستطاعة قبل الفعل:

ومما يدل على ذلك من القياس، انَّ الأمرَ لو كان على ما ادَّعت المجبرة من كذبها على الله، عز وجل، من ان الاستطاعة مع الفعل تحدث في حال الفعل، لكان الكافر لايؤمن ابداً حتى تاتيه استطاعة الإيمان، وكانت الاستطاعة لا تاتيه ابداً، وهوكافر بالله؛ لان الكافر لا يستحق من الله، جل وعز، لطيفةً ولا مادةً ولا معونة، ولو كان هذا ٣٠و/ هكذا[1]، لما جاز ان يؤمن كافر[2] ابداً بوجهٍ من / الوجوه، حتى تاتيه مادةٌ من الله، عز وجل، تجبره على الإيمان[3].

الا ترى ان رجلاً لو كان فى بئرٍ فقيل له: إنك لا تخرجُ من هذا البئرِ، حتى تؤتى بحبلٍ، ولن تؤتى[4] بحبل، وأنت فى البئر!!

ما جاز فى المعقول ان يخرج ذلك الرجل، من تلك البئر ابداً، على هذا الشرط بوجه من الوجوه، وكذلك إذا كان الكافر لا يؤمنُ ابداً، حتى يؤتى باستطاعةٍ ينالُ بها الإيمان، ولن يؤتى باستطاعة الإيمان، وهو كافرٌ عدوٌ لله، عز وجل.

ويلزم فى ذلك انه قد جُبر على الإيمانِ جبراً، فلا يكون له اجرٌ ولا حمد.

فإن قال قائل: فإن استطاعة الإيمان، قد تاتيه وهو كافر.

قلنا له: فهذا يوجب لنا عليكم تقدم استطاعة الإيمان قبل الفعل، وهو قولنا. قد رجعتم إليه، وتركتم قولكم، فافهم هذه الحجة، فلا مخرجَ لهم منها، بحيلة من الحيل.

يستطيع الشئ من لا يفعله:

ثم نقول لهم: ما تقولن فى قول الله، عز وجل: ﴿ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[5].

اخبرونا عن هؤلاء[6] القوم الذى تخلَّفوا عن الخروج مع النبى، صلوات الله عليه

---

(١) فى الأصل: هكذى.
(٢) فى الأصل: كافراً.
(٣) يقول أهل العدل باللطف، ويذهب المعتزلة إلى حد القول بوجوب اللطف (انظر القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص٥١٨، وما بعدها).
(٤) فى الأصل: توتا ....توتا.
(٥) سورة التوبة: الآية ٤٢.
(٦) وفى الأصل: هاولا.

وعلى آله ، فكذبهم الله، عز وجل، فيما قالوا [١]، خبرونا عنهم أصدقوا فيما قالوا، أم كذبوا فى قولهم : لم نكن نستطيع الخروج مع النبى، صلى الله عليه؟!

فإن زعموا أنهم كذبوا فى ذلك، تركوا قولهم، ولزمهم أنه قد يستطيع الشئ من لا يفعله ، وذلك هو الحق وهو قولنا .

وإن زعموا أنهم قد صدقوا فى ذلك، لزمهم أنهم قد صدَّقوا من كَذَّبَهُ الله، عز وجل، وكُفِروا؛ لأنَّ من صَدَّقَ من كذَّبه الله، عز وجل، فقد أكذبَ، الله، جل ثناؤه ، وذلك الكفر بالله، سبحانه، المصرح.

يستطيع الكفار الإيمان فى حال كفرهم :

ثم نقول لهم: خبرونا عن الكفار، أيستطيعون الإيمان فى الحال التى هم فيها كفار؟

فمن قولهم: إنهم لا يستطيعون ذلك.

فنقول لهم: أفليس قد كلفهم الله، عز وجل، الإيمانَ وافترضه عليهم، وهم لايستطيعون؟

فمن قولهم: أنهم كلفوا بما لايستطيعون، لعلة كانت من الكفار وهى كفرهم، فقالوا: إنما مُنعوا الاستطاعة؛ لأنهم تمسكوا [٢] ولو آمنوا أعطوا القوة على الإيمان.

فيقال لهم: أخبرونا عن المقعد، الذى لا يقدرُ أن يقومَ ، هل عليه أن يصلى قائماً؟

فإن قالوا: لا.

قلنا لهم: ولمَ ذلك؟.

قالوا: من قبل انه لا يستطيعُ أن يصليَ قائماً.

قلنا لهم: وكذلك الكافر، لا يستطيعُ الإيمانَ - زعمتم .

فلم أوجبتم عليه أن يؤمن ، ولم توجبوا على المقعد أن يصلى قائماً ؟!!.

---

(١) فى الأصل: (فإذا قالوا: نعم صدقوا، قلنا لهم:) وهى عبارة ستاتى، جواباً على تمام السؤال.

(٢) أى تمسكوا بكفرهم واصرُّوا عليه.

كيف فرق المجبرة بين المقعد والكافر؟

٣٠ظ / فمن قولهم : / إن الكافر إنما صار لا يستطيعُ الإيمانَ، لعلة كانت فيه، وهي الكفر، والمقعد إنما كان لا يستطيع القيام، لعلة كانت من الله ، سبحانه، وهو أنه فعل به الإقعاد ، فصار المقعدُ ليس بتارك للقيام، وصار الكافر تاركاً للإيمان.

قلنا لهم : أليس كل واحد منهما، لا يستطيع خلاف ما هو عليه؟.

فإذا قالوا: نعم. قلنا لهم: فما جعل الكافر أولى (١) بأن يكون تاركا مستطيعاً للترك من المقعد، والمقعد لا يستطيع القيام؟!.. وفي ذلك كفاية كافية.

وإن سألوا فقالوا: أخبرونا عن الكافر، هل يستطيعُ أن يؤمن؟.. يريدون أن نقول: نعم. وكذلك نقول.

فيقولون: قد يستطعُ أن يكون مؤمناً، وهو قد يستطيع أن يكون كافراً مؤمنًا، وذلك محال - زعموا.

يؤمن الكافر بعد كفره باستطاعته للإيمان:

فجوابنا لهم، والقوة لله وحدهُ في ذلك، أنا نقول: إن الكافر يستطيع في حال الكفر، أن يكون بعده مؤمناً، ولسنا نذهبُ إلى أنه يستطيع الجمع بين الإيمان والكفر؛ لأن ذلك هو المحال ، كما النائمُ لا يكون مستيقظاً في حال واحدة ، ولا القاعد قائماً في حال واحدة، ولا الليل والنهار يجتمعان في حال واحدة.

والكافر فهو مستطيع ، وهو كافرٌ، أن يكون مؤمناً قادراً على ذلك بعد حال الكفر، نريد أن الاستطاعة له في حال كفره على الحال بعدها.

فإذا قالوا: فإذا كان بعدها كافراً أليس قد يستطيع في الحال الأول. وهو في حال الكفر، أن يكون في الثانية مؤمناً، والثالثة أيضاً (٢) حال الكفر؟

الاستطاعة تجوز للكفر أو الإيمان:

قلنا لهم: إنَّ من كان مستطيعاً أن يكفر في حالته الأولى، مستطيعٌ أنْ يؤمن، إذ

---

(١) في الأصل : باولا .

(٢) في الأصل : والثانية ايضى.

هو ممكَّن من الاستطاعة، موجودةٌ فيه، يفعل بها ما أراد من كفر أو إيمان، غير مقهور ولا مجبور على واحدٍ من الفعلين.

والدليل على ذلك شهادة الله، تبارك وتعالى، حيث يقول: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (١٣٧)** ﴾ [١]، الا ترى أن معهم استطاعة غير مجبورين فيها، إلا بالأمر والنهى، فإذا شاؤا آمنوا، وإذا شاؤا كفروا، بالاستطاعة الموجودة فيهم، لكلتى الحالتين من قبل فعلهم، فهذا دليل واضحٌ، والحمد لله.

مثال على أن الاستطاعة قبل الفعل (مثال الرامى والسهم):

٣١و/ ومن الحجة عليكم أن الاستطاعة قبل الفعل، أن نقول لكم: ما تقولون فى رجلٍ ركَّبَ سهمهُ على قوسه، رامياً لرجل بين يديه، فلما خرجَ فقو [٢] السهم من وتر القوس، سقط الرامى ميتاً، ووقع السهم فى المرمى فقتلهُ، فنقول لكم: خبرونا متى قتل هذا الرجل صاحبه المقتول بالسهم، أو هو حىٌّ مستطيع للقتل، أم وهو ميتٌ لا استطاعة فيه؟

فإن قالوا: قتله بعد ما مات؛ لأن الاستطاعة عندهم مع الفعل لا قبلهُ.

لزمهم أن الموتى يقتلون الناس، وأن فيهم الاستطاعة موجودة، وألزموا الموتى [٣] القود، وحمل الديات للمقتولين، وبان كذبهم وصح إبطالهم، وافتضحوا عند جميع الخلق.

وإن قالوا: إنه قتله برميته، وهو حيٌّ، وهو مستطيع.

لزمهم أن الاستطاعة قبل الفعل، ورجعوا إلى قولنا، ولزمهم أن دعواهم، واعتقادهم فى الاستطاعة مع الفعل، باطلٌ، ووجبَ عليهم الرجوع والتوبة، والقولُ على الله، عز وجل، بالعدل.. فما بعد هذا من البيان والحجة القاطعة، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة النساء: الآية ١٣٧.

(٢) هكذا فى الأصل: وربماكانت: فقو، وتعنى الرمية، أو الأثر (انظر: المعجم الوسيط: ج٢ / ٧٥٨، ٧٥٩).

(٣) فى الأصل: الموتا

أدلة أخرى على أن الاستطاعة قبل الفعل (مثال الحركة والسكون):

ومن الحجة لنا عليكم فى ان الاستطاعة قبل الفعل، انا نسالكم فنقول لكم: خبرونا عن الحركة والسكون فى بنى آدم، هل هى موجودة فى بنيتهم وجوارحهم قبل افعالهم، أم لا ؟

لأنا نجدهم يتحركون ويسكنون من قبل فعلهم للأشياء، كلما أرادوا؛ لأن الحركة والسكون فرع الاستطاعة، والاستطاعة فعل الله، سبحانه، الذى ركَّبَ فى عباده، والحركة والسكون فعل بنى آدم، وليست بفعل الله، عز وجل، فإن قالوا: نعم . نحن نقرُّ أنا نجد فيهم الحركة والسكون قبل فعلهم . تركوا قولهم، ورجعوا إلى أن الاستطاعة قبل الفعل.

ولأنا ، نحن وهم، نجدُ الإنسان يقبض ويبسط، ويتحرك ويسكن، بلا عمل شئ يعمله، يحرك يده ورجله، ورأسه ولسانه، ويفتح عينيه ويغمض، إذا أراد ذلك، ويقوم ويجئ، ويذهب كل هذا الفعل موجود فيه مشاهد من قبل نظره إلى المحارم، ومن قبل سرقته لأموال الناس، ومن قبل سفكه للدماء، ومن قبل قوله القبيح والحسن، ومن قبل فعل الشئ مما يفعل، فهذا موجود مشاهد من فعل بنى آدم.

٣١ط/ فإن قالت المجبرة : لسنا نقول ذلك، ولكنا نقول: إن بنى آدم لا ساكنون ولا متحركون حتى تاتيهم / الاستطاعة مع الفعل.

لزمهم أنهم قد خرجوا من التوحيد، الذى ادَّعوا أنهم فيه مقدَّمون ، ولزمهم أنهم قد وصفوا بنى آدم بصفة الله الواحد الفرد، الذى لا يجرى عليه الحركة ولا السكونُ، ورجعوا عن القول بالتوحيد.

الله ليس كمثله شئ فلا تجرى عليه الحركة أو السكون:

فإذا بهم قد خرجوا من التوحيد الذى ادعوا، والعدل جميعاً؛ لان الله، عز وجل، لا يجرى عليه الحركة ولا السكون لقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [1]، وليس لشئ من جميع الأشياء، إلا والحركة والسكون، يلزمه ويجرى عليه.

---

(١) سورة الشورى : الآية ١١.

فلابد لهم من إبطال التوحيد الذى انتحلوا، أو يرجعوا عن قولهم، فيقولون: إن الحركة والسكون موجودان فى بنى آدم من قبل أفعالهم، فيتركوا قولهم، ويصيرون إلى الحق والعدل وهو قولنا.

مثال من القرآن الكريم على أن الاستطاعة قبل الفعل:

ثم نقول لهم: أليس قد افترض الله، عز وجل، على جميع الخلق فى كتابه، فرضاً لازماً لهم، حيث يقول فى كتابه: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**﴾[١]،فإن قالوا: نعم، هذا فرض لازم للناس كلهم.

قلنا لهم: فهل افترض الله، عز وجل، عليهم ما يملكون غضَّهُ، ويستطيعون حفظه قبل فعله، أم لا ؟!

فإن قالوا: قد افترض الله عليهم ما يملكون غضَّهُ، ويستطيعون حفظه قبل فعلهم.. تركوا قولهم ورجعوا إلى قولنا، وهو دين الله، عز وجل.

وإن قالوا: إن الله، جل ثناؤه، افترض عليهم ما لا يملكون غضهُ ولا يستطيعون حفظه قبل فعلهم له.. كفروا بقول الله، عز وجل، ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾[٢]، ﴿ **..إِلاَّ مَا آتَاهَا**﴾[٣]، وبقوله: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾[٤]، ولانعلم عسراً أعسرُ من تكليفهم أن يغضوا أبصارهم، ولا يملكون غضها قبل نظرها إلى المحارم؛ وأن يحفظوا فروجاً لا يستطيعون حفظها من الزنا قبل مواقعته؛ وأن يكفوا أيديهم عن القتل الذى لا يقدرون على تركه قبل اكتسابه!!

ثم نقول لهم: ما الفرق بين تكليفهم بغضِّ أبصارهم، وحفظ فروجهم، وكفِّ أيديهم عن قتل المؤمنين، وهم لا يستطيعون شيئاً من ذلك ولا يقدرون عليه، وبين تكليفهم لتناول النجوم، والطيران فى الهواء، والمشى على وجه الماء ؟!!

﴿**نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣)**﴾[٥]، فلابد لكم مما قلنا، ولا مخرج لكم من حجتنا هذه الواضحة، وبعد هذا فانظروا كيف يفسد عليكم القول بالتوحيد، بجهلكم بالعدل، وقولكم بالجبر.

---

(١) سورة النور: الآية ٣٠.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.
(٣) سورة الطلاق: الآية ٧.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٨٥.
(٥) سورة الأنعام: الآية ١٤٣

ضرورة النظر فى معرفة الخالق:

٣٢و/ فانعموا النظر فى هذه الحجج، التى نوردها عليكم، فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل، والحق فيما جاءت به الأنبياء، وليس الحق فيما أخذ من جهلة الرؤساء، والحمد لله رب العالمين.

فإن قلتم: إنما فرض اللهُ علينا غضَّ الابصار، وحفظَ الفروج، وكفَّ الايدى والألسنة، مع فعلنا لا قبله.

ما تلزم مقالة المجبرة:

قلنا لهم: فإذاً يلزمكم أن قول القائل منكم: إن صيامَ شهر رمضان، ليس مفروضاً على الخلق من عام قابل.. ولايجوز أن يكون اعتقادكم، أن رمضان المقبل عليكم فريضة، وأن الله، عز وجل، يقول ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ** ﴾[1].

وكذلك يقول القائل منكم: ليس عليَّ صلاةُ غدٍ بفريضة، وليس عليَّ زكاةُ مالى من السنة المقبلة بفريضة، وليس الحج علينا بفريضةٍ لازمة فى وقتنا هذا، ولا جميع الفرائض حتى يكون الوقت الذى يفعلها فيه!!

فيلزمكم أن فرائض الله، عز وجل، التى افترضها على عباده، وعلى لسان نبيه، صلى الله عليه، قبل فعلها لا يقع اسم فرضها على الخلق؛ إلا عند فعلهم لها، فتزول الفرائض المرسومة[2] فى القرآن، وهذا ما يقول به مسلم!

لأن الفرض لازم واجبٌ محتوم من قبل فعلهم له، يلزمهم الإقرار بذلك الفرض والاعتقاد، وأنه دين الله المفروض عليهم، الذى لا تزول فرضه فى ساعة من الساعات، ولا وقت من جميع الأوقات، إلا من عِلَّةٍ تحدثُ من العلل التى تنزل بها الفروض وتقومُ بها، مثل المرض والحوادث الموجبة للعذر، إلا خطتان بعدَ العدْل والتوحيد وإثبات الوعد والوعيد، والإقرار بالرسول والكتاب، فإنهما لا يزولان عن المسلمين فى

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٣.

(٢) وربما كانت: الموسومة. وكلاهما يؤدى المعنى.

حالة من جميع الحالات كلها، ولا يسقطان عن عليل ولاغيره، ولا عذر فيها لأحد من المتعبدين اللازم لهم الفرض ، وهى طاعة أئمة الهدى ومودة ذوى القربى [1] .

ضـرورة طاعـة الأئمـة ومـودة ذوى القربـى:

فكل الفرائض تزول بكون الحوادث الحائلة، إلا هاتان الخصلتان، فإنهما لايزولان عن صحيح ولا عليل ، ولا شاهد ولا غائب، إلا طفل لا يعقل، أو مجنون ذاهب العقل، لا حجة عليه.

ألا ترى أن الصلاة قد تزول فى بعض الأوقات بالمرض وغيره، ولا تزول مودة ذوى القربى، ولا طاعة الإمام، واعتقاد إمامتهُ.

٣٢ظ/ وكذلك مودَّة آل محمد، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، وكذلك تزول الزكاة عند الإعدام، ولا تزول طاعة الإمام ولا مودَّة ذوى القربى ، وكذلك يزول الصيام/ بالعلل التى تزيله، ولا تزولُ طاعة الإمام ولا مودة ذوى القربى، وكذلك يزول الحج بالمرض والإحصار وقلة الجدَة، ولا تزول طاعة الإمام ولا مودة ذوى القربى.

أصول العدل والتوحيد:

فكل الفرائض تزول بقيام العذر، الذى تصح علله، ولا يزول التوحيد ولا العدْل ولا إثبات الوعد والوعيد، ولا طاعة كل إمام هدىٍ فى عصره، ولا مودة ذى القربى قربى رسول الله، صلى الله عليه، الطاهرين المطهرين، أهل الفضل والمودة المفروضة فى القرآن.

ولا يزول شئ من هذه الإشياء، التى سمينا ، لا بمرض ولا غيره إلا عمن زال عقله ، وسقط التكليف عن مثله، أو طفلٍ لا تلزمه حجةٌ ، ولا على مثله تباعة، فافهم هذا الباب، وانعم النظر فيه، فإنه حقٌ لا يدفعه دافع ، ولا يقطعه قاطعٌ ، والحمد لله رب العالمين.

***

(١) فى الأصل: القربا، وهذان الشرطان اللذان ذكرهما من عقائد الشيعة فى آل البيت.

المسألة الخامسة

مقالة المجبرة فى القضاء

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى :

أخبرونا عن العلم – وقد أخبرناه فى العلم بما فيه الكفاية فى أول كتابنا هذا، وفى أجزائه – ثم قال أيضاً [1]: عن قول الله، عز وجل، ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ [2] ، ثم قال: ﴿ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ﴾ [3] . أخبرونى ما يعنى بهذا ؟

فإن قلنا له – زعم – : قضى [4] عليهم ذلك، فقد أعطيناه – زعم – أن الله، عز وجل، عما قال – قضى الفساد فى الأرض ، ونحن – زعم – نقول : إن الله ، جل ثناؤه، لم يقض الفسادَ، وأن من قضى الله عليه شيئاً فإنه لا يعذبهُ بذلك القضاء ، هذا قولنا – زعم – ولعمر الله ، إنه لكما قلنا، وإنه لاعتقادنا .

فإن أعطيناه – زعم – أنه قضى عليهم الفساد، تركنا كلامنا – زعم ، وإن قلنا : – أخبر أن بنى إسرائيل يفسدون فى الأرض مرتين ، فقد صدقناه – زعم ، وذلك عنده هو العدل ، أن يكون الله ، سبحانه [5]، رضى عنى بنى إسرائيل الفساد !

ثم قال : أخبرونا الآنَ هل كان بنو إسرائيل فى هذا الخبر، الذى أخبرنا الله عنهم باطلاً؛ لأنهم كانوا يستطيعون أن لا يكون فيهم ما أخبر الله أنه كائنٌ منهم، فهم يستطيعون أن يكون خبره باطلاً وكذباً؟!!

فهذا – زعم – قول عظيم ، تعالى الله عنه علواً كبيرًا !!

٣٣و/ وإن قالوا/ : إنهم لا يستطيعون أن يكون الذى أخبر الله به، فهم إذاً لا يستطيعون أن يفسدوا ، ولا يستطيعون أن يصلحوا!

فقد كلفهم الله ، سبحانه ، الإصلاح ، فهذا قولنا – يعنى نفسه – زعم .

---

(١) فى الأصل : ايضىٌ.

(٢) سورة الإسراء : الآية ٤ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٥ .

(٤) فى الأصل : قضا.

(٥) فى الأصل : سبحنه.

رد أحمد بن يحيى : القضاء في القرآن على معانٍ مختلفة :

الجواب قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام: إنا نقول إن الله، عز وجل، **ذكر القضاء في كتابه** في ثلاثة مواضع من القرآن ، وكل قضاء منها لايشبه الآخر في معناه ، وكل واحدٍ منها له معناً [1] ، غير معنى الآخر .

١ - **أما واحد منها** : فهو قضاء خبر أخبرهم به أنه يكون من اختيارهم، واتباع أهوائهم ، وهو قوله، عز وجل، ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ** ﴾ [2]، أى أعلمناهم ، والإعلام غير الحتم والقسر.

٢ - **والقضاء الثاني** : قوله ، جل ثناؤه: ﴿ **فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ** ﴾ [3]، وهذا قضاء الحتم والجبر الصحيح، الذى لا مخرج لأحد منه، ولا دافع له ولا رادٌ .

٣ - **والقضاء الثالث** : قوله، عز وجل، ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ** ﴾ [4]، وذلك قضاء حكم لا قضاءُ حتمٍ، ولو كان قضاء حتم، ما عصاهُ أحد من جميع خلقه، ولا قدر له على معصيته.

ووجب أنه ليس في جميع الأرض، إلا عابد لله، سبحانه، كما حتم وجبر وحزم، وهذه قاطعة لقولكم واعتلالكم، بقوله : ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ** ﴾ [5]، لأنه لو كان قضاء حتم، لم يبق على وجه الأرض إلا عابد له، عز وجل، لقوله: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ** ﴾ [4]، وكفى بهذا بياناً، وقاهراً لحجتكم.

ومن الحجة عليه في قوله : **«أخبروني عمن أخبر الله منه بهذا الخبر ، هل يستطيعون أن لا يفسدوا»** [6] ؟!

فإن قلنا : نعم. لزمنا - زعم - أن يكون خبر الله الذى خبَّر به (عن) [7] بني إسرائيل باطلاً؛ لأنهم كانوا يستطيعون أن لا يكون منهم ما أخبر الله أنه كائن منهم،

---

(١) فى الأصل: معنا.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٤ .
(٣) سورة فصلت: الآية ١٢ .
(٤) سورة الإسراء: الآية ٢٣ .
(٥) سورة الإسراء: الآية ٤ .
(٦) فى الأصل : يفسدون .
(٧) ليست فى الأصل.

فهم يستطيعون أن يكون خبرهُ باطلاً وكذباً، وهذا قوله - زعم - عظيم يريد به الشنعة علينا، لجهله بعدْل الله، عز وجل.

علم الله لم يدخلهم في معصيته ...

ونحن نقول: إن علم الله، عز وجل، لم يدخلهم في معصيته، ولم يخرجهم من طاعته، ولم يعاقبوا على تصريف العلم، ولا سمعوه، عز وجل، قال في شئ من كتابه، ولا على لسان نبيه، صلى الله عليه، وعلى آله، للكفار، ادخلوا النار بما علمت منكم، ولا للمؤمنين ادخلوا الجنة بما علمت منكم!

وإنما قال للفريقين جميعاً: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ⑰﴾ [١]، و ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [٢]، و ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم﴾[٣]، وأن ما علم الله فليس له خلاف إلا وهو يعلمه؛ لأن الأشياء لا تخلوا من أحد أمرين .. **أحدهما**: علم، عز وجل، أنه ٣٣ظ/ يكون. **والآخر**: علم أنه لايكون، فكلاهما قد علمه، عز وجل، علم / ما يكون أنه يكون، وعلم ما لا يكون أنه لا يكون، وليس غير هذين الوجهين الذين علمهما، عز وجل، فأين الخلاف لما علم؟!! هل تجد ها هنا خلافاً لما علم، فانعم النظر في هذه، فإنها حجةٌ قاطعة.

علم الله كاشف:

وأن العبادَ يقدرون أن لا يعلم الله منهم المعاصي، ويقدرون أن يعلم منهم الجبر!.. وليس تحولهم يكرهُ يفسدُ علمه؛ لأنه أمرهم أن لا يكون منهم ما علم، ولوكان ذلك يفسد علْمهُ ما افترض عليهم الخروج من المعاصي، ألا ترى أنه قد علم أنه منهم من

---

(١) ما ذكره المؤلف معنى آية، وليس نصها؛ وجاءت هذه المادة في القرآن الكريم على النحو التالي: ﴿فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ماكنتم تعملون﴾ ٩٠/ النمل، ﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلاماكنتم تعملون﴾ ٥٤/يس، ﴿إنما تجزون ماكنتم تعملون﴾ ١٦/الطور. وقريبٌ مما ذكر المؤلف قول الله، تعالى: ﴿.. جزاء بما كانوا يعملون﴾ كجزء من آيات، سورة السجدة/١٧، والأحقاف/١٤، والواقعة/٢٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٢.

(٣) ليست آية، ولكنها آية قريب من قوله تعالى: ﴿ذلك بما قدمت أيديكم﴾ ١٨٢/ آل عمران، ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم..﴾ ٦٢/ النساء، ﴿..يوم ينظر المرء ماقدمت يداه﴾ ٤٠/النبأ، ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾ ١١٠/البقرة، ٢٠/المزمل.

يعبد الأصنام ، ثم قال لهم ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ﴾ [1]، وجعل لهم الطاقة والسبيل، على ترك ذلك الرجوع إلى ما يرضيه، فلم يفعل ذلك كثير من الناس!!.

الفرض الله على عباده الخروج من معاصيه، لا من علمه :

فليس ما ندب الله، عز وجل، إليه من الطاعة يفسد علمه، إذا تركوا المعصية؛ لأنه افترض عليهم الخروج من معاصيه، ولم يفترض عليهم الخروج من علمه.

أنت مقرّ لنا بذلك: لأنك تعلم وتعتقد أن الله، عز وجل، قد افترض على الخلق، أن لا تكون منهم معصية، ولم يفترض عليهم أن يخرجوا من علمه، حتى لا يعلمهم ولا ما عملوا !.. هذا هو المحال، وإذا خرجوا من المعاصى، علم بذلك، وهو الذى أراد منهم، وإذا أقاموا على المعاصى، علم بذلك ، وهو الذى كره منهم.

فلا تلزموا الله، عز وجل، فعل الظالمين، ولا جور الجائرين ، ولا شرك المشركين ، إنه بريئ [2] من ذلك كله، سبحانه ، وهو العلى العظيم .

والشاهد على ذلك قوله، عز وجل: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ [3]، فلا تجده ها هنا برئ من شئ من جميع أمورهم إلامن أعمالهم.

وأنت تلزمه، عز وجل، ما برئ منه، فلا يبعد الله إلا من ظلم: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [4].

القول بالعدل هنا فساد لحكم الله عند المجبرة !!

والله، عز وجل، لم يكلف العباد الخروج من علمه؛ لأن العلم ينتقل بتنقل الأفعال، كيفما [5] تنقل العباد. فالله، عز وجل، يعلمه، ولا يدخل بذلك عليه فساد فى علم ولاغيره، وإنما يدخلُ الفساد فى حكمه، على قود قولك.

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٦.

(٢) فى الأصل: برى.

(٣) سورة التوبة: الآية ٣.

(٤) سورة الشعراء : الآية ٢٢٧.

(٢) بالأصل كيف ما

تقول المجبرة: إن الله يعذب العباد على ما علم، لا على ما عملوا:

وفى مذهبكم، أيها المجبرة، أن يكون الله، عز وجل، علم من قوم أنهم لا يؤمنون، ثم أرسل إليهم رسولاً قاصداً، يامرهم بالدخول فى الإيمان، فإن أبوا خلدهم فى النار أبد الأبيد.

وقد علم الله، تعالى، أنه قد حال بينهم وبين الإيمان، فسبحان الله العظيم هذا أعظم الجور!!

٣٤و/ والدليل على ذلك/ أن ليسَ لحال العلم عُذبوا، ولا لحالة كُذّبوا، ولا لحاله اشركوا وامتنعوا من الطاعة، ولا لحاله قتلوا الرسل، وائمة الهدى، عليهم السلام.

مثال من تزوج أخته وأنجب منها وهو لا يعلم:

ومثل ذلك أن رجلاً لو كان باليمن، وله ابن صغير مع امه، ثم إن الرجل خرج مسافراً، حتى [1] وصل إلى اقصى خراسان، فاقام بها مدّةً من دهره، وتزوج بها مَرَةً، فاقامت معه وولدت له بنتاً، ثم إنه مات وترك البنت بخراسان، ثم إن ابنه الذى باليمن، نشأ وبلغ مبالغ الرجال، فخرج يطلب التجارة، وليس له علمٌ بابيه، ولا أين مات ولا ما أحدث، حتى وصل إلى خراسان، وليس له علم أن لأبيه ولد غيره، فأقام وقتاً ثم طلب زوجة، فوصف له الناس أن عندهم مرة ابنة لرجل غريب، مات وتركها، فخطبها الرجل وتزوجها ودخلت عليه، فأقامت معه سبعين سنة، وولدت له عشرين ولداً، وهو لا يعلم أنها اخته، ولا تعلم انه أخوها!

فعند ذلك نقول لكم: أليس قد علم الله أنها اخته؟

فلابد من: نعم. فإذا اقررتم بذلك، قلنا لكم: فهل عليه عقوبة من الله، سبحانه، أو عليه ذنب أوحدٌ، أو هل يلزمه، جل ثناؤه، حجة، بما علم الله، عز وجل، من مقامه ينكح اخته سبعين سنة، وما ولدت له من الأولاد؟!!

فإن قالوا: نعم تلزمه الحجة، وتجب عليه النار بما علم الله، عز وجل، منه.

كذّبهم جميع أهل الإسلام، وكفروا فى قولهم: إن الله، عز وجل، إنما يُعذّبُ على

---

(٣) بالاصل: حتا.

ما علم، إذ ليس في القرآن آية واحدة، تدل على أن الله، عز وجل، يعذب العباد على علمه.

وإن قالوا: إنه لا يلزمه لله، عز وجل، حجة، ولا عليه عذاب بما علم الله، عز وجل، من نكاحه لأخته، تركوا قولهم، وبطل اعتلالهم علينا بالعلم، وفلجوا وانقطعت حجتهم.

ثم نقول لهم أيضاً: خبرونا عن حجةٍ لا تنفعُ المحتج بها في الدنيا، ولا تنفعه في الآخرة، هل للاحتجاج بها معنى [1] ؟!..

فإن قالوا: نعم، قد يجوز أن يحتج المحتج في الدين، بحجةٍ لا تنفعه في الدنيا، ولا في الآخرة فلا بأس بذلك، خرجوا من المعقول، وصاروا ضحكةً عند الناس؛ لأن هذا كلام من لا عقل له، ولا معرفة عنده.

وإن قالوا: إن من احتج بحجة في الدين، لاتنفعه في الدنيا ولا في الآخرة، جاهلٌ مخطئ [2] لا تجوزُ حجته.

مثال الزاني المحتج بعلم الله:

قلنا لهم: صدقتم هذا هو الحق، وهو قولنا.

٣٤ظ/ ما تقولون في رجل زنا، أتى به إلى أمام هدىً [3] عادلٍ / ممن أوجب الله، عز وجل، طاعته، فشهد عليه أربعةُ شهودٍ عدول بالزنا، على الإيلاج والإخراج، ما يكون حكمُ الإمام عليه؟

فإذا قالوا: لابدَّ أن يقيم عليه الحدَّ.

قلنا له [4]: فإنه احتج عند الإمام أن الله، عز وجل، قد علم منه أنه يزني، وسأله أن لا يجلده لما علم الله منه. ما كان ذلك الإمام فاعلاً في حجته؟.. هل يخليه من إقامة الحد. أم ينفذ الحدَّ عليه، والحكم الذى في القرآن، أم يكُفَّ عنه، ويخليه لحجته؟

فإن قالوا: يخليه لحجته الواضحة القاطعة، التي احتجَّ بها أن الله، عز وجل، قد علم

---

(١) في الأصل: معنا.

(٢) في الأصل: مخطى.

(٣) في الأصل: هداً.

(٤) الصواب: لهم.

منه أنه يزنى، وجب عليكم أن كل زانٍ زنا، إذا احتج بمثل حجة هذا الزانى، وجَبَ تخليتهُ وطرح الحدّ عنه، وبطل ما رسم الله، عز وجل، فيما [1] فرض من حد الزانى فى قوله : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [2]، ومن قال بهذا القول الذى قلتم، فقد خرج من الإسلام، وفارق دين محمد، عليه أفضل السلام..

ثم كذلك إن احتج هذا الرجل يوم القيامة عند الله، عز وجل، فقال : إنما زنيتُ بعلمك يارب فلا تعذبنى، وإنى مت وأنا مُصرٌّ على الزنا. هل يعفو عنه من العذاب بحجته هذه، إنْ عَلِمَ اللهُ منه الزنا؟..

فإن قلتم : إن هذه الحجة تنفعُهُ، ويجبُ أن لا يعذب، لما علمَ اللهُ، عز وجل، من زناهُ. أكذَبتم قوله : ﴿ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا ﴾ [3].

أفلا تراه يدعو [4] إلى التوبة، ولم يُحلْ علمهُ بين التائبِ والتوبة!..

وإن قلتم: ليس تنفعه حجته فى الزنا، بأن الله، عز وجل، علمَ ذلك منه، بطلت دعواكم فى العلم، ولزمكم لنا الغلبة، وبان جهلكم وخطؤكم، والحمد لله رب العالمين.

لا يجوز لأحد أن يحتج بعلم الله :

وإن قالوا: إنه لا يجوزُ لأحد أن يقول هذا القول، وأن من احتج بعلم الله، سبحانه، فى المعاصى لا ينفعُهُ ما احتج به فى الدنيا ولا فى الآخرة.

قلنا لكم: فلم تنكرون أن من افترضَ الله، تعالى، عليه الخروج من معاصيه أنه يلزم الله، عز وجل، أنَّ من لم يعلم اللهُ منه الخروج من المعاصى أنه مجهّلٌ لله؟!..

وهذا أحولُ المحال؛ لأن العلم إنما وقعَ على ما اختارَ العبادُ؛ وليس بحاملٍ لهم على معصية ولا مخرجٍ لهم من طاعة.

---

(١) فى الأصل: و.
(٢) سورة النور: الآية ٢.
(٣) سورة الفرقان : الآيات ٦٨ – ٧٠.
(٤) فى الأصل : يدعوا.

علم الله محيط بالخلائق كإحاطة السموات والأرض بهم :

٣٥و/ وإنما مثلُ العلم وإحاطتُهُ بالخلائق ، مثل / السموات والأرض وإحاطتهما بالخلائق.

فنقول للمجبرة: خبرونا عن السموات والأرض ، هل لكم منهما مخرجٌ؟

فإن قالوا: نعم.. كذبهم جميعُ الخلقِ ، وخرجوا من المعقول.

وإن قالوا: لا مخرج لنا منهما.

قلنا لهم: فإذا زَنا الزانى، وكفرَ الكافرُ ، وأشركَ المشركُ، وقتل القاتلُ، وسرقَ السارقُ، هل يكون للسمواتِ والأرض فى فعلهم فعل أو معناً [١] أو شاركتهم السمواتُ والأرض فى شئ من أفعالهم، من الفجور والطاعة، بقليلٍ أو كثير؟!

فإن قالوا: نعم، قد شاركتنا [٢] السموات والأرض، فى كفرنا وشركنا، وفجورنا وقتلنا النفس، وقولنا أن اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ، عز عن ذلك وتعالى ، وكذلك شاركت السموات والأرض أهل الطاعة فى طاعتهم.

قلنا لهم: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ؟!..

فلا يقدرون على حجة، ولا ملجأ لهم إلا فرج [٣] أن السموات والأرض، يشركن معهم فى شئ من أفعالهم!!..

فإذا صح ذلك ولزمهم وانقطعوا؛ قلنا لهم: فأوجدونا هل لكم من العلم مخرج إلى غيره؟..

فإن قالوا: نعم... كفروا ، ولزمهم أن لهم مخرجاً من علمِ اللهِ، تبارك وتعالى.

قلنا لهم: فأوجدونا حجة أن العلم شركَ فى أفعالكم، بقليلٍ أو كثير؛ فلا تجدون ذلك أبداً بحيلة محتال.

فإن ألجاهم الأمر إلى أن يفتروا على الله، عز وجل، ويقولوا: إنَّ علمَ الله هو الذى حال بينهم وبين الطاعة، وأوقعهم فى المعصية!

---

(١) فى الأصل: معنى.

(٢) فى الأصل: ساركتانا.

(٣) هكذا فى الأصل: والفرج: الشق.

الفيصل هو كتاب الله :

قلنا لهم : هاتوا آية واحدة من كتاب الله، عز وجل، تشهدُ على ما قلتم، ونسلم لكم؛ لأن الله، عز وجل ، يقول في كتابه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [١]، ويقول : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [٢] ، ويقول : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [٣].

فإن وجدوا آية واحدة تشهد لهم، بأن العلمَ هو الذى حال بينهم وبين الطاعة، وادخلهم فى المعصية، فالقولُ قولُهم ولا حجةَ لنا عليهم.

وإن وجدوا القرآنَ من أوله إلى آخره، يشهد لنا عليهم، بأن الحائل بين العباد وبين الطاعة ، والمدخل لهم فى المعصية اتباعُ الهوى، وإيثارُ الشهوات والحميَّةُ والعصبيةُ، وأن فى جميع القرآن أن الله يلزمهم أفعالهم ويتبرأ منها ، وأنه يقول، ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [٤]، و﴿ بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [٥]، وأنه قال فى ملكة سبأ: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [٦]، ولم يقل صدَدْتُها ولا علمى صدها!

فنقول لهم: خبرونا عن قوله: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [٦]، هل صدقَ
٣٥ظ/ الله عليها، أن الذى كانت تعبدُ من دون الله، هو الذى صَدَّها لا غير؟ . . فإن قالوا: لا . لم يصدق . كفروا ، وخرجوا من الإسلام جملة.

وإن قالوا: صدق الله، وذلك هو الحق. . قلنا لهم: فقد بَطُلَ ما قلتم، وفسدَتْ دعواكم فى العلم، الحمد لله رب العالمين.

***

---

(١) سورة النحل: الآية ٨٩.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٣٨.
(٣) سورة النساء: الآية ٨٢ .
(٤) فى القرآن: ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ لجزء من آيات كثيرة منها، سورة الأحقاف، الآية ١٤ .
(٥) سورة الحاقة: الآية ٢٤ .
(٦) سورة النمل: الآية ٤٣ .

المسألة السادسة

الله هو خالق كفر الكفار ومعصية العصاة عند المجبرة

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عن قول الله، سبحانه، **لأم موسى**: ﴿ **إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ⑦ ﴾ (1) ، **اقد كان فرعون يستطيع قتل موسى** ولا يردُّه الله إلى امّ موسى (2)؟!

فإن قالوا: نعم ، فقلنا : أفليس قد كان فرعون يستطيعُ انْ يخلفَ اللهُ، تبارك وتعالى، لام موسى حتى لا يتم الله وعده، ويكون ما وعد امّ موسى باطلاً وكذباً؟..

فإن قالوا: نعم، فقد أعظموا الفريةَ على الله، عز وجل، ولا اراك تريدُ ان **تُوقفَهُمْ** على أعظم من هذا، ولا أراهم يعطونك هذا، وإن كان كلامُهم لا يستقيمُ إلا ان يعطوك هذا؛ ولكنهم سينقطعون ولا يجيبونك.

وإن قالوا: إن فرعون لا يستطيعُ قتلَ موسى، وهو فى يديه، لان الله وعدَ امَّ موسى ان سردَّه إليها، فكذلك كلُّ خبر وكل وعدٍ اخبرَ اللهُ، سبحانه (3)، به واوعده ، فلا يستطيعُ العبادُ ردَّ ذلك، وان لا يكونَ منهم غيرُ ذلك.

ردُّ أحمد ، وهو يدور حول حرية الاختيار :

قالَ أحمدُ بن يحيى، **صلوات الله عليهما** : إنا نقولُ إنَّ **الهادى إلى الحق**، صلوات الله عليه، قد كان أجاب على هذه المسألة بما انا ذاكرهُ، وهو هذا ، فافهمه ، إن شاء الله، ثم لى جوابٌ – من بعد ذلك – ستقفُ عليه، والقوةُ بالله تعالى.

جواب الهادى إلي الحق يحيى بن الحسين (ت ٢٩٨) :

قال، عليه السلام: وأما ما سالت عنه فى قول الله، سبحانه ، **فى أم موسى**: ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ⑦ ﴾(4)، فقال: هل يستطيع **فرعون** ان **يقتل موسى** حتى لايردُّه الله إلى امه، ولا يجعله من المرسلين؟

---

(1) ، (4) سورة القصص : الآية ٧ .

(2) بالاصل : امه، وفوقها مكتوب (أم موسى) .

(3) فى الأصل: سبحنه.

الله لا يجبر أحداً على طاعة أو معصية:

فقال، عليه السلام: إن اللهَ، عز وجل، لو أخرجَ فرعون - من أكبر المعاصى، بعد الشرك - من قتل نبيه، إخرجاً ومنعه من معصيته منعاً ، وقسره على الخروج قسراً، ولوجاز أن يُخرجَ عدوَّه من معاصيه قسراً، لكانَ قد أدخلهَ فى ضدها من الطاعة جبراً، ولو كان يخرج العاصى، من معاصى رب العالمين، لكان عباده المؤمنين أولى [1] بذلك.

ولو أخرج عباده، ومنعهم من معاصيه قسراً؛ لأدخلهم فى طاعته جبراً، ولو فعل ٣٦و/ ذلك بهم؛ **لأسقط معنى الأمر والنهى**، ولكان / العامل دونهم، والفاعل لأفعالهم، تعالى الله عن ذلك، فلم يُطَعْ ، سبحانه، كرهاً [2] ولم يُعص، جل جلاله، مغلوباً.

إنّ اللهَ لم يُطعْ كُرهاً ولم يعص مَغلوباً:

ثم نقول [3] فى ذلك بالحق، إن شاء الله، فنقول: إن الله، سبحانه، لما علم أنه إذا ألقى [4] على **موسى** ، صلى الله عليه ، المحبة [5] التى ذكر أنه ألقاها عليه، فى قوله : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ [6] احبته[7] لذلك امرأة **فرعون**، فسألت **فرعون** تركه، عندما هَمَّ به من قتله، حين تبين له ماكان من فعله[8]، فتركه لها وصفح عنه لحبِّ محبتها، واتباع سارِّها [9] فكان ذلك نجاة لموسى من ما همَّ به فيه فرعونُ الكافر الملعون.

فلما أنْ علمَ الله ، عز وجل [10]، أن ذلك سيكون من اختيار فرعون، وأنه سيختار إجابة مرته [11] إلى ماطلبتْ ، من ترك قتل **موسى** [12] ، حكم عليه بما علم من صيور أمره، فكان ما ألقى [13] عليه من المحبة منه، سبحانه، لنجاته، فنجاه، سبحانه [14]، من فرعون، ورجَّعه [15] إلى أمه كى تقرَّ عينها ولا تحزن، فأخبر بذلك [16] ، ووعدها

---

(١) فى الأصل: اولا.

(٢) فى رسالة الهادى: ولم يطع، سبحانه، والتى سنرمز لها باتلحرف (هـ) مكرها.

(٣) فى هـ: بل نقول.

(٤) فى هـ : أن علم أنه إذ القى.

(٥) فى هـ: من المحبة .

(٦) سورة طه : الآية ٣٩.

(٧) فى هـ: فلما القى عليه المحبة احبته.

(٨) فى هـ: فعله فى صغره.

(٩) فى هـ: شاوها.

(١٠) فى هـ: سبحانه.

(١١) فى هـ : امراته

(١٢) فى هـ: بنى الله

(١٣) فى الأصل. القا

(١٤) فى هـ: الله.

(١٥) فى هـ : وردة

(١٦) فى هـ: فاخبر الله فى ذلك.

ما وعدها؛ لعلمه بما سيكون من مرأة فرعون، وطلبها فى موسى، وإجابة فرعون لها، كما أخبر عما يكون فى يوم الدين.

فهذا معنى ماذكر الله من ذلك، إن شاء الله، لا مقال [1] الفاسقون وذهبَ إليه الضالون. تم وانقضى [2] كلام الهادى إلى الحق، صلوات الله عليه [3].

فى الآجال:

قال أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما: ومن الحجة عليكم أنا نقول: إن الله، تبارك وتعالى، جعل الآجال التى جعلها لعباده، إلى مدّة غير محتومة، ولا ممنوعة ولا محصورة، ممن أرادها من القائلين، ولو جعلها محتومة محصورة ممنوعة، ثم اجتمعَ جميعُ أهلِ السموات والأرض، على أن يقتلوا رجلاً واحداً، ما قدروا على ذلك، ولا نالوه أبداً؛ لأنه ليس لما منعَ الله، عز وجل، قاتل ولا خاتل.

فمن أرادَ قتلَ أحد، لم يحلْ بينه وبينه حائل، إلا بما حرَّم الله، جل وعز، فى كتابه من سفك الدماء، وجاءت به الرسل، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَق ﴾ [4]، يعنى نفساً بنفس مثلها قُتلت، أو بكفر أو بارتداد عن الإسلام، أو بحدٍّ من بعض الحدود الواجبة، لا غير ذلك.

مثال بمن قتل الحسين، عليه السلام، وقتل عبيد الله بن زياد:

فنقول لعبد الله بن يزيد البغدادى، ولمن قال بقوله أخبرونا عن قوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَق ﴾ [5]، وإنما خلق اللهُ، سبحانه، أفعال القائلين وأرادها وقضاها وقدَّرها، فى قولكم واعتقادكم، لا فى قولنا ولا اعتقادنا، أفرأيتم من قتل ٣٦ظ/ نفساً/ بغيرِ حقٍّ، مثل الحسين بن على، عليه السلام [6]، ومن قتل عبيد

---

(١) فى هـ: قاله. (٢) فى الأصل: انقضا.

(٣) انظر رسالة الهادى إلى الحق؛ فى الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية، جـ٢ /٢٥١ـ، ٢٥٢ – من رسائل العدل والتوحيد، تحقيق د/ محمد عمارة، ط ثانية، دار الشروق، القاهرة، مصر ١٩٨٤م.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٥١. (٥) الهامش السابق.

(٦) هو الحسين بن على بن أبى طالب، ابو عبد الله السبط، ولد سنة ٤ هـ امه فاطمة الزهراء، وجده رسول الله، ﷺ، وفى الحديث «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» خرج ملبيا لدعوة اهل الكوفة فلقته جيوش زياد بن أبيه فى كربلاء، وقتلوه شهيداً سنة ٦١هـ.

الله بن زياد [1] ، عليه لعنة الله، طالباً له بدم **الحسين بن على** ، عليه السلام، أليس كلاهما إنما قتل المقتول، بما خلق الله، عز وجل، من فعله، وقدَّره وقضاه وأراده!! . .

فإن قلتم: لا نقول ذلك. لزمكم أنكم قد رجعتم عن قولكم، وبان خطؤكم [2].

وإن قلتم: نعم، كلاهما إنما الله، سبحانه، خلق فعله، وقدَّره وقضاه وأراده.

قلنا لكم: فأيها الحق وأيهما الباطل؟ . . فإن قلتم: من قتلَ **الحسينَ بن على** ، عليه السلام، هو الحق ، كفرتم، وخرجتم من الإسلام، لقول النبى ، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، : **«الحسن والحسين سيِّدَا شباب أهل الجنة، وأبوهما خيرٌ منهما»** [3].

فإن قلتم: بل نقول: قَتْلُ **عبيد الله بن زياد** ، عليه لعنهُ الله، هو الحق، وقتل **الحسين ابن على** ، عليه السلام، هو الحرام والباطل والظلم.

قلنا لكم: فقد لزمكم ، ووجب عليكم فى قولكم هذا، أن بعض خلق الله، سبحانه، وتقديره وقضائه وإرادته باطل، وبعضُهُ حق، لأن كلا الفعلين – زعمتم – إنما هو خلق الله ، تبارك وتعالى، وقضائه وإرادته وتقديره، وقد سمعنا الله ، عز وجل، يقول فى كتابه ﴿ **يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ** ﴿٥٧﴾ ﴾ [4] ، زعمتم، أنه يقضى الباطل.

فإن قلتم : إن كلا الفعلين حق. لزمكم أن قتلَ الأنبياء وأئمة الهدى حقٌّ!!

وإن قلتم : إن كليهما باطل، لزمكم أن قتل الكفار والظالمين باطلٌ! . . ولا مخرج لكم من هذا، والإقدام عليه هو الكفرُ.

منع الله فرعون من قتل موسى وأقدر قاتل يحيى !

وكذلك نقول لكم: خبرونا عن منع الله، عز وجل، لفرعون عن قتل **موسى**، عليه السلام، حتى ردَّه إلى أمه كما وعدها، أليس فى قولكم: إن اللهَ حالَ بين **موسى** وبين **فرعون** قسراً وجبراً حتى لم يُقدر **فرعون** على [5] قتلِ **موسى**؟

---

(١) **عبيدالله بن زياد** من الشجعان، ولاه عمه على خراسان ، ثم ولاه **يزيد بن معاوية على البصرة**، اعترض على **الحسين بن أبى طالب** ، وقتلته جيوشه، وقتله **ابن الأشتر** ، ثاراً للحسين سنة ٦٧هـ.

(٢) فى الأصل: خطاوكم.

(٣) أخرجه الترمذى ٥/ ٦١٤ (٣٧٦٨)، وأحمد فى مسنده ٣/ ٣ ، ٦٢، ٥/ ٣٩١ – ٣٩٢ وغيرهما.

(٤) سورة الأنعام : الآية ٥٧.

(٥) فى الأصل: علا.

فإذا قلتم: نعم .. قلنا لكم: وكذلك لم يحلْ بين يحيى بن زكريا وبين من قتله ، وكذلك من قتل جميع الأنبياء ، عليهم السلام ؟!

فلابد لكم من نعم؛ لأنهم قد صح قتلهم. وشاهد ذلك قوله، عز وجل: ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [1]، فنقول لكم: اليس في قولكم ودينكم أن الله، عز وجل، خلق فعل فرعون وقدره وقضاه وأراده ، وهو الذى منع فرعون قتل من موسى جبراً وقسراً؟!

فإذا قلتم: نعم.. قلنا لكم: وكذلك خلق وأرادَ وقدر وقضى قتل يحيى بن زكريا عليه السلام ، على قاتليه؟!

فإذا قلتم: نعم.. قلنا لكم فلا نجد التاركَ لموسى، ولا القاتل ليحيى ، عليهما ٣٧و/ السلام، غير الله، عز وجل، على ماتقولون !! لأنه / يقول في كتابه: ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾، وقال في موضع آخر: ﴿ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [2]، وزعمتم ، أن أفعال العباد مخلوقة، فقد سقطت عنهم الحجة؛ لأنهم لا فعل لهم.

لم يخلق اللهُ أفعال العباد !

وإن لا [3]، فاوجدونا شيئاً نستدلُ به، ويصحُ عندنا بعد الاستطاعة المركبة في العباد، والجوارح السالمة، والحديد الذى قتلوا به، فلا نعرف لله، عز وجل، في الباب الذى ادعيتم عليه خلقاً، يلزمُ به لكم حجة، غيرَ الاستطاعةِ المركبة في الجوارح، والحديد الذى لا حجة على اللهِ، سبحانه، فيه ، الذى قتلوا به من قتلوا.

وليس تجدون معناً [4] غير ما ذكرنا ، يجبُ به أن الله خلق أفعالَهم.

وإنْ لا ، فأين هذا الخلق الذى لا يرى ولا يسمع، ولا يذاق ولا يشم، ولا يلمس ولاتدركه الحواس ، ولاتقاس بالناس ، ولا تحيط به الأقطار، وليس يعرف بهذه الصفة إلا الله الواحد القهار، الذى لا تدركه الحواس، ولايقاس بالناس، ولا تحيط به الأقطار!

وإن لا ، فاوجدونا هذا الخلق الذى ادعيتم أن اللهَ، عز وجل، خلقهُ ، غيرَ الاستطاعةِ المركبة والجوارح السالمة، والحديدِ الذى قتلوا به الأنبياء، وأئمة الهدى والمؤمنين والكافرين، وليس على الله، تبارك وتعالى ، في تركيبِ الاستطاعةِ فيهم ، ولا خلقه

---

(١) سورة البقرة: الآية ٦١.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٥٧ ، وفي الأصل: يقضي.

(٣) يعني: وإن قلتم: لا، وسيكررها في بداية كل دليل على الجبرة.

(٤) في الأصل: معنا.

للحديد، حجةٌ ولا علةٌ لمعتَلٍ؛ لأنه قد أمرهم ونهاهم، وفى هذا الموضوع تبينُ فضيحتكم، وانقطاع حجتكم، وتفسد دعواكم فى قولكم: إن الله، عز وجل، خلقَ أفعالَ العباد.

فأرونا أين هذا الخلق، الذى ذكرتم، غير ما قلنا؟!!

فلن يجدوا ذلك أبداً، بوجه من جميع الوجوه كلها، ولا بسبب من جميع الأسباب، وتفسير ذلك، أن الحركةَ موجودة فى بنى آدم، قبل أفعاله، والحركة فهى فرعُ الاستطاعةِ المركبة فى البنية؛ لأن بنى آدم يجوز عليهم الحركة والسكون، وذلك فعلهم هم، وليس هو فعل الله، عز وجل، وكذلك خلقَهُم اللهُ، عز وجل، قادرين على الحركة والسكون، مملكين لذلك، مأمورين منهيين، وخلق الجبالَ، وما أشبهها من الجمادات
٣٧ظ / ساكنة لا حركة فيها، والحركة الموجودة فى بنى آدم، هى قبل / أفعالهم.

وهذه الحجة أيضاً تقطعكم، فى دعواكم أن الاستطاعة مع الفعل لاقبله، ونحن نقول: إن الاستطاعةَ قبل الفعلِ، وهى أصلُ الحركة التى أتوا بها عليها، وهى موجودة فى بنى آدم، قبل أفعالهم [١].

مناظرة بين أبى الهذيل وحفص الفرد:

فإن قلتم: إن الحركة ليست بشئ. اجبناكم بجواب **إبى الهذيل** [٢] **لحفص الفرد**[٣]، فإنه بلغنا أن **أبا الهذيل**، وكان يقول بالعدل، تناظر هو **وحفص** الفرد فى الحركات فأبطلها حفص الفرد، وزعم أنها لا شئ، فقال له أبو الهذيل: ياحفص كم حدُّ الزانى الذى أمرَ اللهُ به؟ فقال له حفص: مائةُ جلدةٍ، قال فكم حد القاذف؟ قال: ثمانين جلدة، قال له أبو الهذيل: فأخبرنى الحركة هى يد الضارب؟ قال: لا.

قال: فهى جنب المضروب؟ قال لا. قال: فهى السوط. قال: لا. قال أبو الهذيل: ياحفص فقد أعلمتنا أن لا شئ أكثر من لاشئ بعشرين!! فانقطع **حفص الفرد**.

فكذلك ينقطع **عبدالله بن يزيد البغدادى**.

---

(١) تكملة من الهامش.

(٢) ابو الهذيل العلاف من كبار المعتزلة توفى سنة ٢٣٥ هـ / ٨٥٠م راجع لسان الميزان ٥ / ٣١٤.

(٣) **حفص الفرد** من **المجبرة**، الذين ناظروا العلماء قبلاً ،وكان **معتزلياً**، وقال فيه **الذهبى**، مبتدع. وكفره **الشافعى** فى مناظرته، كما ناظر **أبا الهذيل العلاف**، انظر **الذهبى** ميزان الاعتدال ١ / ٥٦٤

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : وإنما أخبر اللهُ، عز وجل، **أم موسى**، صلى الله عليه، برجوع **موسى** إليها ، لما علم من اختيار **فرعون** وانه لا يقتله، وانه لا تساعده مرته على قتله.

الأجـال غير محتومـة :

والآجال على ما قلنا غير محتومة ، والشاهدُ على ذلك قول الله، عز وجل، يخبر عن نوح، عليه السلام وقوله لقومه: ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ③ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [1] ، فنقول لك : أليس ترى أنه قد أوجب لهم أن يبلغوا ذلك الأجل المسمى [2] ، ما لم يقدموا على المعاصى، التى توجب تعجيل العذاب من الله، جل ثناؤه؟!

ألا ترى كيف يقول: ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ④ ﴾ [3] ، الا ترى أنه لم يكن هناك تأخير إلا وثم تقديم ؟.. الا تره مُسمًّى ، وقد هلكوا دونه بإخبار الله، عز وجل، فى كتابه؟!

وقد دعاهم، نوح عليه السلام، إلى أن يطيعوا الله، جل ثناؤه، فيؤخرهم ذلك الأجل، الا تراهُ مسمى [4] لم يبلغوه؟

او لا ترى نوحاً، صلوات الله عليه ، لم يكن ليدعوهم ويطمعهم بتاخير اجل الموت، الذى سماهُ الله ، عز وجل، جل ثناؤه، يقول : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾[5].

فالأجل الذى جعل الله، عز وجل، للموت المسمى، لا يطمع احد فيه، وليس له راد، وقد قال الله، عز وجل، فى آية من كتابه يدل فيها على من سلف، ويؤدب بها من خلف، وفيها حكمه على الأولين والآخرين ، وهى قوله، عز وجل،: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ⑨

---

(١) سورة نوح: الآية ٣ ، ٤ ، ورد فى الأصل (واعبدوا..) وهو خطأ.

(٢) فى الأصل: المسما.

(٣) سورة نوح: الآية ٤.

(٤) فى الأصل: مسمي ، وكذا كل كلمة مثلها تاتى بعد.

(٥) سورة المنافقون : الآية ١١.

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (١)، افلا ترى ان لهم اجلاً مسماً، قد وعدوا التاخير إليه، فلم يطيعوا الرسل، ولم يقبلوا القول، فلذلك لم يبلغوا بمعصيتهم وكفرهم، ما شرط لهم من بلوغ الأجل، فاخذهم الله، عز وجل، بتعجيل العقوبة، فاحترمهم (٢) دون ما سمّى لهم لو أطاعوا، ورجعوا إلى دينه، وفي هذا كفاية، والحمد لله.

مثال آخر بتأخير العذاب عن قوم يونس :

ومن الحجة أيضاً قوله، عز وجل، ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ (٣)، افلا ترى ان الله، عز وجل، قد كان اعلم يونس، صلوات الله عليه، ان العذاب واقع بهم، فاعلمهم يونس بذلك، فآمنوا بعد انصراف يونس عليهم، فاخر الله عنهم العذاب، بعد ما كان قد حتمه عليهم، فهذا أكبر الدليل، وأوضح شاهد، والحمد لله.

***

---

(١) سورة إبراهيم : الآيتان ٩ - ١٠ ، وردت بالاصل ﴿ باتهم لم ﴾ وهو خطا.

(٢) كلمة مطموسة.

(٣) سورة يونس: الآية ٩٨ .

المسألة السابعة

الجدل حول مدى تأثير علم الله فى الاستطاعة

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عن قول الله، عز وجل: ﴿ **وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ** ﴾ [١]، أليس قد كره الله أن ينبعثوا وثبطلهم؟..

فإن قالوا: نعم. فقل: أليس الله ثبطهم عن الخروج مع رسوله، وكره أن ينبعثوا معه، والانبعاث معه طاعة، والتخلف عنه كفر؟!

فإن قالوا: بلى [٢] فقل: أفليس الله قد كره أن يطيعوا، إذ علم أنهم لا يطيعونه؟.

فإن قالوا: نعم: فقل. أليس كل من علم الله منه انه لا يطيعه، فقد كره أن يكون منه، غير ما علم؟

فإن قالوا: نعم. فقد أعطوك ما عابوا عليك من العدل، ودخلوا معك فيه.

وإن قالوا: إن الله لم يكره انبعاثهم، ولم يثبطهم، تركوا القرآن.

فسلهم عن ذلك: أليس قد أنزل الله هذا القرآن؟

فإن قالوا: بلى[٣] .. فقل: فما معنى ذلك، إذ يقول: ﴿ **كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ** ﴾؟!

فإنهم لن يأتوا بحجة، وأنهم عسى [٤] أن يقولوا: أخبرونا عن أول هذه الآيات، أليس قد قال، عز وجل، ﴿ **سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ، يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢)** ﴾ [٥]، إنهم يستطيعون أن يصنعوا غير ما علم الله، وما لا يعلم الله، أنهم يصنعونه؛ ولكنه إنما عنى حلفوا بالله، ما لنا استطاعة مال، فشهد الله ﴿ **إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢)** ﴾، لقد كانت لهم استطاعة مال، وتصديق ذلك قوله: ﴿ **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ / يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ، رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ** ﴾ [٦].

---

(١) سورة التوبة: الآية ٤٦ .
(٢) فى الأصل: بلا.
(٣) فى الأصل: بلا.
(٤) فى الأصل: عسا.
(٥) سورة التوبة: الآية ٤٢ .
(٦) سورة التوبة: الآية ٩٣ .

٣٨ظ/ وقال : استأذنك أولوا الطول منهم، وحلفوا ما لهم طول، فشهد الله أنهم لكاذبون ، وقال في بعض ما أنزل اللهُ في كتابه: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً ﴾ (١)، يقول: من لم يكن له مالٌ ، أن ينكح المحصنات ، فسمى المال استطاعة الطول، وذلك حين استنفرهم ،اعتلوا له بأن ليس لهم طول مالٍ، فكذبهم الله.

الرد على المجبرة :

الجواب ؛ قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : أما ما سألت عنه من قول الله، عز وجل: ﴿ وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ ، فإن نقول لك: إنما جئت بوسط الخبر، الذي ذكره الله، عزوجل، عن العاصين لنبيه، صلى الله عليه، ولم تعقل ما قبله، ولا ما بعده من شواهد حجج الله ، جل ثناؤه ، المؤكدة ، وبراءته من ذنوبهم الواضحة، إذ قال ، عز وجل، ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾ (٢) .

الجهاد فريضة على كل مسلم :

ونحن نقول لك أخبرنا: هل افترض الله، عز وجل، الجهاد على من بعث إليهم محمداً ، صلى الله عليه، أم لا؟

فإن قلت : لا ، أكذبك جميع الخلق، من أهل الإسلام.

وإن قلت : نعم .. قلت في ذلك الحق ، إن الله ، عز وجل، قد افترض الجهاد على جميع أمة محمدٍ ، صلى الله عليه، ولم يفرضه على بعضهم دون بعض، إلا من عذره الله، عز وجل، من المريض والأعرج والأعمى(٣) ، أو الضعيف أو المجنون أو الطفل.

فإذا ألزمك هذا القول، قلنا لك: أفليس قد أمرهم رسول الله، صلى الله عليه ، بالخروج للجهاد في سبيل الله؟ .. فإذا قلت نعم .. قلنا لك : فأخبرنا عما نحن سائلون عنه، وفيه قطع دعواك جميعاً ، في العلم والاستطاعة مع الفعل ، والقضاء والقدر، وأنك مبطلٌ ، في جميع ما ادعيت من ذلك كله ، مسخطٌ لله، جل ثناؤه ، بما

---

(١) سورة النساء : الآية ٢٥.

(٢) سورة التوبة : الآية ٤٦.

(٣) في الأصل : الاعما.

وضعت من باطل، على **أهل العدل**؛ لأنه يلزمك فى قولك، أنهم لا يقدرون أن يصنعوا خلاف علم الله منهم.

فنقول لك : فهل لهم حيلةٌ على أن يدفعوا ما خلق الله، عز وجل، من أفعالهم، وقضاه وقدره وأراده من أعمالهم، كما لم يقدروا أن يفعلوا خلاف ما علم الله، سبحانه ، منهم ؟!

فإن قلت : لا يقدرون على خلاف ذلك، والخروج منه . .

قلنا لك : فما معنى قول الحليم ، الذى لا يظلم ولا يجورُ ، فى قوله: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾ (1)، وهم ليس لهم إرادة ولا لهم حيلة، فى الخروج من خلقه، ولا من قضائه وقدره وإرادته، ولا إلى ترك ما علم من أفعالهم، ونحن لا نجد لهم أمراً يجب عليهم فيه عذاب، ولا يلزمهم به معصية؟!!

٣٩و/ إذا الفعل فعل ربهم بهم، وهو الخالق أفعالهم / والمقدر لها عليهم - زعمتم - وهو القوى، الذى لا يغلب ولا يقهر!!

وأخبرونا عن قوله ، سبحانه : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (2) ، و ﴿ إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ (3) ، وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (4)، وقوله : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (82) ﴾ (5) .

كلام المجبرة يبطل الدين رسالة وتكليفا :

فهات، أخبرنا أنت، ما معنى إرساله الرسل وإنزاله الكتب، على قوم لا يقدرون على أن لا يعلمَ الله منهم فعلاً قبيحاً ولا معصية ، ولا يقدرون على الخروج من خلقه لأفعالهم، ولا تقديره عليهم، وقضائه الذى حتم من معاصيهم؟!!

وهل رأيت أحداً قط يقيدُ عبده، ثم يأمره بالحضراء (6) ، ويكلفه الطيران فى الهواء، والمشى على وجه الماء، أويكون هذا من صفته حكيم عدل رحيم؟!

---

(1) سورة التوبة: الآية ٤٦.
(2) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.
(3) سورة الطلاق: الآية ٧.
(4) سورة البقرة: الآية ١٨٥.
(5) سورة النساء: الآية ٨٢.
(6) العدو والوثب.

نقض نظرية الكسب [1] :

فإن قلت : إن فعالهم خلقٌ لله، عز وجل، وإنهم اكتسبوا ذلك الخلق.

قلت لك : فإن الحجةَ عليك ، بعدُ قائمةٌ يلزمك أن اكتسابَهم هو خلق الله أيضاً [2]، وإذا كان الله خالق كل شئ ، على قولكم ، واكتسابهم أيضاً [3] ، هو خلقه الذى هو المعاصى !!!

وإن قلت : إن لهم فعلاً ، ولله ، عز وجل، فعلٌ ، وكل واحد منهما غير الآخر.

قلنا لك : فقد لزمكَ أنك قد رجعت عن قولك، وصرت إلى قولنا : إن فعل الخالق غير فعل الخلق، وأن فعل العباد غير فعل المتعبد، ولذلك استحقوا بأفعالهم الثواب والعقاب.

نقض فكرة الفعل بين فاعلين :

وإن قلت : بل فعلهم هو فعلُ الله. لزمك أن الله ، عز وجل ، هو الفاعل لكلِّ قبيحٍ وفاحشة، عز وجل عن ذلك وتعالى البرئ من أفعال عباده، الطاهر من ظلمهم!

وإن قلت : إنه فعل بعضها؛ لأن من قولك أنه فعلٌ من فاعلين . لزمك أنه فعل بعض الفواحش والقبائح، وهم بعضها !!

فلا مخرج لك من أى هذا القول دون الكفر، أو الرجوع إلى الحق، والقول بالعدل، الذى هو العدل والحق، لا جورك الذى وصفت وسميته عدلاً !!

ولا عجب أعجب من تسميتك وتكريرك، كلما احتججت، سميت الجبر عدلاً ! تعالى الله عما قلت .

---

(١) الكلام الذى يذكره **أحمد بن يحيى**، يدل على ان نظرية الكسب، لم تكن **لأبى الحسن الأشعرى**، ولكنها ظهرت قبله بزمن بعيد، وكانت مقررة عند فريق كبير من المسلمين ، فاحمد من وفيات (٣٢٥هـ - ٩٣٧م) ، والاشعرى توفى سنة (٣٢٤هـ) على الارجح ، مما يعنى انهما كان متعاصرين ، والمعاصرة حجاب، وكتاب احمد رد على كتاب **عبدالله ابن يزيد** المذكور، مما يدعونا إلى الشك فى نسبة أصول هذه النظرية للاشعرى ؛لانه لا يعقل ان يقرر الاشعرى هذه النظرية بعد تركه الاعتزال، والذى يرجح ان يكون بعد الثلاث مائة للهجرة (٣٠٠هـ) ، ويقرر نظريته، وتروج فى العالم الإسلامى، فيرد عليها الإمام احمد بن يحيى، عن طريق كتاب **عبدالله بن يزيد المجبر**، وإن كان الاحتمال قائماً بأن يكون عبدالله هذا احد اصحاب الاشعرى!

(٢) فى الأصل : ايضىً.

(٣) فى الأصل : ايضىً.

واعلم ان معنى الآية التى ذكرت، من قول الله، عز وجل، ﴿ وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ [١] ، فإنا نقول: إنه لما دعاهم رسول الله، صلى الله عليه، إلى الخروج والجهاد فى سبيل الله، لم يريدوا ذلك، ولم يجيبوا ، اتباعاً للهوى، وميلاً إلى الردى، ولم يعدوا العدة التى بها يقوم الجهاد ويجب الأجر، فكان تثبيطهم لما فعلوا، وما حكى الله، عز وجل، منهم – وعلم انهم لو خرجوا مع نبيه ، صلى الله عليه ، لفعلوا به .

٣٩ ظ / كما علم، انهم لو أرادوا ما علم الله ذلك / منهم، ولا علم منهم إلا الخير والطاعة والعُدّةَ للجهاد، وترك التسمع [٢] والتجسس على رسوله، صلى الله عليه، فقال : ﴿ وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [٣] .

ثم قال لنبيه، صلى الله عليه، ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [٤] .

افلا ترى ، أيها المهلك لنفسه، ولمن معه، ان الله، عز وجل، لم يثبطهم عن دينه، ولم يحل بينهم وبين طاعته، والجهاد فى سبيله، والخروج مع رسوله، صلى الله عليه، إلا لمعصيتهم اولاً وآخراً ، التى كان منهم فيها البدوُّ؟!

١ – **فأما أولاً** : فما كان منهم من ابتغائهم للفتنة، وتقليبهم لرسوله الأمور، حتى ظهر الحق الذى كرهوا، واعرضوا عنه، بكفرهم وظلمهم وعدوانهم، الذى استوجبوا به فى الدنيا الخزى من الله، عز وجل، وسوء الثناء، الذى ذكرهم به فى كتابه، لا يزال يقرأ قبح افعالهم، وابتداءهم بالظلم والإعراض عن امر الله، عز وجل، وامر رسوله، عليه السلام، ابداً حتى تقومَ الساعةُ.

٢ – **وأما آخراً** : فما كان من كفرهم، الذى اضمروهُ لرسول الله، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، من الغش والخيانة والتسمع، والذى قال الله ، عز وجل :

---

(١) سورة التوبة: الآية ٤٦ .

(٢) اعلى منها مكتوب : التشنيع.

(٣) سورة التوبة: الآية ٤٦ .

(٤) سورة التوبة: الآيتان ٤٧ – ٤٨ .

﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾ ، وقوله : **﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلاخبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة، وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين.. ﴾** .

وإنما كره انبعاثهم وثبطهم، لما علم من كفرهم، وسوء اختيارهم، وإفسادهم على رسوله، ﷺ، : «لو خرجوا معه».

فلهذه الأسباب كره، عز وجل، انبعاثهم وثبطهم. لا ما ذهبت إليه أنت، من أن الله - عز وجل عما قلت - كره انبعاثهم مع رسوله، صلى الله عليه، وجهادهم لأعدائه، لغيرِ علةٍ من العلل، ولا حجة لزمتهم، وثبطهم عن الجهاد ؛ لا لسبب استوجبوه ، ولا أمر استحقوه ، إلا ابتداءهم بالكراهية، والتسبيط من غير علةٍ وجبت له عليهم، ولا ظلم اتوه، ولا عدوان بدءوه به، تعالى عما قلت علواً كبيراً!!

في نفي الجور والظلم عن الله ، عز وجل :

والشاهد لنا في تصديق قولنا وصواب حجتنا قول الله، عز وجل **﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾** (١)، وقوله : **﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾** (٢)، وقوله : **﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾** (٣) وقوله : **﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ﴾** (٤) ، وذلك بعد
٤٠ و/ استحقاقهم له، وإعراضهم عن الطاعة، فأما ما قبل قيام الحجة / فلا يجوز ذلك، على العدل الذي لا يجورُ!!

كيف؟!.. وهو الذي يقول، وقد أخبر عن قوم ظلموا أنفسهم ، وجحدوا بآياته : **﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾** (٥)، أفلا ترى (٦) أنهم لما جحدوا بعد المعرفة، لما جعل الله لهم الاستطاعة إلى تركه وفعله، نفى (٧) ذلك عن نفسه، عز وجل.

فإذا كان جحدانهم آياته عنده، ظلماً وعلواً ، فعاب ذلك عليهم . ثم اخذهم

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١٥.
(٢) سورة الإسراء: الآية ١٥.
(٣) سورة الانفال: الآية ٥٣.
(٤) سورة الرعد : الآية ١١.
(٥) سورة النمل : الآية ١٣ ، تكررت في الاصل: وهو خطا من الناسخ.
(٦) في الأصل: ترا.
(٧) في الأصل: ونفا.

وعذبهم على أمر لم يكن فيه معنى لزمهم به حجة، فلمَ إذن سماه ظلماً وعلواً وفساداً؟ . . وإلا فأين العدل والحق، وترك الجور والظلم ؟!!

هل من علِمَ الله منه أنه لا يؤمن يكره منه الإيمان ؟!!

وأما قولك: أليس من علم الله منه أنه لا يطيعه، فقد كره أن يكون منه غير ما علم؟ . فإن قلنا – زعمت : نعم . فقد أعطيناك ما عبنا عليك، من جورك الذى سميته عدلاً؛ عز الله عما قلت .

وبالله، ما نعلمُ للمشركين حجةً على الله، عز وجل، ولا على رسوله، صلى الله عليه، تقوم بعذرهم، وتقطع من خالفهم ، أقوى من حجتك هذه، التى احتججت علينا بها ! . .

لأنه لا يجبُ للمشركين ، على قود قولك هذا، وفريتك على الله، عز وجل، ودعواك الباطلة، أن من علم الله، عز وجل، فيه أنه لا يطيعهُ أنه قد كره منه أن يكون منه غير ما علم الله ، سبحانه! . . (ولذلك يجوز) [1] أن يقول المشركون لمحمد، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم: أخبرنا يا محمد أليس قد علم منا أن لا نؤمن ولا نتبعك أبداً ؟!

فما قولك، ياعبد الله بن يزيد البغدادى، فى جواب رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، لهم، هل يجوز له أن يقول: لا لم يعلم الله أنكم لا تؤمنون ولا تقبلون منى! . . فإن جوَّزتَ ذلك على رسول الله ، صلوات الله عليه، كفرت، وخرجت من الإسلام.

وإن قلت: إن الواجب أن يقول لهم رسول الله، صلى الله عليه : بلى [2] ، قد علم الله أنكم لاتؤمنون بى، ولا تتبعونى أبداً .

فإذا قال ذلك النبى، عليه السلام، قالوا له ؛ كما قلت أنتَ: أخبرنا يا محمد فَلِمَ أرسلك إلينا ، وقد علم أنا لا نؤمن أبداً ولانتبعك؟! . . وكيف يجوز عندك يا محمد فى حكم ربك، أن يأمر أن نتحوَّلَ عن عبادة الأصنام إلى عبادته هو، وقد علم أن ذلك لا يكون منا أبداً؟!!!

---

(١) ليست بالأصل.

(٢) فى الأصل : بلا.

لأنــه إن كان منا إيمــان أو توبــة، أو رجعــةٌ إلى الإسلام، بطــل علمُهُ !!

٤٠ط/ فنحن نقول لك أيها المجبر الجاهل والمفترى على الله / ، جل ثناؤه ، هل مع نبـيك، هذا المصطفى والمنتـجب [١] للوحى، والمختومة به الرسلُ، حجةٌ يقطع بهـا المشركين، ويورثها أمتهُ من المسلمين ، ليحتجوا بها على المدعين، إلى يوم الدين؟!

فى إثبات الحجة ونفى العبث عن الله ، تعالى:

فإذا قلت : نعم، معه حجةٌ يقطعُ بها المشركين .

قلنا لك : ما هى ؟! هاتها، وعرِّفْنا بها، إن كنتَ من الصادقين؟!

فإن ادعيت، غيرَ ما احتججت به علينا فى العلم، سقطت حجتك علينا، فى العلم التى اعـتللـت علينا بـهـا، لأنـه ، صلوات الله عليـه، إذا احـتج على المشـركين، لـم يكن احتجاجهُ إلا بما يقطع به حجة المشركين.

وذلك الذى احتج به المشركون، قولكم وحجتكم، التى احتججتم بها على أهــل العــدل، فى دعواكم أن من علم اللهِ، سبحانه، منه أنه لا يؤمنُ أنه لا يكن منه غير ما علم الله.

ولو كـان منه الإيمان، لبطل مـا علِمَ الله، عـز وجل، فـيــه أنه لا يؤمنُ، وهو قــول المشركين، الذى قلنا لك أنهم احتجوا بـه، على رسول الله، صلى الله عليه.

وإن قلت : ان ليس مع رسـول الله، صلوات الله عليـه وعلى آلـه، حـجـةٌ ، غـيـر مـا ادعيت أنـت وإخوانك المجبرة، وقلتم به فى العلم، لزمك أن الرسول، عليه السلام، لم يحسن يحتج على المشركين ، وأنهم قد فلجوه، ولم يقدر لهم على جواب، غير ما قلتم، فـيلزم النبى ، صلى الله عليـه ، أن إرساله عـبثٌ ولعبٌ، إذْ علم الله، عـر وجل، أنهم لا يؤمنون!

ثم بعـثـه إلـيهم، يطلبُ منهم مـا لايقـدرون عليه!.. وهـذا غاية الكفر والشـرك، والعبث واللعب، وفساد الحكمة، وغايـة الطعن على الله، عز وجل عـما قلتم، وعـلا علواً كبيراً.

---

(٣) المختار والمصطفى.

علم منهم أنهم لا يؤمنون مع علمه قدرتهم على الإيمان كذلك:

وكذب العادلون بالله، وضلوا ضلالاً بعيداً ، ولكنَّا نقول: إنه كما علم الله منهم أنهم لا يؤمنون، كذلك علم الله أنهم يقدرون على الإيمان، وعلى أن لا يعلم منهم الشرك، لأنه افترض عليهم الخروج من الشرك، ولم يفترض عليهم الخروج من العلم؛ لأن الله، عز وجل، قد أحاط بكل شئ علماً.

على العباد إنفاذ ما أمر بترك ما علم:

ولا مخرج لأحد من علم الله، عز وجل، والدليل على ما قلنا لك، فى بعض كتابنا هذا، من الحجة القاطعة، أنا نسالك: هل أراد الله من العباد، إنفاذ ما أمر بترك ما علم، أو ترك ما علم بإنفاذ ما أمر ؟!

فإن قلت: إن الله، عز وجل، أراد من الخلق إنفاذ ما علم بترك ما أمر، لزمك وأنت
٤١و/ مفلوج الحجة، أن الله، عز وجل، أراد إنفاذ ما / علم من الظالمين، وترك الفرائض التى جاءت بها المرسلون ، وفى هذا القول يلزمك الشرك، والخروج من دين الإسلام كافة، إن - زعمت : أن الله ، عز وجل أراد أن تترك فرائضه وكتبه، ودينُهُ الذى شرع، وأمره ونهيه وطاعته وطاعة رسله، عليهم السلام، إذ يقول : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [١] ، وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [٢] ، ثم قال: ﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [٣] .

وإن قلت: إن الله، عز وجل، أراد إنفاذ ما أمر بترك ما علم. لزمك أنك رجعت عن جهلك، وأن الحق معنا، وهذا قولنا أن الله، عز وجل، أراد من الخلق إنفاذ ما أمر به من طاعته، بترك ما علم منهم، من اتباعهم للهوى، والميل إلى الكفر والردى، والصدّ عن الهدى، إذ أمر تخييراً ونهى [٤] تحذيراً ، فلمْ يُطع كرها ولم يُعص مغلوباً.

ولعمرُ الله، إن مسالة [٥] واحدة من مسائلنا هذه، لتقطعُ جميع أهل الجبر، وتجزئ عن الاحتجاج بغيرها، ولكن لابد من جوابك على كتابك كُلِّه؛ لتعلم موضع خطابك

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .
(٢) سورة النساء: الآية ٢٦ .
(٣) سورة النساء : الآية ٢٧ .
(٤) فى الأصل: ونها .
(٥) فى الأصل: مسئلة

واحتجاجك علينا فى مسالتك هذه بالقرآن ، وانت لا تعرف القرآن ، ولو عرفت القرآن لم تقل بالجبر.

المجبرة تعذر المنافقين :

وأما قولك :إن الله، جل ثناؤه، لم يُكَذّبْ المنافقين فى قولهم : ﴿ لو استطعنا لخرجنا معكم ﴾ يعنى ، زعمت ، حلفوا أنهم لا يستطيعون أن يصنعُوا غير ما علم الله، وإنما عنى الله، عز وجل، بذلك ، زعمت ، انهم حلفوا ؛ لأنهم لا يقدرون على الاستطاعة والمال، وزعمت، أن الله شهد إنهم كاذبون.

وقد قال، عز وجل، زعمت، فى حجتك : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [١] .

كان للمنافقين استطاعة مالية وبدنية :

الجواب قال أحمد بن يحيى عليهما السلام ، فقد يلزمك فى هذا القول، الذى احتججت به علينا، ان الاستطاعة قبل الفعل، إذ أقررت ، زعمت، من لسانك، أن الله، عز وجل، شهد عليهم، أنهم حلفوا مامعهم استطاعة المال، وهى معهم ، على قولك ، وذلك عندنا، نحن، الأمر الذى عاب الله، عز وجل، عليهم ، إذ كانت معهم استطاعة المال، ثم حلفوا ما هى معهم، وهى معهم، قبل الخروج مع النبى، صلى الله عليه، وزعمت أنها التى عنى الله، عز وجل، ففررت[٢] من شئ وقعتَ فيه !!

٤١ظ / فإذا لم تُقرَّ لنا أنهم إنما حلفوا / على أنهم لا يقدرون على الخروج بالأبدان؛ لأن ليس معهم استطاعة الخروج بالأبدان ، على قولك.

وزعمت أن معهم استطاعة المال ، وقلت :إن الله شهد عليهم بذلك، فقد وقعت فيما فررّت منه ، وليس نريدُ منك أكثر من هذه الآية.

قد لزمك أن الله، عز وجل، شهد عليهم، أن معهم استطاعة المال، ولم يخرجوا مع، رسوله، صلى الله عليه وعلى آله، وهذا قولنا ، وبه وجبت لله، عز وجل، عليهم الحجة.

---

(١) سورة النساء : الآية ٢٥

(٢) فى الأصل: ففرت.

وقد شهدت للمنافقين بالبراءة، ودافعت عنهم، ولزمك في قولك أن الاستطاعة قبل الفعل لقول الله، عز وجل، على إجماعنا وإجماعك معنا : ﴿ **يحلفون بالله لو استطعنا، لخرجنا معكم، يهلكون أنفسهم، والله يعلم إنهم لكاذبون** ﴾ ، فأقررت أن معهم المال، ولكون المال معهم، لزمهم الخروج مع النبي، صلى الله عليه، ولزمتهم الحجة ؛ لأن كون المال موجود عندهم قبل الفعل ، وهو خروجهم مع النبي، صلى الله عليه وعلى آله، فافهم ما وقعت فيه .

من كان له مال استطاع الخروج :

ثم أكدته لنا على نفسك بقولك، وتصديق ذلك قول الله، عز وجل: ﴿ **إنما السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ** ﴾ [1] ، وقال : ﴿ **اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ** ﴾ [2] ، فأخبر أنهم ظنوا ما لهم طول ، فشهد الله « **إنهم لكاذبون** » .

وهذا هو الحق، وهو الدليل الأعظم على أن الاستطاعة قبل الفعل، وهو قولنا ، وقد وافقتمونا، واستشهدتم القرآن، وقد قبلنا هذا الموضع من قولكم؛ لأن من كان له مال، فقد لزمه الخروج في سبيل الله، مع صحة البدن، بعد ملك المال، فقد صح أن الاستطاعة قبل الفعل .

ولذلك لزمهم ما قال الله، عز وجل ، منهم: ﴿ **وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ** ﴾ [3]، لما قد فسرناه من أول أمرهم إلى آخره ، وفي هذا كفاية، والحمد لله، ولولا خوف التطويل لزدنا من الحجج غير هذا .

الاستطاعة في الآية الطول قبل النكاح :

وكذلك قوله : ﴿ **وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ** ﴾ [4] ، والطول لا يكون إلا قبل النكاح ، وإن لا، فبماذا ينكح إذا كان فقيراً؟!.. غير أني أظنُّ أنك شهوت في احتجاجك بهذه الآية ؛ لأنك احتججت بأنه يشهد عليك، ولا يشهدُ لك. وكل القرآن على ذلك، يشهد للعدل؛ ولأهله ، ولا يشهد عليهم، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة التوبة : الآية ٩٣ .
(٢) سورة التوبة : الآية ٨٦ .
(٣) سورة التوبة : الآية ٤٦ .
(٤) سورة النساء : الآية ٢٥ .

المسألة الثامنة

إن الله قدر معاصي البشر عند المجبرة

ثم قال عبد الله بن يزيد البغداى : ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه، [1] : ﴿ أَلَمْ
٤٢ و/ نَخْلُقكُم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾/ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [2] ، ما يعنى بذلك؟

فإن قالوا: عنى بذلك أنه يخبرنا أنه خلقنا من ماء مهين، فجعله فى قرارٍ مكين، إلى قدرٍ معلوم، يُخْرجه ويولجه ، فقل : ذلك كذلك.

اخبرونا الآن عن رجلٍ ، شق بطن امراةٍ حُبْلى ، فاخرج ولدها ظلماً وعدواناً، اليس بقدرٍ معلومٍ خرج؟

فإن قالوا [3]: خرج بغير قدرِ الله. فقل لهم: فما كان يقدر الله له قدراً غير هذا؟ فقل: أليس قد يستطيع العباد أن يكون منهم، الذى قال الله انه معلوم، أن لا يكون معلوماً؟

فإن قالوا : نعم .. فهذا أعظم الفرية، وقد أعطوك، ماكنت تجترئ منهم بدونه.

فإن قالوا: خرج حين شقَ بطنها بقدرٍ. فقد قدَّر اللهُ المعصية؛ لأن شقه بطنها معصيةٌ، وبذلك خرج، فقد قدر الله أن يخرج من بطنها بمعصية؟

فإن قالوا: نعم.. فهو قولك، الذى عابوا عليك من العدل، قد دخلوا فيه..

رد أحمد بن يحيى وبيان معنى القدر المعلوم :

الجواب : قال أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما : قد قال الله، عز وجل، ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [4] . فنحن نقول : صدق الله فى قوله، وفلجت حجته أنه خلق الولد فى البطن، وجعل له أجلاً غير محتومٍ ، ولا مجبور ولا محظور على الخلق التعدى عليه ، ولا على أمة ، إلا بالأمر

---

(١) فى الأصل: سبحنه.

(٢) سورة الموسلات: الآيات من ٢٠ إلى ٢٣.

(٣) يبدو أن جواباً محذوفاً فى هذا الموضوع تقديره: «نعم».

(٤) سورة المرسلات : الآيتان ٢٠ – ٢١.

والنهى، ولوكان ذلك محظوراً على الخلق، حتى لا يجدوا السبيل إليه ولا إلى أمه، من قتل أو شق بطنٍ، و ذبح طفل أو قتلِ كهلٍ، لما قدر فرعون اللعين ولا غيره، على شقِّ بطون الحبالى، ولا قتل الأطفال، ولا إهلاك الرجال.

هل خلق الله فعل فرعون ؟!

فإن قلت: إن فرعون فعل ذلك بما خلق الله، سبحانه، (فيه) [1] من فعله وقدَّره من ظلمه، وقضاه من سيرته، وأراده من كفره وعلوه، فليس على فرعون حجة، ولا يجبُ عليه عذاب؛ لأنه مثل الباب، على قود قولكم، الذى متى شاء صاحبه فتحه، ومتى شاء أغلقه، وإذا احتج فرعون بين يدى الله، عز وجل، يوم القيامة، إذ قال له: يا فرعونُ لم قتلت الأطفال وشققت بطون الحبالى؟.

فقال فرعون: فعلتُ ذلك يارب بما قضيت عليَّ وقدَّرت من معصيتى، وخلقت من فعلى. فنقول للمجبرة عند ذلك خبرونا: هل صدق فرعونُ، أم كذب فى حجته هذه، إذا احتج بها يوم القيامة ؟!

فإن قلتم: كذبَ. رجعتم عن قولكم، وصرتم إلى قولنا بالعدل، وإن قلتم: صدق فرعونُ، أن الله قضى عليه [2] قتل الأطفال، وشق بطون الحبالى.

جعل المجبرة فرعون مع الصادقين !

قلنا لكم: فما جزاء من صدق بين يدى الله، عز وجل، فى ذلك اليوم؟.. أليس قد ٤٢ظ/ قال، عز وجل، / ضامناً لمن صدق: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [3] إلى آخر الآية ؟!

فيجبُ، فى قولكم، أن يامر بفرعون إلى الجنة؛ لأنه صدق، وقد وعد الله الصادقين الجنة، وهو لا يخلف الميعاد، وكفى [4] بهذه فضيحة وبلاءً!!!

وبعد، فلم قلت، فى مسالتك [5] هذه: فاخبرونى عن رجل شق بطن امرأة

---

(١) ليست بالاصل.
(٢) فى الاصل: قضا.
(٣) سورة المائدة: الآية ١١٩.
(٤) فى الاصل: وكنا.
(٥) فى الاصل: مسلتك.

حبلى[1]، فاخرج ولدها ظلماً وعدواناً، زعمت .. أخبرنا أنت أين موضع الظلم والعدوان الذى قلت، وهذا الرجلُ الذى شقَّ بطن الامرأة، يحتج عليك بأن الله خلق فعله، وقدره عليه، وأرادهُ وقضاه، وأن الله، سبحانه، علم أنه يشق بطن الامرأة، ثم لا يقدر هذا الرجل، أن يفعل من ترك شق بطن المرأة، على غير ما علم الله منه، وقدَّره عليه وأراده منه، وخلقه من فعله؟!!

فأخبرنا، ياعبد الله بن يزيد البغدادى، وإخوانك المجبرة، لم سميت شقه لبطن الامرأة ظلماً وعدواناً؟

العدل الذى خلقه الله شئ واحد:

وأعلمنا أين الظلم والعدوان، وكيف هيئتُهُ حتى نعرفه، كما قد عرفته بحجة قاطعة وببيِّنة عادلة؟!

فإن الجنة لا تُدخلُ إلا بالحق، وإن النار لا تدخل إلا بالحق أيضاً[2]، إذ القاضى من شأنه العدل، وترك الجور والظلم.

وقد قال، جل ثناؤه: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)﴾[3]، فإن كان شق بطن هذه المرأة فعلاً لله، تعالى عما قلتم، خلقه وقدره، وأراده وقضاه، ظلماً وعدواناً، فقد ظلمتَ الرجل، فى إضافتك إليه الظلم والعدوان، وهو فعل غيره، لأنه فعلُ ربك، زعمت!!

فليس لك أن تسألنا؛ لأن الله، عز وجل، قال: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)﴾[4] وما قولك؛ إن سألناك: أهو فعل الله، جل ثناؤه، تفرَّد به دون الرجل الذى ذكرت، أم لا؟.

فإن قلت: نعم، لزمك أن كتابك هذا، وحجتك باطل، وسؤالك عن فعل الله، عز وجل، خطأ عظيم، وكفر بين، لقوله: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾.

وإن قلت: إن شقَّ بطن الامرأة، فعل للرجل ولله جميعاً، لزمك، فى حكم الإسلام،

---

(١) فى الأصل: حبلا.

(٢) فى الأصل: ايضىً.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

ان لو أن رجلين شقا بطن امرأة ، فأخرجا ولدها، أن عليهما جميعاً دية المرة، وغرة في ولدها، إلا أن يكون حكمكم، أن الدية لاتلزم إلا أحد القاتلين، وتسقط عن الآخر!

ومن قال بهذا ، فقد خرج من حكم الاسلام، وقد قال، عز وجل، يحكي عن نبيه شعيب، صلوات الله عليه، وصدقه، الذي قال لقومه، وهو من عدل الله الذي بعثه، عز وجل: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ، إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾[1] .

٤٣و/ فذلك الدليل على أن / الله، عز وجل، **لا يحكم على العباد بعدل، ثم يخرج نفسه من ذلك العدل.**

وإن قلت : إن عليهما جميعاً الدية، لزمك أن على هذا الرجل، الذي أدعيت أنه شق بطن المرأة، نصف الدية، وعلى الله، عز وجل، نصفها!

وبعد، فلمَ قلت في مسالتك هذه: فأخبروني عن رجل شق بطن امرأة حبلى فأخرج ولدها ظلماً وعدوانا ، زعمت؟!.. أخبرنا أنت، أين موضع الظلم والعدوان، الذي قلت؟!

وإن قلت: أن ليس يلزم الله، عز وجل، شئ من ذلك.

قلنا لك: فكيف حكم علينا بأمر من العدل، وأخرج نفسه من ذلك العدل، الذي شرع لعباده وأمرهم، وقد قال: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤) ﴾[2]؟!..

وإن قلت: إنك لاتقول بأحد القولين، وأن الرجل هو الذي شق بطن الامرأة ظلماً وعدواناً وحده، وليس لله، عز وجل، في فعله فعل .. فذلك هو الحق والعدل، وهو قولنا، وقول الملائكة، والمرسلين، وجميع المؤمنين ، ولزمك أن تكفر بكتابك، الذي وضعت علينا، وأن تتوب مما افتريت عليه، وألزمته فيه، ذنب شاق بطن الامرأة ظلماً وعدواناً ، وإخراجه لولدها!

تزعم المجبرة إرادة الله للمعاصي:

وإن الله، عز وجل، زعمت ، أراد تلك المعصية وقدرها في كتابه، ثم سميت

---

١) سورة هود : الآية ٨٨ .

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٤ .

الرجل عاصياً وظالماً ومتعدياً، سبحان الله العظيم عما قلت، فأيكما الآن الظالم العاصى المتعدى .. أنت أم هو، إذ أوجبنا عليك الحجة القاطعة؟!!

وأما قولك : ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) ﴾ [١] ، فذلك القدر المعلوم، إنما هو إلى مدة، إن تركها الظالمون المجترؤن، المكلفون للفرض، لاجبراً ولاقسراً، والممنوعون عن الظلم، بالكتب والرسل، لاكرهاً ولا اضطراراً، سلمت وبلغت الأجل الذى سمى لها، وإن اعتدى عليها معتد، فلا حائل بينها وبينه، من غير غلبة لله، عز وجل، إذ أمر، جل ثناؤه، تخييراً ونهى تحذيراً، فلم يُطع كرهاً ولم يعص مغلوباً، ولا مخرج لك مما قلنا، والحمد لله رب العالمين ، فقد سقطت دعواك، فى ولد الامرأة وشق بطنها؛ ولانه لا يجوز فى الحكمة والعدل، ان يقضى على أحد بشق بطنها أو قتل ولدها، ثم يقول : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (٩) ﴾ [٢] .

***

استدل المجبرة بآية الزخرف / ٣٣ :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عن قول الله، عز وجل : ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ ، سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) ﴾ [٣] .

أليس لو جعل ذلك على الإيمان، لآمن الناس كلهم، كما أنه لو جعله للكافرين لكفروا كلهم، ولو جعله للمؤمنين مع الثواب فى الآخرة، لكان الناس أجدر أن يؤمنوا كلهم؟

فإن قالوا : بلى [٤] . فقل فما منعه أن يفعل ذلك؟

٤٣و/ فإن قالوا : لم يرده، فقل : أفليس لم يرد الله أن يؤمنوا جميعاً، ولم يرد أن يجعل ذلك للكفار، فيكفر الناس جميعاً؟!

وهذا بابٌ ليس فيه خبرٌ؛ لانه لو فعل ذلك، لم يكونوا مجبورين ؛ لجعله للمؤمنين لبيوتهم السقف من الفضة والمعارج. أفليس لم يرد الله أن يؤمنوا؟

---

(١) سورة المرسلات : الآية ٢٢ .

(٢) سورة التكوير : الآية ٨ - ٩ .

(٣) سورة الزخرف : الآية ٣٣ .

(٤) فى الأصل : بلا .

فإن قالوا: بلى [1] ، فقل: قد اقررتم بان الله، عز وجل، لم يرد أن يؤمن الناس جميعاً ، ولم يُردْ أن يجعل ذلك للكفار فى كفرهم، فيكفروا جميعاً.

فإن قالوا: نعم.. فقل : هذا قولنا، إنه لم يرد أن يؤمنوا جميعاً ولا يكفروا جميعاً؛ لأنه قد علم أن منهم من يكفر ومنهم من يؤمن، فلم يرد أن يكون ما علم غير ما علم، ولا أن يكون من العباد، ما لا يعلم أنه كائن منهم.

***

جواب أحمد الناصر:

الجواب ، قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى ، عليهما السلام، : ﴿ **وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥)** ﴾[2] .

فإنما هذا إخبارٌ من الله، عز وجل، لم يفعله ولم يرده، ولم يحكم به على أحد.

وسؤالك عما لم يفعله الله، عز وجل، خطأ منك، وجهل بكتابه؛ لأنه يقول: ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)** ﴾ [3]، فأنت تسمعه، عز وجل، يقول: ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ** ﴾، ونهى [4] عن سؤاله عما قد فعل، فكيف يسأل عما لم يفعل؟!.. هذا أعجب العجب، وكفى [5] بهذا جهلاً ، وكفراً بالآية.

وهو ، عز وجل، فقد أنزل هذا الوصف الذى وصف ، وليسَ لأحدٍ أن يقول: لمَ لمْ يفعله، ولو أنه أنفذه ، ولوأنه لم ينفذه.

هل أراد الله قوماً مؤمنين وقوماً كافرين ؟!

فيجبُ على من يسأل عن ذلك، الخروج من حكم الآية، والمعصية لله، جل ثناؤه، فيها، وهو قوله: ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ** ﴾، وهذا هو الحق.

---

(١) فى الأصل: بلا.

(٢) سورة الزخرف: الآيتان ٣٣ - ٣٤.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

(٤) فى الأصل: نها.

(٥) فى الأصل: وكفا.

وأما قوله: ﴿ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾، فهذا يوجبُ عليك انه لايسالهم إلا عن افعالهم، التي هو بريءٌ منها ، ليس له فيها فعل، بوجهٍ من جميع الوجوه، ولابسبب من جميع الأسباب، إلا أمرُه لهم بالفرائض ونهيه لهم عن المعاصي، ولو كان له فيها سببٌ بمقدار شعْرَةٍ ، لم يجز في الحكمة، ولافي العدل ان يقول: ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴿٢٣﴾ ﴾، فعمٌ[1] يسالون إن كان الفعل كُلُّهُ ، هو خلقه وقدرُهُ؟!.. فهذا اعظم الدليل، وأكبر الحجة لنا عليكم.

إنه، عز وجل، لوكان فعل شيئاً من افعال الخليقة، لكان اصح الكلام ، واوجب في العدل، وابين للحكمة، وابعد من الظلم، ان يقول: ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾، ثم يقف، إذ كان جميع ما ادعيت وذكرت، وبه احتججت، هو فعله وخلقه، وتقريره ٤٤و/ عليهم/ ولا يقولُ: ﴿ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾، وَعَمَّ يُسالون، وهو الذي فعل افعالهم ، وجبرهم عليها؟!

زعمت ، واراد ان يكونَ قوم مؤمنين فكانوا ، وأراد ، زعمت ، ان يكونَ قوم كافرين فكانوا، وعلم ، زعمت ، انهم لا مخرج لهم من الكفر، فصاروا بما علم منهم، لا يقدرون على الخروج من الكفر، بعد ما افترض عليهم الخروج من الكفر.

فَعَمَّ يسالون ، وهو الذي حال بينهم وبين كل طاعة، وارادَ منهم كل معصية وبلية – على قولك؟!! تعالى الله عن فريتك عليه، وجل جلالاً كبيراً.

التفسير الصحيح للآية، أراد الله أن يخيِّرهم

وإنما معنى[2] الآية انه، عز وجل، اخبر انه لو فعل لهم من سقف الفضة، والسرُر والمعارج، والامر الذي ذكر، عز وجل، لم يكن ذلك بدائم لهم ولا مُغنٍ، ولكنه، عز وجل، لم يحب ان يكون له فعل، يخرجهم إلى معصية قسراً، ولا طاعة جبراً، بل خيرَّهم تخييراً ، وصيَّر لهم السبيل إلى ذلك، فمن شاء آمن، ومن شاء كفر، ولا خيرة لهم في تنعيم أيام يسيرةٍ ، ثم تصير عاقبته إلى العذاب المقيم.

وقد قال الله ، عز وجل: ﴿ اعلموا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ

---

(١) في الاصل: فعمًا.

(٢) في الاصل: معنا.

﴿ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) ﴾ [١].

وأما قولك: فلو جعله للمؤمنين، مع الثواب فى الآخرة، لكان الناسُ أجدرَ أن يؤمنوا كلهم، فإن قلنا ، زعمت ،: بلى [٢]، قلت: ما منعهُ أن يفعلَ ذلك؟!.. وقد أعلمناك كيف عاب الله، عز وجل، عليك أن تسأله ما منعه، ولم فعل ولم يفعل؟ وأعلمناك ما يدخل عليك فى سؤالك الله، عز وجل، من الفساد والمخالفة للآية.

فى نص كلام المجبر الرد على حججه:

ولسنا نقول: بلى [٣]، ولا نجهلُ عدلَ الله، عز وجل، كما جهلْتَهُ، وإنما أنت تحتجُّ علينا، ثم تجيب نفسك عنا بالخطأ، ولا تدرى ما نورده عليك من البرهان القاطع، بحول الله وقوته ونصره.

لا يحتاج الله لرشوة عبادة حتى يؤمنوا:

فاسمع إلى ما قلنا، وانصف عقلك، واعلم أن الله، عز وجل عما قلت، لو جعل سقوف الفضة والمعارج والسرر، حتى يؤمنوا - كما زعمت - كلهم، لأوجب ذلك عليهم أنهم لم يدخلوا فى الإسلام إلا بالجعل والرشوة، والعطية من عرض الدنيا الفانية، فيسقط أجرهم ويزول حمدهم وشكرهم، ولم يجب الثناء من الله، عز وجل، عليهم، ٤٤ط/ ولم يقل: ﴿ الصَّابِرِينَ فِي / الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ [٤]، وقوله: ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ [٥]، وقوله: ﴿ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [٦]، ويقول: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) ﴾ [٧]، ولكان مثلهم - على قود قولك - مثل أجناد السلاطين، الذين يقاتلون معهم بالأجرة، فلم يجب لهم عليهم منَّة، إذا أخذوا منهم الأجرة والعطاء[٨].

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٠.
(٢)، (٣) فى الأصل: بلا.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٧.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٧٣.
(٦) الآية نفسها
(٧) سورة الواقعة: الآية ٢٤، وفى اخرى ذكرنا بعضها من قبل.
(٨) ويسمون **المرتزقة**، وقد عرفتهم النظم القديمة، وما زالت تستعين بهم العديد من الدول، مع تطور لمفاهيم هذا النظام، الذى تعد الجاسوسية والإرهاب، وما يسمى بالطابور الخامس، شكل مر اشكاله

ترى المجبرة أن الله لايريد إيمان الناس جميعاً ولاكفرهم جميعاً :

وأما قولك : أفليس لم يرد الله أن يؤمنوا؟ . . فإن قلنا : زعمت - بلى . . قلت لنا فقد أقررنا بأن الله لم يرد أن يؤمن الناس جميعاً، ولم يرد أن يجعل ذلك للكفار فيكفروا جميعاً.

وإن قلنا لك ، زعمت ، : نعم . . قلت لنا أن ذلك قولك. وقول أصحابك « أن الله لم يُردْ أن يؤمنوا جميعاً . ولم يرد أن يكفروا جميعاً » لأنه ، زعمت ، قد علم أن منهم من يكفر ومنهم من يؤمن، فلم يردْ أن يكونَ غير ما علم، على غير ما علم، ولا أن يكون من العباد ما لا يعلم أنه كائن منهم.

قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى: عليهما السلام: فَتَبَّتْ يداكَ [1] - لقد هلكت وأهلكت، من قبل عيكَ، وجهلك وجبرك وخطئك [2] ، وفريتك على خالقك ولم تدبّر كتابه ، ولم تعرف محكمه من متشابهه، ولا الشافى الكافى من معانيه، الدالة على عدله والبراءة له من أفعال خلقه، والنزاهة عن ظلمهم، والقضاء بالفساد عليهم ، والبعد والتقدس عن القول الخطل، الذى ينقضُ بعضهُ بعضاً، جل ثناؤه، حاشاه عن ذلك وتعالى علواً كبيراً.

الا تسمع أيها المهلك نفسه، ولمن اتبعه من إخوانه ،كيف قال، عز وجل، لنبيه، صلى الله عليه، محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وآله: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [3]، وقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ [4]، وقوله: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [5].

فهذا يكذب قولك، ويبطل حجتك، أنه أراد أن يكون بعضهم مؤمنين، وبعضهم كافرين، وقوله : ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [6]، يدعوهم إلى الهدى والطاعة، يدلُّ ويشهد على بطلان قولك، وأن الله، عز وجل، أراد منهم الإيمان والطاعة جميعاً، ولم

---

(١) دعاء بالهلاك، ومثل يقال على كل ظالم ومكابر عنيد، وأصله قوله تعالى : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ سورة المسد الآية الاولى.

(٢) وردت فى الأصل : خطاك.

(٣) سورة الاعراف : الآية ١٥٨.

(٤) سورة الذاريات : الآية ٥٦.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٩٣.

(٦) سورة الاعراف : الآية ١٥٨.

يرُدْ منهم الكفر والمعصية، ولم يقل: «إني رسول الله إلى بعضكم دون البعض»، وقوله، عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾[1]، و«الكافة» في لغة العرب[2]: هو الجميع الذي لا يبقى منهم أحدٌ لا ذكر ولا انثى، هذا يوجب عليك انه أرسله إلى جميع أهل الأرض ليؤمنوا كلهم، وبطل قولك: إنه أرد أن يكفر بعضهم، وأن يؤمن بعضهم!.. لابد لك من ذلك، إلا بجحود هذه الآيات، ومخالفتك جميع الأمة، على إجماعهم أن رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، قد دعا الناس كلهم إلى ٤٥و/ الطاعة، ولم يكتف / ببعضهم دون بعض، إلا أن تقول: إنه لم يبلغ!.. فإن قلت: إنه لم يبلغ. كفرت، وعذرت بعض الناس، ولم تعذر رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

واعلم انه لا يجوز على الله، عز وجل، أن يقول لرسوله، صلى الله عليه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[3]، ثم يقول ذلك القول، خديعة وطيراً واستهزاء، والأمر على غير حقيقة، بعد قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧)﴾[4].

فلا يجوز هذا، وهو لا يريد أن يؤمنوا كلهم، فاظهر لهم، زعمت، قولاً في الظاهر، ثم دَسَّ محمداً، صلى الله عليه، إلى بعضهم حتى آمنوا كما أراد، وكفر الآخرون كما أراد، وهذه صفة المخادع والماكر، والذي يقول ما لا يفعل!!

وقد عاب الله، عز وجل، مثل ذلك على عباده فقال: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣)﴾[5]، فكيف يدخل، عز وجل، فيما عاب؟!!.. ثم يقول لنبيه، صلى الله عليه: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[6]، ويقول لموسى وهارون، صلى الله عليهما، حيث أرسلهما إلى فرعون الملعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤)﴾[7]، يامرهما، كما تسمع، بالرفق به والحرص على إيمانه، وخشيته وتذكيره.

---

(١) سورة سبا: الآية ٢٨.
(٢) انظر المعجم الوسيط، مادة كفف، جـ٣ / ٧٩٨.
(٣) سورة الاعراف: الآية ١٥٨.
(٤) سورة النساء. الآية ٨٧.
(٥) سورة الصف: الآيتان ٢ – ٣.
(٦) سورة المائدة: الآية ٦٧.
(٧) سورة طه: الآية ٤٤.

إرسال الرسل عند المجبرة شكلي وغير حقيقي !!

وزعم عبد الله بن يزيد البغدادى، ومن قال بقوله من إخوانه المجبرة، ان هذا القول، على قود قولهم، كان على المخادعة وغير الصحة، ولم يكن على الحقيقة، ولم يكن من الله، عز وجل، على ثقة من القول ولا عدل، وإنما كان عن طريق الظن والاستهزاء، والامر الذى لايريد ان يكون له حقيقة؛ لأنه أرسلهما، عليهما السلام ، إليه بهذا القول، وقد علم انه لا يقدر على إجابتهما ولا اتباعهما.

زعمتم - فأرسلهما فى العبث واللعب، وترك الحكمة [1] والعدل، بغير إيجاب حجة ولا إبلاغ فى عذر، ولا على أن يعذب بعد استحقاق وكمال حجة، وإرسال نبيين اثنين بالقول اللين والرفق، والفعال الحسن الجميل، والدعاء إلى الخروج من الكفر، فخلده فى العذاب المقيم ، زعمتم ، على غير جرم ولا حجة لزمته، على قول المجبرة.

فإن قال قائل: إنا نشنع عليهم، ونقول عليهم خلاف ما قالوا، قلنا له : أليس هذا كتاب عبدالله بن يزيد البغدادى، أقرب الحجج، الذى كتابنا هذا جوابه؟!..

يقول فيه : «إن الله ، عز وجل ، أراد من الخلق ان يكون بعضهم كفاراً وبعضهم ٤٥ط/ مؤمنين، وكرر ذلك فى / كتابه مراراً ، واحتج علينا به، فإن الذى حال بين الكفار وبين الإيمان علم الله» زعم !!

لانه لم يرد أن يكون منهم خلاف ما علم مع قوله : «إن الله، عز وجل، خلق أفعالهم وأرادها وقدَّرها وقضاها عليهم»!.. فالويل له ، ولمن قال بقوله!!

ماجوابه لمن سأله فقال له: أخبرنا عن قول الله، جل ثناؤه، لنبيه، صلى الله عليه،: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [2]، هل تقرأ هذه الآية فى القرآن؟!

لا إكراه فى الدين:

فإن قال: لا .. كفر، وإن قال: نعم. قلنا له: فما معنى هذه الآية؟ فهى قائمة بنفسها، شاهدة لنا على من خالفنا، بان الله ، عز وجل، أرد أن يكون الدين كله له، إرادة

---

(١) جاءت فى الأصل: «الحكمة وهو خطأ.

(٢) سورة الانفال : الآية ٣٩.

أمر، لا إرادة جبر وقسر، بل أراد أن يكون ذلك طوعاً من أنفسهم؛ لأنه لو أراد القهر والجبر، لم يُغلبْ ولم يكن في الأرض إلاما أراد، ولا في السماء.

وإذاً كان الدين كله لله، عز وجل، لم يبق في الأرضِ كافرٌ واحدٌ!.. وفي ذلك بطلان قولكم: إن الله، عز وجل، أرد الكفر من الكافرين، ويلزمك أيضاً، في دعواك، أنه أراد الكفر من الكفار.

زعمتم أن الله، عز وجل، أمر نبيه، صلى الله عليه، بقتال الناس، حتى يزول ماعلم. وكذلك يزول ما أراد من الكفر، فإن قلت: إن الله، عز وجل، أمر نبيه، صلى الله عليه، بقتالهم حتى يزول ما علم من كفرهم.. رجعت عن قولك، وبطلت دعواك، ولزمك التوبة من فريتك، وصرت إلى قولنا بالعدل، وبان جهلك لإصحابك وغيرهم.

وإن قلت: إنه لم يأمر نبيه، صلى الله عليه، بقتالهم، حتى يزول ما علم من كفرهم.. قلنا لك: فما معنى قوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[1] ؟! و«الفتنة» في غير موضع من القرآن، الكفر خاصةً، معروفٌ ذلك في كتاب الوحي، فلا تجدُ حجةً تلجأ إليها، ولا وزراً تأوي إليه، إلا الكفر بالآية، والتكذيب لها، أو الرجوع[2] إلى قولنا اضطراراً وقهراً.

قصد الله قتال المشركين:

إن الله أمر نبيه، صلى الله عليه، بقتال الناس، حتى يكون الدين كله لله، عز وجل، ويخرجوا مما علم من كفرهم وظلمهم، وجورهم وشركهم، وعداوتهم وجميع معاصيهم، والتي كرهها الله، عز وجل، وحرّمها عليهم.

فخرجوا من قبيح ما علم، إلى أحسن ما علم، وهذا هو دين الله، جل ثناؤه، الذي بعث به المرسلين وجاءتهم به الملائكة المقربون.

لابد لك ممّا قلنا: إما الكفر بالآية والجحدان لها، أو الرجوع إلى قولنا بالعدل، لا جورك الذي سميته عدلاً، عز الله عن ذلك، وعند ذلك تفتضح، ويتبين خطؤك[3] وفريتك وخديعتك لأصحابك.

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٣٩.

(٢) في الأصل: والرجوع.

(٣) في الأصل: خطاوك.

٤٦و/ من الدليل / على تصديق قولنا ايضاً[١] قول الله، عز وجل، يحتجُ لنفسه على الكفار، ويبرأ من عظيم فعلهم، وأنه لم يأخذهم بالعذاب إلا بعد الحجة القاطعة، والإبلاغ في العذر، والإصرار منهم على المعاصي، فقال، عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ ، لَقَالُوا : رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ، فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾[٢].

أهذا ويحك قول من أراد كفرهم ، أو قضاء المعاصي عليهم؟!.. أفلا تراه كيف لم يهلكهم إلا بعد الإعذار والإنذار، وقيام الحجة البالغة، وشاهد ذلك قوله، عز وجل، أصدق شاهد، وأصح حاكم بيننا وبينك: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾[٣]، وقوله ، جل ثناؤه: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[٤]، وقوله ، عز وجل: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾[٥]، وقوله: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[٦]، وقوله، عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[٧]. فأى ظلم أظلم ، أو أىُّ جورٍ أعظم، من أنه أخرجهم من العدم إلى الوجود ، ثم أراد ، زعمت ، أن يكفر به بعضهم ، وأن يؤمن بعضهم، على غير حجة ولا أمر لزمهم به العذاب ، ولا وجب للمؤمنين به الثواب؟!

وإلا فاوجدونا حجة لزمتهم بها حجة، هوخلى منها أو برئ من مشاركتهم فيها، ونسلم لك!! لا تجد، والله ، ذلك ابداً ، إلا أن تجد الحيتان في عقد الرمل، والضبات في لجة البحر!.. وهذا غاية المحال، والحمد لله رب العالمين.

فهذا جواب ما ادعيت في قول الله، عز وجل، في آية الزخرف: ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[٨]، الا ترى[٩] كيف قال، عز وجل، في آخر القول: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن

---

(١) في الأصل: ايضئ.
(٢) سورة طه: الآية ١٣٤.
(٣) سورة الإسراء: الآية ١٥.
(٤) سورة هود: الآية ١١٧.
(٥) سورة فصلت: الآية ٤٦.
(٦) سورة البقرة: الآية ٨١.
(٧) سورة العنكبوت: الآية ٤٠.
(٨) سورة الزخرف: الآية ٣٣.
(٩) في الأصل: لاترا.

ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [1]، أفتراه هو الذى عشى عن ذكر الرحمن، بإعشائه لنفسه واتباعه لهواه!.. ثم قال، عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [2]، وهذه الصفة فقد أصابتك، ومن قبل عنك، فلا يبعد الله إلا من ظلم.

الا ترى كيف هذا القول، يوجب عليهم الظلم، ويوجب براءة الله، عز وجل، من افعالهم كلها، لما ينسبُ إليهم من ظلمهم، ولا ينسب شيئاً منه إلى نفسه، جل عن ذلك ربنا وتعالى علواً كبيراً!!

٤٦ظ / وأما «التقييض» الذى ذكر، عز وجل، وماكان مثله فى جميع القرآن، فإنما هو عقوبة / بعد استحقاق ، لاعقوبة للإجرام، ولو كان ذلك لم يصح قوله، عز وجل: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [3]، وقوله: ﴿ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ ﴾ [4]، وقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [5].

***

احتجاج المجبر بقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن، وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [6]:

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عن قول الله، عز وجل: ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [6]، أتخيرٌ هذا أم وعيدٌ؟!..

فإن قالوا تخييرٌ. فقل: هل سمعتم الله خيَّر قوماً قط، ثم عنفهم، بأن يأخذوا ببعض ما خيَّرهم، أليس إنما ينفع التخيير فى كلامِ العرب، أن المخيَّر ليس بمذنب إذا اختار؟!

وذلك فى كتاب الله قوله: ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ﴾ [7]، فهو إن أرجى أو آوى، فلا ذنب عليه ولاتباعه، وقوله: ﴿ فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ [8]، فهو إن منَّ أو امسك، فليس مذنباً ولاحساب عليه، افهكذا [9] خيرهم؟!

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٣٦.
(٢) سورة الزخرف: الآيات من ٣٧ - ٣٩.
(٣) سورة فصلت: الآية ٤٦.
(٤) سورة غافر: الآية ١٧.
(٥) سورة الذاريات: الآية: ٥٦.
(٦) سورة الكهف: الآية ٢٩.
(٧) سورة الأحزاب: الآية ٥١.
(٨) سورة ص: الآية ٥١.
(٩) فى الأصل: افهكدى.

فإن قالوا: نعم. فهم إن أخذوا بالشرك بالله، فلا ذنب عليهم ولاتباعة؛ لأنهم إنما اختاروا ما جعل لهم فيه الخيار!!

وإن قالوا: ذلك وعيد من الله لهم، كقولك: أما والله، لئن فعلت لتعملن، وكقول الله، سبحانه: ﴿قُلِ اسْتَهْزِءُوا﴾ [1]، فقد قالوا فيه بالعدل، وذلك ما عابوا عليك، قد أعطوكه.

جواب أحمد:

الجواب قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما: عن قول الله، عز وجل: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [2]، ثم بلغت إلى ها هنا، ثم وقفت عن آخر الكلام، الذى فيه الشرط الذى شرط الله، عز وجل، فلم تذكره، حيث قال، عز وجل: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [3].

فنقول لك: إن الله، تبارك وتعالى، لما بعث رسله، وانزل عليهم كتبه، بالأمر والنهى، والفرائض والترك للشرك وجميع الظلم، ووعد الجنة من أطاع، وأوعد النار من عصاه، وأحكم ذلك كله، ووكده فى كتبه وعلى السنة رسله، صلى الله عليهم وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [4]، فلما اكد ذلك الأمر كله، بالحكمة البالغة، احب أن يعلمهم، عز وجل، أنه غير جائز لهم، ولا قاسر على طاعة ولامعصية، وأنهم مخيرون بعد الشرط، الذى اشترط عليهم، لئن لا يكون لهم عليه حجة، وتصديق ذلك قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [5].

اللغة العربية تعرف التخيير بشرط:

٤٧و/ هذا تخيير بعد شرط. / مشروط، ولا محيص عنه، وليس هو على ما ذهبت إليه، أنه تخيير لاشرط فيه، وقلت: إنه يجوز فى لغة العرب، أن التخيير فى الشئ لايلزم ذنب، ولا عليه تبعه.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٦٤.

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٩.

(٣) سورة الكهف: الآية نفسها.

(٤) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٥) سورة النساء: الآية ١٦٥.

ولعمرُ الله، ما يجوز ذلك في لغة العرب، ولا في عقولهم، ولا في تعارفها، إلا أن يكون فيه شرط.

فإن العرب تعرفُ في عقولها ولغاتها، أن رجلاً لو قال لرجلٍ: أنا أهبُ لك أحدَ فرسي هذين، أو أحد سيفي هذين، على أن تخرجَ إلى البصرة ، وتأتي منها برطب، أراد في الشتاء. كان هذا التخيير في الفرسين والسيفين، يجوز على إنفاذ الشرط.

فأما لو قال: أنا أهب لك أحد الفرسين، أو أحد السيفين تختاره. ولم يذكر شرطاً، ولم يشرط عليه شيئاً، لم يكن عليه ذنبٌ فيما اختار ولا تبعةٌ ، ولا لوم ولا تعنيفٌ.

وإنما وقع اللومُ والتعنيف، والمطالبةُ على من عصى [1] الله، عز وجل، من جميع العصاة؛ لأجل الشرط الذى شرط عليهم، والفرائض التي افترضها، عز وجل، ووضعها [2] وأوجب لهم على أدائها الجنة، وعلى تركها النار، بالحكمة والموعظة الحسنةِ وطرح الجبر والقهر والقسر، ومعرفة كلٌ بما يأتي به وما يذر، مما يصلحه ويهلكه والإقرار بالعلم.

ومما يعرف في تصديق حجتنا، من التخيير في لغة العرب، التي ادعيتُ بجهلك باللغة، قول الشاعر يخير قوماً في الحرب، أو الكف عن الحرب فقال :

وأطلقنا أساراهم فَراحوا ... وكانوا في المنازلِ مكرمينا
وَقُلنا ثم وعزنا إليهم ... إذا أنتم بَلغتم سالمينا
فإن شئتم فزورونا، نزركم ... وإن شئتم فقروا راغمينا

فجعل الخيرة إليهم ، وإن شاءوا رجعوا إلى الحرب والقتل والأسر، وإن شاءوا قروا في مواضعهم راغمين.

وهذا تخيير بلاشرط، فهذا الصحيحُ في لغةِ العربِ، أنه تخيير لا شرط فيه، وإنما التخيير بعد الشرط المؤكد فهو قول الشاعر :

أقول لقيسٍ بعد ما قد دللته ... على خطة الرشد التي لاتعصفُ. /
٤٧ط/ إذا نسيت أن تمضى على ماشرطته ... فعلت، وإن لا ، فالظلوم الموقَّفُ.

فهذا تخيير في شرط مشروط، وتنشدُ المعَنفُ ، فهذا شاهد لنا من لغة العرب،

---

(١) في الأصل: عصا.

(٢) في الأصل هكذا : ووطقها.

التي احتججت علينا بها: إذ لا تعرفُ اللغةَ، ولو عرفت اللغة، لم تقل بالجبر؛ لأن اللغة تكذب قولك، وتصدق قولنا، كلا هذين الشاهدين من اللغة يوجب ما قلنا، ويبطل ما قلت.

صفات الاختيار الذي لا تبعة عليه:

ثم نقول لك: وكذلك يلزمك لنا ما احتججت علينا، فقلت: إنه يجب علينا أن يقال لنا: هل سمعتم الله خَيَّر قوماً، ثم عنفهم بأن يأخذوا بعض ما خَيَّرهم الله؟!

ثم قلت: أليس إنما يقع التخيير في كلام العرب، أن المخير ليس بمذنب إذا اختار؟!

وقولنا لك: أنا نقول معاذ الله وحاش لله، ما على المخير ذنبٌ إذا اختار ما قيل له، وكان ذلك التخيير بلا شرط قبله يلزمه فيه حجة، ولو خيرهم الله، عز وجل، فاختاروا أحد وجهين بلا شرط شرطه عليهم، ثم عذبهم على ذلك، لكان ظالماً لهم، ولخرج من صفة الحكمة، والعدل والحق، ولفسد التخيير.

عرف العرب أن التكليف لا يكون إلا قدر الوسع:

ثم نقول لك: وكذلك أنه يلزمك لنا أيضاً، أن نسألك فنقول لك: هل سمعت أنت، وأصحابك المجبرة، في كلام العرب أن عادلاً حكيماً لا يجور، ولا يظلم ولا يعبث ولا يخرج فعله من العقول، أمر قوماً قط بأمر لا يقدرون على بلوغه أن يبلغوه؟ أو هل يجوز لمن هذه صفته أن يقدِّر على قوم تقديراً، أو يريد منهم أن يفعلوه، أو يقضيه عليهم، ويخلقه من فعلهم، فإذا فعلوه وصار إلى مراده، غضب عليهم، وأنكر فعلهم وسخط قولهم وصنعهم، وكادت جباله أن تخر هدّاً، وأرضه أن تنشق غضباً، وسماواته أن تنفطر، إنكاراً أن دعوا له ولداً، قَدَّرَ عليهم تلك الدعوى، وأرادها من فعلهم، وخلقها في ألسنتهم، وقضاها عليهم، ثم قال بعد ما خلقها في ألسنتهم - زعمت المجبرة - وقضاها عليهم وقدرها وأرادها: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [1]، ما معنى هذه الآية؟!

---

(١) سورة المائدة: الآيتان ٧٣ - ٧٤.

ولا يجد بداً أن يقول: إن الله، عز وجل، ندبهم إلى التوبة والاستغفار، وعاب عليهم التقصير فى ذلك، وإن لم تقل هذا كفرت بالقرآن.

٤٨و/ فإذا قلت ذلك / قلنا لك : أفليسَ ، قد علمَ أنهم لا يفعلون؟

فإن قلت: بلى [١]، قد علم أنهم لايفعلون . قلنا لك: فما معنى قوله، عز وجل: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [٢]؟!

ثم قال هذا القول، وقد علم أنهم لايتوبون؟!..

فإن قلت: إنه قول ليس لهُ معنى. لزمك أن الله ، عز وجل، يقول قولاً ليس له معناً. فصار قوله من العبث والنقص، إلى مثل قول أهل العبث والنقص، ولزمك الكفر بهذا القول!

وإن قلت: إن له معنى.. قلنا لك : فما ذلك المعنى الذى لامهم على ترك التوبة فيه، وحضهم على التوبة والاستغفار، وإنه من قولهم بانه ثالث ثلاثة، وأخبرهم أنه غفور رحيم إن تابوا؟!!

جملة مقالة العدلية :

فلا تجد حجة، من جميع الحجج، تلجأ إليها إلا أن تقرَّ أنه ندبهم إلى التوبة والاستغفار، وأنه يغفر لهم ذلك، إن رجعوا عنه وتابوا واستغفروا، وهذا هو الحق، وهو قولنا، ولزمك أنك قد رجعت عن مذهبك، وأن علم الله، عز وجل، بكفرهم، ليس لهم فيه حجة على الله، عز وجل، ولا عذر من التوبة، وأنهم يقدرون على التوبة حتى لايعلم الله، عز وجل، منهم شركاً ولاكفراً ولا قولاً أنه ثالث ثلاثة؛ لأن علم الله، عز وجل، هو المحيط بكل شئ، فما فعلوه من كفر وإيمان ، فالله، عز وجل، يعلمه، ومعهم الاستطاعة إلى فعل ما أرادوا لو أرادوا ، لم يعلم الله منهم الكفر، وشاهد ذلك القوى الواضح قوله، عز وجل: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾، يوجب، عز وجل، على نفسه، كما تسمع أنهم إن رجعوا عن قولهم ، أنه ثالث ثلاثة، أنه يغفر ذلك لهم، ألا تراه كيف يحضهم على التوبة والاستغفار ، ولم يذكر لهم ما علم؛ لأن علمه ليس بمانع لهم عن التوبة.

---

(١) فى الأصل : بلا.

(٢) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

ولو كان قوله: ﴿ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) ﴾، على قود قولكم، انه قد علم انهم لايؤمنون، فعلمه بذلك، هو الذى حال بينهم وبين التوبة؛ لوجب أنه مستهزئ بهم، وأنه يقول من الشرط المؤكد، ما ليس له حقيقة ولا تمام!!

وهذا اقبح ما يكون من الكفر بالله، عز وجل، واعظم الفرية عليه، واشد التكذيب لكتابه، عز عن وتعالى علواً كبيراً.

مفتاح سورة الكهف حجة على المجبرة :

ثم قال، سبحانه: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ .. ﴾ (١).

٤٨ظ / فاسمع إلى هذا الموضوع / من سورة الكهف، ما فيه عليك من الحجج القواطع، في جميع ما افتريت على الله، عز وجل.

(١) اما واحدة فردٌ عليك، في قولك جعل بعض الناس مؤمنين، وبعضهم كافرين.

أفلا تسمع إلى قوله، عز وجل: ﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ ﴾، فنسب عمل الصالحات إليهم، وبذلك وجب لهم الأجر، الماكثون فيه ابداً، غير مجبورين ولامقسورين، ولامخلوقة افعالهم.

(٢) ثم وصف الكتاب الذى انزل، تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا ﴾، والذى ليس فيه عوج، يوجب انه لا ظلم فيه، ولاجبر على طاعة ولا معصية، ولا خلق فعل متعبِّد من الناس. إذاً للزمه اشد العوج والتخليط، إذا عاقب على فعله، وغضب من إرادته، وانهدت سماواته وأرضه وجباله، وأمر من الأمر بما لا يعلم ان أحداً لايقدر عليه، فاى عوج أوضح من هذا العوج، وأىُّ جور أبين من هذا الجور، أو اى ظلم اشد من هذا الظلم؟!!.

(٣) ثم قال: ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ﴾، و« القيم »: هو الذى لاعيبَ فيه

---

(١) سورة الكهف: الآيات ١ - ٦ .

ولاظلم ولاتباعة لمعتل، أعتل فيه بحجة واحدة، ولو كان فى كتاب الله، عز وجل، عُلقة أو تباعة لمعتل اعتل فيه بحجة واحدة، تثبت الجبر له لا غيرها، لبطل كله؛ لأن الحق لا باطل فيه بمقياس رأس الشعرة، ولا أقل منه ولا أكثر، الحق أشرف شرفاً، وأقوى دعائماً وأعز سلطاناً وأوضح برهان، وأمنع أركاناً من أن يوجد فيه مدخل لداخل، أو علة لمعتل أوحجة لمفسد، كيف وهو، عز وجل، يقول: ﴿ **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾** ﴾[1].

(٤) ثم قال، عز وجل: ﴿ **إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾** ﴾، فنقول لك: خبرنا عن هذا الكذب الذى عنى الله فى هذه الآية، الله الذى خلقه وأراده وقدره وقضاه؟

(فإن قلت: نعم. قلنا لك: استعظم ما خلق من الكذب، وأراده وقدره وقضاه)[2]، وهو فعل فعله لا فعل الكفار!!.

لم تجد لهذا القول أمراً تدفعنا به، ولزمك أنه غضب من فعله، فأخرجته من العدل والحكمة؛ لأن الحكيم لا يعيب فعله، ولا يعاقب عليه، ولا يغضب منه.

وإن قلت: هو فعلهم. رجعت عن قولك. ومهما قلت لزمتك فيه الغلبة، وانقطاع الحجة.

وإن قلت: فعل من فاعلين. لزمك أنه غضب من نصف فعله، وقبحه وأنكره، وليس هذا فعل حكيم.

ما كان بعضه باطلاً لزم بطلان جميعه :

واعلم عما يقينياً أنه لو كان للمجبرة فى كتاب الله، عز وجل، حجة واحدة، توجب لهم علة يقهرونا بها؛ لبطل كله؛ لأنه ما كان بعضه باطلاً، يلزم الخصوم فيه الحجة التى لا يجدون لها دفعاً، وبعضه حقاً لم يكن ذلك لله، عز وجل، بحجة على خلقه، يُوجبُ بتلك الحجة، الخلود فى الجنة، والخلود فى النار.

٤٩و/ فالقرآن مبرأً من كل عيب، ومن كل جبر، ومن كل ظلم، ومن / كُلّ تناقض واختلاف.

---

(١) سورة فصلت : الآيتان ٤١ – ٤٢.

(٢) تكملة وزيادة من الهامش.

وأما ما قال عبدالله بن يزيد البغدادى، ومن قال بقوله من المجبرة، من ان الله، عز وجل، خلق أفعال العباد وقدرها وقضاها وأرادها، وانه علم ان الكفار لايؤمنون، فلم يرد منهم غير ما علم، زعموا، وان ذلك القول كله، الذى ادعت المجبرة، يوجبُ للكفار على الله، عز وجل، اعظم الحجة، فإنه عذبهم فى امر، حال بينهم وبينه، وقضاه وقدره عليهم، وأراده منهم.

بمَ تقوم الحجة ؟! :

فما يكون العدوان، إن لم يكن هذا عدواناً ؟!.. وما الفرق بين الحق والباطل؟ وأين موضع كفر الكافرين ميّزوه لنا، حتى يتميز، من فعل رب العالمين؟!!

فإن ميزتموه، قامت على الكفار الحجة، ووجب العذاب، وإن لم تميزوه، ولم تفردوه من فعل الله، عز وجل، فحجة الكفار قائمة واضحة على الله، جل ثناؤه وتعالى عما قلتم علواً كبيراً.

إقرار الكفار بأن معاصيهم كانت منهم :

الا ترى كيف قال لهم: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) ﴾ (١)، ثم قال فى موضع آخر: ﴿ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) ﴾(٢)، ولم يقل أهل النار على الله، عز وجل، بعد إذ صاروا إليها، كما قالت المجبرة: إن الله قدّر فعلنا ولاقضاه علينا، ولا جبرنا ولا خلقه اعمالنا.

مقالة المجبرة فى تخيير النبى فى ازواجه :

اما قولك فى أزواج النبى، صلى الله عليه، وما خيره الله، جل ثناؤه، من إرجاء من شاء منهن، وإيواء من شاء، فذلك تخيير صحيح، اى الفعلين فعله، صلوات الله عليه وعلى آله، لم يكن فيه ذنب ولا تباعة ؛ لانه تخيير بلا شرط قبله.

هو تخيير بلا شرط :

وتخيير الناس فى الدين، الذى اعتللت به، إنما هو بعد إحكام الشرط، وبعد

---

(١) سورة المدثر: الآيات من ٤٢ – ٤٧.

(٢) سورة الملك: الآية ١١.

الوعيد الذى أخبرهم الله، عز وجل، أنهم إن لم يأتوا بالفرائض على وجهها، إن ذلك الوعيد لازم لهم، ثم قال: إن شئتم الآن فآمنوا ، وإن شئتم فاكفروا، فقد تقدمت بما فيه الكفاية، وشاهد ذلك قوله، عز وجل، لهم يوم القيامة : ﴿ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾[1] ﴾ [2]، وقوله : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [3]، وقوله: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [4]، فنقول لك: ما تقول فى هذه الآيات ، هل تصدقُ ، الله ، جل ثناؤه، فيها، أنه قد تقدم إليهم بالوعيد، وأنه لهم غير جابرٍ على ظلم؟!

فإن قلت : نعم قد صدق . قلنا لك: فأين قولك فى هذه المسألة، أنا قد قلنا معك بالجبر الذى سميته عدلاً، وأنا قد أعطيناك ما عبنا عليك ، زعمت؟!!

***

وأما قوله، عز وجل، الذى اعتللت به: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ [5]، فهو تخيير فى نعمة أنعمها عليه بلا شرط فى ذلك التخيير، وهو قوله : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [6]، وليس هذا بنظير لقوله، عز وجل: ﴿ فَمَن ٤٩ ط / شَاءَ / فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [7]، الا ترى كيف قال بعد التخيير: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [8]!

أفلا ترى أيها المهلك لنفسه، ولمن تبع، ، إلى قوله " ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا ﴾، فلمَ سماهم ظالمين إن كنت صادقاً؟!.. وأين موضع ظلمهم الذى ألزمهم فيه النار المحيط بهم سرادقها؟.. وبأى حجة ألزمهم الشراب ، الذى كالمهل يشوى الوجوه، وسوء المرتفق؟!!!

فلابدَّ لك أن تقوله: إنه فعله متفرد به دونهم.

---

(١) تكملة من الهامش.
(٢) سورة ق: الآية ٢٨ - ٢٩.
(٣) سورة الكهف: الآية ٢٩.
(٤) سورة يس: الآيتان ٦٠ -٦١.
(٥) سورة ص : الآية ٣٩.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٠٥.
(٧) سورة الكهف: الآية ٢٩.
(٨) الآية السابقة.

فتلزمه انه سماهم ظالمين ، ولم يظلموا!! .. فتخرجه من الحكمة والعدل، وانه أوجب النار المحيط بهم سرداقها، والماء الذى كالمهل يشوى الوجوه، ظلماً على غير أمرٍ فعلوه، فتكذبه وتنقض قرآنه، وتبطل حجته، وتقوم بعذر من عانده!

وإن قلت: بل له بعض فعلهم، ولهم بعضه، على قولكم ، فعل من فاعلين، فيصيرون بذلك، على قولك، شركاء لله، جل ثناؤه، فى فعله ولزمك الشرك؛ لأن من قولك أنه خلق افعالهم، وقدرها وقضاها وارادها، ثم سماهم ظالمين، وهو شريكهم فى ذلك الظلم، الذى عابه عليهم ، واعد لهم عليه النار، وهم شركاؤه الذين ادخلهم فى فعله، وقدره عليهم، واراده منهم وقضاه عليهم ، وقد علم انهم لايقدرون على إبطال قضائه وقدره؛ لأنه حال بينهم وبين إنفاذ امره حتى لايبطل ، زعمت!!!

وهذا هو الشرك الأكبر، والكفر الأعظم، والتعطيل الأجل، والبراءة من الإسلام، واليهود والنصارى وعبدة الأصنام احسن حالاً ممن قال بهذا القول، واعتقده دينا وعلّمه الناس، ودعا إليه ، وضع فيه الكتب بالردّ على أهل العدل!!

وإن قلت: إنك لاتقول باحدٍ من القولين؛ لا انه منفرد بالفعل دون العباد، ولا انه فعل بعض افعالهم، ولا حال بينهم وبين أمر دعاهم إلى دخول فيه، وعلم انهم لا يفعلوه، ولم يرد أن يكون منهم غير ما يعلم.

أهلك المجبر نفسه ومن معه :

فإن رجعت عن هذا كله، لزمك انك كنت مقيماً على الكفر والشرك، وانك لم تكن بمسلم؛ لانك قد اهلكت جميع من اخذ بقولك، وتعلم منك ودان بدينك، ورجعت إلى قولك بالعدل، وذلك انك تقول القول الثالث، الذى هو الحق والعدل، وهو دين الله، عز وجل، ودين ملائكته ورسله، عليهم السلام، إن ذلك الأمر الذى ٥٠و/ أعد الله، عز وجل، للظالمين من النار ، التى احاط بهم سرادقها، والماء الذى كالمهل يشوى الوجوه، وسوء المرتفق، وخلود الأبد إنما هوبما استحقوا، واختاروا لانفسهم، واتبعوا فيه أهواءهم / الذى ذكر الله، عز وجل ، فى كتابه حين يقول:

---

(١) فى الأصل: فعمًا.

(٢) فى الأصل: معنا.

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ (١) .

فإن قلت بهذا القول، وبرأت الله، عز وجل، من افعال عباده، ودخلت فى الإسلام من ذى قبل، فقد سلمتَ ونجوت ، وبطل ماكنت عليه، والحمد لله رب العالمين.

ثم يجبُ عليك أن تستغفر الله، عز وجل، من التعليم الذى مضى (٢) منك إلى من ماتَ ومن بقى، ومن سمع كتابنا هذا، فعليه التوبة واجبةٌ، وأن يشيعَ هذا الكتاب فى الآفاق؛ ليتوب من يقول بهذا القول، الذى وضعتموه لأهل الجبر. وإلا فالنار .

فلا يبعد الله إلا من ظلم، وأصرَّ على الكفر الواضح، الذى لا شك فيه . ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ (٣) .

***

(١) سورة النازعات: الآيات من ٣٧ - ٤١ .

(٢) فى الأصل: مضا .

(٣) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧ .

المسألة التاسعة

الله يحب كون المعصية عند المجبرة

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عن قول الله، عز وجل: ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ [1]، هل أحب اللهُ أن يستشهدَ احدٌ من خلقه؟

فإن قالوا: نعم. فقل: أفليس إنما تكون الشهادة بأن يقتل الرجل؟.. أفليس قد أحبَ اللهُ أن يقتل؛ لأنه قد أحب أن يستشهد، والشهادةُ لا تكونُ إلا بقتلٍ من عاصٍ؟! أفليس قد أحب الله أن تكون إذن المعصية؛ لأن الشهادة لا تكون إلا بمعصية، فقد أحب الله أن تكون المعصية ممن علم أنه سيعصى؟!!.

فإن قالوا: لمَ يحبُ اللهُ أن يستشهدَ أحد [2] من خلقه.

فقل: أفليس قد كرهَ اللهُ ما صنعَ حمزة بن عبد المطلب [3]، ولم يحب ما يصنع، ولا أن يستشهد أحداً [4] ممن كان مع رسول الله، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، وقد أمر الله بما لا يحبُ؛ لأنه قد أمر بالقتل وفيه الشهادة فقد أمر بما لا يحب وقوله: ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ﴾، فهو لا يحب ما قال إنى متخذه منكم ومثيبكم عليه الجنة؟!!..

فإن قالوا: نعم. فهو تكذيب لكتاب الله، فابصر مواضع هذه المسائل، فإن فيها بلاغاً، والحمد لله.

***

رد أحمد بن يحيى:

الجواب، قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما،: قد فهمنا ما اعتللت به، من قول الله، جل ثناؤه: ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ﴾، واعتقادك فى ذلك أن الله، عز وجل عما قلت، **هو الذى قتل الشهداء، أو سفك دماءهم، وأراد ذلك**

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٠.

(٢) فى الأصل: احداً.

(٣) فى الأصل: احداً.

(٤) هوحمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله، ﷺ، اسلم قبل الهجرة، وكان قوى التشكيمة، اسد لله ولرسوله، هاجر وشهد بدراً، وكان فتحاً للإسلام والمسلمين، فجاهروا بالدعوة، قتل شهيداً بأحد، ودفن بالمدينة سنة ٣هـ.

من المشركين وقدره عليهم، وخلق فعلهم بالمؤمنين، وقضاه على الفرقين جميعاً، فقتل أولياءهَ وأهل طاعته وعبادته ومحبته وأنصار نبيه، صلى الله عليه، بأيدى أعدائه المخالفينَ له، والمشركين به والمحاربين له ولنبيه ، صلى الله عليه ولمن ولاه ووالى رسله من المؤمنين!

٥٠ ظ / وهذا القول يوجب عليك، أن حسن نظره ورضاه ومحبته. / وإرادته لظفر المشركين بأوليائه ، وأهل طاعته، وقتل **حمزة بن عبد المطلب** ، رحمة الله عليه ورضوانه، فلم يفعل المشركون من قتل المؤمنين، على قولك، إلا ما أراد الله، عز وجل، من قتلهم لأهل طاعته وانصاره، وأوليائه وصفوته ، فذلك قولكم **أيها المجبرة**، وعليه وضعت حجتك هذه علينا، في اتخاذه الشهداءَ من المؤمنين، وأنه هو الذى أراد قتلهم وقضاه عليهم، وأراد كون المعصية من المشركين ، زعمت !

الفصل بين إرادة الله وإرادة إبليس :

ونحن نقول لك : إن إرادة الله ، عز وجل، فى قتل المؤمنين ، على قولك، موافقة لإرادة إبليس اللعين فى قتل المؤمنين؛ لأن إبليس أراد أن يقتل الأنبياء والمؤمنين، وأن تكون الغلبة والظفر للمشركين؛ لأنهم أولياءه وأهل طاعته، فأراد إبليس أن تكون الدائرةُ والحسرة ، على أعدائه المؤمنين؛ لأنهم أبغض الفريقين إليه.

وكذلك أراد الله ، زعمتم ، فى حجتكم هذه علينا، أن إبليس أحسنُ نظراً لأهل طاعته من الله، عز وجل، لأهل طاعته؛ لأن إبليس يريدُ أن يكونَ الظفرُ للمشركين على المؤمنين ، وأن الله، عز وجل، كما قلتم، أراد قتل المؤمنين وسفكَ دمائهم، وظهور المشركين عليهم، وظفرهم بهم، وأن يعصيه المشركون فى قتلهم ، فبين إرادة الله، عز وجل، فى أوليائه، وأهل طاعته وأنبيائه، والأئمة من عباده ، من زوال الأقدام ، وظهور الأعداء ، وبين إرادة إبليس فى ثبات أقدام أوليائه ،وظهورهم على حزب الله ، عز وجل، وغلبتهم للمؤمنين ، فرقٌ عظيمٌ!!!

إرادة الله مخالفة لإرادة إبليس :

وهذا لازمٌ لكم، وفيه خروجُكُمْ من الإسلام ، أو الرجوع إلى التوبة، وأن إرادةَ

إبليسُ قد وافقت إرادة الله، زعمتم، في قتل الشهداء ، وأن رسول الله (محمد المصطفى) [1] صلى الله عليه. مخالفةٌ إرادتهُ لإرادةِ الله في قتل الشهداء ؛ لأن النبي ، صلى الله عليه، قد أحب بقاء عمه حمزة، وعمه قتله، وبلغ منه، وأوجعَ قلبه، ومن قتل معه من المهاجرين والأنصار، رضوان الله عليهم، جميعاً، وعمَّه أيضاً ، وبلغ منه ظفر المشركين به وبأصحابه.

إلا أن يقول: إن النبي ، صلى الله عليه، كان شامتاً فرحاً بقتل الشهداء! . . فوافق إبليس في فرحه بقتلهم وشماتته عليهم، كما زعمت، أن الله، عز وجل، أراد قتلهم، وأن يعصيه المشركون في ذلك، فاتفقت إرادة الله، عز وجل، وإرادة نبيه، صلى الله عليه، وإرادة إبليس، عليه لعنة الله، جميعاً في قتل الشهداء، والرضا به والمحبة لزوالهم من الدنيا، وراحة المشركينَ منهم واختلال موضعهم من الإسلام ، وظهور المشركينَ على الرسول ، صلى الله عليه، فلا لوم على إبليس لموافقته لإرادة الله وإرادة رسوله، على قود قولكم!

وهذا أعمى العمى [2] ، وأكفر الكفر؛ لأن الصحيحَ في إرادة إبليس، المخالفةُ لله
٥١و/ ولرسوله؛ وأن الله ورسوله لم يريدا ، ولم يحبّا قتل المؤمنين ، وأن إبليس أراد قتلهم وظهور المشركين عليهم.

ثم نقول لك: ياعبد الله بن يزيد البغدادي: أخبرنا : هل كانت العربُ، أهل اللغة والكلام الصحيح والفصاحة، عند فصل الخطاب، الذين خاطب الله، عز وجل، محمداً ، صلى الله عليه، بلغتهم ، وقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [3] ، فهل كانت العربُ والنبي، صلى الله عليه ، وأصحابه من المهاجرين والأنصار، رحمة الله عليهم، يسمون حمزة بن عبدالمطلب ، رضى الله عنه، «سيد الشهداء» قبل أن يقتله المشركون في يوم أحدٍ؟!

فإن قلت : نعم. أكذبك جميعُ أهل الإسلام، وعلموا أنك قد قلت غير الحق ، وشهدوا لنا عليك جميعاً ، بأنك افتريت الباطل، وما لا يعرف في الإسلام.

---

(١) زيادة من الهامش.

(٢) في الأصل: عما العما.

(٣) سورة إبراهيم : الآية ٤.

حمزة شهيد بعد قتله :

وإن قلت : إن النبى ، صلى الله عليه ، وأصحابه من المهاجرين والأنصار، والتابعين بإحسان ، إنما سموا **حمزة**، رضوان الله عليه، سيد الشهداء ، بعد ما استشهدَ في يوم **أحد**، هو وأصحابه . لزمكَ أن الله!، عز وجل، إنما اتخذ الشهداء شهداء، بعد ما قتلهم المشركون؛ لانه سلط عليهم أعداءه المشركين، حتى قتلوهم ، وأدخلوا بقتلهم الوهن على نبيه، صلى الله عليه!! عزَّ ذلك الواحد العدل، الذى لايجور ولايقضى بالفساد ، الذى لايرضى لأوليائه، وأهل طاعته، إلا بالسلامة من الأعداء تخييراً، والطاعة وقلة المخالفة والكف عنهم وحقن دمائهم ، وأن يكون لهم العاقبة والغلبة، والظهور والرياسة، هذه إرادة الله، عز وجل، فى أهل طاعته، وأهل ولايته ومحبته وأنصار دينه، عز وجل، الذى حرَّم دماءهم غاية التحريم، وأكد فى قتلهم على الظالمين، غاية التأكيد ، وهذا القرآن، أكثر شاهد لنا، وأفلح حجيج .

قال الله، عز وجل: ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** (٩٣) ﴾[١] ، فبلغنا أن **عبدالله بن العباس**[٢]، رحمة الله عليه، قال لما نزلت الآية: ما كان اللهُ، عز وجل، أن يقطع عنه، يعنى القاتل، مع قوله عزوجل: ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ** ﴾[٣]، وقوله: ﴿ **وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا** ﴾[٤] ، فسمَّاه مظلوماً، وجعل لوليه الحكم والحجة، ولوكان الله، عز وجل، فى قتل المؤمنين سَبَّبَ سبباً واحداً من جميع الأسباب كلها، لم يسم المقتول مظلوماً ، فيكون الله، عز وجل، قد دخل فى ذلك الظلم ، وعاب ما فعل وزراً ، ٥١ظ/ نفيما هى عن فعله، عز وجل عن ذلك، العدل الذى لا يجور، ولايفعل إلا الحكمة، ولايريد الباطل ولايقضى بالفساد، ولا يخلق الكفر، ولا يقتل الأولياء بأيدى الأعداء / ولا يظهر عليهم الأشقياء، ولايُعذبُ على ما صنع، ولا يؤاخذ بما قدَّرَ ، ولا يعيبُ ما خلق، ولا يضطر إلى ما علم ، ولا يوجب النار على أمرٍ هو فعلهَ،

---

(١) سورة النساء : الآية ٩٣ .

(٢) هو **عبدالله بن العباس** ابن عم رسول الله، ﷺ، حبر الأمة، ترجمان القرآن، نشأ فى **الإسلام**، وروى عن رسول الله، وشهد **صفين والجمل** مع امير المؤمنين **على بن أبى طالب**، ولد فى ٣ ق هـ ، وتوفى فى **الطائف** ٦٨هـ بعد ماملأ الدنيا علماًوفقهاً . انظر ، ترجمته الزركلى : الاعلام ٤ / ٩٥ .

(٣) ، (٤) سورة الإسراء : الاية ٣٣ .

ولا يغضبُ مما أدخل فيه، وحمل عليه وقدَّره ، قدوس رب الملائكة والروح، (و) كذبَ العادلون بالله، وضلوا ضلالاً بعيداً ، وخسروا خسراناً مبيناً.

ثم قال، عز وجل: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (١).

أفهذا ، أيها المهلك لنفسه ، والمفترى على خالقه، قول من أراد قتل أوليائه بأيدى أعدائه؟!! قاتلكم الله أنا تؤفكون.

فاتخاذ الله، عز وجل، للشهداء، إنما هو بعد قتلهم لا قبله، جزاء بما نالهم فى جنبه، وتشريفاً لهم وتفضيلاً ، بما وفوا به من الشراء، الذى باعوا فيه أنفسهم وأموالهم، رحمة الله عليهم ورضوانه، وإنما اتخذ اللهُ، جل ثناؤه، شهداء من المؤمنين، لما قتلوا فى سبيله مجاهدين للكفار، ناصرين للحق دافعين عن الرسول، صلى الله عليه وعلى آله، راغبين في الثواب ، مستبشرين بالبيع الذى قال الله، عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾ (٢).

فأخبرهم ، عز وجل، أن لهم الجنة، والملك الذى لايزول، على أن يقاتلوا دون الإسلام ، وأعداء الله المشركين ، فمن قتلوه صار بقتلهم له إلى النار والعذاب المقيم، ومن قتلهم فقد استحق من الله، عز وجل، الخلود فى نار جهنم أبداً الأبيد، بما عصوا الله ورسوله، وكذبوهما ، واتبعوا أهواءهم فى ذلك، وجعلوا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ، إذ لم يحملهم الله ، عز وجل، على قتل أوليائه، ولم يرده منهم، ولم يقضه عليهم ولم يقدره من فعلهم، ولم يخلقه فيهم، بل قال ، جل ثناؤه: ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ (٣) ، وقال: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) ﴾ (٤).

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣٢.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١١.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ١٧.

(٤) سورة النساء : الآيتان ٢٦ - ٢٧.

فأخبرنا ، عز وجل، كيف إرادته ، وكيف العدل فيها؟ وأخبرنا كيف إرادة أعدائه والجور فيها، مع قوله إن الله بريئ من المشركين ورسوله، ليس براءته إلا من فعلهم ، وقد فسرناه فى صدر كتابنا هذا.

فالله، عز وجل ، إنما اتخذهم شهداء بعد قتلهم، لا قبله ، اى سماهم وحكم لهم أنهم شهداء تجب لهم الجنة.

٥٢و/ فاما ان يكون جبراً وقسراً، واراد من اعدائه المشركين قتل /أوليائه المؤمنين، فحاشاه وتقدس عما قلتم، والدليل على ذلك والحجة لنا القاطعة ، فيه قوله، تبارك وتعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [١]، فاوجب قتل المشركين حتى لا يبقى على وجه الأرض مشرك ولافتنة، ويكون الدين كله لله، عز وجل، ولايبقى دين من جميع الأديان كلها الباطلة فى أرضه.

وأراد أن يبقى دينه الذى ارتضاه لنفسه، وفى هذا أكبر الدليل وابين الحجة على أنه لم يُرد قتل أوليائه، ولا ظفر المشركين بهم؛ لأنه لو أراد قتل أوليائه، فيمن إذن تقتلُ أنبياؤه أعدائه؟ حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله؟!!

ومن الحجة أيضاً ما يوجب بطلان قولكم، ويدحض حجتكم، أن نقول لك: هل أرادَ اللهُ، عز وجل، من المشركين أن يقتلوا أولياءه من المؤمنين؟

فإذا قلت: نعم.. كما قد قلت، أكذبك الله، عز وجل، فى قوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [١]، فيلزمك أنه إذا لم يكن فتنة ، وكان الدين كله ، عز وجل ، على فرض لم يبق فى الأرض فتنة، ولا مشركٌ يقتل المؤمنين ، وعباد الله الصالحين ، فهذا يوجب عليك أنك قد أبطلت وأخطأت فى قولك: إنه، عز وجل، أراد قتل أوليائه ؛ لأنه لو أراد قتلهم لم يعن أعداءهم بالقتال الذى افترض على النبى، صلى الله عليه، والمؤمنين، تخييراً لاجبراً ، حتى تكون لهم العاقبة والملك والسلامة من القتل ، وفى هذا كفاية لمن عقل وأراد الحق، وتاب عن الفرية على الله ، جل ثناؤه.

وإن قلت: إن الله، عز وجل، لم يرد قتل أوليائه من المؤمنين، ولم يقضه على المشركين . رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا بالعدل، وذلك هو الحق ، ولا نعلم لك مخرجاً من

---

(١) سورة النساء: الآية ١٩٣ .

هذه الحجج، وفيها بطلان حجتك في قولك: إن الله، عز وجل، ، اتخذ الشهداء بإرادته لمعصية الأعداء، وهذا أعظم الفرية على الله، جل ثناؤه ، مع آيات كثيرة تشهدُ عليك، مثل قوله، عز وجل، ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [1] ، وفي هذه الآية حجة عليك أيضاً، في أن الاستطاعة قبل الفعل.

لأن إعدادَ القوة، ورباطِ الخيل، إنما يكون قبل القتال لا مع القتال ، وهذا يبطل قولكم أن الاستطاعة مع الفعل لاقبله، وقوله، عز وجل، في التحريض على قتال المشركين، وإرادته لفنائهم، وبقاء المؤمنين من بعدهم وسلامتهم: ﴿ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ ٥٢ظ/ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ / الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً (٨٤) ﴾ [2]، وقوله: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ [3]، إلى آخر الآية ، كل ذلك يدل على أنه يريدُ قتل المشركين ، وحقن دماء المؤمنين، لا ما قالت المجبرة الكاذبة على الله، عز وجل، أنه أراد قتل الشهداء والأولياء ، وظفر المشركين والكفار والأعداء.

الفرق بين الأولياء والأعداء، هو أن إرادة الله مع أوليائه :

فإن كان الله، عز وجل، أراد قتل حمزة بن عبد المطلب، رضوان الله عليه ورحمته، يوم أحد، وأراد قتل أبي جهل بن هشام [4]، لعنة الله عليه وغضبه ، يوم بدر، فما الفرق بين الإرادتين ، وما الفصل بين الحكمين، وأين الحق والعدل في هذين المعنيين؟!

فالله ، زعمتم ، أراد قتل حمزة بن عبد المطلب وسماه مطيعاً ، وحكم له بالجنة وأراد قتل أبي جهل بن هشام وسماه عاصياً وحكم عليه بالنار ؛ لأنكم ، زعمتم ، أن الله، عز وجل، أراد أن يكون بعض الخلق مؤمنين، وبعضهم كافرٌ بلا استحقاق واحد من الفريقين ، زعمتم !!!

---

(١) سورة الانفال : الآية ٦٠.
(٢) سورة النساء : الآية ٨٤.
(٣) سورة التوبة: الآية ٥ وفي الاصل : اقتلوا . وهوخطأ.
(٤) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي ، كان من أشد الناس عداوة للنبي والإسلام ، من سادات قريش ، خرج مع المشركين في بدر فقتل سنة ٢هـ. انظر ترجمته؛ الزركلي : الاعلام ٥ / ٨٧.

ثم قال في كتابه للكفار: ﴿ لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ ﴾ (١)، ويحك فأخبرنا، ماذا عملوا ، وإنما بإرادته قتلوا، وبإرادته دخلوا النار، جل الله عما قلتم!!

ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝ ﴾ (٢) ، وهو ، زعمتم ، الذي أراد قتلهم، وبإرادته قتلوا ، وبإرادته دخلوا الجنة لا بعمل ، زعمتم ، في قود قولكم ؛ لأنه ، زعمتم ، في قود قولكم؛ لأنه - زعمتم - جعل بعضهم مؤمنين وبعضهم كافرين.

ثم قال لهؤلاء: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ (٣)، ولم يقل ما قالت **المجبرة** من أن ذلك الجزاء كله كان بإرادته وباستحقاق، وكان من فعل الفريقين، ولا أنه دخل بمقياس ذرةٍ فما دونها.

أدلـة المجبرة متهافتـة :

أفترى ، أيها المفترى، أن البهائم لو علمت، واحتج عليها، بدون هذه الحجج ، هل كانت تستجير أن تقول مثل مقول **المجبرة**، المفترية على الله الزور والبهتان؟!!

وهؤلاء **المجبرة** المفترون على الله، جل ثناؤه ، يسمعون القرآن يتلى عليهم في كل يوم، ويحتج به **أهل العدل** في رده دعواهم، وهم مع ذلك يصرُّون ويستكبرون على الجهل، والتعامي عن الحقّ، وليس من سورة إلا وفيها العدل شاهد على من خالفه ، ولو كان في القرآنِ آية واحدة، توجبُ لهم علينا حجة، أو تقطع لنا مقالة، ٥٣و/ لانقدر لها على جواب ؛ لفسد جميع العدل، ولم تقم لأهله حجة؛ **وإنما تعلقوا بآيات متشابهات**، ولم يعرفوا معانيها / **وقلدوا كبراءهم**، وما غروهم به في تأويلها، مع جهلهم باللغة العربية وتصرُّفها في القرآن، وجهلوا التاويل الموروث عن أهل بيت النبوة ، عليهم السلام، وابغضوا الحق واهلَه ، ونصبوا لهم العداوة

---

(١) سورة التحريم: الآية ٧.
(٢) سورة محمد " الايات ٤ - ٦.
(٣) إشارة لعدة آيات من القرآن سبق تخريجها من قبل وليس بها: «بما كنتم» ، ولكن يوجد بالقرآن «بماكانوا» ، كقوله تعالى : «جزاء بما كانوا يعملون» سورة الواقعة الآية ٢٤.

وتعاموا عن قوله، عز وجل، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) ﴾ [١].

فى فضائل آل البيت :

والمطهر من الرجس، لايكون فى دينه زلل، ولا فى قوله ميل، ولا فى تأويله للقرآن خطلٌ، فلم يكن، عز وجل، ليطهر من يكذبُ عليه، ويكون من عانده أولى بالحق منه، وهو ، عز وجل، أعلم بالمفسد من المصلح، ولو علم ان أهل بيت النبوة يقولون عليه بالجبر والتشبيه، والأمر الذى زعم من خالفهم أنهم فيه مخطئون ، من قولهم بالعدل والتوحيد ، وإثبات الوعد والوعيد والإمامة.

ما أذهب الله، عز وجل، الرجس عمن يعلم أنه يكذب عليه، ويعتقد غير دينه الذى ارتضاه ، وإذن لم يطهرهم تطهيراً، وهو يعلم ان فى الأمة من هو أبصر منهم بالدين ، وأقوم بالحق، وأقول عليه بالعدل والتوحيد والتصديق.

ثم يصطفى أهل البيت دونهم، ويجعل إليهم الرئاسة والسياسة، وهو يعلم أن فى أمة محمد، صلى الله عليه، من هو خير منهم، ثم طهرهم وأذهب عنهم الرجس، وفى الأرض من هو أحق بالتطهير وإذهاب الرجس منهم ، وليس هذه صفة حكيم ولا حسن الفعل، ولا مفضل لأهل الفضل، ولا مُعَرِّفٌ بقدر مستحق، ولا مبين له على من هو دونه، وهو الذى قال، عز وجل : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) ﴾ [٢]، وقال: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ [٣]، وقال: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ [٤]، أى: سماهم ضُلالاً بفعلهم وظلمهم ، لا أنه أضلهم جبراً وقسراً.

وقال : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٥]، فالواجبُ عليه، عز وجل ، إذا كان الخلق لا يستوى عنده أن جعل التطهرة وإذهاب الرجس، للفرقة التى هى أقوم بدينه ، وأعرف بحقه، وأقوم بطاعته، وأعلم بكتابه، وأحكم بسننه، وأقول بعدله

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٣٣.

(٢) سورة الكهف : الآية ٣٠، وجاءت فى الأصل خطأ بيناً.

(٣) سورة القصص: الآية ٦٨.

(٤) سورة إبراهيم: الآية ٢٧.

(٥) سورة الزمر : الآية ٩.

وتوحيده ، وإثبات وعده ووعيده، وأولى [1] أنْ تثبت بالقول الثابت فى الحياة الدنيا قبل الآخرة.

فلما علمنا أن ربنا، عز وجل، قد طهر أهل بيت نبينا، صلى الله عليه، فى كتابه، وأذهب عنهم الرجس، وذلك للسابقين [2] منهم بالخيرات دون غيرهم، علمنا أنهم
٥٣ظ / أهل الحق، وأهل العلم بالدين، والقومة بالكتاب، والحكام / على الناس، وأن من خالفهم هو المبطل الهالك؛ لأن الله، عز وجل، أكرم وأعدل وأحكم، من أن يذهبَ الرجسَ ، ويطهر من الدرن والعيوب، من يكذب عليه، ويخالف كتابه ورسوله، صلى الله عليه، ويدع القوم الذين هم أقوم بدينه منهم.

فقد صحَّ وثبت، والحمد لله، أن الحق، والدين الصحيح، والمذهب المرضى، مع القوم المطهرين، فى القرآن المذْهَب عنهم الرجس، وأن الباطلَ والضلال، والجبر والتشبيه والخطأ والفساد، مع القوم الذين عاندوهم، ولم يطهروا فى القرآن ، ولم يذهب عنهم الرجس ، فوجب أن الحق المحق ، مع القوم الذين أذْهبَ عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً، ومن قال بقولهم على الحقيقة؛ أن الله، عز وجل، لا يغلط ولايخطئ ولايجور ، ولا يضع الصفوة فى غير أهلها، ولا يعطى الحجج القاهرة من يكذب عليه، كما لا يجوز أن يعطى الله، عز وجل، المعجزات، من يكذب عليه، ممن يدعى النبوة وليس بنبى ، ويغوى العوام وجهال الناس.

لا يعطى الله المعجزات لكذابين :

وذلك مثل ما ادعوا لفرعون من الخبر الذى سال الله فى ، زعمهم ، فأرسل معه النيل يسير إذا سار ، ويقف إذا وقف ، ولوجاز أن يكون هذا حقاً ، لم يكن بين معجزة فرعون، ومعجزة موسى، عليه السلام، فرق، تجب به نبوة موسى، صلوات الله عليه، من إلقائه العصا وفلق البحر، وغير ذلك من الآيات.

فافهم هذا، أنت يا عبد الله بن عمر [3]، أكرم الله وجهك، أعنى ولينا عبدالله عمر، أكرمه الله.

---

(١) فى الأصل: واولا.

(٢) ولذلك قال بعض علماء الزيدية، بأن اجتهادات الأئمة السابقين منهم «السلف» حجة لازمة.

(٣) هذا الرجل هو الذى أطلع الإمام أحمد بن يحيى على كتاب عبدالله بن يزيد البغدادى، فقام بالرد عليه فى كتابنا هذا.

واعلم يا أبا محمد ، أكرمك الله، أن القوم إنما وجهوا إليك بكتاب عبد الله بن يزيد البغدادى ، ليوقفوك أن معهم من الحجج فى إثبات الجبر، ما لا يقدر له احد على نقض ، ولا رد جواب .

فقد أتاك من حجج الله ، وتصديق كتابه، ما فيه الشفاء لكل مسلم، والمعرفة بكذب من كذب [1] على الله، عز وجل، وافترى عليه، وتاول كتابه على الكفر به ، والإلحاد فى صفته، وإقامته لعذر المشركين وجميع العاصين ، واسناد كل ظلم وجور وفاحشة وفساد، إلى رب العالمين ، عز عن ذلك أكرم الأكرمين.

فانعم النظر فيما رسمنا لك، وعلّمه المسلمين ، واشْهره فيما قبلك؛ ليعرفَ الناسُ الحق من الباطل، والمحق من الكاذب، إذ لايسع غير ذلك ، وحرّج على من وصلِ إليه كتابنا هذا كتمانَهُ ، حتى يبينه للناس، وكفى [2] بالله شهيداً .

احتج المجبره بقول الله : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عن قول الله، سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [3]، اليس قد جعلها قاسية؟!

فإن قالوا : نعم . فقد أعطوك بأن جعل بعض قلوب العباد قاسية، فسلهم عند ذلك ٥٤و/ فقل : اخبرونى عمن جعل الله قلبه/قاسياً ، ايكلفه الإيمان وقد جعل قلبه قاسياً؟

فإن قالوا : نعم . فقد أعطوك ما عابوا عليك من العدل. وإن قالوا : لم يجعلها الله قاسية، فقد تركوا الكتاب .

فسلهم: ارايتهم قوله: ﴿ جَعَلْنَا ﴾ ، هل انزل الله هذا؟ فإن قالوا : بلى [4]. فقل: فإنه قال : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ ، فإن قالوا: إنما عنى بذلك جعلها قاسية بالنقض؛ لأنه قال : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [5]، فقل لهم عند ذلك : إنا لانبالى على اىّ الوجهين جعلتم كلامكم؛ لأنه عندنا لنا فيه حجة، فلا نبالى قلتم الطبع قبل النقض ، أو بعد؟

---

(١) فى الأصل : كذب .
(٢) فى الأصل : وكفا .
(٣) سورة المائدة : الآية ١٣ .
(٤) تكررت العبارة فى النص مرتين.
(٥) الآية السابقة .

أخبرونا الآن، إذ زعمتم أنه طبع بعد بالنقض، وزعمتم أن من طبع الله على قلبه فلا يؤاخذه بمعصية ، وأن الله لايفعل ذلك إلا بعد النقض، لأن وصفَ الله بأنه يطبعُ ثم يُكلِّفَ فقد وصفَ الله بالجور!

أخبرونا الآن إذ أقررتم بأنه قد طبع النقض، وزعمتم، أكلفهم الإيمان من بعد ما طبع على قلوبهم؟!

فسلهم عند ذلك عن **اليهود والنصارى**، وجميع الكفار، وأليسوا ناقضين ؟ فإن قالوا: بلى [١] .

قل : أفليس قد طبع الله على قلوبهم؟ فإن قالوا: نعم.

قل: أفليسوا مكلفين اليوم الإيمان، ولا يؤاخذهم الله بكفرهم بالله اليوم بعد الطبع **فقد يطبع الله على قلوب قوم، ثم يكلفهم الإيمان؟!..**

فإن قالوا: نعم. فقل: أليس المؤمنون قد كانوا يسألون الله أن لايظلمهم؟!

وأخبرونا عمن سأل الله أن لايظلمه، أعرف الله أم لا؟

فإن قالوا: نعم، إنه يعرف الله.

فقل: أفليس يعرف الله من لايدرى لعل اللهَ سيظلمه؟! فإنهم لن يعطوك هذا.

وإن قالوا: إنهم إنما فعلوا ذلك؛ لأنهم قد علموا أن الله قد كلف قوماً ما لا طاقة لهم به، فى غير ظلم من الله لهم، فسألوا الله أن لا يخلقهم ، فذلك العدل قد أقروا به.

رد الإمام أحمد بن يحيى:

الجواب قال **أحمد بن يحيى** ، صلوات الله عليهما: وسألت عن قول الله، عز
٥٤ظ/ وجل: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [٢]، ونسبت العدل فى ذلك، ووقع عندك وفى اعتقادك أن الله، تبارك وتعالى، العدل الذى لايجور، ولا يقسى قلوب العباد عن طاعته ولا الدخول فى دينه.

لو كان ذلك فعله، عز وجل، لما افترض عليهم الإسلام ، ولا الاقتداء بمحمد، عليه

---

(١) فى الأصل: بلا

(٢) الآية السابقة.

أفضل السلام، ولا جاز في عدله ولا في حكمته، ولا نفى الجور والظلم عن نفسه، أن يقول: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (١)، وهو الذى اقساها وحال بينها وبين الطاعة، بتلك القساوة الحائلة بينهم وبين الهدى.

ولو أنه، عز وجل، هو الذى أقساها، لم يكن لإرساله لنبيه، صلى الله عليه، معنى في مجيئه إليهم، ليثبت عليهم الحجة، فيقول لهم: ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (٢)، فقد أرسلني الله، عز وجل: إليكم، لأنْ تَدَعُوا قساوة القلوب، وترجعوا إلى الإيمان بالله، والإقرار بأنى رسول الله.

وإنما المعنى فى قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ (٣)، فإنما ذلك بما حكاه الله عنهم فى أول الآية، فقال: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ (٤)، فبهذه الوجوه الثلاثة حكم على قلوبهم بالقساوة، وسماهم قساة القلوب بفعلهم، لا أنه أقسى (٥) قلوبهم، وإنما نقضوا عهدهم وكفروا بآيات ربهم، وحرفوا القول عن مواضعه، ولا يزال الرسول، صلى الله عليه، يطلع على خائنة منهم.

جعل التسمية أراد لا جعل الجبر:

فهذا الذى به قامت عليه الحجة، ولم تقم على الله، جل ثناؤه، لهم حجة، وإنما سماهم، عز وجل، قساة القلوب، تسمية لا أنه جبرها على القساوة جبراً.

فالذى أراد من ذلك، عز وجل، من الجعل الذى غلطتم فيه، **جعل الحكم والتسمية**، لا جعل الجبر، وذلك جائز فى لغة العرب، تقول العرب: ضللنى فلان، أن سماه ضالاً، وكفرنى فلان: أى سماه كافراً.

قال الكميت (٦):

فطائفة قد أكفرونى بحبكم ... وطائفة قالوا مسيئٌ ومذنبُ

وزنانى فلانٌ: أى سماه زانياً، فعلى هذا القياس يخرجُ الكلام، **فعبد الله بن يزيد**

(١) سورة الزمر: الآية ٢٢.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٣١.
(٣)، (٤) سورة المائدة: ١٣.
(٥) فى الأصل: اقسا.
(٦) الكميت بن يزيد بن خنيس الأسدى، شاعر الهاشميين، اشتهر فى العصر الأموى وكان عالما بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها، تعصب للمضريين، قيل فيه: لولا الكميت لم يكن للغة ترجمان، انظر الزركلى: الأعلام ٥/٢٣٣.

البغدادى، يحتج لهم حتى تقوم حجتهم على الله، ويثبت عذرهم فى نقض العهد والكفر، وتحريف القول والخيانة.

ونحن نحتج لله، عز وجل، ونزودهم عن قوله؛ لئلا يكون للناس على الله حجة ٥٥و/ بعد الرسل، **والمجبرة** المفترية/ على الله، جل ثناؤه، يطلبون إبطال قوله: ﴿**لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ [١]، وتكون الحجة لهم على الله، يدورون فى كسر هذه الآية، ويحتالون على فسادها بكل حيلة، ﴿**وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** (٣٢)﴾ [٢].

فانظر اى الفريقين يحتج لله، عز وجل، ومن الذى يحتج عليه، ويلزمه خطأ الكفار، ويسند إليه أنه لولا ما أقسى [٣] به قلوبهم، لسلموا من النار، ونجوا من العقوبة!

سبحان الله العظيم، ما أقبح هذا القول، وأشنع هذا من مذهب قوم، يسمعون القرآن ويقرون به، أنه من عند الله، عز وجل، ثم يكون هذا دفعهم عن الكفار، ونفيهم العيب عن جميع العصاة، وإلزامهم العيب والجور لربهم، عز وجل عن ذلك وتعالى.

الا ترى كيف قال فى القوم الذين أراهم آيته، ليومنوا به، فلم تزدهم تلك الآيات إلا تجاهلاً وتعامياً، حتى صاروا بذلك الفعل إلى ما نسبهم الله، عز وجل، إليه، حيث يقول: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾ [٤].

أفلا ترى أن قسوة القلوب، إنما هى بعد ما رأوا الآيات، وبان لهم الحق، وأنهم هم الذين أقسوا قلوب أنفسهم، لا هو، عز وجل، إنما سماهم بما فعلوا واختاروا، وضرب لهم المثل العظيم فى الحجارة، أنها الين من قلوبهم القاسية، التى أقسوها عن الله، عز وجل، عدواناً وظلماً، وحميَّة وعصبية على الكفر.

---

(١) سورة النساء: الآية ١٦٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٢ وفى الاصل: ويابا.

(٣) فى الاصل: اقسا.

(٤) سورة البقرة: الآية ٧٤.

أقسام الجعل في كتاب الله:

وقد أعلمناك أن الجعل في كتاب الله، جل ثناؤه، على وجهين: **جعل حكم وتسمة**، وجعل جبر وقسر وحتم، لا مخرج منه لأحدٍ من الخلق.

جعل الحكم والتسمية:

فالجعل الذى هو جعل الحكم والتسمية، مثل قوله، عز وجل: ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ** ﴾ [1]، وقوله: ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا** ﴾ [2]، وقوله: ﴿ **وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً** ﴾ [3]،ذلك كله مما ليس لله، عز وجل، فيه جبر خلقه، ولا قسر ولا حتم، وإنما سماهم، وحكم عليهم بفعلهم.

جعل الجبر والقسر والحتم:

وأما جعل الجبر والقسر والحتم الذى لا مخرج لأحدٍ فيه، ولا حيلة فيه ولا محيص عنه، فهو ما لم تعقله، أنت وأصحابك المجبرة، ولم تأخذوه من عين صافية ولامنهل رويٍّ، ولا وراثةٍ عن نبوة، وكيف يشرب الماء العذب، من اغترف من البحر المالح الأجاج!!

٥٥ظ/ فذلك قوله، عز وجل: ﴿ **وَجَعَلْنَا / السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا** ﴾ [4]، ﴿ **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ** ﴾ [5]، ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ** ﴾ [6]، ﴿ **وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣)** ﴾ [7]، ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** ﴾ [8].

مقالة المشبهة والمجبرة في الحقيقة الواحدة:

وهذه من حجتكم على **أهل التشبيه** في إثبات التوحيد، إذا قالت لكم **المشبهة**: إن القرآن كلامُ الله نطق به بآلةٍ كآلةِ المخلوقين. واحتججتم عليهم بأنه مجعول، وهذا مما يفسد عليكم التوحيد، ويسقط دعواكم فيه، لما تقولون به من الجبر.

---

(١) سورة القصص: الآية ٤١.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.
(٣) سورة المائدة: الآية ١٣.
(٤) سورة الأنبياء: الآية ٣٢.
(٥) سورة الإسراء: الآية ١٢.
(٦) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.
(٧) سورة النبأ: الآية ١٣.
(٨) سورة الزخرف: الآية ٣ . كتبت خطا هكذا: وجعلناه.

فلا يزال الكلام يدخل عليكم فى اعتقادكم للجبر، بما يبطل عليك ما قلتم به من التوحيد؛ لأنه لا يقوم توحيد بلا إثبات عدلٍ، لأن من وصفَ الله، عز وجل، بالجبر، فقد شبهه بالمخلوقين، وهذا معنى جوابنا فى هذا من فساد التوحيد عليكم، بما فيه الكفاية إن عقلتم؛ لأنه لا يقوم التوحيد ولا يصح إلا بإثبات العدل؛ لأنه لا يوحد الله، عز وجل، من شبهه بالجائرين؛ لأنه مشبه كالمشبهين.

وأما قوله، عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [1]، فإنما هو جعل حكم وتسمية، لا جعل خلق ولا جبر، ولوكان، عز وجل، إنه هو الذى خلق ذلك إلا فك؛ لأن أفعال العباد، على زعمكم، مخلوقة. فافهم هذا الباب الذى غلطت فيه، وأهلكت من اتبعك [2]، وإلا [3] لزمك أن الله، عز وجل، خلق أفك الأفاكين؛ ثم عذبهم على خلقه، لا على أمر فعلوه هم، ولا خلقوه!!

فإن قلت: خلق نصفه وهم نصفه، فعل من فاعلين، على قولكم، إذ زعمتم أنه خلق خلقاً لله، واكتساب من العباد!

قلنا لك: فحسبك برجل زعم أن ربه شريك للأفاكين، وأنه جعل عليهم العذاب كله، وأنه الذى خلق الفعل، فكان الواجب أن يجعل عليهم نصف العذاب، إن كان ثم عدل أوحكم حق لاجور فيه.

وبالله ما زادت عبدة الأوثان، على قولك هذا، أن قالوا: إن الأوثانَ أرباب مع الله، عز وجل، وأنهم عملوا بأيديهم، ثم زعموا أنها التى ترزقهم وتقربهم، وكذلك قلتم: إنه خلق الشرك والكفر، وأقسى [4] القلوب. ثم خلد من فعل ذلك فى العذاب الأليم!!

ثم نقول لك: خبرنا عمن خلق أعيان العباد؟.. فإذا قلت: الله. قلنا لك: وكذلك خلق نظرهم إلى المحارم، وإلى عورات النساء، وجميع القبائح!!.. فإن قلتم: نعم. قلنا لك: فلمَ عذبهم على خلقه لنظرهم إلى المحارم، ولمَ يعذبهم على خلقه لأعينهم [5]، التى خلق فى رؤسهم؟!! فلا تجد حجة تجيبنا بها.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٣.
(٢) فى الأصل: اتبعث.
(٣) فى الأصل: وإن لا.
(٤) فى الأصل: وأقسا.
(٥) فى الأصل: لاعيانهم. وهو يقصد العين: عضو الإبصار ويجمع على اعين، وعيون، انظر المعجم الوسيط: ٢/ ٦٤٧.

وكيف ماأدعيت من أمر في النظر المحارم، لزمك مثله في خلقه للأعيان، وكذلك الأسماع والألسنة والأيدي والأرجل. لقولك: أليس قد خلق الله، عز وجل، يدَ السارق؟

فإن قلت: بلى [١]. قلنا لك: وكذلك قد خلق سرقته لأستار الكعبة، وأكفان
٥٦و/ الموتى [٢]، وأموال المؤمنين، فإذا قلت: نعم. قلنا لك: ما [٣] عذرك وما حجتك إذا سألناك / : لمَ عذبه على سرقته [٤] أستار الكعبة، وأكفان الموتى، وأموال المؤمنين، ولم يعذبه على خلقه ليده التي بها سرق وظلم؟!

فلا تجدُ حجة تدفعنا بها أبداً بحيلة من الحيل، إلا أن ترجع عن قولك، وتصير إلى العدل، فنقول: إن السرقة فعل العبد، ولذلك أمر بقطع يده، وأن السرقة ليست خلقاً لله، وأن اليد هي خلق لله، جل ثناؤه، لا عذابَ على العبد فيها، وهذا هو الحقُ والعدل، وهو قولنا.

وإن قلت: كلاهما خلقُ اللهِ، اليد والسرقة.

قلنا لك: فما له لم يعذِّبه على خلق يده، كما عذبه على سرقته؟! فلا تجد حجة تدفعنا بها أبداً، ولا فرقاً يفرق لك لمَ عذَّبَ على بعض خلقه، ولم [٥] يعذب على بعضه؟ وهذا غاية الفلج، وقطع المعاند.

ثم نقول لك: خبرنا عن قوله، عز وجل، يحكي عن الكفار ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) ﴾ [٦]، فنقول لك: كيف جعل الكفار الملائكة إناثاً؟ وكيف هذا الجعل الذي ذكر الله، عز وجل؟ فإنه لابد لك ولا محالة أن تقول: سموهم وحكموا عليهم، بما قالوا فيهم أنهم أناثٌ غير ذكران.

فنقول لك: قد لزمك الرجوع عن قولك، والتصديق لنا أن الجعل في كتاب الله، عز وجل، على وجهين.

---

(١) في الأصل: بلا.
(٢) في الأصل: الموتا.
(٣) في الأصل: مما.
(٤) في الأصل: سرق.
(٥) ليست في الأصل.
(٦) سورة الزخرف: الآية ١٩.

وإن قلت : جعلوهم جعل خلق؛ لزمك أن المشركين خلقوا الملائكة!! فأى هذين الوجهين قلت به، غلبت وسقطت حجتك فى قولك أن الله، عز وجل، هو الذى جعل قلوب الكفار قاسية، جبراً وقسراً وحتماً؛ لأن الله، عز وجل، هوالجاعل للأجساد ، لا جاعل لها غيره ، وذلك قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ⑧ ﴾ (١) .

وكذلك جميع المعاصى الله، عز وجل، منها برئٌ لم يجعلها جعل خلق، ولا بنية مركبة، وإنما جعلها الظالمون باتباع الهوى وحب الدنيا، وتقليد الرؤساء والحميّة على الكفر والخطأ، والرغبة فى التافه الأدنى (٢) ، وليس لله، عز وجل، فى فعلهم فعل قل ولا كثر ، صغر ولاكبر ، عز وجل عن ذلك وتعالى علواً كيراً.

الكسب يدل على الشرك :

ومن الدليل على تصديق قولنا، وبرهان حقنا، أن الله، عز وجل، لم يخلق أفعال العباد، ولم يقض على خلقه بالفساد ، ولم يرد الإلحاد، ولم يقدر العناد ، ولا العبادة للأنداد ؛ أن يقال لك: **ياعبد الله بن يزيد البغدادى**، ولمن قال بقولك من **المجبرة؛**
٥٦ظ / خبرونا عن هذه المسألة العجيبة الدامغة، أيهما **عندكم أفضل، خلقُ الله، جل ثناؤه، الذى / ليس للعباد فيه اكتساب ولافعل، أم خلق الله الذى للعباد فيه اكتساب وفعل؟**

فإن قلتم: إن خلق الله الذى فيها اكتساب وفعل أفضل . قلنا لكم: فقد أوجبتم فى قولكم، ولزمكم أن الزنا واللواط والخمر والمعازف والمزامير والكبائر، أفضل من الملائكة والنبيين والمرسلين، والأئمة الهادين الراشدين، ومن القرآن المبين، ومن التوراة والإنجيل.

وهذا كفر من قائله، وهالك عند الله، عز وجل، ومن اعتقده ودان به، قد بان خطؤه(٣) ولم يجز خطابه، وانقطعت حجته ، وانهتك ستره، ولا ينبغى الكلام عندنا لمثله.

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٨ .

(٢) فى الأصل: الأدنى.

(٣) جاد فى الأصل : خطاه.

وإن قلتم، ودمتم على جهلكم والمكابرة لآيات ربكم: بل نقول: **إن خلق الله الذى ليس للعباد فيه اكتساب، ولا فعل أفضل.**

قلنا لكم: فقد أوجبتم فى قولكم هذا، أن الخنزيرَ والكلبَ والحمار، **والقرد والبغل واليهودى والنصرانى**، خيرٌ من الإيمان، ودين الإسلام، **وكفرتم بالله العظيم**، جل الله عما تقولون وتقدس وتعالى علواً كبيراً.

وإن قلتم: لسنا نقول إن أحداً منها **أفضل** من الآخر، ولكنا **نقول هما سواء**. لزمكم أنكم قد جعلتم الحمار والكلب والخنزير، **واليهودى والنصرانى سواء هم** عندكم، وعلى قولكم، والملائكة المقربين والأنبياء المرسلين، ومكان البيت الحرام والحجر الأسود ومقام إبراهيم، عليه السلام، والمؤمنين والشهداء والصالحين، والمشعر الحرام، سواء هو عندكم ومن ذكرتم!!!

فليس لكم، ولا لأحدٍ من جميع اخوانكم **المجبرة، أهل الفرية على الله**، جل ثناؤه..

من هذه الثلاثة الوجوه مخرج، ولا راحة بوجه من جميع الوجوه كلها، ولا سبب من الأسباب!

وفى هذا تقوم الحجة بالحق، ويسقط الباطل، ويبين من المحق ومن المبطل. إلا ان ترجعوا إلى القول على الله، سبحانه، بالعدل ونفى الجبر؛ وتقولون بقولنا بالعدل، وهو دين الله، عز وجل، فتقولون: إن الله، جل ثناؤه، برئٌ من افعال العباد كلها، وأنه لم يخلق منها شيئاً، قل ولا كثر، صغيراً كان ذلك أوكبيراً، ولا حسناً منها ولا قبيحاً، ولا طاعة منها ولا معصية، وتقولون: إن ذلك كله امر ونهى، لاجبر ولاحتم ولا قسر، وإنما أمر الله، جل ثناؤه، بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والأمر والنهى محتوم، اى مفروض لا جبراً وقسراً، ويصدّق ذلك قوله، عز وجل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** (٩٠)﴾ [١]، و ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾ [٢]، ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ**
٥٧و / **عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**﴾ [٣]، ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**﴾ [٤]،

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٠.
(٢) سورة البقرة: الآية ١١٠.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٣.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

ولم يقل، عز وجل ، أنه خلق واحداً من هذه الأشياء، التى افترضها وأمر بها، وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ [1] ، ولم يقل خلق تأديتكم للأمانات، وأنه، عز وجل ، أرسل رسله بالدعاء إلى الإيمان ، فسارع إليه المؤمنون ، غير مكرهين ولامجبورين ، وكذلك نهى عن الشرك والكفر وجميع المعاصى، فاستعصم عليها المشركون والكافرون وجميع العاصين غير مكرهين ولا مجبرين.

وتصديق ذلك وشاهده قوله، عز وجل، لنبيه، صلى الله عليه وعلى آله، : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [2] ، ولم يقل كما خلقت فعلكم وجبرتكم، ولم أرد إيمانكم، وقوله، عز وجل، للظالمين : ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ [3] ، ولم يقل عما خلقت فيهم، وأردت منهم، ولو خلقه فيهم وأراده منهم ، لم يجز فى الحكمة ولا فى العدل أن يقول : ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ [3] .

وكيف يعتو من فَعَلَ عتوه غيره؟! فى أى لغة وجدتم هذا ، أم فى اى اى نجو [4] أم فى اى قرآن ، أم فى اى شعرٍ قالته العرب ، أم فى اى خبر عن رسول الله ، صلى الله عليه، أم فى اى حريةٍ ، أم مروءةٍ أم فى اى سيرة، أم فى اى سنة، أم فى اى عقل أو جميل ادب ، إلا فى سيرة سدم [5] وسنته، وأدبه وأحكامه التى هى تتحرى [6] للصبيان ، ويتحدث الناس بها فى المجالس ، تعجباً من جور سُدم، وقبح حكمه، وسخافة عقله .

فيا سبحانه الله العظيم ، لقد جعلتم ، أيها المجبرة المفترون ، أحكام الله ، جل ثناؤه، وافعاله كأحكام سدم وافعاله، بل سدم عند أهل المعرفة ، يكبر عن كثير مما أسندتم إلى الله العدل، الذى لا يجوز، سبحانه وتعالى عما يصفون .

---

(١) سورة النساء : الآية ٥٨ .

(٢) سورة هود : الآية ١١٢ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٦٦ .

(٤) النجو : ما يخرج من البطن من ريح وغائط ، أو السحاب يريق ماءه ثم يمضى (انظر المعجم الوسيط: ٢/ ٩١٢) مادة « نجا.

(٥) السدَمُ : من أصابه الهمُّ والغيظ والحزن فهو (سدمان ندمان) ، أو السَدِمُ « من الفحول : الهائج، وعاشق سدمٌ : شديد العشق « ولعل المؤلف يقصد المعنى الأخير . (انظر المعجم الوسيط : ١/ ٤٢٦ مادة « سدم) ، وسدم : أحد ملوك اليمن الجائرين، أصحاب السيرة القبيحة .

(٦) هكذا فى الأصل

ثم زعمتم أنه غير جائز !.. وهذا الخروج من المعقول ، فليت شعرى ، كيف يكون الجور إلاما قلتم وعليه اعتمدتم !!.. وهذه حجة لا مخرج لكم منها، فى قولكم بخلق الأفعال . وعندها بيان فضيحتكم ، والحمد لله رب العالمين .

وأما قوله ، عز وجل : ﴿ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ (١)، فإن ذلك ليس بنسيان من وجوه (٢) النسيان ، الذى يجب فيه العقاب؛ لأنه قد روى عن رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، أنه قال : «رفع القلم عن ثلاث ، عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الطفل حتى يبلغ، وعن الناسى حتى يذكر» (٣) .

تفسير النسيان فى الآية:

وأماهذا النسيان الذى ذكر فى القرآن ، فهو الترك متعمداً (٤) لا نسيان سهوٍ ، وذلك النسيان المتعمد ، يجب على صاحبه العقابُ ، وهو نسيان الترك معتمداً (٥) ، شاهد ذلك قوله، عز ، وجل : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ (٦) ، اى تركوا امر الله، فتركهم ٥٧ظ/ من رحمته / والله ، عز وجل ، لا ينسى، ولا يؤاخذ بالنسيان ، إلا نسيان العمد الذى ذكرنا ، مما يجرى فى اللغة (٧) ، فافهم هذه اللغة العربية التى جهلتها، واحتججت فيها باول الآية، فى قساوة قلوبهم ، ولم تذكر أولَ القصة ، ولاآخرها ، وجئت بالوسط فى الآية ، ورجوت أن تتعلق فى الوسط، بحرف تتفرج إليه ؛ وتتزين به، عند أصحابك ، وتفترى على الله ، عز وجل ، فيه، ما قد قلت ، فانظر ما حلَّ بك !..، والحمد لله الموضح لدينه ، المعز لكتابه ، وهو القوى العزيز.

قسَّى اللهُ قلوبهم بما نقضوا من الميثاق :

وأما قولك أنا سوف نحتج عليك، فى هذا الموضع، بأن الله ، عز وجل ، لم يقسّ

---

(١) سورة المائدة : الآية ١٣ . جاءت فى الأصل : فنسوا .

(٢) فى الأصل : وجه .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) ، (٥) فى الأصل : معتمداً .

(٦) سورة التوبة : الآية ٦٧ .

(٧) فى اللغة : نسِيَ فلانٌ الشئَ نَسْوةً ونَساوةً ونسْيَاناً : تركه على ذُهول وَغَفْلة، او تركه على عمد . (انظر المعجم الوسيط ١/ ٩٢٧؛ مادة : نسَا) .

قلوبهم ، إلا بما نقضوا من الميثاق ، فذلك لعمر الله ، من أقوى حجج الله ، عز وجل ، وحججنا عليك ؛ لأن الله ، جل ثناؤه ، لم يأخذهم إلا بعد ظلمهم ، ولم يحكم عليهم بقساوة القلوب ، إلا بعد ما اختاروا القساوة ، وصدوا عن الحق ، والشاهد لنا على ذلك قول الله ، عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ (١) ، وأنت تقول :(٢) إنه أقسى قلوبهم ، بغير جرم ، ولا ذنب كان منهم .

والضلال منه أيضاً ، إنما هو ضلال حكم وتسمية ، شاهد ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦) ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤)، فأين ماجبرهم عليه ، زعمت ، من قساوة قلوبهم بعد هذه الحجج ، التي لا مخرج لك منها (ولا) (٥) لجبر مثلك أبداً؟

فلكم جهدتم ، في إبطال ماقلنا ، فإن جئتم بحجة – ولن تجيئوا بها أبداً – سلمنا لكم ، ومحالٌ أن يقومَ ، الباطل أبداً (٦) ، والحمد لله رب العالمين .

المجبرة والطبع:

وأما ما قولك أنك تسألنا ، زعمت ، عن طبع الله ، عز وجل ، على قلوبهم ، بعد النقض لعهدهم ، وأنه يلزمنا أنهم مطبوع على قلوبهم، ثم كلفهم الله، عز وجل ، الإيمان ، بعد ما طبع على قلوبهم .

وشاهد ذلك عندك ، زعمت ، في كتابك ، أن اليهود والنصارى اليوم ، قد طبع الله على قلوبهم ، وهم مع ذلك الطبع ، مكلفون للإيمان، والخروج من الكفر.

نفى العدلية أن يكون طبع قسر وقهر:

فإن أقررنا لك ، زعمت ، بذلك فهو قولك ، زعمت ، والعدل عندك ، زعمت ،

---

(١) سورة التوبة : الآية ١١٥ .

(٢) في الأصل : « تقول أنت » ، وهو سهو من الناسخ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٦ .

(٤) سورة إبراهيم : : الآية ٢٧ .

(٥) هكذا في الأصل على تقرير : ولا لجبر مثلك أبداً الخروج منها .

(٦) أي حجة .

فاسمع إلى جوابنا ؛ وليس **قولنا أن الطبع الذى طبع الله ، عز وجل ، على قلوبهم طبع** جبر ولا قسر ، فتلزمهُ الجورَ والظلم والخروج من قرآنه الذى قال فيه : ﴿ **لا يُكلِّفُ اللهُ نفسًا إلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [1] ، و ﴿ **إلاَّ ما آتاها** ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ** (٤٦) ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ **وما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً** (١٥) ﴾ [4] ، ﴿ **وأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إلاَّ مَا سَعَىٰ** (٣٩) ﴾ [5] ، ﴿ **فمن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ** (٧) **وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** (٨) ﴾ [6] ، ﴿ **وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إلاَّ عَلَيْهَا** ﴾ [7] .

هو طبع حكم وتسمية :

٥٨و / **وإنما ذلك الطبع طبع حكم وتسمية ، حكم عليهم ، عز وجل ، وسماهم** مطبوعاً على قلوبهم ، بما اختاروا من الضلال ، وتركوا الحق وما جاءت به الرسل، صلى الله عليهم ، ولو كان الأمر على ذهبت إليه، لم يكن **اليهود والنصارى** اليوم مكلفين الإيمان ، وكيف يكلفون الإيمان، وقد حال بينهم وبينه بالطبع. على **قلوبهم** - زعمت؟!

وفى هذا الخروج من حكم القرآن. والجبر لرب العالمين ، وهذا **يوجبُ على أهل** الإسلام ان لايقاتلوا الروم ، ولايسبوا حرماتهم، ولايغنموا اموالهم، ولايسفكوا دماءهم، وان لايدعوا **يهودياً ولانصرانياً** إلى الدين ابداً ؛ **لانهم فى قولكم ، قد طبع** الله على قلوبهم ، ولا حيلة لهم فى الرجوع إلى الإيمان ، من أجل ذلك الطبع الذى قام به عذرهم فى قولكم.

وهذا أعظم الجور، وأبين الكفر ، إذ نَزَّلَ اللهُ ، عز وجل ، علينا قرآناً (اخذناه من) نبى صادق، يقول لنا فيه : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ** ﴾ [8] ،

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة الطلاق : الآية ٧ .

(٣) سورة فصلت : الآية ٤٦

(٤) سورة الإسراء : الآية ١٥ .

(٥) سورة النجم : الآية ٣٩ .

(٦) سورة الزلزلة : الآية ٨ .

(٧) سورةالانعام : الآية ١٦٤ .

(٨) سورة الانفال : الآية ٣٩ .

فكيف يكون الدين كله لله ، وقد طبع الله على قلوبهم بالقسر والجبر ، حتى لم يقدروا على الخروج من الكفر، الذى فى زعمكم؟!

ونحن فلا ننسبُ إلى ربنا هذا ، عز وتعالى أن يكون هذا فى حكمته ، وفى ملكه وإتقانه ، عز عن هذا القول الذى قلتم .

وكذلك قوله فى اليهود : ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩)﴾ [١]، وإنما الطبع على قلوبهم، اسم سماهم به بفعلهم ، وحكم (حكم) [٢] عليهم به بفعلهم، شاهد ذلك قوله ، عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٤)﴾ [٣]، وكذلك قال ، عز وجل : ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [٤] اى حكم عليها بأنها زائغة عن الحق ؛ لا أنه هو الذى أزاغها عن الهدى [٥] ، ولو أزاغها عن الهدى، لم تلزمها حجة ؛ إذ لا طاقة لها بالزيغ لقلوبها ، ولا قوة لها عليه ، ولو كان ذلك منه ، عز وجل ، لم يكن بينه وبين إبليس فرقٌ ، فى عداوة بنى آدم وصدهم، وإضلالهم وإقساء قلوبهم ، وإمالتهم عن الهدى ! جل الله عن ذلك ، وتعالى علواً كبيراً.

تم الجزء الأول ويتلوه الجزء الثانى

***

---

(١) سورة التوبة : الآية ٢٩ .

(٢) ليست فى الأصل .

(٣) سورة يونس : الآية ٤٤ .

(٤) سورة الصف : الآية ٥ .

(٥) فى الأصل : الهدا

بسم الله الرحمن الرحيم

المسألة العاشرة

الله يكلف ما فوق الطاقة عند المجبرة

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى: اليسَ قد تزعمونَ ان من قال : إن الله قد كلف العباد ما لا طاقة لهم به، فقد وصف الله بإنه يظلمُ العبادَ؟

فإن قلنا : نعم .. قال : فسالهم عن المؤمنين حين قالوا : ﴿ رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ [1] ، أليس قد قالوا : ربنا لا تظلمنا ؟!

٥٨ظ/ فإن قالوا : نعم . فقل : افليس المؤمنون قد كانوا يسالون الله ان لا / يظلمهم ؟

وخبرونا عمن سال الله ان لا يظلمه، اعرف الله ام لا ؟

فإن قالوا : نعم ، إنه قد عرف الله . فقل : افليس (يتقى) الله، من لايدرى لعل الله سيظلمه ؟!.. فإنهم لن يعطوك هذا .

وإن قالوا : إنهم إنما فعلوا ذلك؛ لأنهم قد علموا ان الله قد كلف قوماً ما لا طاقة لهم به ، فى غير ظلم من الله لهم، فسالوا الله ان لا يكلفهم ذلك ، فذلك العدل، قد قالوا به .

رد أحمد بن يحيى :

الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : وسالت عن قول الله ، عز وجل، يحكى عن المؤمنين إذ قالوا : ﴿ رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ [1] ، وزعمت ان ذلك التكليف، كان من الله ، عز وجل ، وانه ، عندكم فى دينكم ، قد كلفهم ما لا طاقة لهم به فى غير ظلم ، زعمت ، من الله لهم .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

وإنا إن أقررنا لك بذلك، أنه عندك العدل، فقد لزمنا وأقررنا به ، زعمت ، فعند ذلك نقول لك ، على قود قولك ، ماتقول فيمن ادعى أن الله ، عز وجل ، كَلَّفَ قوماً أن يقلعوا النجوم من السماء، فلما لم يقدروا على ذلك ، عذبهم بخلود الأبد فى النار الكبرى [1] ، وهو غير ظالم لهم ؟!

فما تقول (وما) يكون ردك، على السائل فى هذا الباب ؟

فإن قلت له : إن هذا عدلٌ غيرُ جورٍ .

قال لك : أفليس قد وصفَ اللهُ نفسه، بالعدل ونفى عنه الجور ، وجعل فى عقولنا معرفةَ العدل والجور ، ومعرفةَ الحق والباطل، والحسن والقبح؛ حتي لا يسقط علينا منه صغيرٌ ولا كبير ، وهذا كله ما لا يجوز فساده أبداً ، ولا قلبه عن وجوهه ، ولا عن معانيه التى جعلها الله ، عز وجل ، فى عقول بنى آدم أبداً ؟!!

لو جاز ذلك لبطلَ الحقُ ، ولم يفرق بينه وبين الباطل ، فإن أنت لم تقر بهذا القول، قلنا لك : فما حجتك على من قال لك : إنك بقرة ، وأنت تظنُ أنكَ رجلٌ ، وما يدريك لعل الدين والحق عند الله، عز وجل ، غير الدين الذى أنتَ عليه؟ وما يدْريكَ لعل السماء هى الأرض ، والأرضَ هى السماء ؟!!

هذا يلزمك ، إذا أبيتَ إلا التجاهلَ والخروج من المعقول والصحيح ، الذى لا فساد فيه ، من التعارف الذى أوجبَ لله ، عز وجل ، به الحجة ، **ثم صرتَ أنتَ إلى إبطالِ المعقول والعارف ،لقولِكَ أن اللهَ ، عز وجل ، عذب قوماً على ما أراده منهم ، وقضاه عليهم ، وهو غير ظالم لهم .**

وكذلك ، زعمتَ ، أنه خلقَ الزنا والسرقة ، على غير معناً [2] ، ولا أمر ينندب إليه به أنه فعلَ الزنا والسرقة ، وهذا الخروجُ من المعقول ، وليس من قال بمثل هذا القول، يخاطبه الرجال ، إذا أبى [3] إلا التجاهل والخروج من الحق ، وقد عاب الله ، عز وجل ،

---

(١) فى الأل : الكبرا .

(٢) فى الاصل : معنى

(٣) فى الاصل : ابا

الظلم ونهى عن التظالم ، وقال : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [1] ، كيف يجوز هذا على الحكيم الأكبر ، والإله الأعظم ، ان يدخلَ فيما عاب ، أو يصيرَ إلى ما عنه نهى / ؟!

٥٩ / وقد حكى عن نبيه ، صلى الله عليه ، حيث يقول لقومه : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ [2] ، وبعد هذا فنحن نحبُّ أن تعرفونا الفرق بين تحميله للمؤمنين ما لا طاقة لهم في غير ظلم - زعمتم - وبين العدل والجور، حتى نعرفه، كما عرفتموه؟.. وأين موضعُ العدل ، فى هذا الباب ، الذى هو ظلم عند أهل العقول والمعرفة ، وليس هو عندكم بظلم فلا تجدون فرقاً فى ذلك أبداً؟!..

لأن هذا العدل ، الذى زعمتم أنه عدلٌ وليسِ بظلمٍ، لايقبله منكم إلاجاهل مثلكم ؛ لأنه لا يجوزُ فى المعقول ولا فى التعارف، أن يقولَ رجل لجماعة من الناس : عندى لكم رجل أعمى [3] خسيف ، يبصرُ النجومَ مع نصف النهار ، ويدخل الخيط فى الإبرة مع نصف الليل فى الليلة الظلماء ؟!!.. لأن هذا من القول لا تقبله العقولُ ولا يجوز عند ذوى الألباب ؛ لأنه محالٌ ولا يجوزُ مثله على الرجال ، ولنم يجعل اللهُ، عز وجل، لنا العقول لأنْ يجوزَ عليها الفسادُ ، وما لا يعقل من ان يكونَ العادلُ يفعل الجور ، ثم لايكون ذلك منه ظلماً ولا جوراً !

نقد المجبرة عقلاً ولغة :

هذا الخروجُ من العقول المركبة التى جعلها الله ، عز وجل ، حججاً ، بها يثيب وبها يعاقب ، وكذلك لو قال رجل: إن الأمير قتل اليوم من المشايخَ العُبادِ فى المسجد الأعظم مائة [4] شيخ من المؤمنين العباد الصالحين ، فى غيرِ جرمٍ أتوه ولا ذنبٍ اكتسبوه ، وكان فعل الأمير ذلك بهم، فى غير ظلم ولا جور ، لم يكن هذا القول بصائغ لقائله عند الناس ، ولا بجائز فى لغة العرب، ولا فى عقولها ، ولا فى التعارف الذى به لزمت الحجج، وانقطعَ عذرُ كل معتذرٍ بباطل .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٤٤ .

(٢) سورة هود : الآية ٨٨ .

(٣) فى الأصل : اعما .

(٤) فى الأصل : مئة.

فإن قلتم : إن الله لا يجوزُ عليه ما يجوز على المخلوقين ، قلنا لكم : فكيف يجوز على الله ، سبحانه ، أن يفعل الظلمَ ثم لا يسمى ظالماً ؟

فهو إذنْ يلزمكم ويجبُ عليكم - إن صح ما قلتم - أن يجوزَ عليه أن يدخلَ الأنبياءَ والصالحين والأئمة الراشدين والشهداء والمؤمنين ، النار ، ويدخل المشركينَ والكافرين والعصاة الظالمين الجنة !.. ولا يكون بذلك منه بظلم ولا جورٍ !!..

نقد المجبرة فى مقالتهم بأن الله يكلف عباده ما لايطيقون :

وكذلك لو قال رجل : إن الله ، عز وجل ، أمرَ قوماً أن ينزعوا ما فى البحر ، من مائه حتى لايتركوا فيه قطرة واحدة ، فلما لم يقدروا على ذلك أوجبَ عليهم الخلودَ فى النار ، ولا يكون ذلك منه بظلم لهم ، بعد ما عَرَّفَ الخلقَ ، وأنزلَ عليهم الكتبَ ، وأرسل إليهم الرسل ، يخبرهم أنه عادلٌ ، وأنه لايريدُ ظلمهم ، وأنه قال : ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [1]، ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**
٥٩ ط / **وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ / أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (٢٧)** ﴾ [2].

فهذا خبره عن نفسه ، عز وجل ، وعمن خالف أمره ، وهو الذى قال : ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً (١٢٢)** ﴾ [3] ، ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧)** ﴾ [4]، وقوله ، عز وجل : ﴿ **أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ** ﴾ [5] ، فالويل لك كيف يكون الحيف إلا ما قلت ؟!.. وكيف يعقلُ الحيف والجور والظلم، إلا ما ذكرتَ وبه احتججت على الله، عز جل، وألزمته إياه ، وبرَّأت أعدائه، وأقمت عذرهم، وخالفتَ الكتابَ؟!!

فأىُّ حيفٍ أعظم وأجل من أن يكلِّفهم الله ، عز وجل ، ما لا طاقة لهم به ، ثم لايكون ذلك جوراً ولا ظلماً ، وهو يخلدهم بذلك فى العذاب المقيم، والنكال الأليم، الذى لا راحة لهم منه، ولا انقطاع لسرمده؟!!

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

(٢) سورة النساء : الآية ٢٧

(٣) سورة النساء : الآية ١٢٢ .

(٤) سورة النساء : الآية ٨٧ .

(٥) سورة النور : الآية ٥٠ .

احتجاج خازن النار على الكافرين :

ثم يخبرنا ، عز وجل ، عن قولهم يومَ القيامة ، لمالكَ خازن النار، حيث يقول : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [1] ، ويلكم الا تتدبرون القرآن، كما امركم الله ، عز وجل؟!

أهذا تحميل ما لايطاق ؟ أم المجئ إليهم بالحق فتركوه وكرهوه ، وأعرضوا عنه ، ظلماً وعدواناً ؟

ثم نقول لك : أخبرنا عما أخبرَ اللهُ ، عز وجل، فى كتابه ، من احتجاج مالك خازن النار ، أصدقٌ قوله أم لا ؟ فإن قلتَ : صدقَ فى قوله . انقطعتْ حجتُكَ ، وفسدَ عليك قولك : **إن الله حمل العباد ما لا يطيقون ، فى غير ظلم ولا جور** ، وفلجناك وأنت صاغر ؛ لأن الله ، عز وجل ، إنما أخبرنا بفلج مالك لهم، وإيجابه الحجة لله، عز وجل، عليهم ، ورضى بقول مالك خازن النار ، وأخبر به نبيُّهُ ، صلى الله عليه ، لعلمه بصدق حجة مالك، وفلجه لجميع من دخل النار .

وإن قلت : كذب مالك فيما احتج به عليهم ، لزمك أن الله ، عز وجل ، احتجَّ بالباطل فإن الذى قال مالك لأهل بالنار : ﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [1] ، كان باطلاً ولم يكن اللهُ ، عز وجل ، جاءهم ، ولا لزمتهم لله ، عز وجل ، حجةٌ !.. وقائل هذا كافرٌ بالله العظيم ، وخارج من دين الإسلام. فلا بدَّ لك من القول بأحد هذين الوجهين ، وفيه بطلانُ ما قلتَ ، وفسادُ حُجتكَ.

فضل أهل العدل :

ثم نقول لك من بعد هذا أيها المغرور فى دينه والجاهل بكتاب ربه ؛ إن القومَ الذين قالوا : ﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [2] ، وهذاكله لم ناتِ به ، فى حجتك إلا بالطاقة وحدها ، وقد

---

(١) سورة الزخرف : الآيتان ٧٧ – ٧٨ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

زدناك أمثالها من المعانى ، التى تحتاج إلى التأويل، ويبين فيها فضل **أهل العدل**، على
٦٠ و / **أهل الجبر** ، ولو فطنت / لتذكرتها ، لتقوى بها حجتك فى **الجبر** ، والمدلُ بالعلم لايبالى من أى طريق قدمَ السائل عليه .

واعلم أن الذين دعوا بهذا الدعاء ، وسالوا الله ، عز وجل ، هذا السؤال هم المؤمنون ، ولم يقله ، ولم يدع به الكافرون ، ولو كان الأمر فى هذا الدعاء، على ما توهمتَ واعتقدتَ ، من جهلك وفريتك على الله ، عز وجل ، العادل الذى لا يظلمُ ، لكان الأمرُ على ما ذكرتَ أنهم سألوه أن لا يظلمهم ، والمؤمنون أعرفُ بالله ، عز وجل، وبعدله وحكمته ، وصدق وعده ووعيده ، من أن يطلبوا منه أن لا يظلمهم ، ولكنَّهُ ، عز وجل ، افترضَ عليهم الدعاء والتضرعَ ، وعابَ على من لم يتضرَّعْ إليه ، فقال : ﴿ **فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ** ﴿٧٦﴾ ﴾ [1] ، وقال ﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾[2]، وقال : ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴿٥٥﴾ ﴾ [3] ، وقال : ﴿ **وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ** ﴾ [4] ، فافترض عليهم الدعاء بالغدو والآصال ، دائباً ما عاشوا .

وقال : ﴿ **ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ** ﴾ [5] ، وقال : ﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴿١٩١﴾ **رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴿١٩٢﴾ **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ** ﴿١٩٣﴾ **رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ** ﴿١٩٤﴾ ﴾ [6] .

وقد علم المؤمنون أن الله ، عز وجل ، سيصدقهم فيما وعدهم على رسله ، وأنه لا يخزيهم يوم القيامة ، **ولكن الدعاء من الله ، عز وجل ، بمكان ، وهو فريضة لازمة جهلت معناها** . . . ومثل هذا فى القرآن ما يكثرُ عددُه ، وفيما ذكرنا كفاية .

---

(١) سورة المؤمنون : الآية ٧٦ .
(٢) سورة غافر : الآية ٦٠ .
(٣) سورة الأعراف : الآية ٥٥ .
(٤) سورة الأعراف : الآية ٢٠٥ .
(٥) سورة الإسراء : الآية ١١٠ .
(٦) سورة آل عمران : الآيات ١٩١ - ١٩٤ .

فلما افترض الله ، عز وجل ، على المؤمنين الدعاء ، كان الدعاء من شانهم ودينهم وشريف مذهبهم ، فقالوا : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [1]، و« النسيان » : ها هنا هو الترك معتدين ؛ لأنه قال في تصديق ذلك : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [2] ، والله ، عز وجل ، لاينسى ولا يؤاخذ بالنسيان، الذى هو نسيان ، لا العمدُ .

ثم قالوا : ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ [1]، فقد جاء في التفسير أنهم سألوه ، عز وجل ، ان لا يمتحنهم بغيبة محمد ، صلوات الله عليه وعلى آله ، وكما امتحن بنى إسرائيل بغيبة موسى ، صلوات الله عليه .

ثم قالوا : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ [1]، يعنون النارَ التى لا طاقة لهم بها ، يارب لاتعذبنا بالنار التى لا طاقة لنا عليها .

٦٠ ظ / فإن قال قائل : أو ليس هم مؤمنين ، / والمؤمنون فقد أمنوا من العذاب ؟! فما معنى طلبتهم أن لا يعذبوا ؟!.. قلنا : إنه قَدْ أعلمناك ان اللهَ ، عز وجل، افترض على الأنبياء والمؤمنين الدعاء ، وليس هذا الدعاء جهلاً منهم ان الله ، عز وجل ، يعذبهم بغير جرم ، كما قال عبدالله بن يزيد البغدادى، وإخوانه المجبرة ، ثم لا يكون ذلك ظلما لهم .

حد الظلم :

وكذب عدوُ الله ، عبد الله بن يزيد البغدادى ، ما نعرف الظلم إلا المؤاخذة على غير جرمٍ ، ولا يفعل الظلم إلا الظالم .

تفسير دعاء الملائكة للمؤمنين :

فَسَألوه ان لا يعذبهم بالنار ، وهو ما لا طاقة لهم به ، والشاهد لنا على ذلك (الأمر) الواضح، دعاء الملائكة ، عليهم السلام ، لعبادِ الله المؤمنين، حيث أثنى الله ، عز وجل ، عليهم بذلك، وأخبر نبيه ، صلى الله عليه ، في كتابه بفعل الملائكة ، صلى الله عليهم ، وحسن دعائهم للمؤمنين ، على معرفة الملائكة بعدل الله ، جل

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٦٧ .

ثناؤه ، وانه لايخلف الميعاد ، وانه لايعذب المؤمنين ، وانه قد أوجب لهم الجنة ، وحكم لهم بها ، لا شك في ذلك عند الملائكة ، ولا خلْفَ في صدقه ، فقال ، عز وجل : ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨)** ﴾ [١] .

وقد علمت الملائكة ، صلوات الله عليهم ، ان الله ، عز وجل ، لا يعذب المؤمنين ، ولامن اتبع سبيله ، وانه يقيهم عذاب الجحيم ، ويدخلهم جنات عدن التى وعدهم ، لا شك فيه عند الملائكة ؛ ولكنهم دعوا لهم، **إذْ كان الدعاء عند الله، عز وجل ، بمنزلة شريفة، وهو الأمر الحسن المقبول المفترض .**

إن أنكر المجبر التأويل فى الدعاء أنكرت عليه المشبهة تأويله للعرش :

فإن أنكر **عبدالله بن يزيد البغدادى،** واصحابه ، هذا التأويل أنكَرْت عليه المشبهة دعواه فى **العرش** ، وقالوا له : قد تسمع إلى قول الله ، عز وجل ، ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ** ﴾ [١]، وحمل العرش عنده تشبيه إن كان موحداً ، فإن انكر التأويل فى الدعاء انكر عليه التأويل فى العرش ، والا فما جعله أحق بالتأويل من الناس !

ومن ها هنا أعلمناك أنك لا تقوم بالتوحيد ، لجهلك بالعدل ، فافهم ما لزمك فى احتجاجك ، بأن الله ، عز وجل ، **يحمل العباد ما لا طاقه لهم به ، فى غير ظلم ،** زعمت ، فاعرف ما لزمك، فلا مخرج لك منه بحلية محتالٍ ، وهذا هو العدل ، لا جبرك الفاحش الذى سميته عدلاً !

دليل آخر على أن الله لا يكلف شيئاً فوق الطاقة :

ومن الحجة لنا عليك قوله ، عز وجل : ﴿ **وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ**

---

(١) سورة غافر : الآية ٧ – ٨ .

٦١ ظ / عنَّا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار (١٩٣) ربنا وآتنا / ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد (١٩٤) ﴾ [(١)] ، فنقول لك : الا تسمع إلى قوله ، سبحانه ، يحكى عنهم أنهم قالوا : ﴿ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة ﴾ ؟! وانه صادق فيما وعدهم على رسله، لا شك عندهم فى ذلك ، وانه لايخزى المؤمنين يوم القيامة ؛ لأنه قال : ﴿ وهم من فزع يومئذ آمنون ﴾ [(٢)] .

وقد سمعوه يقول : ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون (١٠١) لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون (١٠٢) ﴾ [(٣)]، وقوله : ﴿ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا ﴾[(٤)] .

أفلا ترى ، بعد ما وثقوا بهذه الآيات التى ذكرنا ، انهم سالوه تمام النور والمغفرة، بعد اليقين انه لا عقاب عليهم ، فكل هذا شاهد لنا فى دعاء المؤمنين بانه ، عز وجل، فرض عليهم الدعاء، فدعوا وهم واثقون ان الله، عز وجل، لا يخلف الميعاد، ولا يخزى المؤمنين يوم القيامة؟! وهو الذى يقول ، عز وجل، ﴿ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ [(٥)] .

وهذا كله مثل ما اعتللت به من دعاء المؤمنين : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [(٦)] ، يعنون : النار .

فإما ان يكون المؤمنون جهلوا العدل ، واعتقدوا الجبر ، كما جهلته ، واعتقدتَ ان الله، عز وجل ، يحمّلُ العبادَ ما لا طاقة لهم به – وهو عندك انه يعلم منهم انهم لا يؤمنون ، ثم يامرهم بالإيمان ، ويفرضه عليهم ، وهو لا يريد ، زعمت ، ان يؤمنوا ، فيفسد علمه ، زعمت !!.. **لأنك أقمت العلم، مقام الشئ المانع الحائل بينهم ، وبين الدخول في الإيمان** .

---

(١) سورة آل عمران : الآيات ١٩١ – ١٩٤ .

(٢) سورة النمل : الآية ٨٩ .

(٣) سورة الأنبياء : الآيتان ١٠١ – ١٠٢ .

(٤) سورة التحريم : الآية ٨ .

(٥) الهامش السابق .

(٦) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

وهذا أعظمُ كفر قاله ملحدٌ ، وقد مضى فى صدر كتابنا هذا ، من الحجج عليك فى العلم ، ما لا مخرج لك فيه، ولا حجة لك تدفعه ، ولا طاقة تفسده ، ولا عذر لك من التوبة، أنت وأصحابك ، من الفرية على الله ، عز وجل ، بعد سماعه - وفيه الكفاية الكافية الشافية ، والحمد لله رب العالمين .

دليل قرآني على إثبات العدل :

ألا تسمع إلى قوله ، عز وجل : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ
٦١ظ / الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ/ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [١].

فنقول لك : والله ، لو لم ينزل الله ، جل ثناؤه ، على نبيه ، صلى الله عليه ، فى باب العدل والبراءة من خلق أفعال العباد، والقضاء بالفساد ، غير هذه الآيات وحدها؛ لكان فيها من الكفاية والشفاء، والدلالة على العدل، وإسقاط الجبر ، وأنه لم يحملهم فوق الطاقة، ولم يرد منهم الكفر ، ولم يحببه من فعلهم ، ولم يَحل بينهم - بعلمه - وبين النجاة ، فإن علمه بكفرهم ، لم يُحل بينهم وبين ترك ما علم من اختيارهم ، وأنه يعلم أنهم يقدرون على الخروج من الكفر ، كما علم أنهم يقدرون على أن يختاروا الدخول فى الإيمان ، ففى ذلك من الكفاية الشافية، ما يجزئ كل من له أدنى [٢] لبٌ

---

(١) سورة الجاثية : الآيات من ٢٧ - ٣٧ .

(٢) فى الأصل : أدنا

وتمييز عقل ، أو تفكرٍ ، أو يسير من نِصَفَةٍ ، وإن في هذه الآيات لأوضح البرهان، وأبين البيان .

الا تراه ، عز وجل ، كيف الزمهم فعلهم وتبرأ منه ، وأسنده إليهم ا .. والمجبرة تقولُ هو منه ، وهو إرادته وخلقُهُ ، بلا حجةٍ ، ولا كتاب مبين، إلا التجاهل والإصرار على العمى(١)، فنعوذ بالله من الحيرة في دينه، والغلط في عدله ، والخروج من توحيده، إنه منانٌ كريم .

***

(١) في الأصل : العما .

المسألة الحادية عشرة

ترى المجبرة أن الله يضل عباده !

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [١] ، يعنى بذلك؟

فإنهم يزعمون أن اللهَ لايريدُ أن يضل أحداً ، وأن من وصف الله بهذه الصفة ، فقد وصفه بالظلم ، فسلهم عن قول الله ، عز وجل ، فى هذه الآية : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [١] ، أليس إنما نقول : إن من أرادَ الله أن يظلمه، يجعله كذلك؟

فإن قالوا : نعم . فقل : (أفليس الله يقول ذلك ، ويصف نفسه بذلك؟

فإن قالوا : إن الله لايصف نفسه بهذه) [*] ، فقل : فما يعنى بذلك ؟

فإنهم لن يجدوا حينئذ بداً من أن يقولوا : إن الله قد يريد أن يضلَ العبادَ بلا ظلم منه لهم ، وإنما وصف ذلك من نفسه ؛ لأنه قد أضل قوماً ، بما علم أنهم يفعلونه ، فذلك العدل . فقد تركوا حينئذ قولهم .

وجوب الاجتهاد وطلب العلم وسؤال العلماء :

الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما :

وسألت عن قول الله ، عز وجل : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [٢] ، وقد أعلمناك أنك لم تلق العلماء ، ولم تعلم تأويل الكتاب ؛ وإنما سمعت جاهلاً فتنك، فأخذت عنه دينك تقليداً ، بلا تمييز ولا كشف ، ولا سؤال لأهل الذكر الذين أمرك الله ، عز وجل ، أن تسألهم ، فقال : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) ﴾ [٣] ، وهو محمد ، صلى الله عليه ، والذى عنى الله ، عز وجل ؛ لأنه

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٢٥ ، وكتبت هكذا فى الأل « ومن يرد الله .... .

(*) زيادة وتكملة من الهامش.

(٢) أنظر الهامش السابق (١) .

(٣) سورة النحل : الآية ٤٣ .

قــال : ﴿ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَّسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ [1] ، وقــد أعلمناك فى صدر كتابنا هذا ان الجعل فى كتاب الله ، عز وجل ، على وجهين .

١ - أحدهما : جعل حكم وتسمية .

٢ - والآخــر : جعل حتم وجبر وقسر .. لا مخرج منه ، وهذا الجعل الذى سألت ٦٢ و/ عنه ، جعل حكم وتسمية ، لاجعل حتم ولا جبر ولا قسر ، فإذاً لم تلزمهم / حجــة ؛ لأنه ، عز وجل ، سمـاهم وحكم عليهم ، بأنه جعلهم بفعلهم ضيقة صدورهم حرجة ، ولو أرادوا الحق لاتسعت صدورهم فى طلب الهدى ، وقبول القرآن، ولذلك عنفهم وعاب فعلهم ؛ لأنه أخبر عن نفسه ، عز وجل ، أنه يريد بخلقه اليسر، ولا يريد بهم العسر ، وهذه الإرادة هى إرادة الحكم، الذى حكم عليهم به ، وسماه من فعلهم ، وشاهد ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ [2]، وقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ۝ ﴾ [3]، ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ۝ ﴾ [4]، وقوله : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ ﴾ [5].

وأما قوله ؛ أنا نسأل ، فيقال لنا : أليس إنما يريد الله أن يضله ، فهذه الحجة عليك لنا ؛ لأنا نحن نقول إن كان تأويل الآية : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾[6]، بلا سبب كان منه ولا معنى ، ولاجرم تقدم من فعله ، ولا أمر دعا إليه فتركه ، ولا نهى نهى عنه فلم ينته عن فعله ، وإنما اضله الله بلا حجة لزمته له ، فإن كان هذا هكذا، فالقول قولكم ، ووجب بلا شك أن التأويل للآية : فمن يرد الله أن يضله ، لا محالة يجعل صدره ضيقا حرجاً !

ولكنه ينتقض عليكم ، بما ذكره عن نفسه ، عز وجل ، فى القرآن المبين، الذى قال

---

(١) سورة الطلاق : الآيتان ١٠ - ١١.

(٢) سورة التوبة : الآية ١٥ .

(٣) سورة طه : الآية ١٣٤ .

(٤) سورة غافر : الآية ٣١ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ١١٧ .

(٦) سورة الأنعام : الآية ١٢٥ .

الله فيه : ﴿ تبيانًا لكلِّ شيءٍ ﴾ [1] ، ﴿ مَّا فرَّطْنَا في الْكِتَابِ مِن شيْءٍ ﴾ [2] ، ألا تسمع إلى قوله : ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ وأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [4] ، وقوله : ﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ ﴾ [5] ، وقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [6] ، وقوله : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [7] ، وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [8] ، وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [9] ، وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [10] . وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [11] ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [12] . وفي هذا ما لا نحصيه من الحجج ، ولولا طول الكتاب لأوسعنا في شرحه .

أفلا ترى كيف يحتجُ ، عز وجل ، عن العدل ونفي الجور والظلم، والابتداء لخلقه بتضيق الصدور ، وإقصاء القلوب، والتحميل فوق الطاقة على غير جرمٍ ، وكان الواجب لو كان هذا ، عَلامَ يعذبُ من أرادَ أن يعذبه بلا جرم اجترمه ، ويدخل الجنة من أرادَ بلا ٦٢ ظ/ عمل عمله / ولا يغنى (إرساله) إليهم الرسل يلبسون الدروع ، ويلقون الرماح، وحدُّ السيوف ، ويحصنون المدن، ويخندقون الخنادق ، ويعقدون الرايات ، ويجمعون العساكر ويسفكون الدماء ، وتُسفك دماؤهم على أمر قد جبر

---

(١) سورة النحل : الآية ٨٩ .
(٢) سورة الانعام : الآية ٣٨ .
(٣) سورة آل عمران : الآية ١٠٨ .
(٤) سورة النجم : الآية ٣٩ .
(٥) سورة المائدة : الآية ٨٩ .
(٦) سورة طه : الآية ١٣٤ .
(٧) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .
(٨) سورة الانبياء : الآية ١٠٧ .
(٩) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .
(١٠) سورة النساء : الآية ٢٦ .
(١١) سورة النساء : الآية ٢٧ .
(١٢) سورة يونس : الآية ٤٤ .

الخلق عليه، قبل إرسال الرسل، وإيراد المواعظ والكتب ، وإن لا ، فأيُّ حكمة تسمى هذه الحكمة، والتى ذكرتم، وأيُّ عادل حكيم يسمى هذا الرب العظيم ، الذى وصفتموه بالعبث والجور على عباده ، والجبر لهم على الأمور التى كرهها، ثم يعذبهم عليها فى خلود أبد الأبيد؟!!

ويفترض عليهم الفرائض ، ثم يحول بينهم وبين أدائها ؛ لأنْ لا يفسدُ علمَهُ – زعمتم – تعالى الله العدل العلى الحكيم البرئ المتنزه القدوس عما قلتم، وبه دنتم، وإليه دعوتم ، وبه احتججتم ، كذب العادلون بالله، وضلوا بعيداً ، وخسروا خسراناً مبيناً.

نقد المجبرة للمشبهة:

ثم نقول لك: أخبرنا عن الأمر الذى عبته أنت وأصحابك على أهل التشبيه فى قولهم ، واحتجاجهم فى قوله ، عز وجل: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[1]، وقوله : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (٣٩) ﴾[2]، وقوله: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[3]، وقوله: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[4]، وقوله : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ (٥) ﴾[5]، ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾[6]، وقوله : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾[7] ، وقوله : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾[8]، وقوله : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ﴾[9]، وقوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾[10] ، وقوله : ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾[11]، وقوله: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) ﴾[12] ، وما أشبه هذه الآيات فى القرآن.

---

(١) سورة ص : الآية ٧٥ .
(٢) سورة طه : الآية ٣٩ .
(٣) سورة القمر : الآية ١٤ .
(٤) سورة الفتح : الآية ١٠ .
(٥) سورة طه : الآية ٥ .
(٦) سورة القلم : الآية ٤٢ .
(٧) سورة آل عمران : الآية ٢٨ .
(٨) سورة الحجر : الآية ٢٩ .
(٩) سور غافر : الآية ١٥ .
(١٠) سورة البقرة : الآية ٢١٠ .
(١١) سورة النور : الآية ٣٩ .
(١٢) سورة النساء : الآية ١٦٤ .

أليس إنما غلطت المشبهة في تأويلها فشبهت الله ، عز وجل ، بخلقه ، وخرجت من توحيده ؟ أليس هذا من قولكم واحتجاجكم على المشبهة ، وأن لذلك عندكم تأويلاً جهلته المشبهة وغلطت فيه ؟!

وكما أخطأت المشبهة أخطأتم :

فإذا قلت : نعم . قلنا لك : فكذلك جهلتَ وغلطتَ أنت، ومن قال بقولك، في الآيات التي اعتقدت بها الجبر ، والفرية على الله، عز وجل، بلا برهان ولا بينة، فلا فرق بينك وبينهم في ذلك ، إذ جهلتَ وشبهتَ - كما شبهوا - ولم يصح توحيدك .

والدليل على صدق قولنا ما قد نقضناه عليك من التوحيد ، فيما جهلت من العدل في غير موضع، وكله قد جمعه هذا الكتاب ، وكل ماجهلت من العدل في الآيات التي تعلقت بها ، فاعلم يقيناً أنها على مثل ذلك القياس، الذى تعلقت به المشبهة ؛ لأن العدل حكم واحد ، لا خلل فيه ، كما التوحيد حكم واحد ، لا خلل فيه ، ولا فساد في واحد منهما، ولا عُلقةَ ، ولا حجةَ لمبطل ؛ لأنهما أصل دين الله ، ٦٣ و/ عز وجل ، الذى / تعبَّدَ به الأولين والآخرين ، ولا يصح الإسلام إلا بهما ، ولوأنك تعلقتَ علينا بحرف واحد ، حتى لانقدر له على جواب ، ولانخرج منه بحجة، لفسدَ جميعُ العدل، ولم يقم حقٌّ ؛ ولبطل قوله، عز وجل: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1] ، فالحق حق في نفسه لا باطل فيه، والباطل باطلٌ في نفسه لا حق فيه ، ولو كان الأمرعلى ما ذكرت واعتقدتَ واحتججتَ به في كتابك، لكان الحقُّ والباطل ممتزجين، لايخلص واحدٌ منها من الآخر ، ولا يبين عدل من جور ، لا حكمة من ظلم ، ولا صواب من عبث ، ولا فساد من صلاح ، ولا حق من باطل ، ولا حسن من قبيح ، ولامحقٌّ من مبطل ، ولا نبيٌّ من متنبئ ، ولا حكم الرحمن من حكم الشيطان ، ولاهدىً من ضلال .

فكل حجة لك هي في معنى واحد، لاتقتضي[2] إلا إثبات الجبر والجور، والظلم والفساد، والخروج من الحكمة، وإبطال الربوبية .

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ١٨ .

(٢) في الأصل : تقضى ، والتصحيح من الهامش

وجوابنا : عندنا إثباتُ العدل بشواهد الكتاب، وتهذيبُ الحق ونفى الجبر والجور والظلم، فقد رأينا جوابك إلى آخر كتابك ، بحول الله وعونه .

وليس **الجعل**، من الله، عز وجل، إلا على ما ذكرنا لك، من أنه **جعل حكم وتسمية**، والجعل الآخر **جعلُ جبر وقسر**، لابد من ذلك ، وإلا لزم كل مدعٍ بطلان الكتاب، والخروج من العدل والحكمة ، لأنه لابدّ لكم ، على قود قولكم ، من تجوير الخالق ، عز وجل ، وتكذيب رسله وكتبه ، وتناقضهما واختلافهما .

وقد قال : ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** (٨٢) ﴾ [(١)] ، أو الرجوع إلى قولنا بالعدل ، وترك قولكم من **الجبر**، للفرية على الله ، عز وجل ، والطعن على حكمته ، وشماته **اليهود والنصارى** بكم ؛ لأنهم لايقولون **بالجبر** - كما قلتم .

وأما قولكم : إن الله ، عز وجل ، جعل صدورَهم ضيقةً حرجة ، وكذلك جميع ما اسندتَ من الظلم إلى الله ، سبحانه ، إنما يكونُ منه إلى عباده ، زعمت ، بغير ظلمٍ ولا يسمى [(٢)] ظلما !.. قلنا لك : فما حجتك على من قال لك: وكذلك هل يجوزُ أن يدخلَ اللهُ النبيين والمرسلين والشهداء والصالحين والمؤمنين النار. وأن يدخل المشركين والكافرين وجميع الظالمين والعاصين الجنة ، ولا يكون ذلك منه ظلماً ولا جوراً ؟!

فإن قلت: إن ذلك شئ لا يجوز ، قلنا لك: من أين قلت بانه لا يجوز؟ فإن قلت: لأن الله ، عز وجل، عدلٌ لايظلم ولا يجور ، رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا بالعدل.

وإن قلت : إنه جائز ان يدخل الله الأنبياء والمؤمنين النار، ويدخل المشركين والكافرين الجنة . ولا يكون ذلك منه بظلم، تركت القرآن صراحاً ، وخرجت من حدٍّ
٦٣ ظ/ من يكلم عند جميع الناس ، وبان جهلك، وفارقت الإسلام ، وخرجت من قوله ، عز وجل : ﴿ **كَتَبَ عَلَى / نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** ﴾ [(٣)] ، مع آيات كثيرة، قد أوجب فيها على نفسه الجنة للمطيعين، والنار للعاصين.

---

(١) سورة النساء : الآية ٨٢ .

(٢) فى الأصل : يسما .

(٣) سورة الانعام · الآية ١٢ .

ثم قال : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [١] ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴿١٢٢﴾ ﴾ [٢] ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾ [٣] ، وقد كفاك آخر الآية التى ذكرت فى ضيق الصدور وحرجها ، قوله ، عز وجل : ﴿ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [٤] ، فوجب أنه إنما جعل ذلك التضييق والحرج ، حكماً حكم به عليهم ، وتسمية سماهم بها ، لم استحقوا بتركهم لدينه ، وأنهم لم يستعملوا عقولهم ، التى وهبها لهم، وركباها فيهم ، فى طلبِ الحق والنجاةِ من النار ، فهذا هو جواب ما سألتنا عنه ، والحمد لله رب العالمين .

***

احتجت المجبرة بقوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ [٥] ، ما يعنى بذلك ؟

إرادة إبليس أمضى من إرادة الله عند المجبرة !

فإن قالوا : إن الله لم يرد تطهير قلوب بعض العباد ، فذلك العدل قد أقروا به ، وإن وجهوا تأويلها على غيرهذا ؛ فسلهم : أليسوا يستطيعون أن يكون منهم ما لم يرد الله أن يكون ؟ فإن قالوا: بلى. فقل أفليس قد يريد الله أن يكون أمر ويريد إبليس أن يكون غيره، وأرادتهما فيه على وجه واحد، ليس على وجه جبر ولا قسر؛ فيكون ما يريدُ إبليسُ أن يكون، ولا يكون ما يريد الله أن يكون ؟

فإن قالوا : نعم . فقل: لمَ ذلك؟ أمن عجزٍ من إرادةِ الله ، وقوة من إرادة إبليس؟

---

(١) سورة النساء : الآية ٨٧ .
(٢) سورة النساء : الآية ١٢٢ .
(٣) سورة آل عمران : الآية ٩ .
(٤) سورة الأنعام : الآية ١٢٥ .
(٥) سورة المائدة : الآية ٤١ .

فإنْ قالوا : نعم . . فقل : أفليس قد يريدُ الله أن يكن أمر على وجه ، ويريد إبليس الا يكون ذلك الذى أراد الله على وجه ما أراد الله ، وإرادتهما على وجه واحد، فيكون ما أراد إبليس ولا يكون ما يريد الله أن يكون؟!

فإن قالوا: نعم. فقل : أليس قد أرادَ الله وأحبَ أن يكون ما أراد أن يكون ، ولم يرد يحب أن يكون ما أراد إبليس ، فغلبت إرادة إبليس ومحبته إرادة الله ومحبته ، وكانت أقوى منها ؟

فإن قالوا : نعم . فهذا من أعظم الافتراء على الله؛ لأنهم يسألون عن ذلك، أليس قوة إبليس أقوى من قوة الله ، فقد يكون بعض خلقه أقوى منه فى بعض الأمور ؟!. . ولن يعطوك هذا.

فإن قطعوا به، ولم يجيبوك فيه ، وقالوا: بل يكون ما أراد الله أن يكون ، ولا يكون ما أراد إبليس أن يكون ، وإرادة الله ومحبته أقوى من إرادة إبليس ومحبته ، فكذلك تعالى الله وتبارك ، وما أراد الله أن يكون فسوف يكون، كما أراد الله ، أن يكون ، لا يعجزه شئ ولا شئ أقوى منه، ولا مثلٌ لله ولا شبيه ولا ندٌّ ، تبارك وتعالى.

رد أحمد بن يحيى:

٦٤ و/ الجواب قال الإمام الناصر للحق أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما / : سألت عن قول الله ، جل ثناؤه ، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [1] ، قلتَ : ما يعنى بذلك؟ متعنتاً لنا، وزارياً علينا .

القرآن جميعه يشهد بالعدل ونفى الظلم والجور عن الله :

فاسمع مايردُ عليك، بحول الله وطوله ، من إثبات العدل ، ونفى الجور، والقول على الله ، جل ثناؤه ، بالحق ، وبالله نستعين وعليه نتوكل.

وانا نقول لك : اعلم علماً يقيناً ، لا كذب فيه ، انْ ليس فى جميع القرآن، من

---

(١) الهامش السابق

أوله إلى أخره، آية واحدة يثبت بها الجبر ، ولا يتعلق اهله منها بشعرة واحدة، وليس من سورة إلا وفيها العدل قائم واضح ، شاهد لله، عز وجل، بعدله ونفى الجور عنه . ونحن نسالك ، فنقول لك : إن سالك سائل فقال لك : **هل لله، سبحانه ، حقٌ فيه باطل ، أو باطلٌ فيه حق؟! ..**

فإن قلت : لا يجوز ذلك . أجبت بالحق ، ولزمك انك قد رجعت عن مذهبك ، وصرت إلى قولنا بالعدل .

وإن قلت : نعم، لله حق فيه باطلٌ ، وباطل فيه حق، اكذبتَ القرآن، وكفرت بالرحمن ، وصرت إلى قول عبدة الأوثان ؛ لانه ، عز وجل ، يقول، وقولُهُ الحق : ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ** ﴿١٨﴾ ﴾ [1] ، وهذا اكبر الدليل أن ليس لله ، عز وجل ، حق فيه باطل ، أو باطل فيه حق؛ وذلك عن الله ، عز وجل ، منفى .

ثم نقول لك أيضا : خبرنا عن قول الله ، سبحانه : ﴿ **الْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴿٥٤﴾ ﴾ [2] ، هل أنت مقرٌ بهذه الآية ؟ فلابدٌ لك من نعم.

فإذا قلت ذلك قلنالك : فهل صدقَ الله ، جل ثناؤه ، فى هذه الآية ، انها كما قال، وانه يوم القيامة لا يظلم احداً شيئاً ، ولا يجزيهم إلا ماكانوا يعملون ؟.. فإن قلت : لا. كفرت وإن قلت : نعم . لزمك أن جميع ما عددتَ وسطَّرتَ فى كتابك، وتأولت من الفرية على الله ، عز وجل ، باطلٌ قد كذبت فيه .

إذ قررت انه لا يظلمُ ولا يجزى الخلق إلا بما عملوا .. فإن قلتَ : إنه ما فعل من ظلم لم يكن بظلم .. قلنالك : فهذا كلام المجانين ، قد احتججنا عليك فى بطلان ذلك ، فى هذا الكتاب، بما لا تدفعه انت ، ولا غيرك ابداً .

النهى عن اقتطاع بعض الآية والاستشهاد بها . وأن المتشابه يردُ إلى المحكم :

ثم نقول لك : هذه الآية، التى سالت عنها ، من قوله ، عز وجل : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ**

---

(١) سورة الانبياء : الآية ١٨ .

(٢) سورة يس : الآية ٥٤ .

﴿ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ [1]، هي من وسط كلام ، تركت ما قبله وما بعده ، وما عليك فيه وجوب الحجة ، وثبات العدل ، وفساد دعواك في الجبر والفرية على الله ، عز وجل، وذلك أن القرآن عربي نزل بلسان العرب، قال الله ، عز وجل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [2]، وقد تكون الآية من المتشابه وغيره ، تُرَدُّ على المتأول [3]، وتفسيرها في أول القصة أو في آخرها ، أو في أول السورة أو في آخرها، ٦٤ظ/ أو يوجد تفسيرها في سورة أخرى ، غير السورة التي هي / فيها ، مثل قوله ، عز وجل: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [4]، فخرج جوابها في سورة أخرى ، وهو قوله ، عز وجل : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ ﴾ [5]، رداً عليهم فيما قالوا على رسول، صلى الله عليه ، من الجنون ، فنفاه الله ، عز وجل ، عنه ، ومثل قوله ،عز وجل ، : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ [6]، فخرج جوابها في موضع آخر ، ومثل هذا كثير في القرآن يطول شرحه .

فأما الآية التي سألت عن وسطها ، وتركتَ ما قبلها ، من قوله الذي يوجبُ له ، عز وجل، العدل على عباده ، والبراءة من الجور والظلم، وخلق أفعال عباده، وإرادته لكفرهم ، وقضائه الفساد عليهم ، قوله، عز وجل، في أول الكلام وبيان حكمته وعدله ، جل ثناؤه: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ ﴾ [7]، ولم يقل: جزاء بما قضيت عليهما ، ولا قدرت من فعلهما ولا ما أردت من سرقتهما ، ولا ما خلقت من فعلهما .

ثم قال : ﴿ نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ ي، عنى بالنكال ، إقامة الحد على من سرق؛ لأنه عزيز حكيم، والحكيم فلا يفعل إلا الحكمة والعدل.

---

(١) سورة المائدة : الآية ٤١ .

(٢) سورة إبراهيم : الآية ٤ .

(٣) في الأصل : المسؤل .

(٤) سورة الحجر : الآيتان ٦ - ٧ .

(٥) سورة القلم : الآيتان ١- ٢ .

(٦) سورة النساء : الآية ٣ .

(٧) سورة المائدة: الآية ٣٨ .

ثم قال : ﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٩) ﴾(١)، فنسب الظلم والإصلاح إليه .

ثم قال : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٩) ﴾ وزعمت ، انت وإخوانك المجبرة ، أن من علم الله منه انه لايتوب ، ان الله لايريد منه التوبة؛ لأن في ذلك ، زعمتم ، فساد علمه !! .. ولوكان الأمرعلى ما زعمتم ، ما جاز في الحكمة ان يقول : ﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٩) ﴾، كأنكم ما سمعتم هذا القول في كتاب الله قط، ولا قرأتموه، ولا فكرتم فيه ساعة واحدة، حباً للمكابرة وعصبية على الجهل، وتقليداً للكبراء، فلا يبعد الله إلا من ظلم .

ثم قال ، عز وجل ، على إثر هذا القول الذى شرحنا من القرآن : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٠) ﴾(٢)، فوالله ما عنى (*) ، عز وجل، أنه يغفر لكافر ولا مشرك ماتا على الإصرار ، ولا لغيرهما من الظالمين ، ممن أصرَّ على الظلم والعدوان ؛ ولا أنه يغفرُ لمؤمن لم يات بجميع فرائضه ، وإنما عنى بذلك افعل (*) الاستحقاق ؛ لأنه ، عز وجل ، يشاء أن يغفر للمؤمنين ، ويشاء أن يعذب الكافرين والمشركين ، تصديق ذلك قوله ، عز وجل :
٦٥و/ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (٣)، يعني لمن تاب ورجع إلى الحق واقلع عن الخطايا ، وقوله : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ (٤)، ويقول : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) ﴾ (٥).

ثم قال مع هذا : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ﴾(٦)، فاسمع أنت إلى هذه الصفة، وهذا العدل من الله، عز وجل ، أنه عزى نبيه ، صلى الله

---

(١) سورة المائدة : ٣٩ .
(٢) سورة المائدة : الآية ٤٠ .
(*) في الأصل : عنا .
(*) في الأصل : امعل.
(٣) سورة النساء : الآية ١١٦ .
(٤) سورة الاعراف : الآية ١٥٦ ، فيالاصل ، «رحمتي...».
(٥) سورةالاعراف : الآية ٥٦ .
(٦) سورة المائدة : الآية ٤١ .

عليه ، أن لا يحزنه مسارعتهم فى الكفر الذى اختاروه ، وآثر فيه الهوى على اتباع الحق، وأنهم آمنوا بالقول بالأفواه، لا بالصحة من القلوب واعتقاد الضمائر.

ثم قال ، عز وجل، ﴿ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ (١) .

معانى الفتنة فى القرآن الكريم:

فإن قال قائل: فما هذه الفتنة فى هذا الموضوع ؟! نحنُ نجدُ اللّهَ يريد فتنة الناس، قلنا له : إن الفتنةَ تصرف فى كتاب الله ، عز وجل ، على عشرة أوجه واضحة فى القرآن، فمنها عذاب، ومنها فتنة سيف ، ومنها فتنة محنة .

(١) وهذه الفتنة فى هذه الآية يجوزُ أن تكون عذاباً . والدليل على ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ﴾ (٢) ، وليس فى الآخرة فتنةٌ إلا العذاب ؛ لأن الفتنةَ عندك فى الحرب، وليس فى الآخرة حربٌ ولا إغراء ولا سيف .

(٢) والفتنة أيضاً هى محنةٌ ، والدليل على ذلك قوله ، عز وجل، فى موسى ، صلى الله عليه : ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ (٣) ، وموسى ، صلى الله عليه ، غير مفتون بالفتنة التى ذهبت إليها المجبرة والعوام.

وكذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) ﴾ (٤) ، أى أيقن أنا امتحناه ؛ لأن الظن فى مواضع من القرآن يقين ، من ذلك قوله : ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ (٥) ، فظنهم فى هذا الموضع يقين جائزٌ فى لغة العرب .

قال الشاعر ، وهو دريدُ بنُ الصِّمَّة الْجَشْمىُّ (٦) :

---

(١) سورة المائدة : الآية ٤١ .

(٢) سورة الذاريات : الآية : ١٣ .

(٣) سورة طه : الآية ٤٠ .

(٤) سورة ص : الآية ٢٤ .

(٥) سورة الكهف : الآية ٥٣ .

(٦) هو دريد بن الصمة الجشمى البكرى بن هوازن : شجاع ، من الشعراء المعمرين فى الجاهلية، كان سيد قومه وقائدهم، غزا أكثر من مائة غزوة ، وأدرك الإسلام ، ولم يسلم، وقتل يوم حنين سنة ٨هـ ، انظر ؛ الزركلى : الاعلام ٢/ ٣٢٩ .

فقلتُ لهم: ظُنوا بِألفيْ مُقَاتلٍ   سـرابيلهم بالفارسى المُسـرّدِ [1] .

يعنى قلت لهم: أيقنوا بألفى مقاتـلٍ، وكـذلك قولـه، عـز وجل، فـى الفتـنـة: ﴿ الٓمٓ ① أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ② ﴾ [2]، اى وهـم لا يمتحنون، ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [3]، اى لقد امتحنا الذين من قبلهـم .

ولو كان الله، عز وجل، يفتن الخلق على ماذهبتم إليه، لم يكن بين فعله وبينِ فعل
٦٥ ظ / إبليس فـرقٌ فى الغش للخليـفة، والحسـد، وإرادة التلف / والخلود فى النار، سبحان الله العظيم، وتعالى عما قلتم علواً كبيراً .

فـهـذا هـدىً .. ثم قال، عز وجل، فى إثر هذه الآيات، التى أوجب فيـهـا على الظالمين الحجة وقطع عـذرهم، والزمهم الخطأ لمعصيتهم، وبَرأ نفسه، عز وجل، من ظلمهم وفعلهم، والزمه إياه، **عبد الله بن يزيد البغدادى**، وإخوانه **المجبرة**، فقال، عز وجـل: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ㊶ ﴾ [4]، فيا لك الويل، هل يكونُ من الله، عز وجل، الخزى والعذاب العظيم على غير جُرمٍ ولا ذنب ؟!

وإنما أراد بهذا القول، عز وجل، أنه لم يرد أن يطهر قلوبهم، التى نجسوها، وأصراوا على نجاستـهـا، فلـم يطهـروها بالدخول فى الإيمان، فـاخبـر، جل ثـناؤه، أنه لم يرد أن يطهرها، ولا يحكـم لهـا بالتطيهر، وهم [5] لم يطهـروها، ولـم يحسنوا النظر لهـا، ولو طهرها ولم يطهـروها ؛ لكان ذلك هو نفس الجبر والقسر، ولم يجب لهم حمـد ولا شكر، ولا حسن ثناء ولا أجر، فهذا معنى [6] ما سالت عنه، فانعم فيه النظر.

---

(١) وقد ورد البيت برواية أخرى على هذا النحو :

فقلتُ لهم : ظُنوا بألفى مُدججٍ   سُراتهم فيالفارسىَ المُسـرّدِ.

والبيت من بحر الطويل، ورد بالأصـمعيات ؛ ص١ ، وجمهرة أشعار العرب؛ ص١١٧ ، وفى الأغانى ٩ / ٤، وفى مراجع أخرى، كالاضداد لابن الانبارى ، ص١٢ .

(٢) سورة العنكبوت : الآيتان ١ – ٢ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ٣ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٤١ .

(٥) زاد فى الأصل : هم .

(٦) فى الأصل : معنا

والعجب كيف استجزتَ في ملك الله، وعظمة سلطانه وعدله، وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١)، ان تقلب ذلك القول كله، فنسبته إلى الله، عز وجل، وقد سمعته يقول: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢).

فاسمع أول الكلام إلي ما قاد، وكيف خرج فيه صحة العدل، وبيان كذبك على الله؛ عز وجل، وفريتك عليه، ما ليس من دينه، وهو البرئ من ذلك، جل ثناؤه، بل ليت شعرى، فيما استخفوا الخزى فى الدنيا، والعذاب العظيم فى الآخرة، أعلى أمر هو فعله، أم هم فعلوه بأنفسهم ؟!..

فإن كان هو الذى فعله، فقد صح فيه الجورُ، وإن كانوا الذين فعلوه فهذا القرآن يشهد بفعلهم وبراءة الله، عز وجل، مما قلت: إنه لا يكون ذلك منه ظلماً ولا جوراً عليهم؛ فليت شعرى، كيف يكون الظلم عندك، وعند جميع الناس ؟!! لا ما لا يعقل، ولا سبيل إلى الوقوف عليه ؟!.. فسبحان الله العظيم وتعالى عما تقولون علواً كبيراً.

وأخبرنا أيضاً عن قولك: إنَّ اللهَ، عز وجل عما قلت، أرادَ من الكفار الكفرَ، ولم ٦٦ و/ يرد منهم الإيمان. اقَوْلك عندك اصدقٌ ؟ أم قول الله، عز وجل، حيث يقول: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ / إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾(٣)؟.. فإن قلت: إن الله، عز وجل، فى هذه الآية اصدقُ منك فيما ادعيت، لزمك انك قد رجعت إلى قولنا بالعدل، ولزمك أنك كُنت مبطلاً فى دعواك: (لابد من ذلك، وإن قلت أنك أصدق من الله، عز وجل، كفرت عند) (٤) جميع أهل الإسلام، ووجب عليهم قتلك، من آخر ساعتك، لابدٌ لك من ذلك.

وأما قولك انا نقول: إنا نستطيعُ ان يكون منا ما لم يرد الله، عز وجل، أن يكون. فإن قلنا: بلى (٥)– زعمت. قلت لنا: أفليس قد يريدُ الله ان يكونَ أمرٌ، ويريد

---

(١) سورة يونس: الآية ٤٤.
(٢) سورة المائدة: الآية ٤١.
(٣) سورة النجم: الآية ٢٣.
(٤) زاد فى الأصل: عند.
(٥) فى الأصل: بلا.

إبليس ، أن يكون غيره، وإرادتهما ، زعمت ، على وجه واحد ، ليس على وجه جبر ولا قسر ، فيكون ما يريد إبليس أن يكون ، ولا يكون ماأراد الله ان يكون ؟!

وقد فهمنا ما أردت كله، واختصرنا عن التطويل فى الكلام الفاسد الذى لا وجه له، فاسمع إلى قولنا، وانعم النظر فيه .

فإنا نقول : إنه قد يكون منا ما لم يرد الله ، عز وجل ، ونستطيع ايضاً ان يكون منا ما أراد الله ، فالذى يريد الله ، عز وجل ، منا الطاعة ، والذى لا يريده منا المعصية ، ولم يجبرنا على واحد منهما جبراً ، ولم يقسرنا عليهما قسراً ، ونحن مخيرون غير مجبورين على شرط منه، عز وجل، أن الجنة واجبة للمطيعين ، وأن النار واجبة للعاصين .

وقد يفعل الخلق ، وهو أكثر فعلهم ، ما لا يريد الله ، عز وجل ، من الكفر ، وجميع المعاصى ، يفعلون ما يريد إبليس منهم من جميع الشرك والكفر والمعاصى . وليس ذلك بمدخل على الله ، عز وجل ، عجزاً ولا وهناً ولا ضعفاً ولا نقصاً ولا عيباً ولاغلبة ولا قهراً، على انه ، عز وجل ، الذى قال : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) ﴾ [١] ، وقال : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ [٢] ، وقوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾ [٣]، وقوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [٤]، ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ [٥]، يريد أنه يفترضُ على المؤمنين جهاد الكافرين .

ومثل هذه الآيات [٦] كثيرة فى القرآن، يخبرنا ، عز وجل، أنه لو شاء فعل ذلك الذى سمينا قسراً وجبراً ، ولو فعله لم يقم له قائمة، ولم يعجزه شئ، ولم يقو على أمره أمرٌ ، ولم يعانده معاند، ولم يحل دون إرادته حائل، إذ هو، عز وجل ، الذى لو

---

(١) سورة الانعام : الآية ١١٢ .

(٢) سورة السجدة : الآية ١٣ .

(٣) سورة الانعام : الآية ١٠٧ .

(٤) سورة يونس : الآية ٩٩ .

(٥) سورة محمد : الآية ٤ .

(٦) فى الأصل . الاثات .

أراد أن يفنى جميع من تحت أديم السماء، بذرة من هذا الذر ، لأهلكهم كلهم جميعاً، فى أسرع من لمح البصر ، إلا أنه ، عز وجل ، **أمر تخييراً ونهى تخييراً** ، **فلم يطع ٦٦ ظ/ كرهاً ولم يعص مغلوباً** .

وهذه الآيات إنما دلَّ بها على أنَّ نعل من فعل ظلماً ، وعصى [1] الرسل وخالف الكتب ، لم يكن ذلك عن عجز ولا غلبة ، ولا أن مراد إبليس الضعيف الذليل غلب مراد الله القوى العزيز ، ولا أنا قلنا ذلك ولاجهلناه ، كما جهلت الحق .

ولكنه لماكان التخيير، صار إلى إرادة إبليس من جنوده وأوليائه ، من أحبه ومال ميله، وهم أنتم ومن أشبهكم من العاصين ، وصار إلى مراد الله ، عز وجل ، وصار إلى مراد الله ، عز وجل، أولياؤه وأحباؤه وحزبه المؤمنون ، وهم أهل القول على الله ، عز وجل ، بالعدل والتوحيد ، ونفى الظلم والشبيه .

فهذا هو الحجة ، ودليل ذلك وشاهده من كتاب الله ، عز وجل، ما لا نحصيه من الشواهد لنا ، مثل قوله ، عز وجل ، ﴿ **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** ⓴ ﴾ [1] ، وقوله ، عز وجل ، يحكى عن حجة إبليس على الكفار التى علم الله، عز وجل، أنه قد صدق عليهم فيها ، حيث يقول : ﴿ **وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ㊽ ﴾ [2] وقوله ، عز وجل، يحكى عن فلج إبليس للكفار [3] ، ويبرئ الله ، عز وجل ، من فعلهم ، وفعل نفسه .

وعبدالله بن يزيد البغدادى، وإخوانه **المجبرة**، يلزمون الله، عز وجل، افعال المشركين والكفرة المعاندين، **والدهرية** الاخسرين، **والزنادقة** الكاذبين، **وعباد النور والثنمة** المعاندين ، **وعباد البددة الأرذلين**، وجميع الظالمين والعاصين .

وهذا القرآن أكثر شاهد، وأعظم حجة، وأوضح برهان، حيث يحكى، عز وجل ،

---

(١) فى الاصف : وعصا .

(٢) سورة سبا : الآية ٢٠ .

(٣) سورة الانفال : الآية ٤٨ .

(٤) فى الأصل : لهم للكفار .

عن قول إبليس واحتجاجه عليهم يوم القيامة [١] ، حيث يقول : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) ﴾ [٢] .

أفلا تسمع إلى قوله أنهم هم أشركوا باتباع الهوى[٣]، والإعراض عن الهدى!

ثم نقول لك : أخبرنا هل صدق إبليسُ فيما حكى الله عنه[٤]، عز وجل ، فى هذه الآية على الكفار، أم كذبَ عليهم؟

فإن قلت : صدق إبليس . لزمك أنك لنا ظالمٌ ، ومماحكٌ [٥] لنا ، وكفرت بالله العظيم ، وأن كل ما ادعيت قد كذبت فيه ، وبان جهلك وفريتك على الله ، عز وجل.

٦٧ و/ وإن قلت : بل كذب / إبليس ، ولم يصدق فيما حكى [٦] الله، عز وجل، عنه فى هذه الآية ، لزمك أن الله ، تبارك وتعالى ، أخبر عن إبليس ، وعن احتجاجه على أعداء الله، عز وجل، بالكذب، والمحال والباطل ، وأنه أنزل على نبيه ، صلى عليه، قرآناً لا معنى له ، ولا حجة فيه على أعدائه .

وأن الله ، عز وجل ، قد احتج فى هذا الموضوع بحجة باطلة فاسدة ، لا وجه لها ، وكفرت بهذا القول، وخرجت من الإسلام ، وهذا أقوى وأوضح وأبين عند كل سامع ، من قولك أنا نُعظم الفراء على الله ، عز وجل، ومن تكريرك ، فى أن قُوّةَ إبليس أقوى من قوة الله ، تلزمنا ذلك - زعمت !!.

فاسمع ما حلَّ بك من النكال، فى الدنيا قبل ورودك ، وأن محمداً، صلى الله عليه، أراد الله، عز وجل، من أبى جهل الكفر فى قولك ، وأن محمداً، صلى الله عليه،

---

(١) فى الأصل : القيمه .

(٢) سورة إبراهيم : الآية ٢٢ .

(٣) فى الأصل : الهوا.

(٤) تكررت فى الأصل .

(٥) مطموسة فى الأصل : ولم يظهر منها إلا ما قرأناه .

(٦) فى الأصل : حكا .

أراد منه الإيمان ؟!.. فأيهما أولى [1] أن يكون ولياً لله وصفوته [2] الذى وافق إرادته، أو الذى خالفها؟

وقوله ، عز وجل، ينفى عن نفسه ما أسندت إليه **المجبرة** ، ويعلمنا أنه لم يضلل خلقه ، ولم يرد كفرهم ، وأن إبليس هو الذى أراد منهم ، فإنهم أطعوه باتباع أهوائهم ، بعد البيان والإعذار والإنذار . فقال ، عز وجل : ﴿ **كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧)** ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ **فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨)** ﴾ [4] ، فأىُّ ظلمٍ تراه يلزمهم ، إن كان الأمر ، على قولك أن الله ، عز وجل ، أراد أن يكون بعض الناس ظالمين ، وبعضهم مؤمنين ؟!.. عز الله عن ذلك ومن الرد عليك فيما احتججتَ به فى أمر إبليس ، الحجة لنا الواضحة ، فاسمع إلى ما قلنا ، فإنا نردُّ عليك السؤال الأول .

الإمام أحمد يسأل المجبرة:

فنقول لك : أخبرنا عن محمد رسول الله ، صلى الله عليه ، وماأراد من الكفار حيث بعث إلى جميع أهل الأرض ، هل أراد منهم الكفر أو الإيمان؟

فإن قلت : أراد منهم الكفر. أكذبك الله ، عز وجل، فى قوله: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)** ﴾ [5]، وقوله ، سبحانه : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)** ﴾[6]، ويلزمك الكفر ، إذ قلت : إن رسول ٦٧ ظ / الله، صلى الله عليه ، أراد [7] الكفر من الكافرين ، قلت / أراد منهم الإيمان ، كان ذلك هو الحقُّ ، وهو قولنا وقول المسلمين جميعاً .

---

(١) فى الأصل : اولا .

(٢) فى الأصل : صفوة .

(٣) سورة الحشر : الآية ١٦ .

(٤) سورة الانفال : الآية ٤٨

(٥) سورة الأنبياء : الآية ١٠٧ .

(٦) سورة التوبة : الآية ١٢٨ .

(٧) فى الأصل : رد .

فنقول لك عند ذلك : فاخبرنا ما أراد الله من الكفار ؟!

فإن قلت : أراد منهم الكفر ، لزمك من التكذيب ما يشهد عليك به القرآن ، مثل قوله ، عز وجل : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد (١) ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ﴾ [3]، وقوله : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [4]، وقوله : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين (٨٥) ﴾ [5]، وقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون (١٠٢) واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ [6]، ثم نقول لك : فما أراد إبليس من الكفار ، هل أراد منهم الكفر ، أم أراد منهم الإيمان ؟ .

ماذا أراد إبليس من الكفار؟

فإن قلت : إن إبليس أراد من الكفار الإيمان . أكذبك، عز وجل، حيث يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون (١٠٢) واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ [7]، وقوله ، عز وجل : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين (٦٠) ﴾ [8] ، وقوله : ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون (٩١) ﴾ [9] ؟!

وهذه الآية أيضا رادةٌ عليك، ومكذبة لك فى قولك : إن الله ، عز وجل عما قلت ، أراد الكفر من الكافرين.

---

(١) سورة النساء : الآية ٦٤ .
(٢) سورة إبراهيم : الآية ١ .
(٣) سورة الاعراف : الآية ١٥٨ .
(٤) سورة آل عمران : الآية ١٩ .
(٥) سورة آل عمران : الآية ٨٥ .
(٦) سورة آل عمران : الآيتان ١٠٢ - ١٠٣ .
(٧) سورةفاطر : الآية ٦ .
(٨) سورة يس : الآية ٦٠ .
(٩) سورة المائدة : الآية ٩١ .

وإن قلت : أرادَ إبليسُ الكفر من الكافرين . قلنا لك صدقتَ ، ولكن انظر ما يلزمك منه الهلاك والفضيحة الفاضحة ، فإنه يلزمك أن إرادة محمداً رسول الله صلى الله عليه ، مخالفة لإرادة الله ، سبحانه ؛ لأن محمداً ، صلوات الله عليه ، أراد من الكفار الإيمان ، والله ، عز وجل ، أراد منهم الكفر ، على قولك ، وكذلك الشيطان أيضا أراد منهم الكفر !!

فأيهما الموافقة إرادته لإرادة الله ، عز وجل ، أمحمد نبى الله ، صلى الله عليه ، أم إبليس عدوُّ اللهِ ، عليه لعنة الله ؟!..

فإنه لابدَّ لك أن تقول : إنَّ إرادة إبليس موافقةٌ لإرادة الله ، عز وجل ، وإرادة محمد ، صلى الله عليه ، مخالفةٌ لإرادة اللهِ ، عز وجل . هذا لازمٌ لك ، إلاأن ترجع عن هذا القول ، فتفلجك ، وأنت مقهورٌ مغلوبٌ ، فاختر من ذا ما بدا لك .

واعلم أن الموافق أولى [1] أن يكون رسولاً لله ، عز وجل ، ووليا وصفياً ، من المخالف لله ، جل ثناؤه ، فإبليسُ أحقُ بالرسالة ، فى قولكم ودينكم واعتقادكم ، من ٦٧ و/ محمدِ بن عبدِ الله رسول اللهِ ، صلوات الله عليه ، لموافقته لإرادةِ الله / ، عز وجل ، ومخالفة محمدٍ ، صلى الله عليه ، لإرادة الله ، عز وجل !!.. وهذا القول لازم لك بالحجة الواضحة ، ولكل مجبر على وجه الأرض ، لا مخرج لكم منه ، إلا بالتوبة والرجعة عن هذا البهتان العظيم والجهل الكبير ، وما فى حسابى أنَّ حميةَ الجاهلية التى اعتصم بها أهل الأصنام ، بخارجة من قلوبكم إلى القول بالعدل ، فلا يبعد اللهُ إلامن ظلم !!!

واعلم أن الهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ، إنما يقعان بعد إثبات الحجة ، وإبلاغ الرسل وأئمة الهدى ، عليهم السلام ، والحمد لله رب العالمين .

***

هذه الآية من أحكام الآخرة :

وأما الآية التى ذكرناها قبل هذا الموضع ، التى قال فيها ، عز وجل ، :

---

(١) فى الأصل : اولا

﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (١٣)﴾ [١] .

فتفسير قوله : ﴿ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (١٣)﴾، فهذه الآية من أحكام الآخرة ، وليس من أحكام الدنيا ، شاهد ذلك الواضح ، قوله ، عز وجل ، في آخر الآية : ﴿فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون (١٤)﴾ [٢] ، فتراه قال ، عز وجل : ﴿بما كنتم تعملون (١٤)﴾ ، وأنت وإخوانك المجبرة ، تلزمونه ذنوبهم وخلق أفعالهم ، وإرادة [٣] الكفر منهم ، وأنه لم يرد، زعمت ، منهم أن يؤمنوا ، فيبطل علمه ، ونسيت ترغيبه لهم في التوبة، والرجوع إلى الحق ، فهربت من أمر ، ووقعت في أعظم منه .

ولو كنت نظرت في باب العلم، نظراً شافياً ، لعلمت أن الله ، عز وجل ، ليس لأجل العلم أثاب ولا عاقب ، ولاخلق جنة وناراً ، ولا أرسل الرسل ولا أنزل الكتب ، ولا حذر ولا أنذر ولا أعذر ، ولا عنه سأل ، ولا به أخذ ، ولا أنزل فيه قرآناً ولا حجة مع نبي ، ولا تجد في العلم حجة توجبُ لك أن العلم حائل بين العباد وبين الطاعة أبداً .

المجبرة ونفي الدهر :

أما نفي الدهر ، فاعزل العلم من فريتك على الله ، عز وجل ، ناحية، فقد أهلكت من أخذ عنك ، وقلدك أمر دينه، فلايُبعد اللهُ إلا من ظلم : ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (٢٢٧)﴾ [٤] .

واسمع إلى قوله ، عز وجل : ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن ٦٨ظ / يضلهم ضلالاً بعيداً (٦٠)﴾ [٥]، هذا - ويحك - قول من أراد منهم ، الكفر / وقدره عليهم، وخلقه فيهم من فعلهم!

---

(١) سورة السجدة : الآية ١٣

(٢) سورة السجدة : الآية ١٤

(٣) في الأصل : أراد

(٤) سورة الشعراء : الآية ٢٢٧

(٥) سورة النساء : الآية ٦٠

سبحانه الله العظيم، وتعالى عما قلتم علواً كبيراً، ألا ترى كيف تضربون وجه القرآن، وتردون عليه مكابرة للعقول، وتركاً لاستعمال النظر وتدبر القرآن، فالله المستعان.

والدليل على أن الله، جل ثناؤه، عدلٌ لا يجورُ على خلقه، ولا يقضى عليهم بالفساد إقرار المخالفين لنا، أنه، عز وجل، غنيٌّ، فلما صحَّ أنه غنيٌّ، نظرنا ما سبب جور الجائر، وما الذى حمله على الجود، فإذا الجائر لم يحمله على الجور لا استجلاب منفعة لنفسه، أو دفع مضرة عنها، ولولا ذلك لم يجر ولم يظلم، وأن [1] ذلك الفعل لا يفعله إلا فقير محتاج، غير غنى عن فعل ذلك، وإذا الواحد الرحمن، الكبير المتعال، القوى القادر القاهر، عز وجل، **غنى على الحقيقة لا على المجاز**، وهو غنى عن عباده، ولا يحتاج إلى شئ من جميع الأشياء كلها، والغنى عن عبادة لا يستجلب لنفسه منفعة ولا يدفع عنها مضرة، فصح وثبت أن الجور والظلم عنه منفى، إذ لا فاقة ولا حاجة تضطره إلى استجلاب منفعة، ولا دفع مضرة، تقدس عن ذلك رب العالمين، الذى لا يأمر بالجور، ولا يرضى [2] به، ولا يقضى بالفساد، ولايخلق افعال العباد، ولا يقدر عليهم العبادة للأنداد، ولا الموالاة للأضداد، ولا قتل أهل الرشاد، ولا القول بالإلحاد، ولا ما ادعوا عليه من الصواحب والأولاد، قدوس قدوس رب العرش العظيم.

***

احتج المجبر بقوله تعالى ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾:

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عن قول الله، سبحانه، ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [3]، اليس هو فعال لذلك؟ فإن قالوا: بلى [4]. فقل: أفليس قَدْ أرادَ أن يكون الناس جميعاً مؤمنين؟.. فإن قالوا: بلى.

فقل لهم: فما لهم لم يكونوا كما أراد أن يكونوا؟!

فإن قالوا: إنه لم يرد أن يكونوا مؤمنين، إرادة قسر، وإنما أراد أن يكونوا مؤمنين

---

(١) فى الأصل. إذا

(٢) فى الأصل: ولا يضا

(٣) سورة البروج: الآية ١٦

(٤) فى الأصل بلا. وكذلك كل حرف رحاته يأتى بعد

على وجه التفويض إليهم ، فقل لهم عند ذلك ، **أليس لله إرادتان ومحبتان ، أحداهما لا تكون كما أراد أن تكون ، والأخرى تكون كما أراد وأحب؟ .**

فإن قالوا : بلى . : فقل : افليس تختلف إرادة الله محبته ؟ .

فإن قالوا : نعم . فقد أعظموا الفرية على الله ، حيث ، زعموا ، أن إرادته ومحبته مختلفة . أحدهما : قاهر ، والأخرى : مقهورة ، واحدة نافذة ، والاخرى ليست بنافذة . / فإن قطعوا بها ، فليس لها وجه إلا ما أراد الله فهو كائن ، ولم يرد الله أن يؤمن الناس ٦٩ و/ جميعاً ولا يكفرون جميعاً ، وأن ما أراد الله أن يكون / فهو كائن ، كما أراد أن يكون ، فذلك العدلُ قد أقروا به .

***

رد أحمد بن يحيى :

الجواب قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : وسالت عن قولك الله ، سبحانه : ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾[1] ، وزعمت أنا إن قلنا : إن لله ، عز وجل ، إرادتين ومحبتين ، لزمنا ، زعمت ، أن له إرادة مقهورة ، والأخرى قاهرة ، وأنا قد أعظمنا على الله ، عز وجل ، الفرية ، أن قلنا : إن إرادته ومحبته مختلفة ، وأن أحدهما نافذة والأخرى غير نافذة ، وقلت : إنه يلزمنا - إن قلنا ذلك - أنا نوجبُ عليه الضعفَ والقهرَ .

إرادة الخلق : إرادة قاهرة نافذة :

وإنما يجب الضعف والقهر على من عجز من إنفاذ إرادته ، وقهر عن بلوغ أمره ، وحيل بينه وبين مشيئته ومحبته ، وهذه صفة العاجز المقهور ، والضعيف المكثور[2] ، فأما من أراد الأمر والخلق لما خلق ، والابتداع لما ابتدع ، والإنفاذ لما أمرهم ، عز وجل ، ولم يجعل فيه الخيرة إلى عبيده ، ولا الظلم لأحد من بريته ، فخلقَ ما أرادَ وأنفذ ما أحبَّ ، مما تولى[3] صنعه ، فتلك إرادته التي حتم نفاذها ، وقضى[4] كونها ، وقهر سلطانه ، فطرتها .

---

(١) سورة البروج : الآية ١٦

(٢) المغلوب .

(٣) في الأصل : تولا

(٤) في الأصل : قضا

مثل السماوات والأرض ، والشمس والقمر ، والنجوم والرياح، والسحاب والجبال، والأشجار والأمطار والأنهار ، والأجسام والأعراض ، وماكان من خلقه الذى لم يشاور فيه أحداً ، ولم يشركه فيه شريك ، ولم يعانده فيه معاند ، ولم يعب كونه على أحد ، ولم يعذب عليه مضاداً ولا عاصياً، وحتمه حتماً لا حيلة فيه ، فذلك خلقه ، عز وجل ، وإرادته النافذة غير المقهورة ولا المردودة .

إرادة الأمـر :

وأما الأمر الآخر الذى أراد أن يكون عباده، بالتخيير منه لهم، لا بالجبر ولا القسر ولا الحتم، فهو ما أمرهم به من الطاعات، واجتناب المحرمات، التى جاءت بها الرسل، صلوات الله عليهم، ونزلت بها الكتب، من الفروض الواجبة المحتومة عليهم، وأمرهم أن لايتعدوا حدوده في ذلك ، بلاجبرٍ ولا قسر، بل خيَّرهم فى ذلك تخييراً، فقال لهم: ﴿ **إنّ الأبرار لفي نعيم (١٣) وإنّ الفجّار لفي جحيم (١٤)** ﴾[١]، ولو جبرهم جبراً على الطاعة، لم يكن لهم حمد ولاأجر، كما لم يكن للسماوات والأرض حمدٌ ولاأجر، لما فطرهما عليه من الفطرة ، وكذلك لما وقع التخيير لبنى آدم، وجب الثوابُ والعقاب .

ولو كان جبر الكفارَ على الكفر، ثم عذبهم ، لم يكُنْ بعادلٍ ولا صادق فى قوله:
٦٩ ط / ﴿ **وما ربُّك بظلاّمٍ للْعبيد (٤٦)** ﴾[٢]، مع آيات / تكثر وتطول . منها : ﴿ **وما اللّهُ يريدُ ظُلْمًا لّلْعالمين (١٠٨)** ﴾[٣]، ﴿ **وما كان ربُّك ليُهْلك الْقُرى بظُلْمٍ وأهْلُها مصْلحُون(١١٧)** ﴾[٤]، وقوله : ﴿ **إنّ الله لا يظْلمُ النّاس شيْئًا ولكنّ النّاس أنفُسهُمْ يظْلمُون(٤٤)** ﴾[٥]، فهذا قوله ، وخبره الذى لاينتقض .

وأما الدليل أنه له إرادة نافذة قاهرة لا مردَّ لها، فقوله، عز وجل، : ﴿ **إنّما قوْلُنا لشيْءٍ إذا أردْناهُ أن نّقُول لهُ كُن فيكُونُ (٤٠)** ﴾[٦]، بلا فاقة إلى ذلك القول ، ولا حاجة إلى قول : ﴿ **كُن فيكُونُ (٤٠)** ﴾ .

---

(١) سورة الانفطار الآيتان ١٣ ، ١٤ .
(٢) سورة فصلت الآية ٤٦
(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٨
(٤) سورة هود الآية ١١٧
(٥) سورة يونس الآية ٤٤
(٦) سورة النحل الآية ٤٠

إنما المعنى فيه ، إنه كلما أراد شيئاً ، كان ذلك الشئ، بلا امتناع، طرفة عين ؛ لأنه حتم وقسر وجبر، وليس ثم حاجة ولاافتقار ، إلى قول « كاف ونون» .

إرادة النهـى :

وأما الإرادة الأخرى؛ فهى أنه أراد من العباد الطاعة ، وترك المعصية ، مخيرين غير مجبورين ، ليجب الثواب والعقاب ، بالحكمة الظاهرة ، وإتقان الصنع ، وقوام العدل الذى لا ضلل فيه .

فالدليل على تلك الإرادة ، والشاهد لها قوله ، عز وجل للكفار لما ادعوا الأولاد والصواحب والشركاء والأنداد ، عز عن ذلك وتعالى علواً كبيراً، فقال : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَم ﴾ [1] ، وزعمت أنت وأصحابك المجبرة أن الله ، عز وجل، أراد من الكفار أن يدّعوا له الصواحب ، والأولاد والشركاء والأنداد ، فقد نسبوا إليه ، عز وجل ، ما لا يعلم ، فيلزمكم أيها المجبرة أن له إرادة لا يعلمها ، ومن كانت له إرادة لا يعلمها ، فهو أجهل الجهال ، وإرادته أحول المحال، وهذا فأبطل مقال، وأضل ضلالا ، وكفى بهذه الحجة القاطعة، لنا عليك، إن عقلت وعزلت الهوى؛ لأنه أرد ما لايعلم ، فى قولكم ، وهذا أحول المحال، الذى لا محال أوضح منه، وفى هذه الحجة وحدها، انقطاعك فى الإرادتين جميعاً ، وبيان غلبتنا لك ، وسقوط حجتك ، والحمد لله رب العالمين .

إرادة بيان وهـدى :

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (٢٧) ﴾ [2] ، وذلك الأمر الذى أراده الذين يتبعون الشهوات ، هو إرادة الله أيضاً ، زعمت ، لأنه عندك فى قولك، خلقها وقدرها وقضاها .

فعند ذلك نقول لك : أخبرنا عن إرادة الله ، عز وجل ، التى ذكرمن التبيين لعباده ، والهداية للسنن الماضية من الحق ، أليس هى إرادة الله ، جل ثناؤه ،؟! .. فإن قلت : لا .

---

(١) سورة الرعد : الآية ٣٣ .

(٢) سورة النساء : الآيتان ٢٦ - ٢٧ .

٧٠ و / كفرت بالقرآن. وإن قلت : نعم. قلنا لك : فهل هى إرادة حق وعدل ورشد وصواب . فإن قتل: / لا . كفرت . وزعمت أن إرادةَ الله ، عز وجل ، للبيان لعباده ، والهداية لهم إلى سنن الذين أنعم عليهم من قبلنا ، أنها غير حق ولا رشد ولا عدل ولا هدىً [١] .. قلنا لك : هذا خروجك من الإسلامِ جملة..

وإن قلت : إنك لا تقول ذلك، وأنها إرادة عدل ورشد وهدى [٢] وصواب . قلنا لك : هذا هو الحق ، وهو قولنا .

ثم نقول لك : فأخبرنا عن إرادة الذين يتبعون الشهوات ، أليس هى عندك أيضاً إرادة الله التى أرادَ منهم أن يفعلوها ؟..

فإن قلت : لا. لزمك أنك قد رجعت عن قولك، وبان جهلك، وأن الله ، عز وجل، لم يرد منهم أن يتبعوا الشهوات ، وأن يميلوا ميلاً عظيماً ؛ وأن للكفار إرادة هى غير إرادة الله، وذلك الحق، وهو قولنا وقول الأنبياء والمرسلين ، وقول الملائكة المقربين.

وبان خطؤك [٣] وفريتك على الله ، عز وجل ، وإخوانك المجبرة ، وإن جسرت وأدركتك الحمية على ا لعمى والكفر، وتقليد الرجال أمر دينك ، فقلت: بل إرادة الذين يتبعون الشهوات، هى إرادة الله، أرادها الله منهم أن يكونوا متبعين للشهوات .

قلنا لك: فأخبرنا عن إرادتهم هذه ، التى أضفتها إلى الله، عز وجل، ما هى ، هل هى إرادة رشد وحق وعدل وصواب؟

فإن قلت: لا.. لزمك أن الله ، عز وجل ، يريد غير الرشد والصواب والعدل ، ورجعتَ عن قولك، ولزمك أنك كنت مقيماً على الفرية على الله ، عز وجل.

وإن قلت : إنها إرادة رشد وعدل وحق وصواب . لزمك أن إرادة الكفار المتبعين للشهوات المريدين للميل العظيم ، هى إرادة رشد وحق وعدل وصواب ، ولافرق بين إرادة الله، وإرادتهم – على زعمك – فى الصواب والرشد والعدل .

---

(١) فى الأصل : هدا.

(٢) فى الأصل هدا

(٣) فى الأصل حطاك

ويلزمك أيضاً أن اللهَ ، عز وجل ، عاب عليهم في كتابه إرادة الصواب والرشد والحق والعدل ، وأنه لم يعب عليهم جواراً ولاخطأ ولا ظلماً ، وهذا أعظمُ كفرٍ قال به كافرٌ، وأعظم فرية افتراها مشرك ، وفي هذه بيان خطأ ما قلت، وسقوط قولك ، لو كانت كل إرادة من العباد هي إرادة الله، عز وجل، للزمك أن الله ، تبارك وتعالى عن قولك، حيث قال : ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ [١] ، انه أراد الفواحش كلها، وقتل الأنبياء، وأئمة الهدى، وإرادته ، زعمت ، فعله . فيلزمك أنه فاعل الفواحش ، تبارك وتعالى عن ذلك علوا كبيراً .

٧٠ط / وقوله : ﴿ وَمَا اللَّهُ / يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [٢] ، يكفينا عن قول غيره من القول، لو وَجَدَ عقولاً تقبله !

وقوله : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ [٣]، فالبغي منهم والاختلاف منهم ، وأنت وإخوانك المجبرة، تقولون أن جميع ذلك من الله، عز وجل، خلق وإرادة وقضاءً وجبر ، سبحان الله، جل عن ذلك العزيز الرحيم، الذي لايحب الفساد ، ولا يظلم العباد .

احتج المجبر بقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ !

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي: ثم سلهم عن قول الله، سبحانه : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ [٤]، أخاصة هي لثمود أم عامة للناس؟

فإن قالوا : إنها خاصة لثمود ، فقل لهم : فاخبروني عمن لم يخصه الله بالهدى، أيستطيع الهدى ، ولمن يخصه الله به، ولم يعطه إياه؟

فإن : قالوا : نعم .. فقل لهم : **(إذاً يستطيعون أن يأخذوا ما يمنعهم الله إياه؟ فإن قالوا : نعم . فقل)** [٥] : فهم إذاً أقوى من الله حين يستطيعون ان يأخذوا مايمنعهم الله إياه؟ وإن لم ينفذوا هذا، وفروا منه، وقالوا : إنها للناس جميعاً .

---

(١) سورة البروج : الآية ١٦ .
(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٨ .
(٣) سورة آل عمران : الآية ١٩ .
(٤) سورة فصلت : الآية ١٧ .
(٥) زيادة من الهامش

فقل : أفليس قد هدى المشركين إلى ما هدى إليه المؤمنين ؟.. فإن قالوا : نعم [١] . فقل : قد هداهم الله ، عز وجل، جميعاً يعنون قد دعاهم جميعاً . فقل : إنا لا نسألكم عن هذا ، هذا عدلٌ نحن نقول : إن الله قد دعا [٢] الناس جميعاً ، وذلك معنى هذه الآية : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾[٣]، يعني دعوناهم إلى الهدى . ونحن نلزمهم أن الله ، سبحانه ، قد خص بالدين قوماً دون قوم، وأن المؤمنين لم يكونوا يشكُّونَ في توحيد الله ولا في القيامة ، وأن الكفار كانورا شاكين جهلاً ، لقول ، عز وجل ،: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ﴾[٤]، وقوله عنهم: ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾ [٥]، وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾[٦].

جواب أحمد :

الجواب قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : وسألت عن قول الله ، سبحانه ، وهو أصدق القائلين : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾، قطعت آخر الكلام الذي فيه انقطاع دعواك ، وذلك أنك علمت أنك مغرور ، وأن في آخر الآية فضيحتك وبراءة الله، عز وجل، في فريتك ، وما أسندت إليه وألزمته كفر ثمود ، وبراءتهم منه، فإفهم أيها الأعمى القلب، والمفارق للحق إلى حجة الله، جل ثناؤه ، على ثمود التي أوجبت عليهم الخلود في النار الكبرى بفعلهم وظلمهم واختيارهم، واتباع أهوائهم، لا فعله هو ولاتقديره ، عز عن ذلك وتعالى ، فقال يخبر محمداً ، صلى الله عليه ، من كفرهم واختيارهم للعمى على الهدى وتركهم للهدى [٧]، عياناً بعد البيان ، والدعاء
٧١ و / الذي أقررت به ، فقال، عز وجل: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ / فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾[٨]، أفلا ترى كيف أخبر الله، عز وجل، عنهم أنهم استحبوا العمى على الهدى، استحباباً لا كرهاً ولاقسراً!!

---

(١) في الأصل : نعم . «فقل:» وهي زيادة بلا معنى .
(٢) في الأصل : دعى .
(٣) سورة فصلت : الآية ١٧ .
(٤) سورة فصلت : الآية ٥٤ .
(٥) سورة البقرة : الآية ١١٨ .
(٦) سورة النجم : الآية ٣٠ .
(٧) في الأصل : للعمنا .... للهدا وستتكرر كثيراً في الصفحات التالية .
(٨) سورة فصلت : الآية ١٧

ونحن نقول لك: ما تقول في قول الله ، عز وجل ، : ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ** ﴾، هل صدق الله، جل ثناؤه، عليهم أنهم استحبوا العمى على الهدى، أم لا ؟.. فإن قلت : لا ، لم يصدق عليهم.. كفرت، وخرجت من الإسلام جملة.

وإن قلت : إن الله ، عز وجل، قد صدق على **ثمود**، أنه هداهم فاستحبوا العمى على الهدى واختاروه على الطاعة . لزمك أنك تركت قولك، ورجعت عن فريتك على الله، عز وجل، واحتججت بآية من القرآن، هى عليك لا لك. **مرسلُ سيفِ البغى قتل به !!**

وأما قولك: هل اهى خاصة فى ثمود، أم عامة للناس؟ فإن جميع ما القرآن من العدل يجرى مجرى واحداً ، وعدل الله ، عز وجل، فيه واحد، وأن جميع ما دعا **الله**، عز وجل، إليه جميع الكفار واستحبوا فيها العمى على الهدى ، انه عام لفاعليه كلهم، وقد يخص الله، عز وجل، قوماً بمخاطبة يدخل فيها غيرهم ، مثل قول : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ⁽٦⁾** ﴾[١]، يريد بذلك ، جميع الناس كلهم ، وهى من حجتنا فى العدل حيث قال ، جل ثناؤه ، ﴿ **مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ⁽٦⁾** ﴾، يعنى : وما الذى غرك من الطاعة له، ولوكان هو الذى غرَّه ، ما ساله عما غرَّهُ هو به ، رجع الكلام، وقوله ، عز وجل ، : ﴿ **وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا** ﴾ [٢]، ولم يقل فقضيت عليهم الظلم والعقر لها ، بل قال ، عز وجل ، : ﴿ **فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ⁽٢٩⁾** ﴾ [٣]، ولم يقل: فعقرت ناقتى، ، ولا قضيت عليهم عقرها ، ثم ألزمتها قداراً وقومه ، وعذبتهم بالنار فى خلود الأبد على عقرك لها ، وإرادتى لعقرها ، وعتقت **ثموداً** ، وعبت فعلها ، عز الله عن ذلك وعلا علواً كبيراً!!

أعطى الله الدين للجميع :

وأنت مخطئٌ فى سؤالك فى هذا الموضع عن الاختصاص بالدين ، وتريد أن **الله**، عز وجل ، خص به بعضاً دون بعض، وهذا من قولكم وهو مما لايجوزُ ؛ لأن الناس كلهم فى الدعاء إلى الدين سواء ، والإعطاء للطاقة على أخذه، فهم فيه سواء ،

---

(١) سورة الانفطار : الآية ٦ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٥٩

(٣) سورة القمر : الآية ٢٩ .

والتعريف لجميع الدين، فهم فيه سواء، لم يجبرهم عليه جبراً ، ولم يفضل بعضهم على بعض، بأنه أعطى بعضاً ديناً وحرمه آخرين ، حاش لله من ذلك، عز وجل رب العالمين .

الدين واحد، والدعوة واحدة، والأمر بالدين واحد، وليس الله، عز وجل ، يمنع أحداً عن دينه، ولا يحول بينه وبين أخذه، بل لطف بهم في الدعاء ، وسألهم الدخول في ٧١ظ/ الطاعة بأرفق الرفق ، وأحسن الدعاء، وأبين رحمة، وأوجب / حجة، وأكمل عدل، وأبعد ظلم وجبلٍ وهزل .

الا ترى كيف قال لموسى وهارون، صلى الله عليهما ، : ﴿ **اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤)** ﴾ [١] .

وأما زعمك أنا نفر من طريقك وحججك ، فلعمري الكفر أحقُّ ما فرَّ منه المؤمنون ، فأما مسائلك ورد جوابها ، فليس مثلناً فرَّ عن مثلك ، والحقُّ هو القاهرُ للباطل .

وأما قولك إنك سألتنا ، زعمت ، فتقول : أفليسَ قد هدى الله المشركين لما هدى إليه المؤمنين ؟ فإذا قلنا لك : نعم قلت لنا ، زعمت : قد هداهم الله جميعاً ، يعنون قد دعاهم جميعا ، وهذا عندك – زعمت – معنى الآية : ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ** ﴾ [٢]، ثم أمسكت عن آخر الكلام، وهو: ﴿ **فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ** ﴾، ونحن نقول : إن الهدى من الله، عز وجل، هو الدعاء إلى الدين لا الجبر ، ولا القسر ولا الحتم ، فأنت تجعل الهدى إدْخالاً في الهدى كرهاً وجبراً ، وكذلك الكفر تجعله إدخالاً فيه جبراً وقسراً .

الهدى هو الدعاء:

ولم نجد في كتاب الله ، عز وجل ، آية واحدة، تشهد لكم في القرآن بذلك ، بل الآيات كلها كاملة، تشهد لنا بأنه ، عز وجل ، لم يعاقب، ولم يثب، إلا بما فعل الخلق، لا بما فعل هو ، جل ثناؤه ، والهدى هو الدعاء ، وأي هدى أعظم من الدعاء الذي دعا الله، عز وجل ، خلقه إليه، فاستحب من استحب منهم العمى على الهدى

---

(١) سورة طه : الآيتان ٤٣ – ٤٤ .

(٢) سورة فصلت : الآية ١٧

هو الدعاء، وليس لك فيه حجة، تسقط العدل بوجه من جميع الوجوه ، ثم قلت في آخر مسائلتك : **ولكنّا إنما نسألكم عن التعريف للهدى : أليس قد عرّفَ المشركين** – زعمت – جميعاً من توحيده ،ورسالة رسله، ما عرف المؤمنين ؟!..

فإن قلنا لك : نعم ، قلت لنا : فإن الله يذبُ قولنا ، زعمت ، بقوله : ﴿ **أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ** ﴾[1]، وقوله : ﴿ **بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي** ﴾[2]، وبقوله : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ** ﴾[3]، وبقوله : ﴿ **ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ** ﴾[4] ، وأشباه ذلك من كتاب الله ، عز وجل ، والمؤمنين ، زعمت ، لم يكونوا في شك من ذكر الله ، ولا في شك من القيامة ، زعمت ، ولا في مرية من لقاء ربهم، وأنا لانجدُ ، زعمت ، ها هنا مخرجاً ، ولا حجة ندفع ما قلت ؛ لأن تنزيل القرآن يكذبنا ، زعمت ، وقد كتبت هذه في أول مسائلك ، زعمت ، فقلت : إنه قد دخل فيها شئ أحببت تفسيره !

فالجواب ؛ قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، : ونحن نجيبك، فنقول لك : ٧٢و/ إن الله ، عز وجل ، قد عرف المشركين جميعاً من توحيده، ورسالة رسله ، ما عرف المؤمنين ولايجوز غير ذلك في عدل الله ، عز وجل ، وإلا لم تلزم المشركين حجة، الا ترى كيف قال : ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥)** ﴾[5]، قوله ، عز وجل، : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ** ﴾[6]، وقوله، عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾[7]، وقوله : ﴿ **بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾[8]، وقوله : ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣)** ﴾[9]، وقوله : ﴿ **ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب** .. ثم قال .. **لِيَقُومَ النَّاسُ**

---

(١) سورة فصلت : الآية ٥٤ .

(٢) سورة ص : الآية ٨ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١١٨ .

(٤) سورة النجم : الآية ٣٠ .

(٥) سورة المؤمنون : الآية ١١٥ .

(٦) سورة سبأ: الاية ٢٨ .

(٧) سورة الاعراف : الآية ١٥٨ .

(٨) سورة المائدة : الآية ٦٧ .

(٩) سورة الليل : الآيتان ١٢ – ١٣ .

بالقسط ﴾[1] ، لم يخص أحداً دون أحد بتعريف ولا هدى ، وقال : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [2] .

قـــوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِيـنِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الـدِّيـنِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝ ﴾ [3] .

أفـلا ترى أنـه أراد أن لا يكون في جـمـيع الأرض، كلهـا دين إلا دينه وحـده ، ولادين معه تخييراً ، وأنه قد دعا جميع الخلق إلى تعريف ذلك الدين ، شاهد [4] ذلك قوله ، عز وجل، يدل على أنهم قد عرفوا الدين كله، حيث يقول : ﴿ وجحدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[5]، وقـوله: ﴿ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۝ ﴾[6]، وقـوله: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ ﴾[7]، ثم قال ، عز وجل ، الحجة القاطعة ، وقولـه : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾[8]، وقوله : ﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه ﴾[*] ، ثم قال ، عز وجـل، الحجـة القاطعـة، التي ليس لأحـد بعدهـا عذر ، وهـي قـولـه ، عـز وجـل، : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّـاسِ عَلَـى اللَّهِ حُجَّـةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[9]، فـأي حجـة أقوى من حجة من خص بأمر على صاحبه ، وكلف صاحبه من العمل مثل ماكُلف ، فلما قصَّرَ خُلد في العذاب المقيم ، وقد عرف صاحبه من التـوحيـد ، ورسالات الرسل ، زعمت ، ما لم يعرف الآخر ، وكذلك يقضـي قائدكم سُـدم، فـي مجلس قضائه، فأما رب العالمين، العدل الذي لايجـور، فليس هذا حكمه، عز عن ذلك وتعالى علواً كبيراً .

***

---

(١) سورة الحديد : الآية ٢٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢١٣ .

(٣) سورة الصف : الآية ٩ .

(٤) في الأصل : شاهدك .

(٥) سورة النمل : الآية ١٤ .

(٦) سورة العنكبوت : الآية ٣٨ .

(٧) سورة الاعراف : الآية ١٦٦ .

(٨) سورة البقرة : الآية ١٤٤ .

(*) هكذا تكررت في الأصل .

(٩) سورة النساء : الآية ١٦٥

يعذر المجبرة المشركين بأن كفرهم كان تجهيلاً من الله لهم به :

وأما قولك تعتذر على المشركين ، وتحتج لهم على رب العالمين ، وأنه قصدهم بالجهل، وخص المؤمنين بالعلم والهدى ، مثل ماذكرت : ﴿إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾ [1] ، وشك، ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾[2]، وقولهم : ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ [3]، وجميع مادفعت به عنهم، من الآيات التى جهلت معناها ، والزمت الله ، عز وجل ، كفرهم ، وأنهم لم يؤتوا فى كفرهم إلا من قبله، إذ جهلت تأويل المتشابه ، ولم تكن من أهل العلم الراسخين فيه ، فذهبت عن الهدى مذهباً بعيداً .

ثم قلت لمن غررتهم من أصحابك وأتباعك ، وأهلكتهم فى دينهم ، أنا لم نجد ها ٧٢ظ / هنا، مخرجاً ولاحجة، زعمت؛ لأن تنزيل القرآن يكذبنا على قولك، زعمت!

فاسمع الآن ما ياتيك من القرآن ، وغيره من الحجج القواطع ، بحجة الله ، عز وجل، أما قوله ، عز وجل: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ [4] ، وجميع ما ذكرت من الحجج، فذلك الذى فعلوه من المرية، والإعراض عن ذكر الله، عز وجل، والشك فى لقائه ، وأنه مبلغهم من العلم، فذلك كله الذى اعتللت به، إنما اختاروه بعد إبلاغ الرسل لهم ما حُمّلتْ إليهم ، وبعد تعريف التوحيد والفرائض، وإرسال الرسل فى دعائهم ونصحهم لهم، وتعليمهم والحرص عليهم والرفق بهم، فلما صدوا وعتوا، واختاروا العمى والجهل، على الهدى والطاعة ، واستعملوا الشك والارتياب والتجاهل بعد البيان ، سماهم الله، عز وجل، بما اختاروا من ذلك ، ونسب إليهم ما عملوا، وقص ذلك عليهم فى كتابه؛ لا أنهم جهلوا الله . عز وجل، ولارسله ولا توحيده ولا خلقه لهم، ولا أنه ربهم ، ولا تبليغ الرسل إليهم .

والشاهد لنا على ذلك، وإبطال حجتك، قول الله، عز وجل، : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[5] ، وقولهم فى الاصنام : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[6]،

---

(١) سورة فصلت :الآية ٥٤ .

(٢) سورة النجم: الآية ٣٠ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١١٨ .

(٤) سورة فصلت : الآية ٥٤ .

(٥) سورة الزخرف : الآية ٨٧ .

(٦) سورة الزمر : الآية ٣ .

وقوله ، عز وجل، : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ⑨ ﴾[1]، وقوله ، عز وجل: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ⑬ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ⑭ ﴾[2]، وقوله ، عز وجل، : يشهد عليهم بالبصائر : ﴿ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ㊳ ﴾[3]، وقوله ، عز وجل ، : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ㊾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ㊿ ﴾[4]،الا ترى كيف أقروا بأن الرسل قد جاءتهم بالبينات ، وأكبر البينات تعريف التوحيد والعدل.

أقر الكفار بالرسالة :

الا ترى كيف أقروا بأن الرسل قد جاءتهم بالبينات ؟!

فأى شك فى التوحيد والعدل، أو فى القيامة[5] ، بعد إقرارهم بأن الرسل قد جاءوهم بالبينات، كما قال الله ، عز وجل ؟!.. كأنك لم تسمع الله ، جل ثناؤه ، يقول: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ ﴾[6]، وقوله : ﴿ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[7]، وقوله : ﴿ اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ ﴾[8]، وقوله فى فرعون اللعين: ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾[9]، فأين كانت أذناك عن هذا كله، يأيها الهالك فى دينه؟!!

وقوله ، عز وجل، : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ
٧٣و/ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ / الْبَصِيرُ ㊱ ﴾[10]، وقوله ، عز وجل، : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ㊾ ﴾[11]، وكل ما (*)

---

(١) سورة الزخرف : الآية ٩ .
(٢) سورة النمل الآيتان ١٣ – ١٤ .
(٣) سورة العنكبوت : الآية ٣٨ .
(٤) سورة غافر : الآيتان ٤٩ – ٥٠ .
(٥) فى الأصل : القيمه .
(٦) سورة الاعراف : الآية ١٦٦ .
(٧) سورة النمل : الآية ١٤ .
(٨) سورة فاطر : الآية ٤٣ .
(٩) سورة القصص : الآية ٣٩ .
(١٠) سورة غافر : الآية ٥٦
(١١) سورة غافر : الآية ٥٩
(*) فى الأصل : وكلما

ذكر الله، عز وجل، عنهم من شك أو مرية أو ارتياب أو تجاهل، فإنما ذلك كله بعد لزوم الحجة لهم، وإبلاغ الرسل، ووضوح القرآن، وقطع عذر جميع من تحت اديم السماء، والدليل على ذلك قوله، عز وجل، : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) ﴾[1].

كان للكفار علم :

أفلا ترى أن الله، عز وجل، أخبر أن عندهم علماً، ثم قال : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾[2]، وكذلك لم ينفع **فرعونَ** إيمانه، لما رأى بأس الله، عز وجل، وقوله، سبحانه، : **﴿ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (١٣٥) ﴾**[3].

اختاروا الكفر :

أو لاترى أكبر شاهد عليك، **أنهم إنما اختاروا الكفر على الإيمان**، اختياراً لاجبراً، فلما رأوا بأس الله، عز وجل، تركوا ما اختاروا من الشرك، حين عاينوا العذاب وعرضوا عليه، وحيث أرادوا الإيمان آمنوا، كما كفروا حيث ارادوا الكفر، وهذا[4] **اكبر** شاهد، في إثبات العدل، وإبطال الجبر، وفي هذه الآية التي قبل هذه الآخرة، **لنا عليك ثلاث حجج، واحدة في اعتلالك بالعلم، والآخرى قولك أن الاستطاعة مع الفعل، والثالثة قولك أنهم مجبورون على الشرك جبراً.**

١- فتراهم حيث أرادوا ورأوا بأس الله، عز وجل، فايقنوا بالعذاب، كفروا بماكانوا به مشركين، حيث أرادوا الرجوع عن الشرك. فصح أنه لاجبر كان لزمهم !!

٢- والأخرى أنهم كانوا مستطيعين للإيمان، قبل فعل الإيمان، لما آمنوا حيث أرادوا.

٣- والحجة الثالثة: قد لزمك أن العلم لم يحملهم على الشرك، ولا أن **قولك: إن**

---

(١) سورة غافر: الآية ٨٣ .

(٢) سورة غافر : الآيتان ٨٤ - ٨٥ .

(٣) سورة الاعراف : الآية ١٣٤ .

(٤) في الأصل : وهاذا.

الله لايريد أن يؤمنوا ، فيبطل علمه ، زعمت ، أفلا تراهم قد آمنوا حيث أردوا، كما أراد منهم أن يؤمنوا تخييراً لاجبراً ، ولم يَحُلْ العلم بينهم، وبين التوبة !

ألا تسمع كيف حكى الله، عز وجل، ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[1]، فأى برهان أوضح من هذا البرهان !!.. ٧٣ط /

وأى حجة أقوى من هذه الحجة الدامغة لكل مجبر على وجه الأرض.

لا توبة عند حضور الموت وانكشاف العذاب :

ثم قال ، جل ثناؤه ، : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[2] ، وكذلك قال ، عز وجل ، فى إيمان فرعون ، سواء سواء ، إنه آمن حيث أراد، وكفر حيث أراد ، ولم ينفعه إيمانه ؛ لأن السنة قد جرت من الله ، عز وجل ، انه لا يقبل التوبة عند حضور العذاب ؛ لأنهم كانوا يستطيعون الإيمان قبل ذلك ، الا ترى كيف قال : ﴿ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[3] ؛ لأن الاستطاعة موجودة فيهم قبل الفعل ، وإنما تقبل التوبة والناس فى مهل ، والإيمان لهم ممكن؛ لانهم يقدرون عليه ويستطيعون ، ولذلك لم يقبله ، عز وجل، عند حضور العذاب والأخذ بالكظم ، **وهذا أكبرُ دليل، وأقوى حجة على أن الاستطاعة قبل الفعل** ، ولذلك لزمتهم الحجة .

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ، فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[4] .

أفلا ترى، أيها المغبون فى عقله، ان الصاعقة أخذتهم بكسبهم ، لا بما ذكرت من أن الله ، عز وجل ، أخذهم بلا كسبهم ، وزعمت ، أنه أراد منهم الكفر !!

ألا تسمعه كيف يقول : ﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[4]؛ **ولم يقل بما خلقت من فعلهم ، سبحان الله العظيم،** ما أعظم ما قلتم على الله ، عز وجل ، .

---

(١) سورة غافر : الآية ٨٤ .

(٢) سورة غافر : الآية ٨٥ .

(٣) سورة القلم : الآية ٤٣ .

(٤) سورة فصلت : الآية ١٧

ومن الحجة عليك، في عذرك للمشركين، أنهم في مرية وشك، وأنه لا علم لهم ولا بصيرة عندهم، واحتججت بقوله، عز وجل، ﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ (1)، فأين نسيت قوله، عز وجل: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (13) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14) ﴾ (2).

وزعمت أنا لانجد في هذا الموضع حجة ندفع بها قولك، جهلاً منك بكتاب الله، عز وجل، وإعجاباً بالخطأ، وقوله، عز وجل: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (26) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (27) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (28) ﴾ (3)، فهل تسمعه، عز وجل، يقول كما قلت، أو ينسب إلى نفسه ما نسبت إليه، من أنه أراد ذلك منهم، وقضاه عليهم، وخلقه من فعلهم !!!

وزعمت أنهم لاعقول لهم، ولا بصائر عندهم، ولامعرفة توجب عليهم حجة، فأي ظلم أو جور أجور، من ظلم عَذَّبَ من هذه صفتُهُ، بل عذرتهم وألزمتَ خالقك خطاياهم ؟!

٧٤ و/ ألم تسمعه، عز وجل، يخبرُ أنه خَلَّدَهم في / النار ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82) ﴾ (4)، ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ (5)، ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17) ﴾ (6)، ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (28) ﴾ (7)، وتبرأ، عز وجل، مما ادعيت عليه، وألزمته من خلق أفعالهم، وقضى الفساد عليهم، وقوله، عز وجل: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53) ﴾ (8)، ثم

---

(١) سورة النجم : الآية ٣٠ .
(٢) سورة النمل : الآيتان ١٣ – ١٤ .
(٣) سورة فصلت : الآيات ٢٦ – ٢٨ .
(٤) سورة التوبة : الآية ٨٢ .
(٥) سورة النساء : الآية ٦٢ ، وقد اخطأ المؤلف في ذكرها فاضاف لها : (جزاء ..) حيث توجد هذه المادة في عدة صور ، اقربها للمعنى المقصود ما ورد في سورة آل عمران / ١٨٢ ، وسورة الروم / ٣٠ ، وما اشرنا إليه .
(٦) سورة السجدة : الآية ١٧ .
(٧) سورة فصلت : الآية ٢٨ .
(٨) سورة فصلت : الآية ٥٣ .

قال ، عز وجل، : ﴿ أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [١] ، أفلا ترى، أيها المغرور، أن المرية إنما اختاروها لأنفسهم !

واتبعوا الأهواء فيها ، مكابرة لعقولهم ، بعد ما تبين لهم الحق ، الذى أعلمك الله، عز وجل، (أنه أراهم آياته فى الآفاق وفى أنفسهم ، ولزمتهم فيه الحجة، وتبين لهم فيه الحق، ثم اختاروا التعامي) . عن ذلك الحق، فاحتج عليهم وعلى غيرهم من الظلمين ، أنه لا عذر لأحد بعد البيان وإرسال ، الرسل ، عليهم السلام ، وقوله ، عز وجل : ﴿ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [٢] ، أفلا ترى أنما يمارون بالمشاقة والمكابرة ؛ لا أنهم جبروا على ذلك ، ولا قسروا عليه !!

وقوله ، عز وجل، : ﴿ قَالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ، أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ، قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ، وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [٣] .

أفلا ترى، قد كانوا يعلمون بما أوتى موسى ؟!.. وزعمت أنت أنه لاعلم عندهم وقوله ، عز وجل : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [٤] . ولنا فى هذا الباب من الرد عليك، من شواهد القرآن، ما يطول به الكتاب .

وأما ما ذكرت من المؤمنين، أنهم لم يكونوا فى شك من ذكر الله ، جل ثناؤه ، ولا فى شك من توحيده ، ولا فى شك من القيامة ، ولا فى مرية من لقاء ربهم ، فنحن الآن نقول لك : خبرنا عن هؤلاء المؤمنين ، وهل هم مجبرون على ما ذكرت، لا تخيير لهم، كما قلت ، أم مخيرون تخييراً؟

حرية الاختيار مقررة عقلاً ونقلاً :

فإن قلت : إنهم مخيرون تخييراً ، قلنالك : لزمك أنك قد رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا بالعدل .

---

(١) سورة فصلت : الآية ٥٤ .

(٢) سورة الشورى : الآية ١٨ .

(٣) سورة القصص : الآية ٤٨

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٨٣

وإن قلت : إن الله ، عز وجل ، جبرهم على الإيمان جبراً ، وعلى انهم لا يشكون في توحيده، ولا في القيامة ، ولا في لقاء ربهم - أعني المؤمنين .

قلنا لك : أخبرنا (متى) جبرهم الله على هذا الذى ذكرت ، أكان ذلك الجبر منه لهم، وهم مشركون قبل أن يؤمنوا، أم وهم مؤمنون؟!

فإن قلت : إن الله، عز وجل، جبرهم على الإيمان ، بعد ما كانوا مشركين ، ٧٤ظ / قلنالك : فقد أكذبك الله، عز وجل، / بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) ﴾ [1] ، وقوله :، عز وجل، : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧) ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦) ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴾ [4]، وقوله : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [5] ، فاسمع إلى هذه الآيات في مسالتك عن ثمود خاصة، كيف جاء ك فيه الجواب القطاع لك في براءة الله ، عز وجل ، من كفرهم ، وإضافته لكفرهم إليهم، وإلى ما زين لهم الشيطان، وصدهم عن السبيل، وكانوا مستبصرين .

فلم يستعملوا تلك البصائر في طاعة الله ، عز وجل .

وأنت وإخوانك المجبرة ، تقولون : إن الله ، عز وجل ، هو الذى صدهم عن السبيل ، وأراده منهم، وقضاه عليهم، وخلقه من فعلهم ، فانقهر المفترى على الله منا ، والراد لكتابه صراحاً : ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١) ﴾ [6] .

ما يلزم المجبرة إن كانوا مجبورين على الإيمان :

ثم يلزمك من بعد ذلك، انه لا حمد لهم ولا شكر، ولا أجر تجب به الجنة، لو كانوا مكرهين على الإيمان ، وإذا لم يجز في حكمة الحكيم الصادق، أن يقول :

---

(١) سورة الزمر : الآية ٣ .
(٢) سورة النساء : الآية ١٠٧ .
(٣) سورة المنافقون: الآية ٦ .
(٤) سورة النساء : الآيات ١٦٧ - ١٦٩ .
(٥) سورة العنكبوت : الآية ٣٨ .
(٦) سورة البقرة : الآية ١١١ .

﴿ **جزاءً بما كانوا يعملون** ﴾ [١] ، ولا يقـول : ﴿ **كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ۝ وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾ [٢] ، وقال : ﴿ **بما أسلفتم في الأيام الخالية** ﴾ [٣] ، وقال : ﴿ **إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً** ﴾ [٤]، وإن قلت : إنه خيرَّهم من بعد ماهم مؤمنين.

قلنا لك : فقد لزمك أن أصل إيمانهم كان بلا جبر ، وبطلت دعواك .

ثم زعمت أنه جبرهم بعد ما اختاروا هم الإيمان ، زعمت ، وصار فعلهم للإيمان باختيارهم ، لاجبر لهم على الإيمان ؛ ثم جبرهم ، زعمت ، على أن لا يكون منهم شك في توحيده، ولا في قيامته ، ولا من لقاء ربهم ، زعمت ، بعد ما لزمك أن إيمانهم كانَ بلا جبر ولا قسر .

ويلزمك أن الاستطاعة قبل الفعل أيضاً ، وكل مجبور على شئ لا تجب له مكافاة ، ولا يعقل هذا الذى قلت، فى لغة العرب ولا خطابها، ولاغير ذلك.

وشاهد ذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ۝ فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ [٥]، وقوله : ﴿ **ولا تكسب كل نفس إلا عليها** ﴾ [٦]، وقوله: ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ۝ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ [٧]، وقوله : ﴿ **تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً** ﴾ [٨]، وقوله: ﴿ **ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله** ﴾ [٩]، ولوكان مجبوراً لم يوجد فى العقول أن له أجراً ، إلا أن تزعم أنه يجوز فى اللغة، أن باب دارك إذا أغلقته عليك ، أن له حمداً أو ٧٥و/ شكراً ، وإذا ./ فتحته ، وجب له حمد وشكر، وأنت المحرك له والفاتح!! . . فإن كان – لعمرى – هذا يجوز فى لغة العرب، ولايذم قائله ، فلا بأس بما قلت؛ وإن لم يجز عند العرب، وكان قائله فى العقول مذموماً ، لم يجز ما قلت !!

---

(١) سورة السجدة : الآية ١٧ .

(٢) سورة الذاريات :الآيتان١٧ – ١٨ .

(٣) سورة الحاقة : الآية ٢٤ .

(٤) سورة الكهف : الآية ٣٠ .

(٥) سورة الرحمن : الآيتان ٦٠ – ٦١ .

(٦) سورة الانعام : الآية ١٦٤ .

(٧) سورة الزلزلة: الآيتان ٧ – ٨ .

(٨) سورة مريم : الآية ٦٣ .

(٩) سورة النساء : الآية ١٠٠ .

وهذا القرآن أكبر شاهد عليك ؛ قال الله، عز وجل، : ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ، وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ، فَقَدْ فَازَ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) ﴾[١]، والآخرة لا تكون إلا للعاملين ولا تجب للمجبروين ، وقوله ، عز وجل : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩) ﴾[٢]، وقوله : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩) ﴾[٣]، فهل تراه أدخل الجنة أحداً بلا عمل ، أو أدخل النار أحداً بلا عمل؟!.. ولا تجد ذلك أبداً !.. إلا أن تجد سمكاً في الهواء، وطيراً في أسفل الماء . فإن وجدت ذلك ، فسوف تجد آية توجب لأحد من بني آدم الجنة ، أو توجبُ عليه النار، بلا عمل عمله، ولا أمر استحقه ، إلا أن يكون طفلٌ أومجنون لا عقل له ، أو معذورٌ ممن عذره الله في القرآن ، فلا سبيل لك إلى وجود ذلك أبداً، ولوجهدت جهدك؛ لأن الباطلَ لجاجٌ ، والحقٌ أبلجُ ، وكفى[٤] بهذا باهراً وكاسراً عليك .

عرّف الله المشركين توحيده :

ومن الدليل على أن الله، عز وجل، قد عرف المشركين من الدعاء إلى توحيده، ما عرف المؤمنين، من إقرار **إبي طالب بن عبد المطلب**[٥] ، عم النبي، **صلى الله عليه**، بأن الله، عز وجل ، هو الذي أرسل محمداً ، وأن محمداً رسوله، صلى الله عليه وعلى آله، وأن الله ربه وخالقه؛

ألا أبْلغا عَنّي على ذات نبينا لؤيـاً ... وخُصّاً من لؤيٍ بني كعبِ
ألم تعلموا أنّا وجدنا مُحَمداً ... نبياً كموسى، خُط في أوّلِ الكتبِ
وَأنّ عليه في العباد مَحَبةً ... ولا خيرَ ممن خصّهُ الله بالحبِّ

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨٥ .

(٢) سورة النجم : الآية ٣٩ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ١٩ .

(٤) في الأصل : وكفا .

(٥) **أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي ، (عبد مناف)** ولد سنة ٨٥ ق م ، وناصر النبي وآزره حتى مات ، وبلى في ذلك بلاء حسناً ، ومعتقد **الشيعة وأكثر الزيدية** انه مات مسلماً ،كاتماً لإسلامه، ساتراً له ، تقية من **قريش** ت ٣ ق هـ.

وَأَنَّ الـــذى ســودْتم مــن كتابــكم لكم كائن نحساً كراعيــة السَّقْب [1]

وهى أبيات اختصرناها .

افلا ترى إقراره ، بالله ، عز وجل ، وبوحدانيته ، ونبوة نبيه ، وإقراره **بموسى** ، صلى الله عليهما ، وإقراره بناقة **ثمود** ، حيث قال : وأن الذى سودتم فى كتابكم لكم كائن نحساً كراعية السقب ، وراعيةُ السقب، هى ناقة ثمود ، يقول لقريش : إن الكتابَ الذى كتبوه على النبى ، صلوات الله عليه وعلى آله، وعلى **بنى هاشم**، فى قطيعة ٧٥ظ/ الأرحام ، سوفَ يكونُ نحساً عليهم، كما كانت الناقة نحساً على **ثمود**/ وله أيضاً :-

والله لا أخـــــذل النبـــــى ولا يخذلــه من بنــى ذوحســب
حتى تذهب الــرؤوسُ عابـــرة منــا ومنهـــم، بالقُطَّــع القُضُــب
وترجــع الخيــل بعــد شــدتها مــردودة نحــو وجهــة الهـــرب
نحــن وهــذا النبــى أسرتـــه تـضــرب عنــه العــداة بالشهب
بمرهفـــات عن هاشم ورثـــت بيــض خفــاف، وعبــد مطلــب
إنـــا إذا رام ضيمـــة أحـــدٌ لــم يــذق المــوت، الــم العــرب
(إن عليـــاً وجعفـــراً ثقـــة عنـــد شــداد الأمــور والكــرب
لاتخذلا ، وانصرا ابن عمكما أخــى لأمــى، مــن بينهـــم وأب)

أفلا ترى إلى هذا الإقرار، وجودة المعرفة بالله، عز وجل، وبرسوله، وأنه غير منكـر لذلك ولاجاهـل بـه ، ولكن منعتــه العـصبيــة، وحـمـيـة الجاهلية، أن يفـارق ديـن الأصــنام .

ولقد علمت ماجاء فى الأخبار ، حيث ساله النبى ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم (أن يؤمن ويضمن له على الله الجنة) [2] .

---

(١) تخريج الابيات : لم اجدها فى سيرة بن هشام، ولامقاتل الطالبيين، ولا فى غيرها من المصادر.

(٢) سيرة أبى طالب وكذلك الحديث فى سيرة ابن هشام ، ص ١٠٨ ، وطبقات ابن سعد الجزء الاول ، ص ٤٨ وما بعدها حتى ٥٧

فقال له : يابن أخى إنى لأعلم أنما قلت حق، غيرانى أخاف أن تقول نساء قريش : جزع أبو طالب عند الموت ، والدليل على صدق ذلك، قوله :

والله لا يصلــوا إليــك بجمعهـم ... حتـى أوسـد فـى التراب دفينا

فاصـدع بأمرك ، ما عليك غضاضة ... أبشـر وقـرْ بـذك منكَ عيونـاً

ودعوتنـى ، وزعمـت أنكَ ناصـح ... ولقدْ صدقـتَ بمـا زعمتَ يقينا

وعرضْـتَ دينـاً علمـتُ بأنـهُ ... مـن خيرِ أديـانِ البريـةِ دينـا

(لـولا الملامـة أو حـذارى سـبةٌ ... لوجدتنـى سمحاً بـذلك مبينا)

وقد كان فى قريش، وغيرها، من هو على مثل رأى أبى طالب ، كثير غير قليل ، مثل عتبة وشيبة ابنى ربيعة ، وما روى عنهما من التصديق بالنبى ، صلى الله عليه ، وفى كتاب المغازى حيث اخبرهما عَدَّاس غلامهما عن النبى ، صلى الله عليه ، ولولا طول ٧٦و / الكتاب لفسرنا كثيرا من ذلك، فابوا طالب قد علم ، وصحَّ عنده / ان محمداً، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ، رسولٌ من الله، لا شك فى ذلك عنده ، وان الله الواحد الذى بعثه ، وإلهه الذى خلقه، ألا ترى إلى قوله فى شأن الصحيفة ، حيث يقول :

ألا هل أتـى أخواننا صنـع ربنـا ... علـى نأيهـم والأمـر بالنـاس أرودُ/

ألـم يأتهـم أن الصحيفـةَ مُزقـت ... وكل الـذى يرضـه الله مفسـدُ /

تداعـى[1] لها أفكٌ وسحرٌ مجمعٌ ... ولَمْ يُلْـفَ سحرٌ آخرُ الدهرِ يصعدُ .

تَراوحهَا مـن ليـس فيهـا بمثبـت ... فَطائرهـا فـى رأسِها يتـرددُ .

فلم يكُ فى شكٌ من الخالق ، ولا من النبى ، صلى الله عليه ، ولكن منعْتهُ الحميةُ ، واتباع الهوى، بلا جبر ولا قسر ، فلم يُردْ أن يؤمنَ ، وهو قد عرفَ الحقَّ اينَ هو، ومَعَ مَنْ هو .

لمْ يمنع اللهُ أبا طالب من الإيمان :

فإن قال قائل منكم، ومن غيركم : إنما امتنع أبو طالب من الإيمان ، لان الله لم يردْ

(١) فى الأصل : تداعا .

أنْ يؤمن، لما علمَ أنه لايؤمنُ ، ولو أرادَ منه الإيمانَ ، لكان ذلك يوجبُ على الله أنْ أرادَ منه أنْ يبطلَ عَلَمْهَ .

قلنا لكم : فنحنُ نزيدُكم في تأكيد الحجة لكم في ذلك من القرآن ، حتى يعطف عليكم، بما لا مخرج لكم منه ، بحول الله وقوته ، قال ، عز وجل ، في آية من كتابه نزلَتْ في أبي طالب ، وهي قوله : ﴿ **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ، فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا ، وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾** ﴾ (١) .

أفلا ترى أنَّ فيه الاستطاعة ثابتةٌ قبل الفعل ؟

فنقول لكم : أليس قد أخبر الله ، عز وجل، عن قولِ **أبي طالب** يومَ القيامة ، إذا وُقفَ على النار ، وقَدْ علمَ أنه لا يؤمنُ ؟ . . . فإذا قلتم : نعم . قلنا لكم : فأخبرونا عن قول رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله، لعمه **أبي طالب** عندالموت : ياعم ، قُلْ: لا إلهَ إلا اللّهَ ، وأقرَّ بأني رسولُ الله ، أضمنُ لك بها عند الله ، عز وجل ، الجنةَ غداً فقال: إني أعلم أن الذي قلت كما قلتَ ، ولكني أخافُ أن تقولَ نساءُ قريشٍ جزعَ **أبو طالب** عندَ الموتِ (٢) .

فنقول لكم: أريتم لوأسلمَ **أبو طالب** كما طلب منه النبي ، صلى الله عليه ، هل كان النبي يفي بما ضمن له على الله، عز وجل، أم لا يفي له به؟! . . فإن قلتم: لم يكن ليفي له بما ضمن به . كفرتم بضمان رسول الله ، صلى الله عليه ، وألزمتموه أنه طلبَ ٧٦ط/ من عمه أمراً لا يجوز له عند الله، وأن اللّهَ يحقرُ فيه ضمانه/ وخرجتم من قوله: ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى...** ﴾(٤) . وقال : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ (٥)، وإن قلتم :

---

(١) سورة الأنعام : الآيتان ٢٦ - ٢٧ .

(٢) الحديث : أخرجه البخاري ٣/ ٢٦٣ حديث (١٣٦٠) ، ومسلم ١/ ٢١٤ حديث (٣٩ ، ٤٢) ، والترمذي ، والنسائي ، وابن سعد في طبقاته جـ١ / ق١ ص ٧٧ - ٧٩ ق١، وأحمد في مواضع من المسند منها ١/ ٢٢٧ . وفي سيرة ابن هشام ، ص٢٧٧ .

(٣) سورة النساء : الآية ٨٠ .

(٤) سورة النور : الآية ٥٤ .

(٥) سورة الحشر : الآية ٧ . وفي الأصل ، (ما آتاكم . .) .

نعم ، لو أسلم أبو طالب، لوفَّى له رسول الله، صلى الله عليه ، بذلك الضمان لا شكَّ فيه ولامرية .

قلنا لكم : فنراكم الآن قد أوجبتم ، ولزمكم أن على الله، عز جل، لايحولُ بين أحد من الناس كلهم ، وبين طاعة الله ، بعد ما أنزل الآيةَ ، لم ييئسْ رسولُ الله ، صلى الله عليه ، من توبته ورجعته، لعلمه أنه مخيرٌ قادر على التوبة، غيرُ مجبور على الكفر، ولا مقسور ولامخلوق فعله، ولا مقضى عليه ظلمه ، ولا مقدر عمله، ولا مراد كفره، ولا العلم مانعٌ له على الرجوعِ إلى الحقَ.

فلما كان الأمرُ على ما قلنا ، بواضح الحجةِ والصدق، الذى لا كذب فيه، طلبَ اللهُ (مـن) [1] رسول الله ، صلى الله عليه ، أن ينطق بتوحيد الله، وأن يعتقده فى قلبه، ويقر أنه رسول، صلى الله عليه ، ويضمن له على الله، عز وجل، الجنة، فكره ذلك وأخذته الحميةُ .

ولو فعَلهُ ، فقاله بلسانه، واعتقده فى قلبه ، لم يُمضِ اللهُ، عز وجل ، عليه حكمَ الآية، لأنه قد فتحَ بابَ التوبة، وجعل إليه السبيلَ وسهَّل إليه الطريق ، ومكَّن فيه الاستطاعة ، ولم يحلْ بين أحد وبين الطاعة بعلم ، ولا غيره من جميعِ الأشياء، فهذه من أكبرِ الحججِ عليك، وأقطعها لمقالتك، وفريتك على الله، جل ثناؤه.

فافهم ما سالتنا عنه من قول الله، عز وجل، : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [2]، ألا ترى إلى قوله : ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ ، او لا ترى إلى قول صالحٍ ، صلى الله عليه ، : ﴿ وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ [3]، ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ [4]، ويحك فهل تجدُ اللهَ ، عز وجل، اخبركَ أنه شرك فى افعالهم فى شئ من جميع ما افتريته عليه؟!.. وفى هذا الكفاية .

---

(١) ليست فى الأصل .

(٢) سورة فصلت : الآية ١٧ .

(٣) سورة هود : الآية ٧٤ .

(٤) سورة الاعراف : الآية ٧٧، ولان القصة تكررت فى اماكن مختلفة ، خلط المؤلف بينها خلطاً شديداً ، فخرجناها على النحو السابق.

وأنت تجعل لهم الحجة على الله، جل ثناؤه ، وتخلصهم من العمى الذى اختاروه، وتضيفه إلى ربك حتى [1] يفلجوا، ويبطلوا القرآن : ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[2]، فاسمع ما ورد عليك من الحجج، التى لا مخرج لك منها ، والحمد لله رب العالمين.

***

---

(١) فى الأصل : حتا .

(٢) سورة التوبة : الآية ٣٢ .

المسألة الثانية عشرة

هل جبر الله خلقه على عبادته ومعصيته ؟

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عن قول الله، عز وجل: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ** ٧٧و/ **وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴿٥٦﴾ ﴾[1]، اليس قد زعمتم ان كل من خلُقَ / لشئ فقد جبُرَ على ذلك، وأن الله لم يخلق الناس لجنة ولا لنار ولا لعبادة؛ لأن فى قولكم ان كل من خلق لشئ، فهو مجبورٌ عليه، وأن اللهَ لم يخلق الجنَ والإنسَ لجنة ولا لنار، فاخبرونا عن قول الله، سبحانه ؛ ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴿٥٦﴾ ﴾ ، اليس إنما خلقهم للعبادة؟!

فإن قالوا: نعم. فقل : **فما بالهم لم يكونوا كما خلقهم الله له؟!**... **فإن قالوا: إنه** إنما عنى بهذا، أى إنما خلقتهم لأن آمرهم بالعبادة . **فإن قالوا : كذلك نقول . فقل** أفليس: قد يجوز لنا ان نقول: خُلقوا للنار على غير وجه الجبر؟!...

فإن قالوا: بلى . فقل : فلمَ عبتم ذلك علينا ؟!.. **وإن قالوا : لا. فقل فكلُ** مخلوق لشئ إذنْ فهو مجبورٌ ، وقد جبر اللهُ الناسَ على عبادته ، **فعجزَ عن ذلك** ، تعالى الله عما تقولون علواً كبيراً ، **الله أعزُ واقهر من ان يريدَ شيئاً فلا يكون، او يجبر** شيئاً على شئ فيعجزه.

رد أحمد بن يحيى :

الجواب قال **أحمد بن يحيى** ، صلوات **الله** عليهما، وسالتَ عن قول **الله** ، سبحانه، : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴿٥٦﴾ ﴾، وقلت : انا نقول : إن من خُلِقَ لشئ فقدَ جُبر عليه. وكفى عليك بهذا الكلام فضيحةً ، ونقصاً وثلباً عند اهل العلم، وما تاتى من الجهل والعمى [3] والتخليط، لا انت تحسنُ ان تسال، كما يسالُ الرجالُ، ولا انت تاتى بقولنا فى العدل على وجهه ، وليسَ العجبُ منك ، إنما العجب ممن اطاعك على قولك من الجهال ، واعتقد جهلك وتخليطك فى السؤال، ولم يميزوا عليك، وذلك لإعجابهم بك!!

---

(١)، (٢) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٣) فى الأصل : العما.

فأنت وهم، كما قال، عز وجل، في فرعون : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾[1]، فهل بلغك أنَّ عدلياً يقول: إن الخلقَ لم يُخلقوا لجنة ولا لنار؟!!

وزعمت أنَّ من قولنا : إن كل من خُلق لشئ فقَدْ جُبَر عليه، فنحن نقولُ لك الآن، فما قولك أنت؟.. أكلُّ خُلق لشئ فليس هو بمجبور عليه؟!

فإن قلت: نعم، ليس (كل) مَنْ خُلق لشئ فهومجبورٌ عليه، بَطُلتْ دعواك كلها، في جميع ما قلتَ من أن الله، عز وجل، جبرَ العبادَ على الكفر والإيمان، وخلقه وأراده منهم، أن يكونَ بعضُهم كافرٌ وبعضُهُم مؤمنٌ، كذا قلتَ: إنَّ الله، عز وجل، جبرَ الكفارَ جبراً على الكفر، وكذلك فعلَ بالمؤمنين ، جبرهم على الإيمان جبراً!... أكذبك اللهُ، عز وجل، في كتابه المنزل، على لسان نبيه المرسل، صلى الله عليه ، حيث يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ... ﴾[2]، ٧٧ظ/ وقوله : ﴿ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾[3]، وقوله: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ / التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[4]، وقوله: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[5]، أفلا ترى أنهم لا يصحُ لهم إيمانٌ حتى يصيروا على هذا الشرط؟!.. أفهذا قولُ من جبرهم على طاعة أو معصية؟!!

خلق اللهُ العبادَ مخيرين ، فلا يجبرون على طاعة ولا معصية :

وأما قولك لنا: فما بالهم لم يكونوا كما خلقهم ؟.. فهذه المسألة[6] راجعة عليك ؛ لأنك أنت المجبر ونحن العدليون، ونحن نقول لك: أخبرنا عن خلقه لهم للعبادة ، مابالهم لم يعبدوه كلهم ، وإنما عبده الأقل منهم ؛ لأنه قال : ﴿ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾[7]، وقال : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[8].

---

(١) سورة هود : الآية ٩٨ .
(٢) سورة النساء : الآية ٦٤ .
(٣) سورة المائدة : الآية ٧٤ .
(٤) سورة المدثر : الآية ٤٩ .
(٥) في الأصل : المسلة.
(٦) سورة الإسراء : الآية ٨٩ .
(٧) سورة هود : الآية ١٧ .

فإن قلت : كذلك أردَ منهم وقضى عليهم، أن يكون بعضهم مؤمناً ، وبعضهم كافراً . وهو لعمر الله ، قولك قد احتججت به في كتابك هذا .

قلنا : فأخبرنا عن قوله ، عز وجل، : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[1] أصدق فيه أم لم يصدق؟ فإن قلت: لم يصدق . كفرت وحل قتلك.

وإن قلت: صدق . قلنا لك: فما بال العباد لم يعبدوه كما خلقهم لعبادته ؟..

فإن قلت : غلبوه وعجزَ عنهم. كفرت، وخرجت من دين الإسلام . فلابدٌ لك بالاضطرارِ، وأنت راغمُ الأنفِ، أن تقول: لم يعبدوه كما خلقهم لعبادته، لا[2] من عجز، ولا من ضعفٍ.

فنقول لك: فأخبرنا ما العلة التى قعدت بهم عن العبادة ، وأخرجتهم عن الطاعة والعبادة التى خلقوا لها؟! فلا تجد علة تعتلَ بها، ولا حجةً تجيبنا بها، ولا وَزَراً تلجأ إليه، إلا الإقرار بأنهم مخيرون فى العبادة ، غير مجبورين ولا مكرهين ولامقسورين .

وذلك هو الحقُ، لابدَّ لك من ذلك، أحببت أو كرهت ، لاضطرار الحجة الخانقة لك، التى لم توجُدكَ سبيلاً إلى كذب على الله، عز وجل، ولا فرية عليه ، فافهم هذه الحجة الدامغة، لك ولأصحابك المجبرة، التى غرقتم فى بحرها ، فإن مثلك مثلُ الشاة التى تبحث عن الشفرة لتذبح بها .

ثم نقول لك من بعد هذا : إن الله، عز وجل، خلق الجنَ والإنس والملائكة، ليعبدوه، مخيرين لا مجبورين ولا مكرهين ، ولو أراد لجبرهم على العبادة جبراً قسراً وقهراً، فلا يكون تحتَ أديم السماء أحدٌ إلا عابد لله، عز وجل، وشاهدُ ذلك قوله لنبيه، صلى الله عليه، : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ، أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾[3] .

٧٨و/ فأخبره ، عز وجل، أنه لو شاء لآمنوا كلهم جميعاً ، جبراً وقسراً وحتماً ، ثم لا يكونُ لهم حمدٌ ولا أجرٌ ، ولكان فى ذلك الكفاية / عن إرسال الرسل وإنزال

---

(١) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٢) زيادة من عندنا ليستقيم النص .

(٣) سورة يونس : الآية ٩٩ .

الكتب، وقوله: ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾، يعنى أنه لايقدرُ على إكراه القلوب، وجبرها على الإيمان وغيره إلا الله القوى القادر.

وليس النبى، صلى الله عليه، ولا غيرهُ من جميع الخلق يقدر على إكراه القلوب، وإنما يقدرُ على إكراههم بالسيف كما أمر، حتى يُعبَد اللهُ، عز وجل، حقاً حقاً، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾[1]، يقول: لو أنه أراد أن يجبرهم حتى لايقدروا على الشرك؛ لفعل ذلك. وما كان من نظائر هذا فكله فى معنى[2] واحد، يقتضى أنه، عز وجل، لو أراد ما عصاه مخلوق جبراً وقسراً، ولكنه خَيَّرهم تخييراً، ليعملَ كل منهم ما أرادَ وما اختاره، ولذلك بان العدل والحكمة، واستحق الثواب والعقاب، إذ جعل الأمرَ بالدين فرضاً افترضه على عباده، تخييراً لا جبراً، وهذا هو الحكمة والعدل.

والدليل على ذلك والشاهد لنا فيه، وقوله، عز وجل،: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢)﴾[3]، وقوله، عز وجل: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[4]، وكفى بهذا القول حجةً شافيةً لمن عقلَ وانصف، ولو لم تكن بينة ولم تلزم حجة، ولم تثبتْ حكمة، ولم يقم عدلٌ. فهذا جوابُ مسالتك، والحمدلله رب العالمين.

نقد المجبر فى أن الله خلق بعض عباده للنار، على غير وجه الجبر!

وأما قولك: إنه يجوز أن نقول: **إنهم خلقوا للنار على غير وجه الجبرِ**، فليس هذا قول من له عقل ولا أدنى[5] معرفة، يحتاج أن يناظرَ بها الرجال، ومناظرة الرجال لا تكون بالمحال؛ لأنه ليس فى محال القول حجة ولا فى المسالة[6] عنه جواب!.. وأنه يلزمك، إن جاز عندك أن يخلق الله، عز وجل، خلقاً للنار على غير وجه الجبر،

---

(١) سورة الانعام: الآية ١٠٧.

(٢) فى الأصل: معنا.

(٣) سورة الانفال: الآية ٤٢.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٧٩.

(٥) فى الأصل: ادنا.

(٦) فى الأصل: المسله.

زعمت ، لزمك ، ووجبَ على، قود قولك، أن يدخلَ اللهُ، عز وجل، (على) [1] ذلك الأنبياء والمرسلين (النار)[2]، على غير وجه الظلم والجبر ، ويدخل المشركين الجنة على غير وجه الجور والجبر !.. ولا فسادَ في ذلك ولا خروجَ من حكمة ولا عدل ، وهذا أعظم ما يكون من العمى [3] والتجاهل والكفر، والاستخفاف بدين الله، جل ثناؤه ، وبكتبه!!

وكذلك يلزمك أن يقول القائل لليل : هذا نهار ، وللنهار: هذا ليلٌ ، وللقائم : هذا قاعدٌ ، وللقاعد: هذا قائمٌ ، وللنائم: هذا يقظان ، ولليقظان: هذا نائم . وهذا قول المجانين ، فأما الأصحاء فلا يقولون كما قلت، وإنما ألجأك إلى هذا القول ٧٨ظ/ الاضطرار/ وعدم الحجة، والجهل بمعاني اللغة العربية ، والحمد لله رب العالمين.

***

الجبر يرى أن المعصية من الله :

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم عن قول الله، عز وجل، : ﴿**إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا**﴾[4]، أليس قد أراد الله أن يملي لهم ليعصوا؟.. أفليس قد أراد اللهَ أنْ يملي لهم، لتكونَ المعصية؟

فإن قالوا : بلى . قل: أفليس قد أراد الله، عز وجل، أن يملي لهم لما هو شر لهم؛ لأن الإثم شر لهم من الطاعة ، فقد صنع الله بهم ما هو شر لهم ، لأن الإملاء شرٌ لهم ، لأنهم يزدادون إثماً؟!..

فإن قالوا: نعم . فقل فقد أراد اللهُ لبعض العباد أن يكون منهم الشر، لما علم منهم؟! . فإن قالوا: نعم . فقد تركوا قولهم: إن الله لا يريد بالعباد ما هو شرٌ لهم . ودخلوا في قولك ، وإن قالوا: إن الإملاء والإثم خير لهم. قل : أفليس المعصية خير

---

(١) في الأصل : عن .

(٢) ليست في الأصل .

(٣) في الأصل : العما .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٧٨ .

للعباد، والمعصية خير لهم من الطاعة، وثواب المعصية خير لهم من ثواب الطاعة؟!..
وإنما نعنى الذين أملى الله لهم، ليزدادوا إثماً.

فإن قالوا: نعم، إن المعصيةَ خير لهم من الطاعة، فإن الله، عز وجل، يكذب قولهم بقوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾﴾[1]، ﴿ولا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾[3]، وأشباه هذا من كتاب الله، عز وجل.

رد أحمد بن يحيى: معنى الإملاء:

الجواب قال أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما،: وسألت عن قول الله، جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾[4]، وقلت: إن الله، سبحانه، أملى[5] لهم ليزدادوا إثماً، أرادهم بذلك جبراً وقسراً، بلا سببٍ ولا أمرٍ استحقوه، هذا قولكم، وإليه يأول مذهبكم.

وزعمت أن الله، عز وجل، أملى لهم، لتكون المعصية منهم، والله، تبارك وتعالى، لايبدأ أحداً من خلقه بظلم، ولا جور ولا آمر على أمر يدخل به النار، ولا يريده منهم ولا يقضيه عليهم، فأين قوله، عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾[6]!!

وإنما تكون الآية فى القرآن على وجه حَكَمَ الله، عز وجل، به على مستحقٍ استحقه باختياره لنفسه واتباع هواه، ولها آياتٌ تفسرها وتدل على معانيها، والله، عز وجل، يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[7]، وأنت وإخوانك المجبرة، لاتعقلون ذلك، ولا تهتدون إلى معانى العدل فيه، فانتم تخوضون
٧٩و/ فى سكرة / وحيرة، تريدون أن تقوموا بعذر جميع الكفار، وأن الله، عز وجل،

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٣.. فى الأصل بدون (قل..).
(٢) سورة الحج: الآية ٧٢.. جاءت فى الأصل بدون (قل افانبئكم..)
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٠.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٧٨.
(٥) فى الأصل: املا.
(٦) سورة الحج: الآية ٦٥.
(٧) سورة النساء: الآية ٨٢.

قال : ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ ﴾ زعمت، ليزدادوا كفراً به ومعصية له ، وليس الحكيم يريد أن يُعصى ولا يكفر به، سبحان الله ما أعظم هذا من القول!

وإنما أملى لهم ، عز وجل ، لكمال الحجة ؛ ولأنه ، تبارك وتعالى ، قد فتح باب التوبة رحمة منه لخلقه، وتفضلاً وتعطفاً ، وجعله سبباً للرجوع إلى الطاعة ، فمن أرادأن يتوب تاب لامكرهاً ولامجبوراً ، ومن أراد أن يصرَّ على الكفر لامكرهاً ولامجبوراً ، صار ذلك الإملاء حجة عليه؛ لأن الله ، عز وجل، يقول : ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧) ﴾[١] ، فسماهم ظالمين ، عز وجل ، وصار ذلك التعمير حجة عليهم، وذلك الإملاء شراً ، إذ لم يُقلعوا عن المعاصي ، ويسارعوا بالتوبة ، والإنابة والأمر ممكن .

فى نقد القرامطة :

ومثل ذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (٦٤) ﴾[٢]، وهذه الآية مما يحتج به القرامطة[٣] على الجهال من العوام ، يقولون لهم : إنما عنى بقوله «واستغفر لهم الرسول »، يعنون بذلك المهدى ، لقوله - زعموا - ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك يا محمد فاستغفروا الله. ثم قال: واستغفر لهم الرسول - يعنون الذى يجئ بعدك - وهذاكفر بالله العظيم ، وجهل باللغة العربية .

والحجة عليهم فى ذلك قول الله ، سبحانه : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾[٤] ، أفلا ترى أنه يخاطبهم بقوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ ﴾ ، ثم صار آخر الكلام إلى قوله: ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾، وهذا ما لا تعقله القرامطة ، ولا تهتدى إلى اللسان العربى فيه؛ لأن هذا جائز فى اللغة العربية ، لغة العرب، وموجود فى مخاطباتها، يقول الرجل للأمير، وهو مواجه - : أعز الله الأمير قد فعلت لى كذا وكذا [٥] ، وإن رأى الأمير أعزهُ الله أن يفعلَ لى كذا وكذا، . فهذا جائزٌ فى اللغة .

---

(١) سورة فاطر : الآية ٣٧ .

(٢) سرة النساء : الآية ٦٤ .

(٣) **القرامطة** : فرقة من غلاة الشيعة ، نسبة إلى رجل من سواد الكوفة يقال له **قرمط** ، وهم **السبيعية** ايضا ، **والباطنية**؛ لانهم قالوا: إن لكل ظاهر باطناً ، ولكل تنزيل تأويلاً .

(٤) سورة يونس: الآية ٢٢ .

(٥) فى الأصل : كذى وكذى .

قــال الشاعــر يرثــى رجــلاً :

يَالَهْــفَ نَفْسِــى صَــارَ غُــرةُ خَالــد وبَيــاضُ وجهِـكَ لِلتُّرَابِ الأَعْفَــرِ [١]

الا تراه كيف قال فى أول بيته ، كأنه يخاطب رجلاً غائباً ، ثـم صار آخر البيت ، وآخر الخطاب ، على رجل مشاهد ، فهذه أكبر حجة .

الإمــلاء بـين اللــه وإبليــس :

ثم نقول لك : أخبرنا عن قول الله، عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا
٧٩ظ / تَبَيَّنَ / لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾[٢]، اليس هـذه الآية فى كتاب الله، عـز وجل؟.. فلابد لك من نعم. فنقول لك: أخبـرنا عن إملاء الشـيطان لهم، هو الإملاء الذى أملى [*] الله بعينه ام لا ؟.. فإن قلت : نعم، هو الإملاء الذى أملى الله، عـز وجـل، لهـم. قلنا لك: فـمـا الفـرق بين إمـلاء الله، عـز وجل، وبين إمـلاء إبليس؟

فإن قلت: إنه إملاء واحد. لزمك ووجب عليك، أن الشيطان شريك لله، عز وجل، فى فعله بعباده ، وأن فعلهما وحد لا فرق فيه .

وإن قلت : إن إمـلاء الله ، عـز وجـل ، شئ على حـدة، وإمـلاء الشـيطان شئ آخـر غيره.

قلنا لك : ففسـر لنا ذلك، حتى تفرق لنا بين إمـلاء الله ، سبـحـانه ، وبين إمـلاء الشيطان ؟

فإن قلت: إن إملاء الله ، عز وجل ، إنما هو جبرٌ جبرهم عليه، وقسرٌ قسرهم على فعله من المعاصى .

لزمك أن القـرآن الذى أنزله الله ، سبحـانه ، حجـة لـه على خلقـه، ودليلاً على

---

(١) البيت لأبى كبير الهذلى، وروى بصورة اخرى هى : ياوَيْحَ نَفْسِى كان جِدَّةُ خالد وبياضُ وجهكَ للتّراب الأعْفَرِ.
- وهو من بحر الكامل . انظر : ديوان الهذليين ، ١٠١ / القسم الثانى، وامالى ابن الشجرى ١ / ١٠٢، والصاحبى لابن فارس، ١٨٣، وأمالى المرتضى ٤ / ١٣٩ ، وغيرها .

(٢) سورة محمد ، الآية ٢٥ .

(*) فى الأصل : أملا

عدله، باطلٌ محالٌ من قوله : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[1]، وقوله: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾[2]، وقوله : ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾[3].

وقوله: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ ﴾[4]، وقوله: ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[5]، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[6]، وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾[7]، وقوله: ﴿ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾[8]، وقوله: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[9]، فاسمع أيها المغرور فى دينه إلى قوله ، عز وجل، : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ .

كانت هداية الله للخلق أجمعين :

فاخبر ، عز وجل، أنه قد هدى الخلق كلهم جميعاً، الشاكر منهم والكافر ، وامتن عليهم بالتعريف والدعاء إلى الحق، والرسل والبيان والكتب ، فبدأهم بالهداية والمنة العظيمة، والنعمة الجليلة ، والإحسان والتفضيل، الذى لايبلغ له غاية ، وأخبر أنه هداهم السبيل ولم يجبرهم على المعاصى ، وكفى [*] بهذه الآية برهاناً وعدلاً ، لو كان لها من يقبلها، أو يفعل ما فيها من العدل، ونفى الجور عند الله، عز وجل ، والبراءة له من أنه أراد أن يملى لهم ، لتكون المعصية منهم ، وليزدادوا كفراً به ،

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٧ .

(٢) سورة الروم: الآية ٤١ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٠٥ .

(٤) سورة الإسراء : الآية ١٥ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ١٠٨ .

(٦) سورة هود : الآية ١١٧ .

(٧) سورة القصص : الآية ٥٩ .

(٨) سورة ق : الآيتان ٢٨ - ٢٩ ..

(٩) سورة الإنسان : الآيات ١ - ٣ .

(*) فى الأصل : وكفا.

٨٠و/ زعمت، واسقطت قوله، عز وجل: ﴿ لئلاً يكون للناس على / الله حجة بعد الرسل ﴾ [١]، وقوله، عز وجل: ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ۝١٥ ﴾ [٢]، قوله: ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ [٣].

وقوله: ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم ﴾ [٤]، ولم يقل من عنده، وقوله: ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [٥] وقوله: ﴿ اذهبا إلى فرعون إنه طغى ۝٤٣ فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى ۝٤٤ ﴾ [٦] وقوله: ﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ۝٢٤ ﴾ [٧]، مع آيات تكثر وتجل.

فهذا كله يلزمك، إن قلت: إن الله أملى لهم قسراً وجبراً وعمداً، لتكون المعصية منهم.

ما يلزم المجبرة إن قالوا بإملاء إبليس لبني آدم:

وإن قلت: إن إملاء الشيطان لهم، قسر وجبر وإكراه. لزمك أن الشيطان له من المقدرة والقوة والسلطان، على جبر العباد مثل ما لله، عز وجل، وأكذبك الله، جل ثناؤه، حيث يقول يحكي عن الشيطان، واحتجاجه عليهم يوم القيامة، ﴿ وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم ۝٢٢ ﴾ [٨]، ولم يقل: فلا تلوموني، لوموا ربكم!

وقوله: ﴿ إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ۝٧٦ ﴾ [٩]، وقوله: ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ۝١٦ ﴾ [١٠].

---

(١) سورة النساء: الآية ١٦٥.
(٢) سورة الإسراء: الآية ١٥.
(٣) سورة الشورى: الآية ٣٠
(٤) سورة البقرة: الآية ١٠٩
(٥) سورة البقرة: الآية ١٨٥
(٦) سورة طه: الآيتان ٤٣ - ٤٤.
(٧) سورة البقرة: الآية ٢٤.
(٨) سورة إبراهيم: الآية ٢٢
(٩) سورة النساء: الآية ٧٦.
(١٠) سورة الحشر: الآية ١٦.

فلا تجده فى هذه الآية فعل به شيئاً غير القول ، والدعاء على الكفر، قال الله، عز وجل : ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[1]، ولم يقل : إنه شريك فى ذلك الظلم، ولا بمريد له ، عز عن ذلك رب العالمين .

وإن قلت : إن إملاء الشيطان لهم، إنما هو خديعة واستمالة الدنيا للشهوات ، والترغيب فى الفواحش ، والتزيين للمعاصى .

لزمك أنك إن قلت : إن الله ، عز وجل ، يفعل بهم كذلك من الخديعة، والدعاء إلى الشهوات، والترغيب فى الفواحش، والتزيين للمعاصى ، إذ ليس بين إضلال الله ، عز وجل ، لخلقه ، وبين إضلال الشيطان فرق، بوجه من الوجوه .

وإن قلت : بل إضلال الله لهم هو الجبرُ على المعاصى . لزمك من تكذيب القرآن لك ما قد قلنا ، فاختر أى هذه الوجوه شئت، فلا عذرَ لك ولا راحة ، ولا مخرج فى أيها قلت به .

إلا أن تقول : إن إملاء الشيطان لهم، غرور يغرهم به، وخديعة وتزيين . فيلزمك ٨٠ظ / أنهم أتوا فى كفرهم من قبل انفسهم / ومن قبل الشيطان ، وأنهم لم يؤتوا فى ذنوبهم من قبل الله ، عز وجل ، بوجه من جميع الوجوه كلها، ولا بسببٍ من جميع الأسباب كلها، وذلك هو الحق ، وهوقولنا بالعدل وهو دين الله، عز وجل، الذى تعبد به الأولين والآخرين ، وإلا فيلزمك أن الله يفعل بخلقه كفعل الشيطان ، وأن الآيات التى تبرأ فيها من ظلم خلقه ، إنما هى على جهة الظن والاستهزاء ، والهذيان والخروج من الحكمة ، وأنها نزلت لغير معنى ، وأن ليس لها جانب من (*) الصدق ، وأنه أخبرنا فى كتابه بغير حق من قوله : ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[2] ، وقوله : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾[3] ، ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾[4]، ومثل هذا كثير فى القرآن ، ولا صدق فى العدل والقيام بالحكمة ، وإنما تحتمل تأويلاً

---

(١) سورة الحشر: الآية ١٧ .

(*) مكانها بياض .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٨ .

(٣) سورة فصلت : الآية ٤٦ .

(٤) سورة الزخرف : الآية ٧٦ .

يفسدها ، ويحيلها عن العدل والحكمة ، فإن قال ذلك ، فقد كفر بالله العظيم ، وخرج من دين الإسلام .

وإن قال : بل هى على الحقيقة والصدق والصحة وواضح البرهان. لزمه أن القول قولنا، وأن العدل هو دين الله ، عز وجل، ودين ملائكته ورسله والمؤمنين أهل طاعته ، وأن الجبر هو دين الشيطان ، ودين **عبدالله بن يزيد البغدادى** ومن قال بقوله، وبان كذبه فى قوله علينا أن ديننا هو دين الشيطان .

أدلة أخرى فى الإملاء :

ومن الحجة لنا فى الإملاء أيضا قوله ، عز وجل، : ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ** ﴾ [1] ، وهذه الآية مما يتعلق به **المجبرة على أهل العدل** [2] ، وإنما معناها مثل معنى [3] الإملاء أيضاً ، الا ترى كيف قال ، عز وجل ، بعد ما أخبر أنه ذراهم لجهنم ، وَصَفَ لأى علة صيَّرهم ذَرْواً لجهنم ، فقال : ﴿ **لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)** ﴾[4]، يعنى ، عز وجل ، أنهم اختاروا ذلك كله ، ولم يستعملوا الجوارح التى خلقها لهم فى طاعته ، ولم يصغوا بها إلى كتبه ورسله ، فاستحقوا بذلك أنه صيرَّهم فى حكمه وعدله ذَرْواً لجهنم ؛ لا أنه صيَّرهم ذرواً لجهنم، لاجبراً ولا قسراً ولاحتماً ، على غير جرم ولا ذنب ، ولا على غير استحقاق لزمهم به الخلود فى النار ، عز عن ذلك ، وإنما أخبر الله، عز وجل، بصيور أمرهم إلى ما يأول، وذلك جائز فى لغة العرب، أن تخبر الرجل بما يعلم أن إليه يصير الأمر، الذى قد عرفه، وأيقن به أنه سوف يكون،

٨١و/ قال الشاعر فى نحو ذلك :

أموالنا لذوى الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٧٩ .

(٢) انظر الهادى إلى الحق : كتاب الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية ٢ / ٢٣٠ .

(٣) فى الأصل : معنا .

(٤) سورة الأعراف : الآية ١٧٩ .

وليس جمعه للأموال ، ولابناؤه للدور ، كان على عهد منه وقصد أن يجعله للورثة، وربما كان الورثة أبغض الخلق إليه ، وإنما أخبر بما [1] علم أنَّ المصير إليه ، من جمع المال وعمارة الديار، إذ لا يبقى على الأرض مطيع ولا عاص ، فأخبر عن علمه بما تصير إليه الأمور ، وكذلك أخبر الله، عز وجل، عن هؤلاء أنهم سيصيرون ذَرْواً لجهنم، بما قدموا واستحقوا.

قال الشاعر :

وللموت تغذوا الوالدات سخالها   كما لخراب الدهر تبنى المساكنُ [2]

والوالدات ليس يغذين سخالها للموت لا محالة ، ولا للخراب تبنى المساكن ، قصداً لذلك من الغاذين للأولاد ، ولا العامرين للديار ، وإنما أخبر بعلمه إلى (ما)[3] يصير إليه ذلك كله، فجاز هذا في اللغة العربية .

جهل المجبرة باللغة العربية :

وإنما وقع أكثر الجبر في هذه المجبرة، لجهلهم تصاريف اللغة العربية ، وعميق بحارها وشرف قدرها ، فلما لم يعلموا حقائق اللغة العربية ، قالوا بالجبر ، وألحدوا في صفة الله ، جل ثناؤه، وفارقوا أهل الحق ، وتركوا القول بالعدل ، فتوارث ذلك عن قوم، وقلدوا فيه الكبراء ، وصار عندهم ديناً يدان به، ومن خالفه عندهم، فقد كفر وفارق السنة والجماعة !.. فعلى هذا كان العمل في الأوائل ، والله المستعان. وإياه نسأل أن يعز دينه، وينتصر لكتابه، إنه قوى عزيز .

***

وقوله ، عز وجل، : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[4]، أفترى أن آل فرعون التقطوا موسى، ليكون لهم عدواً وحزناً؟!.. معاذ الله، ما كان ذلك، ولا التقطوه إلا ليكون لهم ولياً وعضداً، وولداً ، فأخبر الله ، عز وجل، عن آخر أمره لهم

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) انظر ابن هشام : المغنى اللبيب، جـ١، جـ١ / ٢١٤ شاهد رقم (٣٥٥)، وهو لجرير بن عطية.

(٣) زيادة ليست في الأصل .

(٤) سورة القصص : آية ٨ .

ما يكون ، وأنه يصيرُ لهم عدواً وحزناً ، مثل قوله : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ﴾[(١)]، لعلمه بآخر أمرهم إلى ما يؤل، فاخبر ، عز وجل ، عن العاقبة ، وعلى أن التقديم والتأخير جائز فى القراءة، فى مواضع كثيرة، والحمد لله رب العالمين.

ومن الحجة لنا عليك فى نص الإملاء ، الذى ادعيت فيه الجبر ، ماجاء التفسير فى قوله، عز وجل، : ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ [(٢)] ، إنما نعنى بذلك : إنما نملى لهم لئن لايزدادوا إثماً ، وهذا من عجائب اللغة العربية وغامضها [(٣)]!

وشاهد ذلك عن أهل التأويل والعلم والمعرفة ، وقوله ، عز وجل : ﴿ لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ ٨١ظ / الْعَظِيمِ (٢٩) ﴾ [(٤)] ويريدُ بذلك / ليعلم أهل الكتاب ، أن لا يقدرون على شئ من فضل الله ، فادخل (لا) فى هذا الموضع صلة للكلام ؛ لأن العرب تفعل ذلك فى كلامها ، وتدخل (لا) لغير حاجة إليها .

قال الشَّمَّاخُ بن ضرار التغلبى [(٥)]:

أعَائِشُ مَا لأَهْلِكَ لاَ أرَاهُمْ … يُضِيعونَ السَّوَامَ مَعَ الْمُضِيعِ [(٦)]

فقوله: « لا أراهم » ، ها هنا ، زائدة، والمعنى فيه « أعائشُ ما لأهلك أرهم يضيعون السوام مع المضيع »، فادخل (لا) صلة للكلام ، فافهم هذا الباب .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٧٩ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٧٨ .

(٣) انظر الهادى إلى الحق: الرد والاحتجاج على الحسين بن محمد بن الحنفية، ٢ / ٢٤٤ .

(٤) سورة الحديد : الآية ٢٩ .

(٥) **الشماخ بن ضرار بن سنان المازنى الذبيانى الغطفانى** : شاعر مخضرم ادرك الجاهلية والإسلام. وهو من طبقة **لبيد والنابغة** . كان شديد الحفظ لمتون الشعر ، ولبيد اسهل منه منطقاً . وكان أرجز الناس على البديعة. جمع بعض شعره فى ديوان مطبوع، (وحققه بعد ذلك د/ **صلاح الدين الهادى** كرسالة جامعية حصل بها على درجة الماجستير من دار العلوم) وشهد **القادسية** ، وتوفى فى **غزوة موقان** سنة ٢٢هـ ؛ (انظر ترجمته فى الزركلى : الأعلام؛ ٢ / ١٧٥) .

(٦) البيت فى امالى أبى على القالى ١ / ١٠٥ ، وللسان فى مادة (ضيع) . وابن قتيبة فى المعانى الكبير ١ /٤٢٩ ، وتهذيب الألفاظ للتبريزى ، ص٦٧ ، وأمالى ابن الشجرى ، وقد روى فى الديوان :

اعَائشُ مالأهلك لا أراهم … يُضيعون الهجَان مع المضيِع … وهو من بحر الوافر

وهذه اللغة العربيةُ التى نزل القرآن بلسان أهلها ، وقال الله ، عز وجل ،: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[1]، ولكن [2] لا معرفة عند المجبرة باللغة العربية ، ولذلك اعتقدوا الجبر ديناً !!

* ومن الحجة أيضاً ، فيما قلنا فى هذا الباب قول الله ، عز وجل ،: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ (٧) ﴾[3]، والمعنى [4] فيه: غير المغضوب عليهم والضالين ، فدخلت (لا) صلة للكلام، وقوله، عز وجل، : ﴿ فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ ﴾ [5]، يريد بذلك: وقوم يونس ، فادخل (لا) صلة للكلام مثل الأول .

قال الشاعر :

وكلُّ أخ مفارقــهُ أخــوه لعمـر أبيك إلا الفرقدان [6]

فجعل (لا) بدلاً من الواو ، والمعنى فيه : وكل أخ مفارقة أخوه، لعمر أبيك، والفرقدان أيضاً يفترقان ؛ لأنه لابد من فراق الفرقدين ، ولوكان الشاعر عنى [7] أن كل أخ يفارق أخاه إلا الفرقدان ، أى أنهما لايفترقان ، لأوجب ذلك أن الدنيا لا تزول أبداً ، وصار إلى قول الدهرية [8] ، وأن الفرقدين لايفترقان أبداً ، فيكون هذا

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٤ .

(٢) فى الأصل : لاكن .

(٣) سورة الفاتحة : الآية ٧ .

(٤) فى الأصل : والمعنا .

(٥) سورة يونس : الآية ٩٨ .

(٦) تخريج البيت : ذكره ابن هشام فى شواهده ، ١ / ٧٢ .

(٧) فى الأصل : عنا .

(٨) الدهرية، والزروانية أيضاً، نسبة إلى الدهر، أو الزرفان أو الزروان بالفارسية، وهو الزمان المطلق الذى يهلك ولا يهلك، والدهرية طائفة من الأقدمين يجحدون الصانع المدبر العالم القادر، ويزعمون ان العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه لا بصانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان كذلك كان ، وكذلك يكون أبداً ، وهؤلاء هم الزنادقة (الغزالى : المنقذ من الضلال) والدهرية ينكرون الخالق والنبوة والبعث والحساب، ويردون كل شئ إلى فعل الأفلاك ولا يعرفون الخير ولا الشر ، وإنما اللذة والمنفعة (الجاحظ : الحيوان) ، والطبيعيون الدهريون بخلاف فلاسفة الدهر ، والأولون يقولون بالمحسوس وينكرون المعقول، بينما يقول الاخرون بالمحسوس والمعقول معاً ، وينكرون الحدود والاحكام ، وصارت الدهرية ديناً صريحاً فى عهد يزدجرد الثانى فى الدولة الساسانية ، (من ٣٤٨ - ٤٥٧م) وفى القرآن ، فيقول : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ ﴾ سورة الجاثية الآية ٢٣ .

انظر (الشهرستانى : الملل والنحل ٢ / ٤٦٢ ، ٤٧٩ ، والرازى : الاعتقادات ، ص ١٤٥ ، والاسفراينى : التبصير فى الدين ، ص١٤٩ ، وانظر أيضا د/ عبد المنعم الحفنى : الموسوعة الفلسفية ، ص ١٨٣ .

كفراً من قائله ، وجحوداً للوحدانية ، ومجيء الآخرة، وقيام الساعة ، فادخل (لا) صلة للكلام ، وهو لا يريدها ، إلا لقوام اللغة العربية ، وما فيها من العجائب .

وقوله ، عز وجل، ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾[1]، فيقول القائل : هذا يوجب أن تميد بهم، فيقال : إنما المعنى فيه ، «وجعل فيها رواسي أن لا تميد بكم» ، كقوله ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ﴾[2]، يريد «يبين الله لكم أن لاتضلوا» ، فاسقط (لا) من ٨٢ و / الكلام، قال عمرو بن كلثوم: [3] /

نـزلتـم منـزلَ الأضـيـاف منّا فعجَّلنا القــرِىَ أنْ تَشْتُمونـا [4]

فطرح (لا) شعر من الكلام ، وإياها أراد؛ لأن المعنى فيه : أن لا تشتمونا .

وقال آخـر :

ونركَبُ خيْلاً لا هـوادَةَ بينهَا وتَسْعى الرماحُ بالضَّياطِرةِ الحمرِ [5]

والضياطرةُ رجال ، والرماحُ لا تسعى بالرجالِ ، إنما الرجالُ تسعى بالرماح، فجاز هذا فى اللغة العربية.

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٣١ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٧٦ .

(٣) **عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب ، من بني تغلب ، أبو الأسود** : شاعرٌ جاهليٌ ، من الطبقة الاولى، ولد فى شمال جزيرة العرب فى **بلاد ربيعة** ، وتجول فيها وفى **الشام والعراق ونجد** . وكان من اعزّ الناس نفساً ، وهو من الفتاك الشجعان . ساد قومه **(تغلب)** ، وهو فتيّ وعمر طويلاً . وهو الذى قتل الملك **عمرو بن هند** ، اشهر شعره معلقته التى مطلعها: **الا هبى بصحنك فاصبحينا** ... يقال : إنها كانت فى نحو الف بيت ، وبقى منها ما حفظه الرواة .... مات فى **جزيرة الفراتية** (سنة ٤٠ قبل الهجرة / ٥٨٤م) . انظر ترجمته فى الزركلى : الاعلام ٥ / ٨٤ .

(٤) البيت من معلقته الشهيرة ، وجاء فى الديوان البيت على النحو التالى :

نَزلتم مْنزلَ الاضياف منا فاعجلنا القرِى ، انْ تشتمونا

انظر موسوعة الشعر العربى : لمطاوع صفدى ، وإيلى حاوى، ص٤٢٨ ، وكذا ديوانه، وجمهرة اشعار العرب للقرشى ، ص١٤٦

(٥) البيت بجمهرة أشعار العرب ، **فى قصيدة لخداش بن زهير** ، ص١٠٨، وروايته هكذا : ونركب خيلاً .. ونعصى ، وفى لسان العرب ٦ / ١٦٠ ، وروى هكذا.. وتشقى الرماح والضيطر : للئيم الضم، ونعصى بالرمح ، أى نضرب به ونطعن، وهو من بحر الطويل، والبيت فى الاضداد لابن الانبارى ايضا ، ص٨٥ ، وترجمة **خداش** ، فى **طبقات فحول الشعراء** ، ١١٩ ، والشعر والشعراء ، ص٢٤٦ .

وقال الله ، عز وجل : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ (١) ، يريدُ بذلك : « وعلى الذين لا يطيقونه فدية طعام مساكين » ؛ لأنه لا يجوز أن تكون الفدية على من يطيق الصيام، فبما يفتدى إذا كان مطيقاً ؟! فطرح (لا) من الكلام ، وإياها أراد .

وقوله، عز وجل : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ (٢)، يريد ان العصبةَ أولى القوة لتنوء بمفاتحه ، وهذا جائز فى لغة العرب .

قال الشاعر :

حتىَ لَحقنا بهم تَعْدوا فَورا سُنَا ... كَأنبار عرقف تَرفع الآلا

والآل هو السرابُ عند العرب ، والسهاب هو النق يرفع القف ، فقلبَ الشاعرُ المعنى ؛ لأن السرابَ هو الذى يرفعُ الأشياء ، وليست الأشياءُ التى ترفعه .

ومن الشواهدُ فى لغة العرب، قول أبى طالب بن عبدالمطلب يرثى جده حيث يقول :

جدى الذى حجتْ قريشُ قبره ... أيام مات، فما تريد زيالا

وله تحالفت القبائل كلها ... جزعاً عليه، يلبسون نعالاً

يريد « لا يلبسون نعالا » ، فاسقط (لا) ، فعلى هذا يخرج المعنى فى الآية التى اعتللت بها؛ والمعنى فيها : «إنما نملى لهم؛ لأن لا يزدادوا إثماً ، وأن يرجعوا إلى التوبة والطاعة» .

والدليل على ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾(٣)؛ وقوله : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ (٤)؛ وقوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾(٥)، ولم يخبر انه أملى (٦) لهم ليعصوه ويكفروا به ، عامداً ذلك بهم بغير استحقاق ، جل الله عن ذلك وعلاعلواً كبيراً .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٤ فى الأصل «مساكين».

(٢) سورة القصص : الآية ٧٦ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

(٤) سورة النساء : الآية ٧٩ .

(٥) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٦) فى الأصل : املا

ولو عبدوه كلهم لأدخلهم الجنة ، والدليل على رحمته بهم، ورأفقته بهم، وإحسانه إليهم، وإرادته أن يدخلهم الجنة تخييراً لا جبراً ، أنه فتح عليهم / باب التوبة ، وجعل إليه السبيل، وأمر به، وحض عليه، وحرضهم على الطاعة ، وحثهم على الهدى ، ورغبهم فى الجنة ، وحذرهم من النار غاية التحذير .

وقال فى كتابه، عز وجل، : ﴿ **أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ** ﴾ [(١)]، وقوله : ﴿ **فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤)** ﴾ [(٢)]، وقوله: ﴿ **أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧)** ﴾[(٣)] ، وقوله: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥)** ﴾[(٤)].

فأى عبث أعظم من عبث من أملى لعبيده عمداً ليعصوه ، ويخالفوا مراده ويكفروا به ويحاربوه، ويقتلوا رسله ، وأئمة الهدى من خلقه، والمؤمنين من عباده؟! . . كذب العادلون بالله، وضلوا ضلالاً بعيداً .

فكل ما ذكرنا واستشهدنا من القرآن ، والحجج القواطع ، تدل وتشهد على أنه لا يريد لهم أن يزدادوا إثما ، وإنما يريد أن يتوبوا ويرجعوا إلى الحق ، ويطيعوا الرسل ويدخلهم كلهم الجنة ، والحمد لله رب العالمين .

فإن قال قائل: إن أول الآية يوجب الجبر: ﴿ **ولايحسبن الذين كفروا إنما نملى لهم (خيراً)**[(٥)] **لأنفسهم** ﴾، فتراه لم يمل[(٦)] لهم ،لما هو خير لهم . قلنا له: إن اللغة العربية واسعة على أهلها ، ضيقة على من جهلها ، وإنما المعنى فى أول هذه الآية أنه ، عز وجل، أخبر نبيه، صلى الله عليه، أن تأنّيه بهم ، وكثرة إملائه لهم ، **لا يرجعون فيه إلى حق** ، ولا يكفون فيه عن ظلم، ولا يقصرون فيه عن كسب شر على أنفسهم ، فصار ذلك الإملاء لاخير لهم فيه ، بل هو شرٌ لهم، لما قصروا فى طلب النجاة ، فى مدة ذلك

---

(١) سورة المائدة : الاية ٧٤ .

(٢) سورة الانشقاق : الآيات ٢٠ - ٢٤ .

(٣) سورة فاطر : الاية ٣٧ .

(٤) سورة المؤمنون : الآية ١١٥ .

(٥) زيادة من الهامش وهى صحيحة .

(٦) فى الأصل : يملى .

الإملاء ، الذى أمهلهم فيه ، وأنسا فى آجالهم ، وأحسن لهم النظر ، وتفضل عليهم بالإملاء ، فلم يقلعوا عن الخطايا ، ولم يبادروا بالتوبة، ولم يزدادوا إلا تمادياً فى الغى والضلال ، فصار ذلك الإملاء شراً لهم ، ووبالاً عليهم ، وليس ذلك ، من قبل الله، عز وجل ، كيف يجوز ذلك، وهو أرحم الراحمين ، وأعدل الحاكمين، وأكرم الأكرمين؟!!

بل كيف يجوز على من وصف نفسه بأنه أرحم الراحمين ، أن يملى لخلقه ، ليكونوا آثمين وعن طاعته صادين، وهذا ما لا يجوز على رب العالمين ؛ لأنه ، عز وجل، لايبتدئ أحداً من جميع خلقه ، بشرٌ ولا ضُرٍ ولا صدٍ ولا ظلم ، ولا إغواء ولا بلاء ، ولا إملاء ليزدادوا إثماً .

٨٣ و/ وشاهدُ ذلك قوله ، عز وجل / ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۝٣٠ ﴾[1]، فهذا خبر الله، عز وجل ، وحجته على خلقه، وكتابه الحق الذى أنزله نوراً لا عمى فيه ، وصدقا لا كذب فيه ، فإن نقضتم هذه الآية بحجة ، حتى يلزمنا فساد، قوله ، عز وجل، عن الفساد : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۝٣٠ ﴾[2]، ووجب أن هذه الآية تستحيل فى قولكم، ويصير حكمها أنه ما أصاب العباد من مصيبة ، فبظلم الله ، عز وجل عن قولكم، وبقضائه وقدره، وإرادته ومشيئته للمصائب ، أن تحل بهم وتنزل بعقوبتهم عمداً منه، وقصداً بغير استحقاق ولا جرم اقترفوه ، وعلمنا أن الكفار برآء[3] مما ذكر الله، عز وجل، عنهم، واستحال القرآن ، وانقلبت الأحكام ، ولم يصح الإسلام . وإن لم يأتوا بحجة، ولن يأتوا بها أبداً ، شهد الخلق على المبطل منا ومنكم ، والمفترى على الله، جل ثناؤه، فالحق واضح غير مجهول، والحمد لله رب العالمين[4].

---

(١) سورة الشورى : الآية ٣٠ .

(٢) الهامش السابق .

(٣) فى الأصل : براءة .

(٤) فى نهاية الصفحة كتب الناسخ : تم الجزء الأول ، ويتلوه الجزء الثانى من كتاب «**النجاة ، لمن اتبع الهدى واجتنب الردى**» مما وضعه ، الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام ، الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين ، صلوات الله عليهما ، وإثبات العدل ونفى الجبر والرد ، **على عبد الله بن يزيد البغدادى**» ، وفيه كتاب «**الرد على المجبرة فى وسوسة إبليس**» ، وفيه مسائل **للتميمى سأل عنها الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى** ، صلوات الله عليهما ، وعلى آبائهما ، الطاهرين وسلم تسليماً .. وقد قمت بتحقيق هذه الكتب تباعاً، خدمة للتراث العقلى والعقيدة الإسلامية .

تـرى المجبرة أن الكافرين كفروا بمنّ الله !

ثـم [1] قـال عبـدالله بن يزيـد البغدادى، ثم سلهم : أليس قد تزعمون أن الأسماع والأبصار والجوارح مِنَّة ، من الله ، عز وجل، على الكافرين ؟!

فإن قالوا : بلى [2] . فقل أفليس بمنّ الله عصوا ، وبمنِّ الله ظلموا؟! فإنما أشركوا بمنّةِ الله، وبمنة الله زنوا وسرقوا، وبفضل الله وبمنه كفروا .

فإن قـالوا : نعم . فقل : أخبرونا عمّا به كفروا وبه ظلموا ، أخيرٌ ذلك لهم، أو شرٌ لهم ؟

فإن قالوا : ذلك خيرٌ لهم ، فالعذاب إذنْ خير لهم من الرحمة ، لأنه إنماَ منَّ عليهم بشئ لو لم يمن عليهم به ، لم يعذبهم ! .. فإنما عذبهم ؛ لأنه مَنّ عليهم ، فإن تلك منتهُ التى منَّ بها عليهم فى الأسماع والأبصار كانت خيراً لهم ، فبالخير عُذبوا ؛ لأن ذلك الخير لو لم يجعله الله لهم لم يعذبوا ، فكان مَنُّ الله عليهم شراً لهم ، وإن لم يكن خيراً لهم .

فإن زعموا أن ذلك الذى جعل لهم مَنّاً إن لم يجعله لهم ، فالعذاب إذن خير لهم من أن لا يعذبوا ، فهذا قولٌ عظيمٌ مختلف يؤفك عنه من إفك!!

رد أحمـد بـن يحيى :

الحواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : وسألت عن الأسماع والأبصار والجوارح كلها ، ماهى مِنَّةٌ من الله ، عز وجل، على الكافرين؟.. فإذا قلنا لك : نعم. قلت لنا : زعمت ، أن بمنة الله عصى [3] العاصون ، وكفر الكافرون ، وزنا الزناة ، وسرقَ السرّاق ، وبفضله ومنته أيضاً أشركوا ، وعطلوا وتزندقوا وفعلوا كل فاقرة ، وعملوا كل فاحشة، وافتروا كل عظيمة ، وقتلوا الرسل وأئمة الهدى والمؤمنين ، ولولا تلك المنة والفضل الذى أفضل الله، عز وجل ، به عليهم .

زعمت، والمنة التى امتن بها ما فعلوا شيئاً من المعاصى ، زعمت ، ولكن بُدُوُّ ذلك

---

(١) فى أعلى الصفحة : الجزء الثانى من كتاب النجاة ، بسم الله الرحمن الرحيم .

(٢) فى الأصل : بلا .

(٣) فى الأصل : عصا

منَّة على قولك ، فصار مشاركاً لهم فى افعالهم؛ لانه هو الذى امدَّهم بالمنة والفضل ، على ان يكون منهم كل ما اسخط، وجميع ما كره ونهى عنه، ثم غضب من ذلك الفضل الذى تفضل به عليهم، والمنة التى امتن بها من الاسماع والابصار، وجميع ٨٤و/ الجوارح ، واشتد غضبه فأوقد النيران، واعدَّها / للقوم الذين امتن عليهم وتفضل بالإحسان عليهم ، ولم ينههم فضله ولا منته ، وخلدهم على منته التى امتن بها عليهم، وبفضله الذى تفضل به بين اطباق النيران، فى العذاب الاليم الذى لا راحة لهم منه، ولا انقضاء لسرمده ، ولاخروج من ابده ولا راحة لهم فيها [1] ، زعمت فى قولك واعتقادك ، عز الله وتعالى عن ذلك.

افهكذا ، ويحك ، صفة صاحب المنة والتفضل والإحسان ، زعمت ، ام هكذا[*] يفعل الحكماء الكرام ، والرحماء العظام ، العادلون فى الحكم ، الصادقون فى القول ، والبراءة من الظلم ؟!

أم هذا تصديق قوله فى كتابه يؤدب المؤمنين ، ويعلمهم الرشد ، ويدلهم على الهدى ، ويزجرهم عن العيب، والخطأ والفواحش والردى، بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ .. ﴾[2]، وقوله: ﴿ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى ﴾[3]، ثم قال : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[4]، فكيف يدخل فيما عاب؟!

هذه اسالة دسيسة زنديق :

وبالله ، إنى لا اظن ان هذا السائل لنا ، والواضع لهذه البلايا ، دسيسٌ من الزنادقة ؛ لأن هذا قول عظيم ماخوذ من الشرك، الم يسمع هذا السائل احتجاج الله، عز جل، على خلقه فى الاسماع والأبصار، وما وهب لهم من الجوارح ، وافترض عليهم أن يستعملوها فى طاعته ، كما خلقها لذلك لا لغيره من المعصية ، فقال : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ

---

(١) مكانها كلمة مطموسة .

(*) فى الأصل : افهكذى .... أم هكذى .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٦٤ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٦٢ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٤٤ .

عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾ [١]، افلا تسمع كيف قال : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾ اى : مامنعه من اقتحام العقبة ، وقد تفضلنا عليه بهذه الأسماع والأبصار والجوارح .

ولو كان الله، عز وجل، إنما خلقها فيهم، وأنعم عليهم بها عمداً ، ليعصوه بها ، وليكفروا بها ، وليقتلوا رسله وأولياء من العالمين ، بتلك الجوارح - للزملك ها هنا - أنه قد دخل فيما عاب، وفعل ما عنه نهى [٢] ، وقدر ما منه حذر، ، بعدما أخبر أنه كريم ، وأنه متفضلٌ وعادلٌ، مع قوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [٣]، وهذه وحدها كافية لنا فى الاحتجاج عليك، إذ أخبرنا الله، عز وجل، أنه لا يغير نعمة أنعم بها على قوم، حتى يكون التغيير والا تبداء بالظلم منهم ، وقوله ، عز وجل، : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ [٤] .

٨٤ ظ / فكيف يفرح أحدٌ من الخلق بمنة وفضل وإحسان / يورث ذلك الفضل والمنة الخلود فى عذاب الجحيم والعذاب المقيم ؟!! .... حاش لله من ذلك وعلا علواً كبيراً ، وما كان مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

يا عبد الله بن يزيد البغدادى ، كيف ، ويلك ويحك، استجزت بعد هذه الآية أن تقدم على هذالكفر العظيم ؟ وكيف وضعت فيه كتاباً تفترى فيه على الله، عز وجل، جهاراً ، لا يزال من شيعتك وإخوانك وأتباعك من يعمل به ، ويجرى عليك وباله ، إلى يوم تلقى [٥] الله، عز وجل ، فما عذرك عنده ؟!

أما تدبرت كتاب الله، سبحانه ، يوماً واحداً ، أما أعملت فكرك فى عظيم سلطان الله وملكه، وعدله وحكمته، وجوده وكرمه، ونعمه على خلقه ساعة واحدة ويوماً واحداً، فانزلت العدل منازلة التى يشهد لها القرآن والسنة ، وتشهد عليها العقول؟!! .. ، سبحان الله العظيم ما قدرت الله حق قدره ، فعلمت أنه إنما ركب فيهم

---

(١) سورة البلد : الآيات ٨ - ١١ .

(٢) فى الأصل : نها .

(٣) سورة الأنفال : الآيات ٣ - ٥ .

(٤) سورة يونس : الآية ٥٨ .

(٥) فى الأصل : تلقا .

الاستطاعة ، وفرض عليهم الطاعة ، وامتن عليهم بالأسماع والأبصار والجوارح ، بما افترض [1] (غير) الطاعة اليسيرة، ولم يكلفهم فوق الطاقة.

وانه قال : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[2]، فأين كانت اذناك عن هذا وأمثاله؟!.

أتراه أيها المغرور في دينه ، إنما عذَّبَ خلقه وغضب عليهم، وألزمهم العقاب ، لما وهب لهم من الجوارح السالمة، والأسماع والأبصار القائمة ، وامتن عليهم بالنعمة الكاملة ، والفضل الجميل ، غير المنغص ، ولا المكدَّر ولا المعاقب عليه ، ولا المغضوب عليهم لكونه ؟!!.

فكان غضبه ، عز وتعالى ، وعقابه التخليد في ناره ، لما صرفوا تلك المنة العظيمة والعطية ، والمواهب السنية في اتباع الهوى ، أو الاختيار منهم لمعاصيه على طاعته ، والكفر به واتخاذ الشركاء والأنداد معه ، والادعاء معه الصواحب والأولاد ، وقتل الرسل والأئمة ، عليهم السلام ، وتكذيبهم ، وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس ، ورفض الكتب واتباع الهوى ، وجميع المعاصي واللذات ، والقول بالجبر والإلحاد ، كما قلتم ، فقال فيهم جميعاً : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩) ﴾[3] .

٨٥ و/ ففعلوا جميع ما ذكرنا بأهوائهم غير مجبورين، واخترعوه بإرادتهم / فلم يكن لهم عليه ، جل جلاله ، حجة في فعلهم، ولا تباعةٌ في كفرهم ، ولا مقالة في شركهم ، بل المنة له عليهم، فيما وهب لهم من جوارحهم ، فهي فعله لا فعلهم ، ولذلك لم يسلهم من فعله الذي فعل من الأسماع والأبصار والجوارح .

وقال في كتابه : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣) ﴾[4] ، (ولو كان فعلهم هو فعله لم يقل : وهم يسألون)[5]؛ لأن الفعل كله ، في قولكم، هو فعله لا فعل العباد ،

---

(١) بالهامش (أظنه ثم افترض) وهو صحيح أيضا .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

(٣) سورة إبراهيم : الآيتان ٢٨ - ٢٩ .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٢٣

(٥) تكملة من الهامش .

لما قلتم : **إن أفعال العباد كلها مخلوقة**، فلو كان ذلك، كما قلتم ، لما جاز أن يقول : ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** (٢٣) ﴾ ، فعمَّ يُسالونَ إذا كان الفعل كله فعله، والزنا والخنا والفواحش والردى والكفر والشرك ، وجميع المعاصي كلها ، التي ذكرت ، أنهم نالوها بمنة الله وبفضله ، ولولا منته وفضله ، زعمت ، ما كفروا ولا أشركوا؟!!

وبالله العظيم لو قال هذا القول الزنادقة على شركهم ، لكان عظيماً ، فكيفَ من زعم أنه ينتحل التوحيد !!

والجوارح والحواس هي فعل الله، عز وجل ، ومنتة ، والمعاصي فهي فعل العاصين واختيارهم ، وليس يلزمه ، عز وجل ، فعلهم ؛ لأنه ، عز وجل ، قد أمرهم أن يستعملوا تلك المنة التي وهب لهم ، في الطاعة لا في المعصية ، وجعل لهم السبيل إلي ذلك وأقدرهم عليه ، ولم يحل بينهم وبين الرشد ، بامر من جميع الأمور كلها، وبينَّ لهم وحذر ، وأعذر وأنذر ، فاختاروا لأنفسهم ما أرادوا من طاعة أو معصية ، واستعانوا بتلك المنة التي امتن بها من الجوارح ، على ما نوهوا عنه.

فاستعانوا بنعم الله ، عز وجل ، على معاصيه ، وصرفوها في غير الوجه الذي له خلقوا ، وبه أمروا ، وله إياها أعطوا ، فادبروا من غير غلبة الله ، عز وجل ، ولا معف ، بل أمر تخييراً ، ونهى تحذيراً ، **فلم يُطع مكرهاً ، ولم يُعص مغلوباً** .

وكذلك المؤمنون استعملوا مِنَّة الله ، سبحانه ، التي امتنَّ بها عليهم من الجوارح ورضاه وطاعته ، فأنجحوا وأفلحوا ، غير مجبورين ولا مكرهين ، ومثل ما قد ذكرنا فيما احتججنا به عليك ، في أنه لا حجة على الله ، سبحانه [1] ، فيما وهب لهم من الأسماع والأبصار والجوارح ، بل له به المنّةُ عليهم والحجة .

فمثل ذلك نسالك فنقول لك : أخبرنا عن رجل دفع إليه رسول الله، صلوات الله عليه ، سيفاً جيداً نفيساً صارماً ، وقال له : خذ هذا السيف ، ثم اذهب فقاتل به، بين يدى من خالفني من المشركين ، وجاهد به في سبيل الله مع المجاهدين ، واحذر أن

---

(١) في الأصل : سبحنه .

٨٥ظ / تحــارب به المؤمنين ، ولا تقتـل به / المسلمين ، فاعـاقبك العقوبة الموجعة ، فاخذ ذلك الرجلُ السيف ، ومضى(١) به حتى صار به إلي مكة، واستامن إلى **أبى جهل ابـن هشـام** ، لعنة الله عليه ، وخرج معه حتى سارَ يوم بدرٍ فى حرب رسول الله ، صلى الله عليه ، فلقى النبى ، صلى الله عليه ، ومن معه من المؤمنين، فوضع ذلك السيف فى رؤسهم وأبدانهم ضرباً ، **لا نالوا قتلاً ولا قتـالاً** .

فقال له المؤمنون : ويحك يافلان لا تفعل، اهكذا (٢) أمرك رسـول الله ، صلى الله عليه ، حين اعطاك السيف ، واشترط عليك ان لا تقاتل به المؤمنين ! .

فابى (٣) ان يكف عنهم .

فنقـول لك : هل للمـؤمنين او لاحدٍ من جـميع المخلوقـين ، ان يقـول : إن السيفَ إنمـا كـان بدءوهُ من النبى ، صلى الله عليـه ، ولولاه مـا قـدر الرجل على قـتل المسلمين؟! . . والنبى هـو الذى كان منـه إعطاء السيف للرجـل ، وبـذلك السيف كان قتل المؤمنين!

واحتج ايضا فـقال : لـولا ان النبى ، صلى الله عليه ، اعطانى السيف، ماقتلت أصحابه!

فنقـــول لك : هل يلزم النبى ، صلى الله عليــه ، عند الله، جل ثناؤه ، وعند المسلمين، وفى أحكام الدين ما قال ذلك الكافر ، ومن قال بقوله ؟!!

فــإن قلــت : نعم ، يلزمـه مـا قالـه الكافـر . لزمـك أن رسـول الله ، صلى الله عليـه، شريك لذلك الكافر فى جرمه وإثمـهِ وذنبه ، وسفك دماء المؤمنين ، كـما أعطـاه السـيف ليقـاتل به فى سبيل الله ، فلم يفعـل ، وقـاتـل بـه فـى سـبيل الشيطان!

وهذا من أعظم الكفـر والفرية على رسـول الله، صلى الله عليـه وعلى آله ، وهذا الخروج من أحكام الإسلام والعقول .

---

(١) فى الأصل : معنا

(٢) فى الأصل : اهكذى

(٣) فى الأصل : فابا.

مثـال آخـر :

وكذلك لو أن رجلاً اليوم استعدى [١] على رجل، فقال للحاكم : إن هذا الرجل أعطى [٢] فلاناً سيفاً وأمره أن يقاتل به مع إمام هدى ، فلقى ابناً لى من المسلمين فقتله، أليس فى أحكام الإسلام أنه لاتباعه على ذلك الرجل المعطى السيف ، وإنما الذنب والجرم على القاتل وحده، لايجوز فى الإسلام غير ذلك .

فكيف يلزم الله ، عز وجل ، ظلم من ظلم، وكفر واستعان بنعم الله على معاصى الله، عز وجل،؟!.. لقد هلكت وأهلكت ، رجع الكلام إلى حجتنا عليك .

وإن قلت : إن ذلك القول لا يلزم النبى ، صلى الله عليه ، بطلت دعواك ، وفسد اعتقادك، وبانت فضيحتك ، وكذلك على الله، عز وجل، وجعلك ذنوب العباد عليه، وأن بمنَّة الله عصوا وكفروا ، ولابُدَّ لك من أحد هذين القولين أن تقول به ، وأنت مفلوج الحجة .

٨٦و/ ثم نقول لك أيضاً : ما تقول فى رجل من المسلمين / الأخيار، دفع إلى رجل ألف دينار ، وقال له : خذ هذه الدنانير فتصدَّقَ لى بها على الضعفاء والمساكين وأبناء المهاجرين والأنصار الصالحين ، والمؤمنين ، واسق بها الماء فى السبيل وافعل بها كل بر أرضاه ولا أسخطه ، ولا يُلزمك لى عقوبة .

فأخذها ذلك الرجل، وقصد بها بيوت الخمارين، والنساء (الفواجر) والفواحش [٣] والعرافات ، فأنفقها فى ذلك كله حتى نفذت ، هل كان ذلك الرجل المؤمن المعطى لها، لينفقها له فى سبيل الله تباعةٌ أو جريمة، أو لوم أو عذاب، أو مشاركة فى جرم أو عيب بحرف واحد؟!!

فإن قلت : نعم ، إن عليه العيب واللوم والتباعة ، كما أعطاه ألف دينار ، لينفقها فى سبيل الله ، فأنفقها هو فى سبيل الشيطان . أكذبك جميع من صلى [٤] القبلة ، وأكذبتك أحكام القرآن ، وأحكام القضاة والفقهاء .

---

(١) فى الأصل : استعدا .

(٢) فى الأصل : اعطا

(٣) زيادة من الهامش .

(٤) فى الأصل : صلا

وقوله ، عز وجل: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[1] ، وقوله ، عز وجل: ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾[2] .

وإن قلت : لا تباعة ولا لوم ، ولا عيب على الرجل المعطى الآخر الفاً ؛ لينفقها فى سبيل الله ، فانفقها هو فى سبيل الشيطان ؛ لأن هذا هو الحق والعدل .

قلنا لك: فقد لزمك الرجوع عن قولك ، وبطلت دعواك وبرأت الرجلَ صاحب الألف الدينار، من أمر لم تبرئ منه ربك، واضفت إليه ما برات من عيبه، وقبح ذكره الرجل !! وحسبك برجل هذا مبلغ علمه وعقله واعتقاده فى توحيد بارئه، الذى خلقه ولم يك شيئاً ، وادعاء زعم انه موحدٌ وهو عين الملحد ، والله ما قال بالجبر قط، من عرف الله بالوحدانية .

قال الله ، عز وجل: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[3] ، كيف يوحد الله من شبهه بالجائرين ، وكيف وحَّد الله ، عز وجل ، من شبههُ بالشيطان الرجيم ، وكيف يوحد الله ، عز وجل ، من زعم انه يقضى قضاء المفسدين السفهاء الجاهلين ؟!! . .

وقال القائل يصف العدل بما لايخرج فى العقول والحكمة غيره، وقد قال رسول الله، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، «إن من الشعر لحكمة»[4] وقال :

المجبرون يجادلون بباطل ... وبغير ما يجدون فى الفرقان
الواصفون إلههم بتعنتٍ ... لعباده، كذبوا على المنَّانِ /
٨٦ط / كل مقالته : الإلهُ يُضلنى ... ويريدُ لى ما كان عنه نَهانى

---

(١) سورة النجم : الآيات ٣٨ – ٤١ .

(٢) سورة المائدة : الآية ١٠٥ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ٩١ .

(٤) اخرجه البخارى فى صحيحه حـ١٠ / ٥٥٣ ، كتاب الأدب وباب ما يجوز من الشعر ... حديث رقم (٦١٤٥) ، وابو داود فى سننه حـ ٤ / ٣٠٤ كتاب الأدب ، باب ماجاء فى الشعر ، حديث رقم (٥٠١٠) ، وكذا أحمد فى مسنده ، وانظر الجامع الصحيح ، ص ٩٨ .

*إن*كان ذا فتعوذوا من ربكم ودعوا تعوُّذكم من الشيطانِ !.

إن كان ذاك كذا، إرادة ربنا فلمن أعدَّ جواحم النيرانِ.

إن كان ذلك فالمعاصي طاعة والبرُّ مثل عبادة الأوثانِ.

إن المهيمن لا يضل عباده حتى يضلوا ، يا ذو الطغيانِ.

ألزمه لهم الضلال بفعلهم إضلاله لهم بكل أوانِ.

يجد اختيارهم الضلال على الهدى لا قبل بيِّنةٍ أتى ببيانِ.

قالوا : الذنوبُ مشيئةٌ من ربنا قلتُ: المشيئة والرضا سيَّانِ.

قالوا : الرضا غيرُ المشيئة ، فاعبدوا والله يجزيهم على العدوانِ.

إن المشيئة والإرادةَ والرضا معنى، وما هي فاعلموا بمعاني.

والاستطاعة فيكم مخلوقة خُلقتْ معَ الأرواح والأبدانِ.

لولا استطاعتكم لطاعة ربكم ما قالَ ربكُمُ : اطلبوا رضوانِ.

الله ملَّكنا يوجبُ حجةً تحريك كل يد وكل لسانِ.

جعلَ استطاعتنا علينا حجةً والاستطاعةُ حجةُ الرحمنِ.

ولذاك ليس على المصاب بغفلة في الدين من جُرم ولا الولدانِ.

والناسُ يحذرُ منهم أفعالهم والاستطاعة جبلة الإنسانِ.

زعموا بأن الله كلَّفَ عبدهَ أشياءَ ليس له بهن يدانِ.

إن آلم كلَّفَ عندنا لعبيده ما لا يطاقُ، لجائرُ السلطانِ.

أيريد معصيةً ، ويفرضُ طاعةً، إن كانَ ذاك فأمره أمرانِ!

أراد أن يُعصى [1] وعذب من عصا تلك المقالةُ أعظم البهتانِ.

أراد سيرة من أطاع ومن عصا فهما إذاً في الأمرِ متسويانِ.

---

(١) في الأصل : يعصا.

إن كــان ربكم أراد ضــلالكم فــالمجـرمـون إذاً ذوو إحـســان.
أيقــولُ ربكم لقــوم : آمنوا ويردُّ ألسنتهم عن الإيمان.
مـا كـان ربكم ليصـرف عـبده عن وجـه طاعته إلى العصيان.
ليس الحكيمُ بمن يقـول لعـبده والعبد يفعل ما يشاء : عصان.
والله لم يُرِدِ الفـواحش، إنمـا بالعـدل يأمـرنا وبالاحسـان.

***

الحواس ابتلاء من الله !!

وأما آخر كلامك في هذه المسألة، فقد خلطت فيه وجئت بكلام محال ، وزعمت أن الله جل ثناؤه ، جعل الأسماع والأبصار غير رحمة من الله ، وأنها ، زعمت، خلقت ضرراً عليهم ليبتلى عليها وجعلها قوة فيهم ، ثم ابتلاهم بما جعل فيهم من القوة فمن أطاع الله، فيمنُّ الله عليه بالقوة ، والمن ، زعمت ، رحمة من الله ، ومن عصى [٢] الله بالقوة التي فيه ، كانت المنةُ التي عصاهُ بها شراً عليه وفتنة ، ولم تقل هذه رحمة ؛ لأن الرحمةَ والمنةَ ما نفعَ الناسُ . وهذا قولك، زعمت ، قد دخلنا فيه ، وهذا الكلام الذى قلته مخلطٌ لم تحسن شرحه.

وقد عرفنا ما قلت ، زعمت ، أنك تقول : إن الأسماعَ والأبصار والألسنة والأيدى والأرجل إنما جعلها الله قوة فى بنى آدم . هكذا قلت فى كتابك ، وليس هى عندك رحمة ولا منةٌ؛ لأن الرحمة والمنة ، زعمت ، ما نفع الناس .

وهذا ما تقولون به ، زعمت ، قد دخلنا فيه ، وحاشا لله ، ما ندخل فى هذا ؛ لأنه لو قال : هذا صبيٌّ مخرجٌ من بلاد الحبش ، لعظم التعجبُ منه لجهله .

فكيف رجلٌ يزعمُ أنه متكلٌ يناظر الرجال، ويقاوم ، زعم ، أهل العدل والتوحيد.

هيهات ، غرق الجاهل فى الطين، الا ترى أيها الجاهل أنك ، زعمت ، أن

الأسماع والأبصار التى وهب الله لعباده ، وجميع الجوارح لايجب ، على قولك ، أنها تسمى [1] رحمة ولا مِنَّة من الله على خلقهِ ، وإنما يجبُ ، زعمت ، أن تسمى [2] قوة ابتلاهم لا رحمة ولا منة ؛ لأن الرحمةَ ، زعمت ، والمنة ما ينفعُ الناس .

فأوجبت أيها الجاهل أن الأسماع والأبصار والأيدى والأرجل والألسنة ، وجميع الجوارح، غير نافعة لأهلها ، وأنها ضررٌ عليهم .

بل هى منة :

كيف والله ، جل ثناؤه ، يقول ويمتن عليهم بأعظم المنة : ﴿ **وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (٧٨) ﴾[3] ، فهل سمعت فى لغة العرب أحداً يلوم أحداً على التقصير فى الشكر على غير منة؟

وهل يكون الشكر إلا لمن أعظم المنة، مع ما لا نحصيه فى غير موضع من القرآن يذكر الله، عز وجل، فيه مننه على خلقه، بآلة الأسماع والأبصار ، وجميع الجوارح التى لا يؤدون فيها شكره أبداً .

وأنت فقد خرجتَ من المعقول ، مع خروجك من حكم الكتاب ، فلا يبعد الله إلا من ظلم!

وزعمت أن الأبصار والأسماع ليست رحمة ولا مِنَّةٌ من الله على خلقه ، فأوجبتَ على زعمك، أنه لا يجبُ أن يشكرَ اللهُ على ما رزق من الحواس والجوارح؛ لأنه لا مَنَّةٌ له فى ذلك!!

ولزمك أن الله ، عز وجل عما قلت ، خلق فى صورة بنى آدم بنية لا شكر له عليها، ولا حمد له ؛ وأنها غير منة ولا رحمة ، وأنه ذكر لهم فى كتابه نعمة أنعم بها عليهم، غير صادق فيها ، وأنها ليست بمنة ولا رحمة .

---

(١) فى الأصل : تسما .

(٢) فى الأصل : تسما

(٣) سورة النحل · الآية ٧٨

زعمت ، وهي قوله ، سبحانه : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [١]، فعاب عليهم قلة الشكر ، وذلك يوجب أن الذى منة من أعظم المنن .

وقال ، عز وجل : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾[٢]، أفلا تسمع إلى قوله : ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾ يريد : فما الذى منعه من اقتحام العقبة بعد المنة ، والنعمة والعينين واللسان والشفتين والهداية إلى النجدين ، والنجدان فهما الطريقان إلى الخير والشر، فالهدايةُ هى التعريف ٨٧ ظ/ بالطريقين والدعاء إلى الخير ، والنهى عن الشر / فأى نعمة أورحمة أو منة أعظم أو أجسم أو أجل أو أكبر فى هذه الدنيا من السمع والبصر واليدين والرجلين ، وجميع الجوارح التى امتن الله ، عز وجل، بها على خلقه ، وأوجب عليهم شكره فيها ، ثم - زعمت - أنت أنها ليست برحمة ولا مِنةٍ ، وكفى [٣] بهذا جهلاً وعمى [٤] !!

وزعمت أنها قوة ، وليس هى رحمة ولا منة، فنقول لك : أخبرنا عمن وهب الله القوة، هل الله، عز وجل، عليه شكر وحمد فيما تفضل عليه به من تلك القوة، وجعل فيه ؟!.

فإن قلت : لا . كفرت وأكذبكَ القرآن، وجميع الأمة .

وإن قلتَ: نعم ، يجبُ أن يحمدَ ويشكر عليها . قلنا لك: فأخبرنا عن تلك القوة، هل هى رحمة من الله ، عز وجل ، ومنة على خلقهِ أم سخطة ونقمةٌ ؟

فإن قلتَ : هى سخطة ونقمةٌ . قلنا لك : كيف تكون هبة ، الله ، عز وجل ، للقوة سخطةٌ ونقمةٌ ، وقد قررت أنه يجب أن يشكرَ ويحمد عليها ؟!

وهل تسمى [٥] القوة التى جعل الله فى خلقه ، عز وجل ، قوة ، ولا يجوز أن

---

(١) الهامش السابق .

(٢) سورة البلد : الآيات ٨ - ١١ .

(٣) فى الأصل : وكفا .

(٤) فى الأصل : وعما.

(٥) فى الأصل : « تسما » .. وكذا التى بعدها .

تسمى رحمة ، وكل بنية ابن آدم ، يجب عليه فيها الشكرُ للذى ابتدعه وفطره، وأخرجه من العدم إلى الوجود وكل شئ من جسده ، فهو قوة جائز أن تُسمى رحمة ومنة وقوة ونعمة وإحساناً ، لا يجوز غير ذلك .

أمر الله بصون الجوارح :

وقد أمرَ بصون تلك الجوارح كلها عن معاصى الله ، عز وجل ، فافترض على العين الغض عن المحارم ، فقال ، سبحانه ،: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**﴾[1]، وافترض على اللسان أن لا يقول إلا الحق ، فقال ، سبحانه،: ﴿**وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ**﴾[2]، وافترض على اليدين الجهاد فى سبيل الله ، فقال : ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ**﴾[3]، وافترض على الرجلين الجهاد أيضاً[4] والحج والصلاة، فقال : ﴿**وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨)**﴾[5] ، وافترض على الرجلين المشى إلى جميع الطاعات من المساجد ، والجُمَع ، فقال ، سبحانه،: ﴿**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾[6]، وافترض على الفرج الحصانة والصيانة، فقال : ﴿**وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً (٣٢)**﴾[7]، ثم خيرهم تخييراً ووعدهم الجنة وأوعدهم النار ، وليس لأجل خلقه للجوارح وقع بهم العذاب؛ لأنه قال: غُضوا ، ولم يقل، لمَ خلقت أعيانكم!

وقال: قولوا ، ولم يقل: لم خلقت السنتكم ، وقال : جاهدوا ، ولم يسألهم عن أيديهم لمَ خلقها ، وقال: اسعوا بارجلكم فى طاعتى ، ولم يقلْ : لم خلقت لكم ٨٨و/ أرجلاً ، وقال: ولا تقربوا الزنا، ولم يقل لهم لم خلقت/ فروجكم ، وقال : ولا تسمعوا الباطل ولا الجور ولا الخنا ولم يقل : لم خلقت آذانكم وإنما سألهم عن

---

(١) سورة النور : الآية ٣٠ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٧١ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٩٠ .

(٤) فى الأصل : ايضىً.

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٣٨ .

(٦) سورة الجمعة : الآية ٩ .

(٧) سورة الإسراء : الآية ٣٢

فعلهم هو ، وذلك قوله : ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣) ﴾[1] ، وفى أقل مما ذكرنا كفاية وشفاء ، لمن أراد الحق، ولم يصغَ[2] إلى الباطل ، ولم يلزم الله، عز وجل، ظلم الظالمين ، ولا كفر الكافرين ، فانظر أى القولين هو القول العظيم، الذى يؤفك عنه من أفك ، عز عن ذلك رب العالمين .

***

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٢٣ .

(٢) فى الأصل : يصغى .

المسألة الثالثة عشرة

الـــرزق

ثم قــال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم قال سلهم هل عاش أحد بغير رزق الله ، عز وجل؟ . . فإن قالوا : نعم. فقد أعطـوك أن العباد يكسبون بغير رزق الله، وأن مـع الله، عز وجل، رازقاً ، وهذا ما لا تقبله [1] عقول أهل الألباب من الناس ، وكفاك أن توقف رجلاً أن مع الله رازقاً ! . .

وإن قطعوا بهذا ، وقالوا : ليس مع الله رازق ، ولا يعيش أحد إلا برزق الله، فسلهم عند ذلك عـمن لم يُغَذَّ إلا بالحـرام ، ولم ينشأ إلا فيـه [2] ، أليس إنما عـاش برزق الله ؟! . .

يـرزق الله الحرام !

فإن قالوا : نعم، عاش برزق الله . .

فقل : أفليس قد يرزق الله الحرام ، ثم يعذب العباد على ذلك الحرام ؟!.

فإن قالوا: نعم. . فقد أعطوك بأن الله يرزق الحرام والحلال، فإن سألوك عن شئ من هذا ،أو ردوا عليك المسألة، فسألوك: أليس قد يرزق الله الحرام ؟ فقل : إنما موضع الرزق عندنا العيش ، فكل ما [3] هو عيش ، فهو رزق ، وهو بلغة ، فما كان يعاش به فهو رزق، اسمه عيش، ورزق، وبلغة [4] .

فمنه ما جعله الله ، جل ثناؤه ، حلالاً لى حراماً عليك ، وذلك مثل مالى وأهلى [5] ، وهو حرام عليك ، ومنه ما هوحلال لى ولك ، وذلك كسبةُ الحلال نكسبُ الرزق والعيش من حِلّه ، أنا وأنت ، فهو لنا حلال .

ومنه ما هو حرام علىَّ وعليك، وذلك مثل الميتة والدم ولحم الخنزير ، إلا أن نضطر

---

(١) فى الأصل : تقبل .

(٢) بالهامش : هذا ما صار عليه وهو عظيم إلـزام .

(٣) فى الأصل : كما .

(٤) بالهامش : بلغة .

(٥) فى الأصل : مال ، وأهل .

إليها ، فالأرزاق كلها على هذا الوجه، كلها رزق الله، وكلها بلغة، وعيش يعاش به ، فمن أصابه وأخذه على وجهه ، فهو مأجور ، ومن أخذه من غير وجهه فهو مأزور ، فالرزق عندنا، على هذا الذى ذكرنا، فإنهم ليس يستطيعوا حينئذ أن يدخلوا عليك شيئاً .

رد أحمد : هذا الافتراء :

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، لا إله إلا الله ، أيها المفترى على الله ، ما أجهلك وما أجهل قوماً قبلوا عنك هذا العمى [1] ، والخروج من محكم القرآن ، والخروج من المعقول .

٨٨ط/ ثم قلت لهم – آخر قولك : فإنهم لن يستطيعوا [2] أن يدخلوا عليك شيئا!

تعنى أهل العدل ، فغششتهم وأهلكتهم فى أديانهم ، وزعمت أن الرزق حراماً وحلالاً ، وأن الله ، عز وجل عما قلت ، هو الذى رزقهم ذلك كله .

ثم قلت : فمن أخذه من وجهه، فهو مأجور ، ومن أخذه من غير وجهه، فهو مأزور!

وأنا أظن أنك لما قدمت من بغداد ، وطال عليك السفر أصابتك خفة فى دماغك ، فأنت تستعمل الهذيان فى كتابك هذا ، وفى عقلك وفى دينك ، فلا أدرى لعجب منك أم من الذين كانوا حولك ؟!! .

الرزق هو الحلال الطيب [3] :

فاسمع ما يرد عليك من حجة الحق والعدل ، بحول الله وقوته ، فأول ما نسألك عنه أنا نقول لك : أخبرنا هل قرأت القرآن قط ؟!.. فإن قلت : لا . قلنا لك : لذلك لم تعقل عن الله ، عز وجل ، عدله فى كتابه .

---

(١) فى الأصل : العما .

(٢) فى الأصل : يستطيعون .

(٣) انظر الهادى إلى الحق: كتاب الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية جـ٢ / ١٦٠ حتى ١٦٥ .

وإن قلت : بلى ، قد قرات القرآن . قلنا لك : فاين ما قد قرات من قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩) ﴾ (١) .

فإن قلت : فإنك قد قرأتها في المصحف، ورايتها بعينك فيه .. قلنا لك : فلمَ انزلها الله إلينا ، أراد ان يسمرنا بها، ام ان ذكرها لغير علة، ام نظر فينا بانه ليس لها معنى (٢) علة من أجله نزلت ؟! فإن قلت : إنه أراد أن يسمّرنا ، ويخبر بأن ليس لها معنى ... كفرت ، وخرجت من الإسلام .

وإن قلت : إن الله أنزلها موعظة وتذكرة وتحذيراً من النار، وتاديباً وإيجاباً عليهم ، انهم هم الذين جعلوا من الأرزاق حراماً وحلالاً بظلمهم واختيارهم . فذلك هو الحق وهو قولنا .

ثم نقول لك : اخبرنا اليس في نص هذه الآية من الشفاء والكفاية عن التطويل ، ما يوجبُ عليك أن العباد هم الذين جعلوا ما انزل الله لهم من الرزق حراماً وحلالاً؟! .. وأن الله ، عز وجل ، لم يجعل ذلك الذى جعلوا ، بل جعل هو ، عز وجل ، الأرزاق فيماأخرج من المعادن والبحار ، وما أنبت الأرض ، ومن غنم الفئ، يجعله حلالاً بقسمته التى قسمها للمؤمنين ، وحكمه الذى حكم به للمطيعين ، فمن كان فى يده شئ من هذه الأشياء التى ذكرنا فهو رزق من الله ، عز وجل ، وقسمة لافساد فى حلالها ، ولا إثم فى كسبها ، فمن وجدنا معه شيئاً من هذه الوجوه ، إما ٨٩و/ من معدن اخذه من حلّة ./ أومن ارض ورثها ، أو احياها من حلها ، أو من بحر سافر فيه، أو من غُنم فى حرب فى سبيل الله مع المحقين ، او ميراث ورثه من ذوى أرحامه ، أو دية وجبت له ، أو جراح لزم له عقلها .

قلنا له : هذا هو المال الحلال الطيب بارك الله لك فيه ، فاخرج زكاته إلى من أوجب الله طاعته ، فانت صاحب المال الحلال الطيب المقسوم من الله ، عز وجل ، وهو الرزق من الله الذى لا شبهة فيه .

---

(١) سورة يونس : الآية ٥٩ .

(٢) فى الأصل : معنا .

ومن وجدنا معه شيئاً مما رزق الله عباده فسماه رزقاً ، واخرجه لهم من الأرضين وأنزله من سماواته إلى ارضه ، وما اخرج من المعادن والبحار .

قلنا له : من اين لك هذا المال ، وكيف وقع فى يدك ، وعلى اى حال كسبته ؟!

فإن قال : إنه لقى قوماً مسلمين فى طريق قطع عليهم ، واخذ اموالهم وغنم رحالهم ، أو نقب دار قوم، فاخذ ما فيها من حرزه ، او غصب احداً من عباد الله ، أو غنى [1] فى مجالس أهل الخمور فاعطوه جائزة ، أو لعب فاخذ أجرة لعبة أو قامر فاخذ قماره ، او خاطر على ما قال ، فاخذ خطره او رابى [2] فى ديونه، فجمع ذلك الربا ، أو عمل الخمر وباعه ، أو أكرى القدور من الخمارين واخذ أجرتها ، أو أخذ الأرزاق من السلاطين الجائرين والخوارج على الإسلام ، أو بخس فى الموازين والمكاييل، أو غشَّ فى الصناعات ، أو خان الأمانات .

ثم قال إن الله ، جل ثناؤه، : هو الذى رزقه ذلك المال واعطاه اياه . قلنا له : هلم إلينا البينة على دعواك ، فإن لم يات ببينة ولا برهان ، من كتاب الله ، عز وجل ، ولا من سنة رسول ، وجب عليه انه عند الله ، جل ثناؤه ، وعند المسلمين من المفترين للباطل والمدعين للزور والبهتان العظيم ، وأن الله ، عز وجل ، لم يرزقه هذا الرزق، الذى ادعى [3] ، بل حرمه عليه فى كتابه ، غاية التحريم ، ونهى [4] عنه أشد النهى ، وهلك فى قوله واستوجب العذاب الأليم ؛ لأن الله ، عز وجل ، لم يرزقه الحرام ، وقد نهاه عنه وحذره منه، حيث قال فى كتابه : ﴿ **وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨)** ﴾ [5] .

فأى بيان أوضح من هذا البيان ، وأى شاهد لنا عليكم أعدل من كتاب الله ، عز وجل ، وإنما تعدى هذا المعتدى ، فاخذ ما ليس له برزق ، ولو كان الله ، عز وجل، ٨٩ط / الذى رزقه إياه لم يامر به – فى كرمه وعدله – ان تقطعَ يده ، وفى موضع /

---

(١) فى الأصل : غنا .

(٢) فى الأصل : رابا

(٣) فى الأصل : ادعا .

(٤) فى الأصل : نها .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٨٨ .

آخر إذا قطع الطريق، وأخذ الأموال أن تقطع يده ورجله ، افهذه صفة الكريم العادل، الذى يرزق رزقاً ، ثم ينغص ذلك الرزق ولا يهنيه صاحبه ، ثم يقطع يد الذى رزقه ذلك الرزق ؟!!.

ولا يكون كرمه إلا دون كرم المخلوقين ؛ لانه لا يجوز فى العقول ، ولا فى همم العرب ذوى الأخطار ، أن يجودوا ، ويكرموا على أحد ، ثم يامروا بقطع يده ورجله ، جزاء بما وهبوا له وقسموا وأعطوا!!

فالله، عز وجل، أحقُ بالجود الهنىّ ، والعطاء السنى ، الذى لايتبعه تنغيض ولا تكدير ؛ لانه أكرم الأكرمين ، وأنه ، عز وجل، الذى يقول إيجاباً على نفسه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(١)، فهذا أكبر شاهد على أنه ، عز وجل، لا يرزق رزقاً ثم يقطع يد من رزقه إياه ، هو أكرم من ذلك واعدل.

وهذه شواهد القرآن قاهرة لحجتك ، وشاهدة لنا عليك ، وأما قولك يا عبد الله بن يزيد البغدادى ، أن قولنا فى الأرزاق ما لا تقبله عقول أهل الألباب !

وقلت : وكفاك أن توقف رجلاً أن مع الله رازقاً غيره !

فليس يقول ذلك أهل العدل والتوحيد ، هم أجل خطراً وأعرف بعظمة الله ، عز وجل ، ووحدانيته من أن يقولوا : إن مع الله ، جل ثناؤه ، رازقاً غيره ، غير أنك تشنع وتفترى الزور .

الله لا يرزق الحرام :

وإنما قولنا : إن الله ، عز وجل ، لا يرزق الحرام ، وأن أخذ الحرام تعدى من آخذه ، وقد نهى (٢) الله ، عز وجل ، منه. الا ترى ، ويحك ، كيف قال : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨) ﴾(٣)، فاوجب ، عز جل، أن ذلك الذى أدلوا به إلى الحكام ، وأكلوه من أموال الناس، أنه ليس من رزقه ، ولا من عطيته .

---

(١) سورة الانفال : الآية ٥٣ .

(٢) فى الأصل : نها .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٨٨ .

أولا ترى كيف قسم الله ، عز وجل ، الأرزاق فى الموريث، وجعلها للأقرب فالأقرب من صلبة الرجل ، وحامته وأوليائه وقرابته فى النسب، وفرض ذلك فى الكتاب، ولم يجعله لغيرهم، فإذا غصبهم غاصب، وأخذه منهم آخذ، أوظلمهم فيه ظالم، أليس قد تعلم انه قد أخذ ما فرضه الله ، عز وجل، لهم لا له ، وحرمه عليه ، وأنه رزق من الله ، جل ثناؤه ، لغير ذلك الغاصب الظالم .

٩٠و/ فإن انكرت هذا / هنا ، فقد خرجتَ من حدٍّ من يكلم ، وفارقت أهل الإسلام ، وخرجت من المعقول ، ومن حكم الكتاب وفرائضه ، وفى هذه وحدها الكفاية ، فإن أنت لم ترد علينا جواباً ، ورأيت أنك قد أصبت فى حجتك هذه فى الرزق، وجب عليك أنك تطالب يوم القيامة ، بجرمين عظيمين موجبين للنار جميعاً .

١- **أحدهما** : إجازتك للغاصب أخذهُ لأموال اليتامى [1] والمساكين والمؤمنين ، وزعمك أنه إنما غصب ذلك، وهو له رزق من الله ، عز وجل، كما قلت / .

٢- **والخطأ الآخر** : ما تقلدت من الكذب العظيم على الله ، ووضعته لإخوانك ، سُنَّةً فيهم، يقتدون بها إلى يوم القيامة ، من أن الله ، عز وجل عما قلتم، هو الذى رزق الغاصب اموال المسلمين ، وهو ، عز وجل ، يقول فى كتابه : ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ** ﴾[2]، وقوله، عز وجل، : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)** ﴾[3].

ونقول لك؛ ما تقول فيمن غصب هؤلاء [4] الثمانية، المسميات [5] فى الكتاب ،

---

(١) فى الأصل : اليتاما .

(٢) سورة النساء : الآية ١١ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٦٠

(٤) فى الأصل : هاولا

(٥) فى الأصل المسمانى

أسهمهم[1] المفروضة من الله ، عز وجل، (فأخذها لنفسه وولده وشرب بها الخمر ، وأكلها دونهم ، ألست تشهد أن الله ، سبحانه)[2] قد فرضها لهم، وتفضل عليهم بها ، ورزقهم إياها ، وأوجبها لهم ، دون غيرهم؟!..

فإن قلت : لا . كفرت بالقرآن ، وخرجت من الإسلام .

وإن قلت : نعم. هي لهم فريضة من الله ، عز وجل، مفروضة دون غيرهم .

قلنا لك : فما تقول فيمن أخذها منهم، وأكلها دونهم ظلماً وعدواناً ، أذلك له رزق من الله، عز وجل؟!

فإن قلت نعم . هو له رزق . قلنا لك : فما فعل الرزق الأول الذى فرضه الله ، عز وجل، وأقررت به ، زعمت ، لأهل السهام الثمانية، أندم عليه أم خبرهم بأمر خدعهم فيه، ثم رزقه غيرهم، بعدما أعلمهم أنه قد رزقهم إياه، وفرضه لهم فى كتابه، وعلى لسان نبيه، صلى الله عليه؟!!

فصار ما ذكر لهم محالاً من القول لا حقيقة له ، على زعمك ؛ لأنه ، زعمت ، حوّله عنهم، ورزقه غيرهم!!.

فإن دمت على ذلك فى صفة الله ، عز وجل ، كفرت ، وخرجت من الإسلام.

وإن قلت : إن الغاصب أخذ ما ليس له برزق . رجعت عن قولك، وتركت أصلك، وقهرناك وبان كذبك على الله، عز وجل ، فى الأرزاق ، وقولك علينا أنا نقول أن مع ٩٠ط/ الله ، عز وجل ، رازقاً غيره . تشنع بذلك[3] / على أهل العدل ، وإنما قولنا ، والذى إليه قصدنا ، أن الله ، عز وجل ، قد قسَمَ الأرزاق فى كتابه فمن قسمها له ، ثم ظلمهم فيها الظالمون ، وأخذها من أيديهم الغاصبون فأكلوها دونهم بلا حق ، وهى رزق غيرهم ، فأكلوا ما لم يرزقهم الله ، عز وجل .

وشاهد ذلك قوله ، عز وجل، : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا

---

(١) فى الأصل : سهماتهم .

(٢) تكملة من الهامش .

(٣) كررت فى بداية الصفحة (٩٠ط) .

وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾[1]، افلا ترى[2] كيف نسب، عز وجل، إليهم أنهم هم الذين جعلوا فيه الحرام والحلال، على ما أرادوا واضاف ذلك إليهم، وانه لم يأذن لهم به، ولم يرزقهم إياه، وأنهم قد افتروا عليه الكذب!

فسبحان الله العدل، الذى لا يجور، ولا يرزق الحرام، ولا يعين على الآثام، ولا الخروج من الإسلام.

وزعمت أنت، وإخوانك المجبرة، أن هذه الأرزاق التى رزقها هؤلاء[3] المسلمين فى كتابه، انه قد بدا له فيها، عز عن البدوات، وندم عليها فجعلها رزقاً لقطّاع الطريق، ونُقاب الدور والحوانيت، وَشُرَّاب الخمور، ومن يبيع الخمر، وكذلك هى أرزاق للفواجر، لأنها كراء فروجهن، وتركت قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾! فأى باطل أبطل مما ذكرنا.

شرع من كان قبلنا وذكر فى القرآن هو شرع لنا:

وكذلك يلزمك أنه جعل هذه الأموال، للجورة العاصين من السلاطين، ثم نقول لك: ألم تعلم ويصح عندك، أن الله، عز وجل، استخلف فى أرضه الأنبياء، وبعدهم أئمة الهدى، عليهم السلام، ليحكموا بين الناس بالعدل والحق، وقال لداود، صلى الله عليه، وكل ما قال لداود، صلى الله عليه، فهو لازم لجميع من ولى الحكم بين المسلمين فى الأرض إلى يوم القيامة، وكذلك كان الحكم من لدن آدم، صلى الله عليه، فقال: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[4].

فنقول لك: أليس قد افترض الله، عز وجل، على الأنبياء والأئمة الراشدين، أن تحكموا بين الناس بالحق، وأن من وجدوا معه مالاً، قد ظلم فيه أحداً من عباد الله، أو استفاده من غير حلّه، ولم يقسمه الله، عز وجل، له فى الكتاب، أن يأخذ الحكامُ

---

(١) سورة يونس: الآية ٥٩

(٢) فى الأصل: ترا.

(٣) فى الأصل: هاولا.

(٤) سورة ص: الآية ٢٦

ذلك المال منه، ويقهروه على رده بالسيف وغير السيف ، حتى يرُدّهَ إلى أهله الذين قسمه الله لهم ؟! . .

فنقول لك يا عبد الله بن يزيد البغدادى، ولإخوانك المجبرة : أخبرونها الآن هل يجوز ٩١ و / فى هذا الموضع للأنبياء، والأئمة والحكام بين المسلمين، أن يأخذوا / من الناس ما رزقهم الله على قولك من الحرام ، ويردوه إلى قوم آخرين قد رزقهم الله ، عز وجل، إياه أيضاً فى الكتاب، وحكم لهم به .

واعلم أن الأنبياء والأئمة ، عليهم السلام ، والقضاة من بعدهم ، لو علموا أن ردَّ تلك الأموال ، وأخذها ممن هى فى يده ، ودفعها إلى قوم آخرين إرضاء لله ، وصح عندهم ورأوا أن ذلك رزق من الله ، عز وجل ، وعطية أعطاها الخونة والظلمة، والجورة وقطاع الطريق، والنباشين للقبور، وجميع المعتدين ، لما استحلُّوا فى دين الله ، جل ثناؤه، ردَّها [1] ولاقهر من هى فى يده عليها، حتى يردها إلى قوم ليست لهم بأرزاق ، سبحان الله العلى العظيم ، ما أجهلكم وأبعدكم من الدين ، وأعظم فريتكم على الله، عز وجل ، وعلى رسله وكتبه !!.

ثم يأمر الله ، عز وجل، زعمتم وعلى قولكم ، بعد ذلك أن تقطعَ أيديهم مرة ، وأيديهم وأرجلهم مرة أخرى ، وأنهم من وجدوا ذلك معه، بلغوا به غاية النكال والهوان، ولاموه أشد اللوم، وعابوا عليه أشد العيب، وسموه سارقاً وخارباً وقاطعاً ومشلحاً ولصاً ، وغير ذلك من الألقاب القبيحة التى أزالوا بها شهادته ، وأسقطوا بها دينه .

ولو كان ما قلتم من الحرام رزقاً من الله ، عز وجل ، للسُّراق وقطاع الطرق، والعاصين لهناهم رزقه ، ولم يكدِّره، ولم ينغِّصه بأعظم خصلتين، وأحسر حسرتين .

١- أما واحدة : فنزعة (لذلك)[2] المال، ممن قد أعطاه أياه، وجعله له رزقاً ، زعمتم.

٢- وأما الآخر : فتقطع يده، وأيضاً رجله، إن كان ممن قطع الطرق وأخذ المال، سبحان الله العظيم ! . .

---

(١) فى الأصل : دودها .

(٢) تكملة من الهامش .

أهذه صفة الواحد العادل الرحيم ، الحسن الفعل ، الذى ليس كمثله شئ ، عز وجل عما قلتم علواً كبيراً .

ولولا خوف التطويل، لأغرقنا فى الاحتجاج فى هذا الموضع ، بامر يطول شرحه ، وفيما قلنا كفاية، لمن عقل وانصف ، والحمد لله رب العالمين .

وأما قولك : إن الرزق عندك العيش ، فقد جاءك من الحجج ، ما يأتى على جميع قولك ، والله أعلى وأجل.

***

المسألة الرابعة عشرة

فى أطفال المسلمين والمشركين

مذهب المجبرة :

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى : فإن سألوك عن أطفال المسلمين ، ماهم عندك ؟

فقل : هم عندنا فى الحكم بمنزلة آبائهم ؛ لأن المسلمين كانوا يصلون عليهم ، ويرجون إلحاقاً بآبائهم ، فإن قالوا : اخبرونا عن اطفال المشركين ، فقل : نقف عنهم ، ونسير فيهم سيرة رسول الله ، صلى الله عليه ، نسبى أولاد المشركين ، وتغنم ٩١ط / أموالهم، إذا لم يدخلوا فى الإسلام ، ونكف عن أطفالهم فلا نتبرأ منهم . / ولا نتولاهم فإنهم لم يبلغوا الحلم ، فيكفروا، فنتبرأ منهم ، ولم يعملوا بإيمان ، فنتولاهم عليه (فذلك ما نقول فى أطفالهم.

وأما أطفال المحدثين ، من أهل القبلة الذين عملوا بما أسخط الله)[1]، فإنا نقف عن اطفالهم ولا نتبرأ ولانتولاهم؛ لأنهم لم يبلغوا العمل فيعملوا بطاعة ولامعصية ، ولا شئ عليهم، ولا نغنم اموالهم ، ولا أموال أبائهم ، وإنما يقاتل المحدث من أهل القبلة، حتى يفئ إلى الله ، فلا شئ عليه ، ولا غنيمة لإقراره بالله وبرسله، وبجملة القرآن .

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى فى هذا الباب أيضاً : ثم سلهم أنت عن أطفال المسلمين أيضاً ، فقل : ما منزلتهم عندكم ؟ فإن قالوا ، كما قلت ، دخلوا فى قولك، وإن قالوا : إنهم أولياء لله مؤمنين عندنا ، فقل هل أحلَّ الله سبى المؤمنين والمؤمنات والأحرار ؟! . . فإن قالوا: نعم . أعطوك ما تريد منهم، وما لا تريد أن توقفهم على ما هو أعظم منه .

وإن قالوا : لم يُحل الله سبيهم .

فقل : أخبرونى عن أطفال المشركين، الذين لم يبلغوا الحلم ، أليسوا مؤمنين ، زعمتم ، فلمَ تستحلون سبيهم؟ . . فإن قالوا: هو خير لهم ، نُعلمهم الإسلام .

---

(١) تكملة من الهامش .

فقل: إنا ندلكم على ما هو خير لهم من ذلك، إذا أنتم سبيتموهم فعلموهم الإسلام والكتاب، كما تعلمون أبناءكم، وقولوا لهم: أنتم أحرارٌ مثلنا، ولا تفرضوا عليهم الغلة وتقيدوهم وتعلقوا فى أعناقهم الزنارات؛ وتنكحوا الجارية منهم بغير مهرٍ، ولا إذن وليٍّ، وتزعمون انها مما ملكت ايمانكم، وأنتم تعطون فى صدر كلامكم أنهم مؤمنون، فمن أين أحلَّ الله هذا من المؤمنين.

الجواب، قال أحمد بن يحيى؛ رضى الله عنه: وسألت عن الأطفال وشأنهم جميعاً أطفال المشركين، وأطفال (المسلمين)[1]، وطوَّلت فى ذلك وشرحت، فاسمع الجواب وانصف عقلك.

فأول ما أخطأت فيه أن قولك، زعمت، فى أولاد المسلمين، أنهم عندك فى منزلة آبائهم؛ فجهلت الحكم والعدل، ولم تميز بين ثواب العاملين، ومن لم يعمل؛ فجرت عن القصد، وخالفت القول بالرشد، إذْ جعلت حكم من لم يطع الله، عز وجل؛ ساعة واحدة، ولم يجاهد فى سبيله، ولم تُصْبه البأساء والضراء، والحصر والأزْك، (والجوع)[2] والخوف والبلاء[3]، وجميع المكاره، مثل من نزل ذلك كُله به، فُسفك دمه، وسفك دماء المشركين، وناله (من ذلك)[4] بإنكاء[5] العقوبات، فجعلته فى المنزلة، زعمت، كمنزلة أبنائهم؟!.. فوجب عليك، فى قولك ٩٢و/أن/ منزلة أطفال النبى، صلى الله عليه وعليهم، فى منزلته، ودرجته عند الله، عز وجل، وكذلك جميع أطفال المسلمين، لهم من المنزلة والثواب، مثل ما لآبائهم.

ونسيت قوله تعالى: ﴿إنَّا لا نُضيعُ أجْرَ مَنْ أحْسَنَ عملاً ﴿٣٠﴾﴾[6]، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[7]، وهذا خطأ من قولك، وقلة علم بحكم ربك؛ لأنك لا تعرف العدل، ولا تميز معانيه، ولا قول الله، عز وجل، ﴿هُمْ

---

(١) تكملة من الهامش.

(٢) بياض فى الاصل.

(٣) فى الأصل: البلا.

(٤) كلمة غير مقروءة بالاصل.

(٥) فى الأصل: بانكا.

(٦) سورة الكهف: الآية ٣٠.

(٧) سورة يونس: الآية ٢٦.

درجــــاتٌ عنـدَ الـلَّهِ ﴾[1] وقــــال : ﴿ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيــــلاً (٢١) ﴾[2] .

ونحن نقول : إن أطفال المسلمين كلهم فـى الجنـة برحمة ربهـم، لا بعمل عملوه، ولا أجر استحقوه ، وذلك أنهم كما لم يكسبوا الذنوب ، ولم يجرموا الجرائم ، ولم يأتوا بالقباح، ولم ينكروا الواحد ، لم تجب عليهم حجة تلزمهم بها عقوبة . وكان من حكم الله ، سبحانه ، أنه لا يظلم ولا يُعذب على غير ذنب، كان من جوده وكرمه وسعة ماعنده من الفضل والكرم ، أن تفضل على الأطفال جميعاً ، من ولد آدم، بدخول الجنة ، رحمة منه وتفضلاً ، إذ لا ذنب عليهم ، فلم يجز فى الحكمة والكرم إلا الامتنان بالرحمة؛ إذ لا ذنب تقع عليه عقوبة .

وتوقف المجبرة فى اطفال المشركين :

وأما قولك فى أطفال المشركين، انك تقف عنهم ، زعمت ، وتسير فيهم ، زعمت، بسيرة رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، فتسبى اولادهم ، زعمت، وتغنم اموالهم، فقد اخطأت فى الشرح، وهلكت فى الاعتقاد ، وغلطت فى القول، وخالفت الحق ، إذ لست ممن جعل الله ، عز وجل ، إليه احكام الإسلام ، ولا اختصه بالإمامة ، ولا اصطفاه بالولاية ، ولا بوراثة مقام الرسول ، صلى الله عليه ، ولست ممن يجب له الحل والعقد فى الأحكام ، ولايجوز له سبى المشركين، ولاغنيمة اموالهم .

وإنما ذلك إلى الذين اصطفاهم الله ، جل ثناؤه ، واختارهم على الأمة ، وأورثهم حكم الكتاب والسنة ، وافترض إمامتهم على الخليقة ، حيث يقول ، عز وجل .، ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[3]، فلست من أولى الأمـر ، ولا لك حجة، يجب بها لك سبى المشركين ، ولا غنيمة اموالهم ، دون من جعل الله إليه الاحكام ، وقلده امورالإسلام .

فاما أنت يامسكين، فإنما انت رعية مرعيٌّ ، محكومٌ عليك ، ولست براعٍ ولا حاكم، بل الحكم عليك لمن هو أولى[1] منك، فاعرف ما تقول واعقل ما تاتى وتذر.

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٦٣ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٢١ .

(٣) سورة النساء : الآية ٥٩ .

تناقض المجبر:

٩٢ و/ ثم هلكت أيضاً؛ لإنك [٢] بينما انت تناظرنا / كيف مصيرهم فى الاخرة، وكيف حكمهم، أفى الجنة أم النار ؟ **إذ وضعت تقنينا فى السبى ، وغنيمة الأموال !**

وأصل سؤالك، إنما كان عن الجنة والنار ، وكيف حكم الأطفال فى المنزلتين ، وتسأل: ما حكمهم فى الآخرة ؟.. وزعمت أنك تقف عن أطفال المشركين، ولا تنزلهم منزلاً من أحد الدارين .

فنقول لك: نراك الآن قد ناقضتَ بين قولك، وخلطت فى مسائلك .

أو ليس من قولك : إن الله ، عز وجل ، أراد من الخلق أن يكون بعضهم كفاراً وبعضهم مؤمنين ؟!!..

ثم جئت الآن بقوم آخرين ، وزعمت أن لهم حكماً آخر ، **فصيرت الخلق على ثلاث فرق بعد ما قلت إنهم فرقتان** ، وزعمت أنك تقف عن واحدة لم يخلق الله ، تعالى ، فعلها ، على قود قولك ، ولم يقض عليها قضاء ، ولم يرد منها إرادة ، ولم يحكم فيها بحكم ، ولم يُنزلْ فيها كتاباً يعمل به المسلمون، ولا سنة عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، تُوتر عنه !!

ونحن نسألك فنقول لك : أخبرنا عن هذه الفرقة الثالثة، التى لم يرد الله ، عز وجل، منها إيماناً ولاكفراً ، على قولك ، ولم ينزل فيها كتاباً ولا ذكراً ولا سنة ولا أمراً، على قود قولك ، أهُمْ من خلقه فنسيهم ، أم من خلق غيره ، فَلَمْ يجب أن يحكم فى خلق غيره؟!!

فإن قلت : هم من خلقه فنسيهم. كفرت، وخرجت من الإسلام ؛ لأن الله [٣] ، عز وجل ، لا ينسى [٤] ولايغفل عن أحدٍ .

وإن قلت : هم من خلق غيره .. أشركت، ووجب سفك دمك .

---

(١) فى الأصل : اولا .

(٢) فى الأصل : بين ما .

(٣) ليست فى الأصل .

(٤) فى الأصل : لاينسا

وإن قلت : بل هم خلقه . قلنا لك : فهل ذكرهم فى أحكامه وكتبه، أم غفل عنهم؟

فإن قلت : غفل عنهم . . كفرت وشهد عليك القرآن بالتكذيب لك ، ولأهل مقالتك عن المجبرة ، حيث يقول ، عز وجل : ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[1]. ، وقوله : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾[2]، وقوله : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[3]، وقوله : ﴿ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[4]، وقوله : ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾[5]، وقوله : ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾[6]، وقوله : ﴿ ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ﴾[7] يعنى : الأطفال . ، وقوله : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾[8]، فهذا كله يدل على انه، عز وجل، غير غافل عن الأطفال ولا غيرهم، وانه قد ذكرهم لنبيه، صلى الله عليه، وجعل لهم حكماً فى كتابه .

وإن قلت : أنه ، عز وجل ، لم يغفل عنهم ، ولم يدع ذكرهم، ولا الحكم فيهم ، فى حكمته وعدله وكتابه [9] وسنة نبيه ، صلوات الله عليه . . لزمك أنك قد كذبت
٩٣ و/ على الله، عز وجل وخالفت حكمه، وعطلت كتابه فى وقوفك / عن أطفال المشركين ، ورجعت إلى قولنا بالعدل ، وأن الله، عز وجل ، لم يدع شيئاً من الأشياء، حتى ذكره فى كتابه وسنة رسوله ، صلى الله عليه ، من أسباب الدين ، وما تحتاج إليه الأمة فى أداء فرضها الذى كلفها ، إذ قال : ﴿ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[10]، والذى كذبت فيه، وعطلت من الكتاب ، وتركت حكم الله ، عز وجل فى أمر الأطفال ، خاصة قولك أنك تقف عمن لم يقف الله عن ذكره ، ولا عن بيان امره والحكم فيه، وانه، عز وجل، أرسل رسوله محمد بن عبد الله، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، يقاتل المشركين، فإذا ظفر بهم لم يقتل أولادهم ، وذلك الدليل على انه لو قتل أولاد المشركين، لجاز عذابهم فى الآخرة ، فلما لم يقتلهم ، عليه السلام ، لم يجز عذابهم فى الآخرة، لان الله ، عز وجل ، لا يعذب فى الدنيا ولا فى الآخرة على غير جرم .

---

(١) سورة المؤمنون : الآية ١٧ .
(٢) سورة المؤمنون : الآية ١١٥ :
(٣) سورة الأنعام : الآية ٣٧ .
(٤) سورة النحل : الآية ٨٩ .
(٥) سورة فاطر : الآية ١١ .
(٦) ، (٧) سورة غافر : الآية ٦٧ .
(٨) سورة التكوير : الآيتان ٨ ، ٩ .
(٩) فى الأصل : كتبه .
(١٠) سورة النحل : الآية ٨٩ .

رحمة الله بأولاد الزنا :

وكذلك أولاد الزنا من أهل القبلة بان لنا من رحمة الله ، عز وجل ، وعدله فيهم، أن المرأة الحامل، تستوجب أن يقام عليها الحد، إذا فجرت ، فلا يقام عليها ذلك الحدُّ الواجب، حتى تضع ما فى بطنها ، ثم لا يقام عليها الحدّ حتى تفطمه ، ودليل ذلك واضحٌ على رحمة الله ، عز وجل ، له . وانه إنما أخَّر عنها الحد؛ لحسن نظره للطفل ؛ لا لها .

وكذلك المشركة، إذا كانت تحت أحكام الإسلام ، فلزمها قتلٌ أو حدٌّ من حدود الله، عز وجل، التى يجب بها القتل ، لم تقتل حتى تضعَ ما فى بطنها ، رحمة من الله ، عز وجل ، وعدلاً منه ، على من لم يُذنبْ ولم يعصَ الله ، جل ثناؤه ، طرفةَ عين.

ثم إذا وضعَتْ لم يُقَمْ عليها الحد أيضاً ، حتى ترضع حولين كاملين وتفطم، فهذا فضل الله، عز وجل، وعدله وحكمه، فى الأطفال كلهم من ولد آدم كلهم فى الدنيا .

ثم زعمت انه يجوز، عندك وفى دينك أنه ، عز وجل ، لا تدرى ما هو صانع بهم فى الآخرة، بزعمك، حتى ألزمك ذلك الشك، وصيرك إلى الوقوف عنهم ، زعمت ، بجهلك لعدل الله ، جل ثناؤه !

وكيف تعرف عدله ، عز وجل ، وأنت مجتهد فى إطفاء نوره ، وعذر من عانده ، وكذبت كتابه فى حكمته ، وإلزامه ذنوب المشركين ، والكفار وجميع العاصين ، سبحان الله العظيم ، ما اشنع ما قلتم ؟!!.

وكيف تقف ، ويحك ، عن أطفال المشركين واليهود والنصارى، أو أحد من ولد آدم، عليه السلام، والله ، عز وجل، لقول : ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴿٤٦﴾ ﴾[1]، وقوله: ﴿ **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** ﴾[2]، ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** ﴿٣٩﴾ **وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ** ﴿٤٠﴾ **ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ** ﴿٤١﴾ ﴾[3]، وقوله، عز وجل: ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ**

---

(١) سورة فصلت : الآية ٤٦ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٦٤ .

(٣) سورة النجم : الآيات ٣٩ - ٤١ .

٩٣ظ/ / رسولاً ﴿١٥﴾﴾(١)، وقوله: ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى / يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا﴾(٢)، فتراه لم يرد أن يهلك البالغين، حتى يعذر إليهم، فكيف يهلك الأطفال البريئين بغير جرم!.. وقوله، عز وجل: ﴿ولا تكسب كل نفس إلا عليها﴾(٣)، وقوله: ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿٨١﴾﴾(٤)، وقوله: ﴿ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴿١٦١﴾﴾(٥)، وقوله: ﴿وإذا الموءودة سئلت ﴿٨﴾ بأي ذنب قتلت ﴿٩﴾﴾(٦)، والموءودة: هى الأطفال بإجماع الخلق.

فالله، عز وجل، يقول فى دار الدنيا، ويذم من قتل الموءودة، بأى ذنب قتلت، ثم يعذبها، زعمت، بالنار يوم القيامة، عزَّ عن ذلك العدل الذى لايجور!

ووقفت أنت عن هذا الحكم من شدة ورعك!!.. وزعمت، وانت تفترى على الله، عز وجل، وتجوِّرُهُ فى كتابه، وأحكامه كلها!!..

ثم لا تتورع عن ذلك، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴿٢٢٧﴾﴾(٧) فكيف جاز عندك ان تضع كتاباً، تقول فيه لمن خدعتهُ من الجهال، انك تقف عن اطفال المشركين ؟!!..

فليت شعرى، لأى علةٍ وقفتَ من عند نفسك عنهم، اشككتَ أن الله، عز وجل، لا يدخل أطفال المشركين الجنة ؟!.. فيلزمك فيما تشككت فيه أنه يدخلهم النار، إذ لا منزلة فى الآخرة توجدُ ثالثة، غير الجنة والنار، فيبين ظلمهُ وجوره، عز ذلك العدل الذى لا يجور.. أو يكونون عندك لا فى جنة ولا فى نار ؟!.. فليزمُكَ أنَّ فى الآخرة دار ثالثة، لم يخبرنا الله، عز وجل، بها، فجعلتها أنت لأن يجوز كذبك، وتخالفُ الكتاب، حتى تقبل منك المجبرة وقوفك عن أفعال المشركين.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٥.
(٢) سورة القصص: الآية ٥٩.
(٣) سورة الانعام: الآية ١٦٤.
(٤) سورة البقرة: الآية ٨١.
(٥) سورة آل عمران: الآية ١٦١.
(٦) سورة التكوير: الآيتان ٨ – ٩.
(٧) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

فإن قلت بدار ثالثة ، كفرت ، وخالفت جميع الفرق ، وخرجت من قول أهل القبلة، واليهود والنصارى لا يقولون بدار ثالثة فى الآخرة .

فاختر أىَّ هذه المضايق الخانقة لك شئت ، فلابدَّ لك من القول بواحدة منها ، أو التوبة عن الجبر، والرجوع إلى العدل ، الذى سميت ضده عدلاً ! .. لجهلك بعدل الله، عز وجل ، فالتوبة خير لك من التمادى فى الباطل والعمى [1] ، ففوق كل ذى علم عليم .

وهذه حجة باهرة لكم ، لا يقدر أهل الجبر لها على نقض ، فاتق الله ، وإياك أن تكون من الذين قالوا : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) ﴾[2] .

٩٤ و / فاسمع إلى تبريهم منهم ، ولعنهم إياهم بعد / المودة فى الدنيا على الحمية والخطأ الذى أورثهم النار (**فبعداً للقوم الظالمين**) !.

وأما قولك أنا نقول : إن أطفال المشركين مؤمنون . فليس ذلك قولنا ، لا نقول إنهم مؤمنون ولا كافرون ، وإنما هم عباد الله ، سبحانه ، لم يأتهم رسول فكذَّبوه ، ولم ينزل عليهم كتاب فجحدوه ، ولم تلزمهم حجة ، فأعرضوا عنها ، ولم يركبوا لله ، جل ثناؤه ، معصية ، ولم يعملوا له طاعة ، فأوجب الله ، عز وجل ، الجنة برحمته لهم، وتفضله عليهم ، إذ هو أهل الفضل والإحسان ، وإذ لا جرم لهم ولا ذنب عليهم، ولا حجة لزمتهم ، فهذا هو العدل ، وهو الحق وهو الأولى [3] ، بالواحد الكريم .

ورحمته ، عز وجل ، قد بانت، وصحت لهم فى الدنيا، قبل أن تجئ الآخرة ، إذ لم نقتلهم بما وجب على آبائهم وأمهاتهم من الحدود والأحكام ، ولم نقتل أمهاتهم بعد لزوم الحدود لهن، لحسن نظره لهم ورحمته إياهم، حتى فطمتهم واستغنوا عنهن ، فهذا أكبر دليل ، وأوضح قيل ، ولو لم يكن لهم ذكر فى القرآن، غير هذا لكفاهم ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) فى الأصل : العما .

(٢) سورة الأحزاب : الآيتان ٦٧ - ٦٨ .

(٣) فى الأصل : الأولا

فأما ما سالت عنه من مواريث أطفال اليهود والنصارى، وأولاد المشركين ، فإنا لا نقول إنهم غير مخرجين من مواريث أهل ملة آبائهم ؛ لأن ذا أمرٌ قد جرت فيه السنن من رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، إذ قال : «**أهل ملتين لا يتوارثون**» [1]، فليس لأحدٍ كلام بعد قول الرسول ، ﷺ ، وقد قال الله ، عز وجل : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾[2] ، وليس لأحد أن يخالف السنة والكتاب ، وقال ، وعز وجل ، : ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾[3] ، وليس قولنا أن أولاد المشركين ولا **اليهود** ولا **النصارى** مؤمنين ولاكفاراً ، ولا يجوز ذلك إذ لا عمل لهم .

وكذلك أيضاً نحن نقول : **إن أولاد المؤمنين لا مؤمنون ولاكفارٌ** ، وإنما الأطفال كلهم حكمهم واحدٌ هم عبيد لله ، عز وجل ، لا حجة عليهم ، إنما يدخلهم الجنة جميعاً برحمته وبفضله ، على ما قد بينّا وشرحنا ، والحمد لله رب العالمين .

وعلى أنه قد جاء في تفسير القرآن، حيث يقول : ﴿ **فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١)** ﴾[4] .

[**فقال أهل التأويل : إن أصحاب اليمين : هم الأطفال ، ثم قال :**][5] ، ﴿ **وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦)** ﴾[6] .

٩٤ظ / فذكروا أن المقربين : هم المؤمنون ، وأن أصحاب اليمين : هم الأطفال ،

---

(١) أخرجه البخاري ٣ / ٥٢٦ (١٥٨٨) وفي مواضع أخرى منه ، ومسلم ١١ / ٥١ ، وفي مواضع أخرى ، وأبو داود ٣ / ١٢٥ (٢٩٠٩) ، والترمذي ٤ / ٣٦٩ (٢١٠٧) ، وابن ماجة ٢ / ٩١١ (٢٧٢٩) ، والدارمي ٢ / ٤٦٥ (٢٩٩٢)، كما رواه مالك في موطنه ، ص٣٢١ (١٠ - ١٢) ، وابن سعد في طبقاته جـ١ / ص٧٩ ، وفي مسند زيد (٨٩٨) ، وأحمد في مسنده في مواضع كثيرة منها ٢ / ١٧٨ ، ١٩٥ .، والطيالسي ح (٥٦٨ - ٦٣١) والواقدي ؛ ص ٣٣٣٩ .

(٢) سورة الحشر : الآية ٧ .

(٣) سورة النساء : الآية ٨٠ .

(٤) سورة الواقعة : الآيات ٨٨ - ٩١ .

(٥) زيادة في الأصل .

(٦) سورة الواقعة : الآيات ٩٢ - ٩٦ .

وأن المكذبين الضالين : هم الكفار ، والعاصون من أهل النار ، وجملة الخبر أن الله ، عز وجل ، يقول : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ۝١٥ ﴾[1] وهذه الآية توجبُ الجنة لجميع الأطفال كلهم جميعاً ، والحمد لله رب العالمين .

وأما قولنا نحن ، والذى نفسره ، فإنَّ أصحاب اليمين : هم الذين عملوا الأعمال التى ترضى الله ، عز وجل ، وتجنبوا معاصيه ، والدليل على انهم أصحاب الأعمال خاصة، قول الله ، عز وجل ، فى كتابه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝٩ ﴾[2] .

***

---

(١) سورة الإسراء : الآية ١٥ .

(٢) سورة الانشقاق : الآيات ٧ ــ ٩

المسألة الخامسة عشرة

خلق الله الكفر والإيمان عند المجبرة

ثم قـال عبدالله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عن بدعتهم فى قولهم أن الله ، عز وجل، لم يخلق الكفر والإيمان ، وأن العباد خلقوه ، وليس من خلق **الله** الإيمان والكفر، فسلهم عمن جعل الإيمانُ غير الكفر ، والكفر غير الإيمان ؟

فـى الجعـل :

فإن قالوا : إن **الله** جعل ذلك . فقل : أليس **الله** جعل الكفر غير الإيمان ، والإيمان غير الكفر، وجَعْلُ **الله** صُنْعُهُ ؟! . . فإن قالوا : نعم ، صنعهُ خلقه ، وقل : فاخبرونى عما كان **الله** صانعه وجاعله أليس **الله** هو خالقه ؟ . . .

فإنهم لن يجدوا بداً من أن يقولون : نعم ؛ لأن صنُعَ **الله** خلْقهُ جعلهُ .

فإن أعطوك هذا دخلوا فى قولك ، **وإن أعطوك أن الله جعلَ الكفرَ وصنعَه وخلقه** ، ولن يعطوك هذا .

وإن قالوا : إن العبادَ جعلوا الكفر غيرالإيمان ، والإيمان غير الكفر ، ولم يجعل **الله** ذلك ، ولم يجعل الإيمان غير الكفر ، ولا الكفر غير الإيمان . فإذاً لم يجعل هو ذلك ، فكيف يثيبُ على الإيمان ، وهو لم يجعله غير الكفر ؟! . . وكيف يُعذب على الكفر، وهو لم يجعله غير الإيمان ؟! . .

إن **الله** لم يجعل فى ، زعمكم ، التوحيدَ حسناً ، ولا الشرك **بالله** قبحاً ، فكيف يقع الثواب على ما لم يحسن **الله** ولم يقبح ، ولم يجعله كفراً ولاإيماناً ؟!

والله إنما ذكرنا فى كتابه، أن الثوابَ على الإيمان ، والعقوبة على الكفر ، فهو لم يجعل إيماناً ولا كفراً ! . . فكيف يثيب على ما لم يجعله هو إيماناً ولا كفراً . . . ولو شاء العباد لصنعوا الكفر إيماناً والإيمان كفراً ؛ لأنهم إنما صنعوهما وجعلوهما ٩٥و/ وحسنوهما ،/ وقبحوهما ، **والله** ، لم يضعْ ذلك ولم يجعله ولم يقبح الكفر ، ولم يحسِّنْ الإيمان ، أفليس لو شاء العباد لجعلوا الكفر إيماناً ، والإيمان كفراً ، وهم

الذين يقبحون ويحسنون ، فلو حسنوا الكفر ، وقبحوا الإيمان ، لكان كما صنعوا ؛ لأنه ليس لله فيه صنع؟!.

فإذا كانوا يجعلونه ، فما بالهم لايغيرون إن شاءوا ما قبحوا ، فيجعلوه حسناً ، ويحسنوا ما قبحوا ؟!.. فإن أعطوك أنهم إن شاءوا فعلوا ذلك . فقد مكنوك من حاجتك ، وأعطوك أن العباد لو شاءوا أثاب الله على الكفر الجنة ، وعذّب على الإيمان!!

ولو شاء العباد جعلوا الكفر إيماناً ، والإيمان كفراً ، ولم يجعلوا لله فى ذلك صنعاً ؛ وجعلوا الجنة لمن شاءوا هم ، والنار لمن شاءوا ، ولن يعطوك ، ولابد لهم ، إن أحسنت أن تسالهم ، فانظر مواقع هذه المسائل ، فإنك إن أحسنت مساءلتهم على هذا الوجه، وقادوا لك هذا الكلام ، دخلوا فى الزندقة .

فى الاسم والمسمى عند المجبرة :

وإن قالوا : إن الله إنما جعل اسم الكفر واسم الإيمان ، ولم يجعل الإيمان، ولم يجعل الكفر . فقل لهم ذلك : أخبرونى عن اسم الإيمان أهو الإيمان ، وعن اسم الكفر أهو الكفر ؟..

فإن قالوا : اسم الإيمان هو الإيمان ، واسم الكفر هو الكفر ، فقد أعطوك أن الله جعل الإيمان والكفر، وصنعهما وخلقهما ؛ لأن اسم الكفر هو الكفر ، واسم الإيمان هو الإيمان .

فإذا جعل الأسماء – والأسماء هى الأشياء بعينها – فقد جعل أسماءها ، وأسماؤها هى هى .

وليس الاسم غير الكفر ، وليس الاسم غير الإيمان ، فقد لزمهم لنا أن الله قد جعل الكفر والإيمان وصنعهما وخلقهما .

وإن قالوا : إن اسم الكفر غير الكفر ، واسم الإيمان غير الإيمان ، والكفر المعنى [1] الذى وقع عليه الاسم ليس بكفر ولا إيمان ، فارجع إلى صدر مسالتك ، فقل لهم :

---

(١) فى الأصل : المعنا

أفليس العباد جعلوا الإيمان غير الكفر ، والكفر غير الإيمان ، وهم جعلوا الكفر قبحاً ، والإيمان حسناً ، والله لم يجعل ذلك ؟..

ثم ارفع إلى ما رفعتهم فى صدر المسالة ، فإنهم لن يجدوا مخرجاً ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً .

رد أحمد بن يحيى:

الجواب قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : إنَّ [1] هذه المسالة التى طولت فيها ، إنما كررت فيها المعانى بالفاظ مختلفة ، وكلها تقضى معنى واحداً ، ونحن نقول : إن الله ، عز وجل ، ذكر الجعل فى كتابه ٩٥ظ/ ووصفه/ عز وجل، على وجهين اثنين ، واضحٌ ذلك فى القرآن غير خفى عن أحد ؛ لأنه حجة لله ، عز وجل ، على خلقه ، التى لم تتدبرها المجبرة ، ولم يركنوا فيها إلى العلماء ، ولم ياخذوا الحق من معدنه ، وقلدوا عبد الله بن يزيد البغدادى ، وغيره ، أمر دينهم قبل البحث وإنعام النظر ، وطى الحجج والبراهين الشاهد للحق ، فهلكوا عند الله ، عز وجل .

واعلم ان أحد الوجهين اللذين ذكرت لك ، ان الجعل على وجهين .

معانى الجعل فى القرآن[2] :

١- أحدهما : جعل حكم وتسمية ، أى سماهم بفعلهم ، وحكم عليهم بفعلهم ؛ لا انه خلق ذلك ولا قدْرة ، وهو قوله ، عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [3]، اى سميناهم بفعلهم، وحكمنا عليهم بفعلهم .

مثل ما تقول العرب فى لغاتها ، التى قد جعلها الله ، عز وجل ، حجة على قوم محمد ، صلى الله عليه وعلى آله ، حين يقول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[4]، فلو جاءهم بغير اللغة العربية ما عرفوه عنه ، ولا لزمتهم طاعة . فتقول العرب :-

---

(١) فى الأصل : إنها .

(٢) انظر الهادى إلى الحق : كتاب الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية ٢ / ٢٠٨ حتى ٢١٦ .

(٣) سورة السجدة : الآية ٢٤ .

(٤) سورة إبراهيم : الآية ٤ .

أضلني فلان ، أى سماني ضالاً ، قال الكميت بن زيد الأسدى رحمه الله [١] .

فطائفةٌ قَدْ اكفروني بحبكُم   وطائفةٌ قالوا : مُسئٌ ومذنبُ

يعنى أنهم سموه كافراً ، ولم يجعلوا فيه الكفر جعلاً ، وكذلك أيضاً الجعل مثل قوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ [٢] ، فذلك جعل حكم وتسمية ، مثل ذلك : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ [٣] ، أى سميناهم وحكمنا عليهم بفعلهم ، ولوكان ، عز وجل ، هو الذى جعل الأكنة على قلوبهم ، على ما يعقل من الحجب والأستار ، ثم أرسل إليهم بقرآن افترض عليهم استماعه والعمل بما فيه ، وقد حال بالأكنة بينهم وبين استماعه ، لزالت الحجة، ولسقط عنهم الفرض .

والشاهد على ذلك قوله : ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[٤]، غير مجبور ولامخلوق فعله ، وكفى بهذه الآية شاهداً لنا أن من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها ، غير مخلوق فعله .

والشاهد لنا على ما ذكرت فى الأكنة ، إقراركم لنا يا معشر **المجبرة** ، أن الأصمّ ٩٦و/ الذى لا يقدرُ على السمع، قد زال عنه فرض استماع القرآن والعمل بما فيه، / وأنه إن عقلَ الصلاةَ بتعليم الإيمان ، جازت له ،وقبلت بلا قراءة الحمد وسورة معها ، وقد جاءت السنة أن **كل صلاة بغير قراءة «الحمد» فهى خداج**[٥] . فهذه حجة قاطعة لا حيلة لكم فيها .

٢- وأما جعل الآخر فهو قوله ، عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾[٦] ، ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾[٧]، ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[٨]، فكل جعل فى القرآن على وجهين، لايوجد فيه وجه غير ماقلنا .

---

(١) سبقت ترجمته وتخريج البيت .

(٢) سورة القصص : الآية ٤١ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ٢٥ .

(٤) سورة النمل : الآية ٩٢ .

(٥) رواه الترمذى : ١ /١١٧ (٣١١) ، وابنماجة ١ /٢٧٣ (٨٣٨)، وخداج : أى غير تامة .

(٦) سورة الأنبياء : الآية ٣٢ .

(٧) سورة الإسراء : الآية ١٢ .

(٨) سورة السجدة : الآية ٩

فأحدهما جعل حكم وتسمية ، والآخر جعل حتم وجبر وقسر لا مخرج منه ، فأما قولك من جعل الكفر غير الإيمان ، والإيمان غير الكفر ؟..

فإن كنت تريد بذلك من خلق الإيمان غير الكفر ، والكفر غير الإيمان . فالكفار هم الذين خلقوا الكفر ؛ أى : فعلوه وعملوه وصنعوه ، والشاهد على ذلك ، أصدق شاهد وأعدله ، قول الله ، عز وجل : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾[1] ، إلا أن تردَّ على الله ، عز وجل ، وتكذب قوله ، أو تقول ليس هذه الآية فى القرآن !!

فما نعلم لك مخرجاً ولا محيصاً تلجأ إليه إلا الجحدان . وقد قال الله ، عز وجل ، فى سورة براءة : ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾[2] .

فلا يقدر أحد من جميع الخلق كلهم، أن يدعى أن الله ، عز وجل ، برئ من خلقهم، ولا من رزقهم ، ولا من حياتهم ، ولا من موتهم، ولا أنه برئ من المشركين فى وجه من جميع الوجوه كلها ، بالصحة والحجة القاطعة، إلا من فعلهم ، وإذا برئ من فعلهم، صحَّ أن ليس له فى فعلهم فعل بوجه من جميع الوجوه كلها ، ولا بسبب من جميع الأسباب كلها ، وإلا فهاتوا حجة تدلنا على معنى آخر، برأ الله منه غير أفعالهم كلها .

وكذلك قال رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله : «اللهم إنى أبرأ إليك مما فعل خالد ابن الوليد»[3] فإن كان فعل خالد بن الوليد هو فعل الله ، عز وجل ، أو لله فيه فعل بمقياس شعرة ، لزم النبى ، صلى الله عليه ، أنه برئ من فعل الله !.. ومن برأ من فعل من أفعال الله، ولو صغر ذلك الفعل، لزمته البراءة من الله !

ومن برئ من الله فقد كفر ، ومن كفر فقد صار إلى النار ، فقولوا فى رسول الله ،

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٣ .

(٣) **خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى القرشى** : سيف الله الفاتح الكبير ، الصحابى ، اسلم قبل فتح مكة سنة ٨٧هـ ، قاتل المرتدين ، وسار فى جيوش الفتح وتولى قيادتها ، توفى سنة ٢١هـ؛ انظر ترجمته فى الاعلام للزركلى ٢ / ٣٠٠ ، وكذا صفة الصفوة لابن الجوزى ١ / ٣٦٨، والحديث اخرجه البخارى ٧ / ٦٥٣ (٤٣٣٩) ، والنسائى ، وابن سعد فى طبقاته ج ٢ / ١٠٦ / ق ١ ، واحمد ٢ / ١٥٠ ، وابن هشام فى سيرته ص ٨٣٣ ، والواقدى ، ص ٣٥٣ .

صلى الله عليه ، ما شئتم ، فلعمرى، لقد افتريتم على الله ، عز وجل ، فهو أجدر أن تفتروا عليه .

وزعمت **يا عبد الله بن يزيد البغدادى** ، وأصحابك **المجبرة** ، أن الله خلق فعل المشركين، وخلقه ، زعمت ، صنعه ، فكيف يخلق خلقاً ثم يتبرأ منه ؟!.. أيجوز هذا فى حكم عادل حكيم ، لا بل هل يجوز هذا على عابث جاهل ؟!!.. معاذ الله .

٩٦ظ/ اما إذا صدق نفسه، وانصف عقله ، علم ذلك الجاهل، انه إذا فعل / فعلاً لم يصلح عند نفسه أن يتبرأ منه ، وإذا لم يجز فى حكمة الحكيم، الذى لا يظلم أن يقول فى كتابه : ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ** ﴾ [١] ، وكان الصواب والعدل والحق أن يقول : ظهر الفساد فى البر والبحر ، بما صنعتُ وخلقتُ وأردتُ وقدرتُ من أفعالى بالناس ، ولا يعنفهم فى أمر هو خلقه وأراده !!

فإن فى الناس من يميز عليه هذا الحكم ، وقد حكى مثل ذلك من عيبه لهم ، حيث قال : ﴿ **وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ (١٣٤)** ﴾ [٢] ، **فهذا دليل على العدل، وعلى أن الاستطاعة قبل الفعل.**

وقوله : ﴿ **ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ** ﴾[٣]، وقوله : ﴿ **جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤)** ﴾[٤]، **مع آيات كثيرة فى كل سورة تشهد لعدل الله ، عز وجل ، وتنفى عنه الجور والظلم ، وخلق أفعال العباد** ، وإرادة السوء والظلم والفساد، اختصرنا فيها خوف التطويل .

ومن الجعل الآخر أيضا الذى هو جبر وحتم ، قوله ، عز وجل : ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** ﴾[٥] ، فهذا جعل حتم وخلق ، على قود قولكم ؛ لأنكم أيها الخوارج تدّعون القول بشئ من معرفة التوحيد ، فمن حجتكم فى التوحيد ، زعمتم ، أنكم تقولون

---

(١) سورة الروم : الآية ٤١ .

(٢) سورة طه : الآية ١٣٤ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٨٢ .

(٤) سورة الاحقاف : الآية ١٤ ، وفى مواضع أخرى سبق ذكرها .

(٥) سورة الزخرف . الآية ٣

أن القرآن مجعولٌ ، وكل مجعول مخلوقٌ ، فهذا يلزمكم لنا أحببتم أوكرهتم ؛ لأنه أصل قولكم فى التوحيد .

فإن قلتم : وكذلك يلزمنا نحن أيضاً ، أن كل مجعول مخلوق من غير القرآن ، من الجور والظلم والفسق والكفر ، الذى زعمتم أن الله خلقه وصنعه .

فإنا نقول لكم رادين عليكم ، فإن قصيدة لبيد بن ربيعة الكلابى [1] التى هى سمطه، التى يقول فيها .

عَفَتِ الدّيَارُ مَحلُّها فَمُقَامُها ... بِمِنىً تَأبَّدَ غَولُها فَرِجَامُها [2]

مجعولة ، جعلها لبيدُ بن ربيعة الكلابى، وصنعها .

والله ، عز وجل ، زعمتم الذى خلقها ، كما خلق القرآن ، وصنعها كما صنع القرآن ، على قود قولكم ، فلابد لكم من أن تقروا بذلك ، وترجعوا عن دعواكم، لأخذنا بخطامكم فى هذا الموضوع ، فتقولوا : إن الله ، عز وجل ، لم يخلق قصيدة لبيد ولم يصنعها ، فإن قلتم : إن الله ، عز وجل، خلق قصيدة لبيد ، على دعواكم : إن الله خالق كل شئ . قلنا لكم : وكذلك خلق الله القرآن ، فما الفرق بين الشعر والقرآن فى الفطرة والصنعة ؟!.. وما فضل أحدهما على الآخر؟!..

فلا تجدون فرقاً تدفعوننا به ؛ لأن الشعر ، فى زعمكم ، الله خلقه ، والقرآن الله خلقه ، زعمتم ، فجائز لمن صلى بقصيدة لبيد ، وغيرها من الأشعار ، وجائز لمن صلّى ، بالقرآن ؛ لأنه كله ، على زعمكم ، خلقُ الله وصنعه ، وصنْعُهُ خلْقُه ، وخلْقُهُ صنْعُهُ ، على ما قلتَ يا عبد الله بن يزيد البغدادى ، فى أوّل مسالتك هذه خاصة!!..

فإن قلت : إن الله ، عز وجل ، افترض الصلاة بالقرآن ، ولم يفترض الصلاة بالشعر،

(١) هو لبيد بن ربيعة بن مالك ، أبو عقيل العامرى ؛ أحد الشعراء الفرسان الأشراف فى الجاهلية ، أسلم ووفد على النبى مع المؤلفة قلوبهم ، هجر الشعر بعد إسلامه وكان جودا كريما ينحر للأضياف ، ونذر أن ينحر ويطعم عندما تهب الصبا. توفى سنة ٤١هـ . - انظر ترجمته فى الأعلام للزركلى ٥ / ٣٤٠ ، وكذلك خزانة الأدب للبغدادى ١ / ٣٣٧ - ٣٣٩ .

(٢) هذا البيت هو صدر معلقته الشهيرة ، وهى من بحر الكامل ، انظر المعلقات للزوزنى ، وجمهرة أشعار العرب للقرشى ، ص١٢٩ .

قلنا لك : صدقت ، ولكن هات لنا حجةً نفَرق بها بين خلقه للقرآن ، وبين خلقه للشعر . .

فإن قلت : إن الفرقَ من قِبَلِ أن القرآن خلقه وحده ، لم يشرك فيه أحدٌ ، والشعر خلقه هو وغيره من الشعراء ، على قود قولكم ، **فعل من فاعلين ، وأنه لله خلقٌ ، وللعباد كسب** . قلنا لك : فقد لزمك أن لله ، عز وجل ، شريكاً في خلقه .

ولابد لك أن تقول : إن الله ، جل ثناؤه ، ولبيد بن **ربيعة الكلابي** ، صنعا القصيدة وخلقاها ، وخلقها المعروفة بـ :

عفتِ الديّارُ مَحلُّها فمقامُها بمنىً تأبَّدَ غولُها فَرجامُها .

فتقول : إنهما خلقاها جميعاً وصنعاها ، فلله نصفها ، وللبيد نصفها ، على قود قولك ! . . فيجب عليك أنك قد رجعت عن قولك : إن الله خلق أفعال العباد ، وصرت بأنه يخلقُ نصفَ أفعالِ العباد ، وانتقض قولك الأول الذى تطاولت به ، وانتفخت علينا بسجعه !! .

وإن قلت : إنك لا تقولُ : إن الله خلق نصف قصيدة لبيدٌ ، ولبيد خلقَ نصفها الآخر .

قلنا لك : فكيف نقول في القصيدة ، مَنْ خلقها هى وسائر الأشعار ؟! . . إذ قد رجعت وكرهتَ أن تقول إن الله خلق نصفها ، ولبيد بن ربيعة نصفها ، فهل تقول : إن الله خلقها وحده منفرداً بها لا شريك له فى خلق القصيدة ، وخلقُه صنعه ، زعمت !! .

فإن قلت : نعم ، الله الذى تفرد بخلق القصيدة ، وصنعها وحدهُ ، لزمك صاغراً داخراً عاثراً أن الله ، عز وجل ، صنع هذا القول ، جل الله عن قولكم .

وهو قول لبيد بن ربيعة :

بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ نوارَ ، وَقَدْ نأت وَتَقَطَّعَتْ أسبَابُها ورِمَامُها [1] .

---

(١) نورا اسم الحبيبة ، والرمام هو القطعة من الحبل البالى .

فيلزمك ، ويلك ، أن الله ، عز وجل ، يصنع الغزل ويخلقه ، على قود قولك ، واحتجاجك أن الله خلق كل شئ من جميع الأشياء ، من أفعال العباد هو ، من كفر أو إيمان ، أو طاعة أو عصيان ، أو شعر أو غيره ، وقولهم الخطأ والخنا .

وأن خلقه صنعه ، زعمت ، وأن ما خَلَقَهُ فقد صنعهُ ، فاسمع ما يلزمك من الفضيحة الهائلة ، فى هذه القصيدة ، وما الزمت الله ، عز وجل ، من خلقه لها وأن ذلك يُلزمك الشرك ، ويخرجُك من الإسلام ، لما قلت : إن الله يصنعُ الأشياء كلها ويخلقها ، فاسمع ما يلزمك فى ذكر النساء ، ووصف أسبابهن ، ونعت الخمر ، ٩٧ظ/ وصنفه الإبل والخيل والقفار والحل والارتحال / وتقطع الوصال ، فيلزمك أن معبودك . هو الذى خلق هذا الشعر كله ، وكل شعر على وجه الأرض فيه الخنا والقبيح . من ذلك قول لبيد فى البيت الثانى :

مُرِيَّةٌ حلَّتْ بفيدَ وجاورتْ   أهل الحجازِ ، فأينَ منكَ مَرامُها[1] .

فيلزمك أيها الجاهل بالله ، عز وجل ، أنه يشكو الحزن عليها ، والغم بفراقها، وبعد نأيها ، وأن مزارها لا يرومه ، ولا يقدر عليه لبعد دارها !! .

البيت الثالث :

فاقطعْ لُبانةَ مَنْ تعرَّضَ وصلُهُ   ولَشرُّ واصِلِ خُلَّةٍ صَرَّامُها[2] .

فيلزمك أن معبودك، عز وجل وتعالى عما قلتم ، يُعزِّى نفسه عن طلب الوصال ، ويشكو جفاء المواصل ! .

البيت الرابع : قوله يصفُ الناقةَ

بِطليحِ أسْفارٍ تركْنَ بقيَّةً   منها ، فأحنقَ[3] صُلبها وسنامُهَا[4] .

فيلزمك أنه يصف الإبل والمسافر عليها ، وأنه قد أهزلها بطول الأسفارِ ، التى لا يقطع المهامه إلا على مثل تلك الحال .

---

(١) مرية : تنسب إلى مرة بن عوف . فيد : موضع فى طريق مكة .

(٢) اللبانة : الحاجة . تعرض : تغير .

(٣) فى المعلقة : واحنق .

(٤) الطليح : الناقة المعيية . احنق : ضمر . صلبها : ظهرها .

البيت الخامس :

أفلمْ[1] تكُنْ تَدْرى نَوارُ بأننى ... وَصَالُ عَقدِ حبائلٍ جَذَّامُها ؟ .

فيلزمك أنه ، عز وجل ، يصف مواصل النساء تارة ، ويصف صرم حبالهن ترة أخرى ، ولا يفعل هذا إلا أهل الغزل والطرب والسفه .

البيت السادس :

تَراكُ أمكنَةٍ إذا لم أرْضَها ... أو يَرتَبِط بعضَ النفوسِ حِمامُهَا .

فتلزمك البلية العظمى[2] ، أنه يقول مثل هذا القول ، الذى يقول فيه « أو يرتبطُ بعض النفوس حمامها » ، والحمام فى لغة العرب، هو الموت لا شك فيه .

البيت السابع :

بل أنتِ لاتدرينَ كَمْ من لَيْلَةٍ ... طَلْقٍ لذيذٍ ليلها ومدامُها[3]

فيلزمك أنه ، عز وجل عن ذلك ، يصف السهر واللذة فيه، باللهو والمدام ، والمدام هو الخمر عند العرب .

البيت الثامن من قوله :

قَدْ بتُّ سَامرَها وغايةَ تاجرٍ ... وافَيتُ ، إذ رُفِعَتْ ، وعزَّ مُدامُها

فيلزمك أنه يصفُ الخمر ، وموافاتها إذا غلت عند الخمار ، وأنه يصف السهر بالليل مع الشَّراب ؛ لأنك زعمت ان خلقه صنعه ، فيلزمك أن ما ذكرنا من هذه العظائم صنع الله ، عز وجل .

البيت التاسع قوله :

أغلى السباءَ بكلِّ أدكنَ عاتقٍ ... أو جونَةٍ قُدحَتْ وفُضَّ ختَامُها .

فيلزمك أنه يصنع ويغلى شراء الخمر، ويبذل الثمن فى أزقاق الخمور ، والأدكن

---

(١) فى الملعقة : اولمْ .

(٢) فى الأصل : العظما .

(٣) فى المعلقة : لهوها وندامها ، (وقد كتبت على البيت ايضا)

عند العرب هو الزق ، والجونة هى الجرة التى تقدح ، ويفضُّ خاتم يكون عليها ، كما تصف العرب .

البيت العاشر قوله :

٩٨و / باكرتُ حاجتَهَا / الدجاج بِسُحْرةٍ لأعَلَّ منها حين هبَّ نيامُها .

فيلزمك أنه، عز وجل عما قلت، خلق هذا القول وصنعه ، وخلْقه صنعُه عندك ، وأنه يباكر قبل صياح الديك الخمر، ليعلَّ منها أى يشربها ، فى قول لبيد يصف نفسَهُ حين استيقظَ ندماؤه النيام، فزعمت أن الله ، تعالى ، صانع هذا القول ، ولا نعلمُ شركاً فى الأرض هو أعظم من هذا الذى وضعت علينا فيه الكتب ، فانظر ماذا نزل بكْ !

البيت الحادى عشر : قول لبيد :

وغَداةِ ريحٍ خَسَفْتُ وَقَرةٍ قَدْ أصبحَتْ بيدِ الشّمالِ زِمامُها [1] .

فيلزمك كل بلية وشناعة فى صفة خالقك، البرئ من كذبك والفرية عليه .

البيت الثانى عشر :

بِصَبُوحِ صَافيةٍ ، وجِدْرِ كَرينةٍ بُموتَّرٍ تأتى له أبهامُها [2] .

فيلزمك، أيها الهالك فى دينه، الصَّاد عن صراط ربه ، انه يصفُ الصبوحَ من الصافية ، وهى الخمر ، ويصف الضاربة بالعود ، وهى الكارينة فى لغة العرب ، الذى ذكر لبيد ، والموتر هو العود الذى اتخذه السفهاء لهواً وطاعة للشيطان .

البيت الثالث عشر من قول لبيد :

ولَقدْ حميتُ الخيل يحملُ شِكتى فُرطٌ وشاحى ، إذْ غَدَوْتُ ، لجامُها [3] .

فيلزمك أنه ، عز وجل ، من ذلك يحمى الخيل ، وتحمل شكته الدواب وتحمله ، تبارك وتعالى ، وأن وشاحه لجامها ، أراد بذلك لبيد بن ربيعة الكلابى ، أن العرب إذا

---

(١) فى الاصل والمعلقة : وزعت ..إذْ .

(٢) جاء البيت فى المعلقة :

لصَبُوحِ صافَيةٍ وجَذْبِ كَرِينَةٍ بُموَتَّرٍ تأتالُهُ إبْهامُهَا .

(٣) وفيه « ولقد حميت الحى..» .

نزلوا عن خيولهم لحوائجهم ومخاطباتهم، ربطوها وخلعوا لجمها فيتوشح الرجل منهم بلجام فرسه مع سيفه يتقلده ، كما يتقلد بحمائل سيفه ، وهذه صفة المخلوقين ، عز وجل وتعالى عما قالت المجبرة علواً كبيراً .

وإنما احتججنا عليك بهذا القول عمداً ، ليعلمَ من له أدنى [1] عقل أنك ياعبد الله ابن يزيد البغدادى ومن دان الله ، عز وجل ، بمثل قولك من أهل الجبر القائلين : إن الله خلقَ أفعالَ العباد كلها ، قد بانت فضيحتكم، وسقطت دعواكم ، وصح كفركم وباطلكم بما ذكرنا ، وأجبنا عليكم، من الحجة القاطعة، فيما ألزمناكم من شعر لبيد ، ثم نقول لكم أخبرونا متى (٢) خلق الله ، عز وجل ، قصيدة لبيد، قبل اكتساب لبيد لها أم بعده ؟!!

فإن قلت : إن الله خلق القصيدة قبل اكتساب لبيد لها ، وخلقه صنعه ، زعمتم .
٩٨ظ / لزمكم أن الله ، عز وجل، قد صنع كل ما فى قصيدة لبيد / من العظائم ، وكذلك كل شعر هو صنعه وفعله !!

وإن قلتم إن الله ، عز وجل ، خلق قصيدة لبيد بعد ما اكتسبها لبيد، لزمكم أن قول لبيد لها كان قبل صنع الله ، وأن صنع الله إنما هو تابع لصنع لبيد .

فاختاروا أى هذين القولين شئتم ، فأيهما ما قلتم به ، ألزمكم الكفر، والخروج من دين الإسلام ، ثم نقول لكم : لابدَّ لكم أن تقولوا إن الله ، عز وجل ، خلق هذه القصيدة وحدهُ منفرداً بخلقها وصنعها لا صانع لها معه غيره .

فإن قلتم ذلك وأجزتموه . . . قلنا لكم : فقد لزمكم فى صفة ربكم ما وصف لبيد، وأن لبيداً لا فعل له فيها، وكفرتم .

وإن قلتم إن الله ، عز وجل ، خَلق بعضها ولبيد بعضها ، لزمكم أن معبودكم خلف نصف ما قال لبيد وصنعه ، ونصف ما قالت الشعراء، وصنعت من وصف الخمر والمغنيات، وجميع البلايا .

وهذا ما لم يسبقكم إليه الزنادقة، ولا المجوس، ولا أحد من الملحدين .

---

(١) فى الأصل : ادنا .

(٢) فى الأصل : متا .

ولم تظنْ ، يا **عبد الله بن يزيد البغدادى** ، ولا غير من **المجبرة**، انكم تجابون بمثل هذا الجواب الهاتك لإستاركم والمبين لعواركم ابداً ، ولابد لك من ان تقول ببعض هذا .

وإن قلت : لا اقول إن الله خلق اشعار العرب ولا صنعها ، لزمك انك قد رجعت عن قولك بالجبر ، وصرت إلى قولنا بالعدل ، وأن الله لم يضع اشعار العرب ، ولزمك أنك قد كنت كاذباً علينا فى دعواك. أنا مفترون على الله ، عز وجل .

ثم نقولُ لك : اليس قد ذم الله ، عز وجل ، الشعراء حيث يقول : **﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾**[1] .

فهل يجوز أن الله ، عز وجل ، خلق وصنع من شعرهم ما عاب عليهم، وهو خلقه وصنعه، وهل هذه صفة حكيم عادل ، وهو يقول فى كتابه : **﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤) ﴾**[2].

وكيف يؤدبنا على شئ ثم يفعله ، عز وجل ، عن ذلك وجل !!

ثم نقول **لعبد الله بن يزيد البغدادى** ولمن قال بقوله : اخبرونا عن القصيدة التى هجابها **عمرو بن العاص**[3] رسول الله ، صلوات الله عليه ، فلما بلغ النبى ، صلى الله عليه وآله ، خبره ، فقال : **«اللهم إنك تعلم أنى لا أقول الشعر فالعنه بكل بيت لعنة»** ، فنقول لكم : اليس من قولكم ان الله ، عز وجل ، خلق تلك القصيدة ؟!

٩٩و/ فإن قلتم : نعم . لزمكم ان الله / جل ثناؤه ، هو الذى هجى رسوله ، صلى الله عليه ، . . وهذا كفرمن قائله .

---

(١) سورة الشعراء : الآيات ٢٢٤ – ٢٢٧ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٤٤ .

(٣) **هو عمرو بن العاص بن وائل السهمى القرشى ، أبو عبد الله : فاتح مصر** ، واحد عظماء العرب ودهاتهم واولى الراى والحزم والمكيدة فيهم . اسلم فى **هدنة الحديبية** ، وولاه النبى ، ﷺ ، إمرة **«ذات السلاسل»** ، وفتح **قنسرين ومصر** ، وعزله **عثمان** عن إمرة مصر ، وكان مع **معاوية** فى الفتنة الكبرى ، وكافاه **معاوية** بإطلاق يده فى اموال **مصر** ست سنوات ، توفى سنة ٤٣هـ ، **وللشيعة** موقف منه .

* انظر ترجمةُ فى الأعلام للزركلى ٥ / ٧٩ ، وكذلك وتاريخ الإسلام للذهبى ٢ / ٢٣٥ – ٢٤٠ .

وإن قلتم : لم يخلق قصيدة عمرو بن العاص . رجعتم عن قولكم ، وبان كذبكم ، ويصحُّ أن الحق معنا دونكم .

ثم نقول لكم أخبرونا : أليس من خلق شيئاً وصنعه لزمه أنه ربٌّ لذلك الشئ؟!..

فاذا قالوا : بلى . قلنا لهم : أجائز عندكم ان يقول القائل إذا دعا ربه : يارب الأشعار والقصائد اغفر لى ذنوبى ؟.. أو هل يجوز أن يدعو فيقول : يارب الزنا ، ويارب الخمر ، ويارب اللواط ، ويارب المعازف ، ويارب الفواحش ، ويارب القتل والظلم والكذب والربا والكفر والشرك اغفر لى ذنوبى ؟!..

فإن قلتم : نعم ذلك جائز أن يدعى [1] به . قلنا لكم : فهل هذه الأسماء حسنة أم قبيحة ؟!.. فإن قلتم : أسماء حسنة . بان كذبكم عند جميع الأمة ، إذ سميتم القبيح فى العقول حسناً ، وخرجتم من المعقول .. وإن قلتم : لا ، بل هى قبيحة . قلنا لكم: فلمَ أجزتم أنه جائز أن يدعو الدَّاعى بها إلى الله ، عز وجل، والله ، عز وجل، يقول : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) ﴾[2]، فيجب عليكم الرجوع إلى ما توجبه عليكم من الحجج القاطعة ، التى لا مخرج لكم منها ، والحمد لله رب العالمين .

***

لم يخلق الله باطلاً أبداً :

ومن الحجج لنا على عبد الله بن يزيد البغدادى ، وعلى من قال بقوله، من جميع أهل الجبر ، الإلحاد فى صفة الله ، جل ثناؤه ، أنا نقول لهم خبرونا : عن قول الله ، تبارك وتعالى ، : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ﴾[3] ، أليس هذا فى القرآن؟!..

فإن قالوا : بلى [4] . قلنا لهم : فاخبرونا عن الكفر والشرك ، وجميع المعاصى

(١) فى الأصل : يدعا .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٨٠ .

(٣) سورة ص : الآية ٢٧ .

(٤) فى الأصل : بلا

والفواحش كلها الذى ادَّعى[1] عبد الله ، بن يزيد ان الله ، عز وجل ، خلقها وصنعها وأرادها وقدَّرها ، وكذب المفترون على الله ، اليس هى بين السموات والأرض؟..

فلابد لهم من أن يقولوا : نعم . فنقول لهم: فخلق الله للشرك والكفر وجميع المعاصى التى ذكرت ، أحقٌّ هو أم باطلٌ ، أم خلق ذلك كله لا حق ولا باطل ؟

فإن قالوا : خلقه الله حقاً . قلنا لهم : فهو حق كما خلقه الله حقاً .

فإن قالوا : لا . لزمهم لنا ووجب عليهم ان الله ، عز وجل ، لم يخلق الأشياء على أمر من الأمور توقف عليه ، فنحن على خلاف الأمر الذى خلقنا الله عليه !

فهم لايدرن لعل الله خلق الناس حميراً ، والحمير ناساً ، وهذا غاية التجاهل والعمى .

وإن قالوا : لا نقول ذلك ، ولكنا نقول : خلق الله جميع ذلك حقاً . قلنا لهم : فالكفر والشرك وقول أهل الدهر ، وجميع المعاصى ، حقٌّ كما خلقها الله حقاً !

فإن أقروا بذلك وأجازوه ، لزمهم لنا ان القول بان الله ثالثُ ثلاثة ، وأن له ولداً /

٩٩ظ/ وأن يده مغلولة ، وأن له الشركاء ، والأنداد والأضداد والأولاد حقٌّ!.. وهذا هو التعطيل، والخروج من ملة الإسلام ، والبراءة من الله ورسوله[2] ، العدل الذى لا يخلق الباطل ولا يصنعه ، ولا يقضيه على فاعله ، ولا يريده ولا يرضاه، كما قال ، عز وجل ، : ﴿ولا يرضىٰ لعباده الكفر﴾[3].

وإن قالوا : إن الكفرَ باطلٌ ، وأن الله هو الذى خلقه باطلاً . قلنا لهم : فإنه يجبُ عليكم من الكفر أعظم من الذى هربتم منه ؛ لان قولكم : إن الله الذى خلق الباطل : تكذيبٌ منكم لقوله ؛ ورد لكتابه ، إذ يقول ، عز وجل ، : ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنُّ الذين كفروا فويلٌ للذين كفروا﴾[4]، والكفر والشرك

---

(١) فى الأصل : ادعا .

(٢) بالهامش : «رسله» .

(٣) سورة الزمر : الآية ٧ .

(٤) سورة ص : الآية ٢٧ . ورد خطأ بالآية : وما خلقنا السموات ...

وجميع المعاصى بين السموات والأرض ، تبارك الله وتعالى عما يقول المجبورون علواً كبيراً .

وقوله ، تبارك وتعالى ،: ﴿ لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ [١] ، فلمَ يسمى خلقه وصنعه باطلاً ، أفهكذا [٢] يقول الحكيم الحسن الفعل، الذى يخبر عن نفسه أنه لايجور ولا يظلم!!.. ويقول : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾[٣] .

ثم قال : ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾[٤].

فليت شعرى أيهما الباطل ، وأيهما الحق!.. وكلاهما ، زعمتم، خلق الله وصنعه!

فوالله لا يزيد المجانين على هذا الخبط والتخليط، الذى لايعقل ، أن المجبرة زعمت أن الواحد الحكيم العدل الرحيم ، الذى لايجور ولا يظلم ، ينزل على رسوله فرائضاً افترضها على عباده ، وحتمها عليهم ، ثم يحول بينهم وبين الوصول إليها ، ثم يقول لمن افترض عليه الفرائض، لم لَمْ تؤد ما أمرتك به !..

وقد خلق بين السماء والأرض أفعال العباد كلها ، كما زعمتم ووصفتم .

وقال إنه لم يخلق ذلك باطلاً ، وقال : ﴿ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾[٥] .

رجع [٦] علينا زعمتم ، فإذا فى كتابه أن بعض ذلك الخلق، قد صار حقاً ، وبعضه قد صار باطلاً بعد ما قال : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾[٧]، ثم قال : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[٨] فمثل هذا الذى أسندتم إليه هذه القبائح ،

---

(١) سورة النساء : الآية ٢٩ .

(٢) فى الأصل : افهكذى .

(٣) سورة النساء : الآية ٨٧ .

(٤) سورة الكهف : الآية ٥٦ .

(٥) سورة ص : آية ٢٧ .

(٦) بالهامش ايضا بجوار هذه العبارة : (وجدت هذا فى الحاشية لا ادرى من الكاتب ام من غيره؟) وواضح ان هذا الكلام ليس من المؤلف ، وربما من احد المالكين للنسخة . «إنما يقول باطلاً اى همجاً لا لمعنى ،لا انه عنى السموات والارض وما بينهما امره باطل فى ذات انفسهم» ، كتبت هذه الفائدة لا للمعارضة .

(٧) سورة ص : الآية نفسها .

(٨) سورة الأنبياء : الآية ١٨ .

مثل رجل زجَّاج ، عمل آنية كثيرة من الزجاج ، فلما فرغ منها أخذ لها عموداً ، ثم اعترضها من جانب بالخبط والكسر ، فلما انكسرت قال لها : لم تكسَّرت، والله لأعاقبنك العقوبة الموجعة !!..

ثم يجب له من بعد هذا اسم الحكمة والعدل ، والنصفة والرحمة ، ونفى الجور والظلم ، الا لعنة الله على الظالمين : ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم ١٠٠و/ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [(١)]، ولا اكفر بالآخرة ممنْ ./ زعم ان رب الآخرة هذه صفته ، واتبع هواه ، وترك القرآن ، والتدبر لبراهينه وعجيب مجاريه .

وإياه نحمدُ على ما أوضح لنا فى كتبه ، وارشدنا إلى سبيله ، إنه منان كريم .

ثم نقول لعبد الله بن يزيد البغدادى ، ولمن قال بقوله من أهل الجبر والفرية على الله ، عز وجل : خبرونا عن هذه المسالة، فإن فيها قطع ما قلتم ، والله من الامر ذهبتم .

خبرونا عن الكافر أعاجزٌ هو عن خلق الكفر ؟

فإن قلتم: نعم .. قلنا لكم : أفقادرٌ هو على اكتساب الكفر ؟

فإن قلتم : نعم ، قلنا لكم ، فالشئ الذى عجز عنه هو الشئ الذى قدر عليه!!

فإن قلتم : نعم . لزمكم لنا انه عاجز عما هو قادرٌ عليه ، وقادر على ما هو عاجزٌ ، وهذا من أعظم التخليط وأبين الاستحالة والمناقضة .

وإن قلتم : الذى عجز عنه ، هو غير الذى يقدر عليه ، والذى يقدر عليه ، هو الاكتساب ، والذى يعجز عنه هو الخلق ، والخلق غير الاكتساب [(٢)] .

فقد لزمكم لنا فى زعمكم أن اكتساب العباد غير ما خلق الله ، عز وجل ، وهذا ترك لقولكم ورجوع من مذهبكم .

الاسم والمسمى عند العدلية:

ثم نقول لعبد الله بن يزيد : أليس من قولك ، فى اول هذه المسألة التى سألتنا عنها ، أن الكفر هو الكفر ، وأن اسم الإيمان هو الإيمان ، وأن ليس اسماؤهما شيئاً غيرهما ،

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٤٥ .

(٢) بالهامش كلام للإمام المرتضى بيَّن فيه ان الزيدية والأشعرية متفقان فى الاصل ، وان الخلاف بينهما شكلى .

فيلزمك لنا أن اكتساب الكفر هو الكفر ، وأن اكتساب الإيمان هو الإيمان، لا غير ذلك على ما قلت ، وهذا كتابك الذى وضعت علينا ، وقد بان قهرنا لك ، وقطعنا لحجتك بأوضح البيان، وأيقن الإيقان ، لما ناقضت القول، وخالفت الدّعوى، فزعمت مرة أن الله خلق أفعال العباد، وأن العباد اكتسبوا ذلك الخلق، ومرة زعمت أن ليس أن الأسماء ، هى شئ غير الافعال .

لأنك زعمت أن ليس اسم الشئ غير الشئ . فيلزمك فيما تدعى من التوحيد ، أن اسم الله هو الأحرف المعروفة ، وهى «الف لام لام هاء» ، فزعمت أن ليس الاسم غير المسمى ، ففسد عليك ما ادعيت من التوحيد ، إذ زعمت أن معبودك ليس اسمه غيره .

فيلزمك أن «الف لام لام هاء» ، التى تكتب مرة ، وتمحى مرة ، تبصرها الأعيان وتدركها الحواس هى معبوك ، لما زعمت أن ليس الاسم غير المسمى ، وكفى [1] بهذه فضيحة عليك ، إذ حرجت من العدل والتوحيد جميعاً !!

ومن الحجة عليك قول الله ، عز وجل ، يضيف أفعال العباد إليهم ، وأنه لم يخلقها : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [2]، فارتفعوا في اللغة العربية ، وعند أهل النحو ؛ لأنهم فاعلون ، ولوكان هو ، عز وجل ، خلق أفعالهم ، لم يجز فى القرآن ١٠٠ظ/ العربى ، إلا أن يقول هو الذى خلقكم كافراً ومؤمناً ./ فيجب أنه الذى خلق أفعالهم ، وهذه من القرآن ولا يجوز فى النحو غيرها .

ومن الحجة عليك أن نقول لك : أخبرنا عن قول الله ، عز وجل : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾[3]، هل هذه الإرادة تامة نافذة محكمة، أنه لا يريد شيئاً من جميع الأشياء كلها ، صغر ولاكبر ، عز ولا هان ، إلاكان ذلك الشئ .. أم بعض ذلك يمكنه كونه ، ويمتنع عليه كون بعضه ؟!..

فإن قلت : إن الله ، عز وجل ، إذا أراد أمراً من جميع الأمور ، فلابد من نفاذ ذلك الأمر ، كائناً ما كان ، لا يمتنع عليه شئ مما أراد وشاء وأحب وقضى وخلق وأمضى .

---

(١) فى الأصل : المسما ، وكفا .

(٢) سورة التغابن : الآية ٢ .

(٣) سورة البروج : آية ١٦ .

قلنا لك : كذلك الله ، عز وجل ، ولكن اعرف ما يلزمك فى قولك عليه بالجبر ، وافهم ما يأتيك فى آخر المسألة ، فإن فيه فضيحتك وانقطاعك .

ثم نقول لك : قد أقررت ولزمك أنه لا يمتنع على الله ، عز وجل ، شيء، ولا يغلبه إذا أراده وأمر به .

فإذا قلت : نعم . قد أقررتُ ولزمنى ما قلتم . لأنك لو قلت غير هذا كفرت .

قلنا لك : فما معنى [1] قوله ، عز وجل ، : ﴿ **كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** ﴿٦٥﴾ ﴾[2]، هذا قول جبر جبرهم عليه أم تخيير منه لهم ، إن شاءوا فعلوا ، وان لم يشاءوا لم يفعلوا ؟ . .

فإن قلت : بل هم مخيرون تخييراً ، إن شاءوا فعلوا ، وصاروا قردة ، وإن لم يشاءوا لم يصيروا قردة . لزمك أن الخلق مخيرون تخييراً ، من أراد أطاع ، ومن أراد عصى .

على أن ليس قولنا أن القوم الذين قال لهم كونوا قردةً خاسئين ، مخيرين فى ذلك تخييراً . ولكن قولنا : إنهم مجبورين جبراً وقسراً .

وإن قلت : لا أقول إنهم مجبرون تخييراً ، ولكنى أقول : أنهم مجبرون جبراً وقسراً لا بدَّ لهم من ذلك؛ لأن إرادة الله وأمره لابدَّ من نفاذه ، ولذلك صاروا قردة خاسئين ، لابدَّ لهم من ذلك .

قلنا : صدقت هذا هو الحقُ ، فما تقول فى قول الله ، عز وجل ، حيث يقول للناس: ﴿ **كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ** ﴾[3]، هل أراد ذلك منهم جبراً جبرهم عليه ، و(قسراً)[4] قسرهم على فعله ؟ . . .

فإن قلت : لا ، لم يجبرهم ، ولم يقسرهم . وجب لنا عليك ، ولزمك أن العباد مخيرون تخييراً فى الطاعة ، غير مجبورين ولا مكرهين ولا مقسورين ، ورجعت عن قولك ، ودخلت مع أهل الحق .

---

(١) فى الأصل : معنا .

(٢) سورة البقرة : آية ٦٥ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٣٥ .

(٤) زيادة من الهامش .

وإن قُلت : لست أقول إلا أن الله جبر العباد وقسرهم ، على أن يكونوا قوامين بالقسط ، لا حيلة لهم فى ذلك ، ولامخرج لهم منه ؛ لأن إرادة الله ، جل وعز ، نافذة، وأمره الأمرُ الذى لا يرد ولا يغلبُ ، على ما بينت عليه أصل مسالتك، وقدَّت عليه اعتقادك .

لزمك لنا ووجب عليك أن إرادة الله، عز وجل، لم تنفذ فى المشركين ولا الكافرين، ١٠١ و / ولا فى جميع العاصين . / من جميع من لم يقم بالقسط ، كما أمره الله ، عز وجل ، وافترض عليه ، ونطق به القرآن ، وجاءت به الرسل عن الله ، جل ثناؤه ، وأنه لزمه العجز عن هؤلاء القوم ، فلم ينفذ أمره فيهم ، ولا قوله لهم : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ فعصوه ولم يطيعوه ، ولم ينفذوا امره ، كما انفذ الذين قال لهم ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) ﴾ .

فيلزمك أنه أقوى على الذين جعلهم قردة ، وقَدرَ عليهم ولم يقدرْ ، ولم يقو على الذين قال لهم : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾، وإنما هو امر واحد بكلمة واحدة ، لافرق عندهم بين الأمرين ولا بين القولين .

فلابد لك من تعجيز اللهَ ، عز وجل ، الذى لايعجز ولايغلب ، وأن الأمر الذى أقررت لنا به من إرادة الله نافذة غير مردودة ولا مغلوبة ، لم تتم على ما قلت ، وأنها قد انتقضت .. لابد لك من ذلك ، ولا حجة لك تدفعنا بها ابداً ، فى هذه المسألة ولا غيرها ، حتى ترجع إلى الحق ، وتدخل فى دين الإسلام من ذى قبل ، **فتقرر وتعتقد أن الله ، تبارك وتعالى ، أراد من القوم الذين قال لهم : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) ﴾ إرادة حتم وقهر وجبر ، لا حيلة لهم فيها ، ولا مخرج لهم منها ، ولا محيص لهم عنها .**

ولا سبيل لهم إلى تركها لما عَصوا ، فاختاروا الكفر على الإيمان ، واستحقوا النكال والمسخ باختيارهم ، لا بما أراد ولا بما قضى [١] ، ولا بما خلق من فعلهم ، وأن القوم الذين قال لهم : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ إنما اراد منهم القيام بالقسط تخييراً لهم لاجبراً ولا قسراً ، إذ هو الذى لا يمتنع عليه امر يريده ، عز وتعالى ، وإلا فما العجز عن نفاذ الأمر ؟!..

---

(١) فى الأصل . قضا .

فهذا هو دين الله ، عز وجل ، الذى تعبد به الأولين والآخرين ، وجاء به عنه المرسلون ، ونطق به الكتاب المبين ، والحمد لله رب العالمين .

وقد قال لنبيه ، صلى الله عليه ، يعزيه : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا** ﴾[1]، أى قسراً وجبراً ، وإنما خيرهم ، ليستحقوا لما خيرهم ، إما الثواب وإما العقاب، قوله : ﴿ **أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩)** ﴾[2] !

فإن قال قائل : فأى إكراه أكبر من السيف ؟!.. قلنا : لم يعنَ الله ، عز وجل ، الإكراه بالسيف فى هذه الموضوع ، إنما عنى[3] إكراه القلوب وجبرهم على الإيمان ، فذلك ما لا يطيقه النبى ، صلى الله عليه ، ولو كان عنى إكراه الحرب ، لم يكن للآية معنى ؛ لأنه قد أكرههم بالسيف بعد البيان ، والامتناع والحمية ، وبعدَ الإبلاغ والإنذار ، فامرهُ بقتالهم ، وهذا الإكراه ليس هو إكراه القلوب وقسرها على الإيمان .

ولو كان الأمر على ما قالت **المجبرة** لم يجز فى الحكمة ، ولا فى العقول ، ان يقول ١٠١ ظ/ لمن قد أكره / الناس ، وفرغ[4] من أكراههم : (**افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**)، فافهم هذا الجواب ، وانظر فيما ذكرنا ، ورسمنا لك من الحق ، فلن تجد **المجبرة** سبيلاً إلى نقضه على **أهل العدل** أبداً ، والحمد لله رب العالمين .

***

---

(١) سورة يونس : الآية ٩٩ .

(٢) سورة يونس : الآية نفسها.

(٣) فى الأصل : عنا .

(٤) فى الأصل : وفروغ .

المسألة السادسة عشرة

هل جعل الله الكفر والإيمان ؟

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم من جعل الكفر كفراً ، والإيمان إيماناً؟.. فإنهم يقول : إن الله لم يجعل التوحيد حسناً ، ولا الشرك قبيحاً .. وكيف يقع الثواب على ما لم يحسن الله ولم يقبح ؟!

رد أحمد بن يحيى :

الجواب ، قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : إنا نقول إن الله ، جل ثناؤه، الذى جعل الكفركفراً بالتسمية والحكم ، لا بالخلق له ، وجعل الإيمان إيماناً بالتسمية ، لا بالخلق له .

وليس لله ، عز وجل ، فى الإيمان فعل ، قل ولا كثر ، إلا الأمر به والافتراض له ، وكذلك ليس لله ، عز وجل ، فى الكفر فعل، قل ولا كثر، بوجه من الوجوه كلها، إلا النهى عنه، والافتراض لتركه ، والخروج منه ،

وأما قولك : إن فى زعمنا أن الله لم يجعل التوحيد حسناً ، ولا الشرك بالله قبيحاً ، وكيف يقع الثواب على ما لم يحسّنْ الله ، ولم يقبّح ، ولم يجعله كفراً ولا إيماناً ، والله – زعمت – إنما ذكر فى كتابه أن الثواب والعقاب (على الإيمان) [1] والكفر . .

وهذا كذب منك علينا ، وإسناد إلينا ما لم نقل ، وليس من قولنا ما قلت ، جل الله تعالى عن ذلك .

وقد حرفت وخلطت ، وإنما قولنا : إن الله ، عز وجل ، جعل التوحيد حسناً بالدعاء إليه، والترغيب فيه ، والدلالة عليه، فحسنه فى قلوب الخلائق بالنعت والصفة لثوابه، إذ هو دينه الذى بعث به المرسلين، من الاولين والآخرين، الذى لايقبل غيره، ولايرضى سواه ، ولا يقبل عملاً من سائر الفرائض ، إلا به، ولا جنة لمن خالفه، وقصر منه.

وكذلك قبّح الله ، عز وجل ، الكفر بالنهى عنه ، والتحذير منه ، والإعذار والإنذار فى تركه والخروج منه ، وليس الجعل لذلك إلاجعل حكم وتسمية ، فأما جعل حتم

---

(١) هذه العبارة ليست فى الأصل .

وجبر وخلق ، خلقهما ، أعنى الإيمان والكفر ، وقسر عليهما العباد ، وخلق فعليْهما جميعاً من الإيمان والكفر ، فليس ذلك قولنا فى صفة خالقنا ، عز عن ذلك وتعالى ، ولا ذلك قول الملائكة المقربين ، ولا الأنبياء المرسلين ، ولا الأئمة الراشدين ، ولا عباد الله المؤمنين ، ولا يوجد ذلك فى كتاب مبين، فيما أنزل الله على العالمين .

وإنما ذلك قول الملحدين والزنادقة الأرذلين ، والمشركين والظالمين ، وقول عبد الله بن يزيد، وأصحابه المجبرة الأخسرين .

شواهد القرآن على براءة الله من فعل عباده :

والشاهد لنا على أن الله ، عز وجل ، برئ مما قالوا ، قوله ، جل ثناؤه ، : ﴿ **وَلَكِنَّ**
١٠٢و / **اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ / وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ** ﴿٧﴾ ﴾[١] ، يعنى ، عز وجل ، أنه حبب الإيمان، إلى من أراد الدخول فيه ، بما وصف من جنات النعيم ، وشوّقَ إليه ، من الملك العظيم والثواب الكريم ، وكذلك كره الفسوق والعصيان، إلى من أحب ترك ذلك من العالمين ، بما أوعد من فعله ، وعصى[٢] فيه ، من العذاب المقيم والنكال الأليم ، والمقام فى خلود الجحيم .

لا أنه جبر أحداً من خلقه، على واحد من الأمرين، من الأولين والآخرين ، ولوجبرهم على الطاعة والمعصية جبراً ، كما قلتم ، لم يجب للمجبورين ثواب ، ولا عليهم عقاب .

وأما قولك : كيف يثيبُ اللهِ على ما لم يجعله هو ، عز وجل ، إيماناً ولا كفراً ؟!..

فنقول لك، أيها المغرور، الغلط فى دينه، والتارك لكتاب ربه : هل رأيت رجلاً قط خاط ثياب نفسه ، ثم لما فرغ منها، أعطى[٣] خياطاً آخر أجرة ثيابه، التى خاطها هو لنفسه؟!..

---

(١) سورة الحجرات : الآية ٧ .

(٢) فى الأصل : عصا .

(٣) فى الأصل : اعطا

أو هل يجوز ذلك في التعارف أوفي اللغة أو في العقول ؟ أو هل رأيت رجلا قط بنى داره بيده، حتى إذا فرغ من عمارتها ، أعطى البنائين أجرة ما بنى هو بيده لنفسه؟!..أو هل رأيت جمالاً حمل نفسه ، واولاده على جماله إلى مكة ، ثم اعطى [1] الجمالين كراء جماله التي يملكها ، ولم يخرجوا معه إلى مكة ، ولم يسافروا، واعطاهم الكراء على غير عمل ؟!..

فهل هذه الصفة تجوز في حكمة حكيم ، أو في صفة متقن عظيم ؟!..

أو هل سمعت ، أيها المخدوع المعجب بجهله ، آية واحدة من كتاب الله ، عز وجل، تشهدُ بما قلت، انه يثيبُ أحداً على خلقه الذى هو تولى [2] خلقه ، أو يثيب أحداً على أمر تولى هو ، عز وجل ، صنعه دون غيره ؟

اليس آياتُ القرآن تشهدُ ، وتدل على ان الثواب للمطيعين العاملين ، وعلى ان العقاب على العاصين التاركين ، الذين آثروا الهوى ، واختاروا لأنفسهم الدنيا على الآخرة التي تبقى [3] ؟!..

فقتلوا الانبياء وائمة الهدى ، واشركوا وكفروا ، وفعلوا كلَّ قبيح باختيارهم وإرادتهم ، لا بالإرادته ، عز وجل ، ولا خلقه الذى الزمته انه خلق فعلهم ، بل هو البرئ عن ذلك ، تبارك وتعالى .

وقال في غير موضع من القرآن ، ما لا نحصيه ، ان العقاب وقع عليهم ، بما قدّمت لهم انفسهم ، وإنما عملت أيديهم ، وبما كانوا يكذبون ، وبما كانوا يكفرون .

قال الله ، عز وجل ، : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ
١٠٢ ظ / سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ، وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا / مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) ﴾[4] ، وهذه الآية من الشواهد ان هذا الشئ خاص دون عام ، يعنى به بما انطق ، إذ كان كل شئ لاينطق إلاّ أهل النطق لا غيرهم .

---

(١) كرر هذه الكلمة الناسخ مرتين .

(٢) في الاصل : تولا .

(٣) في الاصل : تبقا .

(٤) سورة فصلت : الآيتان ٢١ – ٢٢ .

وإنما احتججنا بهذه الآية ؛ لأنها توجب لنا حجة، فيما نحن في ذكره ، وحجة لنا عليك ، فـي دعـواك أن الله خالق كل شئ ، يريدون بذلك أفعال العباد ، وجب في هذه الآية أن الله خالق كل شئ .

وإنما هـو خاص لا عام ، مع شواهـد كثيرة، سـوف نذكرها فـي مواضعها، إن شـاء الله .

وكذلك قوله ، عز وجل ، لأهل الجنة ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) ﴾[1] ، وقوله : ﴿ بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) ﴾[2]، وقوله: ﴿ قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩) ﴾[3] ، وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[4]، وقوله : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾[5]، وقال : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧) ﴾[6]، فهذا القرآن ، الذى لا حيلة لك فى رده ، يوجب أن الجزاء لا يكون إلا على المجازى ، وإلا لم يجب أن يجزى المجازى على عمل نفسه ، ولا يسمى ذلك جزاء ، ولا يعرف ذلك فى لغة عربية ، ولا غير عربية ، ولا يقبله عقل لبيب .

إلا أن يقال لرجل : أعطنى جزائى، على زيارتك لقبر رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، وأعطنى أجرى، على حجتك إلى البيت الحرام !! .

أو يجوز فى اللغة أن فلاناً احتفر بئراً بيده ، فلما فرغ منها ، وخرج ماؤها ، قدم إليه رجل من أهل البصرة ، فقال له : أعطنى أجرى، على بئرك الذى حفرتها لنفسك بيدك ! . وهذا نفس المحال من المقال .

---

(١) سورة الواقعة : الآية ٢٤ ، وفى آيات أخرى أشرنا لها من قبل .

(٢) سورة الحاقة : الآية ٢٤ .

(٣) سورة الذاريات : الآيات من ١٧ - ١٩ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية ٦٩ .

(٥) سورة النحل : الآية ٩٧ .

(٦) سورة النور : الآيتان ٣٦ - ٣٧

هل يجازى الله العباد على فعله هو ؟!

فكيف قول عبد الله بن يزيد البغدادى فى هذا الموضوع ، وما حجته على الله ، عز وجل ، أن يكون - يجزى على فعله هو ، ويعاقب على فعله ، وهو خلقه - زعمت - صنعه ! . . فيجزى على صنعه الذى صنعه دون غيره، بالجنة وبالنار، التى إليهما مصيرُ الخلائق ، وملك الأبد أو عذاب الأبد .

فهل يخرج هذا القول فى فعل حكيم أو عادل كريم : ﴿ هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾، فلا حجة لك فى هذا ، ولا خلاص إلا التوبة والرجوع ، فتضيف إلى كل عامل عمله لقول الله ، عز وجل : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ [1] .

١٠٣و/ كان هذا القرآن عنى به غير المجبرة ، وكانهم لم يسمعوا قوله ، عز وجل : ﴿ وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩ ﴾ [2]، وكانهم لم يقل لهم: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ۝٨٢ ﴾[3] .

وقوله : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝٤٩ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١ ﴾[4]، فلعمرى، إنهم عند تذكرة الحق، وحجج القرآن ، لكالحمير النافرة من الأسد !

فى نقد أصحاب الحديث :

والدليل على ذلك ، أنك إذا ناظرتهم ببراهين القرآن ، هربوا من النظر ، ورووا فى الحديث أن أسلافهم وكبراءهم قالوا لهم ، لا تسمعوا القرآن من صاحب بدعة[5]!!

---

(١) سورة الزلزلة : الآيتان ٧ - ٨ .

(٢) سورة الكهف : الآية ٤٩ .

(٣) سورة النساء : الآية ٨٢ .

(٤) سورة المدثر : الآيات ٤٩ - ٥١ .

(٥) إشارة لمقالة اصحاب الحديث فى أصحاب العدل والتوحيد ، حيث يقدمون الحديث على ثوابت القرآن ومحكمه ، ويدافعون عن المتشابهات فى إصرار عجيب، وانظر الدارمى ، ١/ ٣٥ «المقدمة» ، باب ٣٥ .

وأهل العدل والتوحيد عندهم أصحاب بدعة !.. فكيف يعرف القرآن ويهتدى إلى عجائبه والنير الشافى من حججه من اعتقد هذا الجهل ، ودان به من رواة الأحاديث ، وجعله ديناً ، عليه يعمل ، وبه يحتج ، وترك قول الله ، عز وجل ،: ﴿ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[1]، ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[2]؟!!..

وقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾[3]، وقوله : ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝٥ ﴾[4]، وقوله : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[5]، وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢ ﴾[6].

فنعوذ بالله من الحيرة فى دينه ، والهجران لكتابه ، والعنود من حقه ، إنه قوى عزيز.

وليت شعرى، ما الفرق بين من روى هذا الحديث ، وبين المشركين الذين كذبوا رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، وقالوا : ﴿ .. لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۝٢٦ ﴾[7]!

***

---

(١) سورة النحل : الآية ٨٩ .

(٢) سورة الانعام : الآية ٣٨ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ٥١ .

(٤) سورة القمر : الآية ٥ .

(٥) سورة الإسراء : الآية ٨٢ .

(٦) سورة فصلت : الآية ٤٢ .

(٧) سورة فصلت : الآية ٢٦

المسألة السابعة عشرة
فى التحسين والتقبيح

ثم قال **عبد الله بن يزيد البغدادى** : أو ليس لو شاء العباد، لصنعوا الكفر إيماناً، والإيمان كفراً ؟!.. لأنه إنما هو صنعهم وجعلهم ، وتحسينهم وتقبيحهم ، والله لم يصنع ذلك ؟!.. يضيف إلينا، أن هذا قولنا - زعم - وقد كرر كلامه فى هذا الموضع من كتابه ، بامرٍ بعضهُ يكفى " لأنا نعلمُ ما يريد فى أول كلمة يقولها ، ولابد لنا إذا كرّر، أن نكرر عليه، حتى يتبين الجواب .

رد أحمد بن يحيى :

قدرة العباد على الفعل اختياراً :

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، : إنا نقول إن العباد يقدرون على أن يحوِّلوا الكفر إيماناً ، فيخرجوا من الكفر إلى الإيمان، الذى دعاهم الله إليه ، عز وجل ، وكذلك [1] هم قادرون على أن يحولوا الإيمان كفراً ، فيرتدوا عن الإيمان الذى أمرهم الله ، عز وجل ، بالدخول فيه، فيرجعوا عنه ، ويصيروا إلى الكفر، الذى نهاهم الله عنه ، إلا أن تقول يا **عبد الله بن يزيد البغدادى**، وإخواك **المجبرة** أن أحداً من الناس ، لم
١٠٣ظ/ يرتد قط عن الإسلام ، وإن أحداً لم يخرج من الكفر ، وعبادة الأصنام ، ويرجع إلى الإيمان!..

وكفى بشهادة القرآن لنا ، على من آمن ، وعلى من ارتد ، فأى حجة لك فى هذا ، وأى قول قد كررت فيه ووكدته ، حتى [2] كأنك قد جئت بشئ تُبْهرّ به **أهل العدل** ، الحماة عن دين الله ، جل ثناؤه ، وأهل الذب عن الإسلام !.

فهذا يوجبُ عليك أن العباد يقدرون على أن يجعلوا الإيمان كفراً ، والكفر إيماناً، وجعلهم هو افعالهم التى لم يخلقها الله ، عز وجل عن ذلك ، وجبرهم فيها ، وقال

---

(١) جاءت مكررة فى الأصل خطأ من الناسخ .

(٢) فى الأصل : وكفا ... حتا .

﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[1] ، بعد إرسال الرسل وإنزال الكتب ، والإعذار والإنذار؛ ثم قال : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾[2] .

تعريف الحسن والقبيح :

وأما قولك في التحسين والتقبيح ، فالحسن عند الله ، عز وجل ، **فهو الحسن الذى لا ينكر ولا يخرج من التعارف** ، ولا مما دعت إليه الرسل، ولا مما جاءت بها الكتب ، **والقبيح: فهو** القبيحُ الذى لا يجهل ، مما نهت عنه الرسل ، وحرَّمته الكتب ، فالقبيحُ مثل فريتك على الله ، أنت وأصحابك المجبرة من قولكم ، إن الله ، عز وجل ، قلتم ، خلق زنا الزانين ، وإلحاد الملحدين ، وشرك المشركين ، وقتل الأنبياء ، وأئمة الهدى ، وإتيان الأمهات والأخوات والبنات ، وأنه أراده ، زعمتم ، وخلقه وقدّره ، ثم غضب منه أشد الغضب، وأعد العذاب الأليم لفاعله، وذمَه فى كتبه ، وعلى السنة رُسله ، وتبرأ منه ، ونسبهُ إلى قوم بُرآء مما خلق ، فقال لهم فى كتابه : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾[3]، وقال لهم : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾[4]، وقال لهم : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾[5] ، ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾[6]، وقوله : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾[7] ، ثم قال : ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[8] ، فكيف ينتهون عن أمر أراده منهم ، وقضاه عليهم ، وخلقه من فعله ؟!!.

ثم قال: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾[9]، فمما يتوبون، أيها الجاهل المغرور، ومما يستغفرون ، أمن فعله أم من فعلهم؟!..

---

(١) سورة الكهف : الآية ٢٩ .

(٢) سورة الكهف : الآية نفسها .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٦١ .

(٥) سورة المائدة : الآية ٧٣ .

(٦) سورة النجم : الآية ٢٣ .

(٧) سورة النجم : الآية نفسها .

(٨) سورة المائدة : الآية ٧٣ .

(٩) سورة المائدة : الآية ٧٤

وهو القائل ، عز وجل ، : ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[1]، فأى حجة أقوى ، ويحك ، من أن يقولوا له يوم القيامة، ويحتجوا عليه، على قود قولك ، لو ١٠٤و/ تركتنا ياربنا من خلق الكفر فينا .

وإرادتك له منَّا ، وتقديريك له علينا ، لَتسلمنا من نارك وعذابك المقيم ، الذى لا فكاك منه أبداً ؛ وقد أخبرتنا فى كتابك، أنك العدل الرحيم ، الذى لا يجورُ ولا يظلم، وأنك حسن الفعل.

فأخبرنا يا عبد الله بن يزيد البغدادى ، لمَ يعذبهم ، وقد صدقوا فى حجتهم، فى زعمك ، وعلى قولك أن هذه الصفات كلها صفتهُ ، وأن ما حل بهم ، إنما هو من إرادته وفعله وخلقه ، وأنه لولا إرادته ، ما هلكوا ولاخرجوا من طاعة ؟!!..

فحسبك بهذا العمى عمى [2] ، وحسبك بهذا الجهل جهلاً ، وحسبك بهذا الكفر كفراً ، فلا فى القرآن نظرتم ، ولا العقول استعملتم ، ولا عن أهل العدل قبلتم ، ولا بقول الشعراء تأديتم ، فأنتم والبهائم فى منزلة .

قال الشاعر :

ألا أيها الملحد المجبرُ	أراك لذنبكَ تستغفرُ
أتستغفرُ الله من فعله	وأنت لله تارةً منكرُ
تقول : وجدتُ جميعَ الذنوب	ربى على فعلها يجبرُ
ومنه إذا ما زنيت الزنا	، بزعمك، والخمر والميسر
أما لك عقلٌ ، إذا لم تكن	ذنوبك منك ، فلا تغفر
أضفت القبيح إلى ربنا ،	وما هو من خلقه منكر
وقهر اليتامى ، وسفك الدماء	فلمَ عبتَ كفرَ الذى يكفرُ ؟!
إذا كان فاعله غيرهُ	فما ذنبه عند من يفكر ؟!
وقتل الأئمة والمرسلين ،	ولمَ عبت شكر الذى يشكرُ ؟!

---

(١) سورة النساء : الآية ١٦٥ .

(٢) فى الأصل : العما عما .

نسبتَ إلى الله كفرَ العباد، وكلٌّ المعاصى التى تذكرُ

ولو قال ذا قائلٌ فى أبيك، ماكنت عن قتله تُقْصِرُ

ولو كان فيك، لكذبته، وفى الله أنت به تجهرُ!

ألم تسمعوا قول أهل الجحيم فى دَرْكِ النار، إذا أُحضروا

وقد سألوا ربهم رجعةً لكى يعملوا صالحاً يؤجروا ؟

فقال: ألم أكُ عمرتكم وجاء النذيرُ، فلم تشكروا؟!

ألم يأتكم منذرٌ منكمُ؟ فقالوا: «بلى، جاءنا منذرٌ».

ولكن غوينا بتكذيبهم وقلنا : من الرسل قد يسحرُ

فنودوا ، إذ اعترفوا بالذنوب بعداً وسحقاً لكم، فاصبروا

وقد أنكروا أن يكون القرآن عدلاً ، ولو أنهم فكروا

لدلَّهم أنه عادلٌ ولكنهم فيه ، لم ينظروا

وأما الفعل الحسن الذى سألت عنه ، فهو الإجابة إلى كتاب الله ، عز وجل ، وما دعا [1] إليه رسول الله ، صلى الله عليه ، من الطاعة التى قال الله ، جل ثناؤه ، : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[2].

فهذا هو الحسن الذى سألتنا عن تفسير الحسن والقبيح ، فتدبر ما قلنا ، وما جاءك من حججنا هذه القاطعة لدعواك ، والحمد لله رب العالمين .

***

فى الاسم والمسمى:

١٠٤ظ/ ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم ، فإن قالوا : إن الله [3] إنما جعل اسم الكفر واسم الإيمان ، ولم يجعل الإيمان ، ولم يجعل الكفر . فقل لهم

(١) فى الأصل : دعى .

(٢) سورة فصلت : الآية ٣٣

(٣) جاءت مكررة فى الأصل .

عـند ذلك : أخـبـرونى عن اسـم الإيمـان أهـو الإيمـان، وعن اسـم الكفـر هـو الكفـر؟!..

فـإن قالوا : إن الإيمان هـو الإيمان ، وإن اسم الكفـر هو الكفـر .. فقـد أعطوك أن الله جعل الإيمان والكفر ، وصنعهـما وخلقهما ، فقد أمكنوك من أنفسهم ، ورجعوا عن قولهم ؛ لأن الاسم غير المسمى ، فإذا جعل الله الأسماء لزمهم [١] أن الأسـمـاء هى الأشياء بعينها ، لا غيرها .

فقـد جعل الله أسماءها ، وأسماؤها هى هى ، وليس الاسم شيئاً غير الكفر ، وكذلك الإيمان ليس اسمُه غيره ، فقد جعل الله الكفر والإيمان، وصنعهما وخلقهما .

وإن قالوا : إن اسم الكفر غير الكفر ، واسم الإيمان غير الإيمان ، والكفر المعنى الذى وقع عليه الاسم ، والاسم ليس بكفر ولا إيمان .

فارجع إلى أصل مسألتك، فقل : أليس العباد جعلوا الإيمان غير الكفر، والكفر غير الإيمان ، وهم جعلوا الكفر قبيحاً والإيمان حسناً ، والله لم يجعل ذلك ؟!

ثم ارفعهم إلى ما رفعتم إليه فى صدر المسألة ، فإنهم لن يجدوا مخرجاً ، ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴿٨٨﴾ ﴾[٢] .

رد أحمد بن يحيى :

الجواب قـال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين : قد قلت ما قلت، فاعمل ذهنك فيما يرد عليك من جوابنا ، إن شاء الله .

فإنا نقول لك : إنك قد أقررت، ولزمك أن اسم الكفر هو الكفر، وأن اسم الإيمان هو الإيمان، لا غير ذلك ، زعمت ، وأن الله ، جل ثناؤه ، فى قولك، الذى خلق الكفر والإيمان ، فقد أكذبك الله ، عز وجل ، حيث يقول : ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾[٣] .

وقـوله : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ

---

(١) فى الأصل : لن .

(٢) سورة النساء : الآية ٨٨ .

(٣) سورة النجم : الآية ٢٣ .

عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (١٠٣) ﴾[1]، افلا ترى انه تبرأ من جعل هذه الأسماء التى سموها للانعام ، وهو ، عز وجل، الذى خلق أجسامها ، لم يتبرأ من خلقها، وإنما تبرأ مما جعلوه هم ، وكفى بهذه حجة، وقوله ، عز وجل ، : ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا (٥) ﴾[2].

فإن زعمت أن الله خلق ذلك من فعلهم ، لزمك انه الشاتم لنفسه ، والمدعى لها الصواحب والأولاد ، عز الله وتعالى وتقدس عما تقولون .

ومع ذلك أنك من أهل التوحيد ، زعمت ، ونفى التشبيه ، ومعاذ الله، ما يقول ١٠٥ و/ بالتوحيد ولا يحسنه ، ولايسلم من التشبيه العظيم، والكفر الجسيم . / من يقول بالجبر؛ لأنه لزمك، في قولك، الذى ادعيت من التوحيد ، ما انا ذاكره ، فافهم ما يحل بك .

ارايت إن سئل سائل فقال لك : اخبرنا عن الاسم ، اسم الله ، عز وجل ، المعبود الذى تعبده، هل الاسم عندك فيه غير المسمى، أم هو الاسم لا غير ؟!..

فإن قلت : إن الاسم هو المسمى .. لزمك ان «الف لام لام هاء» الأحرف المخطوطة الموجودة ، هى معبودك الذى توحدُ ، والذى له تصلى وتحفد ، وله تصوم وتسجد !... فتكفر بهذا القول ، عند جميع أهل التوحيد ويلزمك ان معبودك يمحى، فيمتحى ، ويحرق فيحترق ، ويقع عليه الابوال والانجاس ، ويقع عليها فلا ينتصر ، ويجئ مرة ويذهب مرة ، وتراه الأعين ، وتدركه الحواس ، ويخط بالايدى فى الكتب !.. وكفى بهذا بليةً عظمى، وكفر اعمى [3] .

وإن زعمت ان الاسم غيرَ المسمى، لزمك من اصل اذنك ، وأنت راغم الأنف ، مفلوج الحجة ان الذى ادعيت، وقلت به ، واكثرت فيه الخطاب ، من ان الاسم هو المسمى ، أنك قد ابطلت فيه، واخطأت وافتضحت ، ووجب على أصحابك، بلا شك ولا مرية ، التوبة عن تقليدك أمر دينهم ، ولزمهم ان يلعنوك حياً وميتاً ، وأن

---

(١) سورة المائدة : الآية ١٠٣ .

(٢) سورة الكهف : الآيتان ٤ ـ٥ .

(٣) في الأصل : كفا . اعما .

يفارقوك في حياتك إن عشت ، يتبرأوا إلى الله ، عز وجل ، مما وضعت لهم ، من الكفر والجهل ، وإلا فالنار .

ويلزمك ان الكفر، هو غير الاسم الذى سمى به كفراً ، وان الإيمان غير الاسم الذى سمى به إيماناً ؛ لأن الاسم غير المسمّى في جميع الأشياء كلها ، بأوضح دليل وأبين برهان ، فقد ثبت عليك الفلج ، والحمد لله رب العالمين .

وقد بان لنا ، ولأصحابك ، جهلُكَ فى التوحيد ، وصح تشبيهك ، إذ زعمت ان اسم الإيمان ، ليس هو شئ غير الإيمان ، وان اسم الكفر، ليس هو شئ غير الكفر ، فاستفد انت وأصحابك ، هذه الفائدة فى التوحيد ، الذى جهلتموه ، كما جهلتم العدل ، واعلموا علماً يقيناً ان التوحيد لا يتم لمعتقده ، **ولا القائل به، إلا بمعرفة القول بالعدل ، والإ فلا يصلح توحيد إلا بعدل** ، الا ترى كيف اخطات الخطأ العظيم، فى التوحيد ، ولزمك التشبيه، لما احتججت فى إبطال العدل، بأن الاسمَ هو المسمى ، لا غيره؟!

فلزمك الكفر فى التوحيد ، ففسد عليك اعتقادك ، وما ادعيت من معرفة التوحيد، فشبهت والحدت ، وبان جهلك وسقطت رئاستك ، وهذه التى جئت بها ، والخطا اعظم من جبل أحد ، فقد افتضحت وفضحتك ؛ إلا ان ترجع أنت وأصحابك، إلى تعلم العدل والقول به ، وتتوبوا عن الجبر والجهل .

* **ومن الحجة لنا عليك أيضاً فى أن الاسم غير المسمى** ، ان قائلاً لو سمى دنانير ودراهم، وإبلاً وخيلاً ، وقال : هى عندى ، وهو فقير لا دنانير له ، ولا إبل ولا خيل ، ١٠٥ و / لم يحصل معه من تسمينه الدنانير والدراهم . / والإبل والخيل، قليل ولا كثير، وكذلك لو قال ، وذكر خبزاً ولحماً وتمراً ، وهو جائع ، لم ينفعه ذلك، ولم يشبعه ؛ لان الاسم غير المسمى (١) .

وكذلك لو قال : ماء الفرات ، وهو عطشان ، لم يروه اسم الماء ، دون وجود الماء ، فمن ها هنا وجب عليك ان الاسم غير المسمى ، وبطل ما قلت ؛ لأن اسم الله ، عز وجل ، غير الله ، سبحانه ، وهذا اسمه مكتوبٌ فى المصاحف يراه الناس وتحيط به

---

(١) تاتى كثيراً فى الاصل هكذا : المسما .

الأقطار، إذ الاسم أحرف أربعة ، والمسمَّى لا نظير له ولا عديل ، ولا يتجزأ أجزاء ، تبارك وتعالى الواحد الفرد ، الذى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ، أسماؤه تعبيرٌ وأفعاله تفهيم ، وهو اللطيف الخبير .

ثم نقول لك : أخبرنا عن قول أبى جهل بن هشام ، لعنة الله عليه ، بالتعنيف منه لمحمدٍ ، صلى الله عليه وعلى آله : جاءنا محمد ، زعمتم ، بالإيمان ليدخلنا فيه ، هل قول أبى جهل، وتسميته للإيمان ، توجبُ له إيماناً أم لا ؟

فإن قلت : نعم ، إن ذلك القول الذى ذكرته اسم الإيمان، يوجب لأبى جهل إيماناً ، لزمك أنك قد شهدت له بالإيمان ، ووجب عليك أن النبى صلى الله عليه ، قتله ببدرٍ وهو مؤمن !.. إذا اسم الإيمان هو الإيمان عندك .

وإن قلت : إنك لا توجب لأبى جهل تسميته للإيمان إيماناً . رجعت عن قولك وافتضحت عند أصحابك ، ولزمتك التوبة من فريتك على الله ، عز وجل ، وبطلت حجتك .

وكذلك إن قال رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم : الكفر دين الشيطان . وسمى كفراً ، لزمه ، على قود قولك ، فعل الكفر !.. وهل تقول ذلك أم لا ؟

فإن قلت : إن الكفر يلزم النبى ، عليه السلام ، حين سمى الكفر كفراً . كفرت بالله ، وأشركت ، وخرجت من الإسلام ، بقولك فى النبى ، صلى الله عليه ، مثل هذا القول .

وإن قلت : لايلزم النبى ، صلى الله عليه ، بتسمية الكفر كفراً ، أنه يكفر . بطلت حجتك ، وانتقض كتابك الذى وضعت لأصحابك ، على أهل العدل ، وكفى بهذه فضيحة، وحجة باهرة، والعجيب من أصحابك كيف يقيمون على قولك ، ويعتقدونه ديناً ، تذهب فيه أعمارهم ، بعد هذا البيان!..

إلا أنهم اتخذوا دين الله ، جل ثناؤه ، عصبية وحمية، واستكباراً عن الرجوع إلى الحق ، مع قولهم أنهم لا يقدرون على تغيير خلق الله وإرادته ، لما هم عليه ، زعموا ، من المذهب ، وأبطلوا قوله لمحمد ، صلى الله عليه ،: ﴿وَمَا

أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾[1] ، فزعموا أن من علم الله منه الكفر والمعصية، أن ١٠٦ و / الله لا يريد منه الإيمان ؛ لأنه إن أراد منه الإيمان ، بطل علمه في زعمهم ، وقد قال الله ، عز وجل ، / ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾ ، وقوله : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس ﴾[2]، وقوله : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ﴾[3] .

وزعم عبد الله بن يزيد البغدادي ، ومن قال بقوله من المجبرة أن الله ، عز وجل عن قولهم ، لم يصدق في هذه الآية ، وأنه أراد من قوم الإيمان ، ومن قوم الكفر ... ورد كتاب الله صراحاً بلا حجة ، إلابدعوى فاسدة ، إذا ما قالها الرجال من أهل العدل والتوحيد ، وأبطلوها عليهم، وعرفوهم بجهلهم فيها ، مثل ما قد تسمع ، والله يعلم إنا لندع كثيراً من الحجج لكثرتها، وترادفها علينا، وتسابقها إلى جوابنا ، والحمد لله المعز لدينه، والناصر للحق، والموضح لكتابه ، والمذل لمن عانده، وكفر به .

***

اللطف والعون :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي : ثم سلهم مع هذا ، فقل : أرأيتم إذا كانوا هم يجعلون الإيمان والكفر ، أليس الإيمان طاعة، والكفر معصية؟!.. فإذا قالوا : بلى . فقلي : أفليس هم الذين يضعون ذلك، وليس لله ، عز وجل ، فيه صنع؟..

فإن قالوا : نعم . فقل : أفليس أنتم لا تحتاجون إلى الله فيها ، وأنتم أغنياء عن الله في الطاعة[4] ، ولا إلى عون الله عليها .. ولم يعن الله عليها خلقاً قط ، ولم يحتج خلق قط إلى الله ، والناس مستغنون عن الله فيها ؟!..

فإن أعطوك هذا ، فما أراك أن تزيد ترفعهم إلى أعظم من هذا .

فإن قال قوم : إنا مستغنون عن الله ، عز وجل ، لا نحتاج إلى الله، عز وجل ، في

---

(١) سورة النساء : الآية ٦٤ .

(٢) سورة سبأ : الآية ٢٨ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .

(٤) كرر بعدها العبارة السابقة وهو خطأ من الناسخ .

طاعة ، ولا أن يكفنا عن حرمه ، ولم يكف عنها خلقاً ، ولم يلطف **ليوسف**، حين قال : ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ** ﴾[1] ، وأشباه هذا .

فإن أبو إلا أن يتمادوا ، فوقفهم على أنهم لا يحتاجون إلى الله ، عز وجل ، وأنهم مستغنون عن الله ، وسينقطع عليهم هذا الكلام ، حتى لا يجيبوك .

رد أحمد بن يحيى :

الحواب ، قال **أحمد بن يحيى** ، صلوات الله عليهما ، : اعلم أنك قد أكثرت التكرار فى هذا الباب ، وذلك لما عندك من العمى والجهل بالدين ، وكلمة من هذا الذى هزأت به تجزئ ، وقد اجبت نفسك عنا ، ببعض قولنا ، ولم تكن احسنت تحتج فيه فتكسره ، من أن العون عونان لا غيرهما ، **عون الدعوة إلى الحق** ، والدلالة لنا عليه ، وعون الله ، عز وجل ، لنا **بالأسماع والأبصار والاستطاعة المركبة قبل الفعل والألسنة** ، وجميع الجوارح ، والصحة والعافية والأبدان . فهذا[2] هو عون الله ، عز وجل، الذى أعاننا به ، وتفضل به علينا ، ولا غناء بنا عنه، فى شئ من ذلك، ولا قوام ١٠٦ ظ/ لنا طرفة عين إلا به ، ولا سبيل / لك إلى وجود عون غيره ، إلاما ادعيت من الجبر ، الذى خالفت به القرآن ، وافتريت به على الرحمن .

وليس عون الله ، عز وجل ، للعباد ، سبباً غير ما ذكرنا ، إلا أن تدعى ، كما ادعيت، أن الله ، عز وجل ، عما تسندون إليه ، أعانهم على فرائضهم ، فقام ببعضها عنهم ، فصلى[3] عنهم بعض الصلوات ، عند اشتغالهم ، وصام عنهم بعض شهر رمضان ، إذا عطشوا أوجاعوا ، وحج عنهم إذا كسلوا عن الحج وتوانوا ، وقاتل المشركين دونهم ، إذا لزموا بيوتهم ، وتخلفوا عن رسول الله ، صلى الله عليه ، أو عن إمام هدى ، فيكون ذلك كما قال المضلون الظالمون من قبلكم : ﴿ **فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** (٢٤) ﴾[4] .

فإن كان ما قلت حقاً من العون ، فهذا لعمرك، عونٌ ثالث ، لا نعرف عوناً بعد ماذكرنا غيره؟ . .

---

(١) سورة يوسف : الآية ٢٤ .

(٢) فى الأصل : فهذه .

(٣) فى الأصل : فصلا .

(٤) سورة المائدة : الآية ٢٤ . اخطا الناسخ فكتبها هكذا : اذهب .

فإن قلت : نعم هذا هو العون الذى عنه سألت ، وهو الذى أريد .

قلنا لك : فقد لزمك الكفر ، والخروج من الإسلام ، بقولك : إن الله ، عز وجل ، يصلى بعض صلاة الناس ، ويصوم بعض صومهم ، ويحج بعض حجهم ، ويجاهد الأعداء دونهم ، ويتزكى [1] من أموالهم دونهم [2] ، إذا لم يدفعوا الزكاة إلى الانبياء وائمة الهدى ، عليهم السلام ، وكفاك بهذا جهلاً وعمىً وكفراً .

وإن قلت : إنك لا تقول هذا لبيان فساده .. قلنا لك : فاوجدنا عون الله ، عز وجل ، للعباد ، على فرضهم الذى افترض عليهم ، أين هو ، وما هو وكيف هو؟! ..

العون الإلهى تفضل الله على عباده :

فلا تجد عونه للعباد غير ما ذكرنا ، من تفضله عليهم ، والدعاء إلى الإسلام ، وما وهب لهم من الأسماع والأبصار ، والألسنة والقوة والأيدى والأرجل ، وجميع الجوارح والصحة والعافية ، والقدرة على أداء الفرض ، بالاستطاعة المركبة فيهم ، فلا سبيل لك إلى وجود عون من الله ، عز وجل ، للعباد على أداء الفرائض ، إلا طرحها عنهم ، أو قيامه ببعضها دونهم ، أو الرجوع إلى القول بالعدل .

كما قلنا ، لابدَّ لك من ذلك ، ولا خلاص لك منه ، وسقط قولك : أنا سنتقطعُ فى مسالتك هذه ، زعمت ، وفرَّحْتَ نفسك وأصحابك بذلك . فدونك الآن ، فخلص نفسك مما وقعت فيه ، ولاخلاص من هذا الذى قلنا لك أبداً ، بوجه من جميع الوجوه ، إلا التوبة والرجوع إلى القول بالعدل .

وأما قولك : إن فينا من يقول : إن الإيمان لا يستطاع إلا بعون حادث ، ١٠٧و/ ولسنا نقول ذلك أيضاً . ذلك قولك ، وقول أصحابك : إن / الاستطاعة ، زعمتم ، مع الفعل ، تحدث بحدوثه ، ولانقول نحن بامر حادث ، بل فينا الاستطاعة موجودة قبل فعلنا ، ولذلك لزمنا لله ، عز وجل ، الحجة ، وقد ذكرنا فى صدر كتابنا هذا ، من الرد عليك فى الاستطاعة ، ما فيه أكفى الكفاية ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) مكتوب بجوارها : من اموالهم .

(٢) فى الأصل : يتزكا .

الحجة على أن الله لم يرد الكفر من الكافرين :

* **ومن الحجة لنا عليك** ، في إبطال قولك الذي زعمت فيه أن الله ، عز وجل ، أراد الكفر من الكافرين ، ما يأتيك من كتاب الله ، عز وجل ، ما يوجب تكذيبكم وبراءته، عز وجل ، من فريتكم عليه ، وهو قوله ، جل ثناؤه ، : ﴿ **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨)** ﴾[1] .

فاسمع إلى قوله ، عز وجل ، حيث يقول القائل : ﴿ **لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي ، لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧)** ﴾ ، فاسمع إلى جوابه ، عز وجل ، حيث قال : ﴿ **بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١)** ﴾[2] .

فلو لم يكن نزل فى العدل ، وبراءة الله ، عز وجل ، من كفر الكافرين، ووضوح شهادة القرآن به ، إنهم اختاروا الكفر ، ولم يُرِدْهُ الله منهم ، لكان فى هذا أكفى الكفاية ، وأوضح البرهان .

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ **وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ** ﴾[3]، وقوله : ﴿ **فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤)** ﴾[4] ، أهذا ويحك من أراد الكفر من عباده ، جل عن ذلك رب العالمين ؟!! . .

وقوله : ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ**

---

(١) سورة الزمر : الآيات ٥٣ – ٥٨ .

(٢) سورة الزمر: الآيات ٥٩ – ٦١ .

(٣) سورة الزمر : الآية ٧ .

(٤) سورة يس : الآية ٥٤ .

اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1].

١٠٧ظ / ويحك أيها الجاهل المغرور ، الا تسمع إلى هذا القرآن المبين ، وإلى / قوله : ﴿ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ ، اهذا قول من أراد الكفر منهم ، ثم عنفهم وعاقبهم على فعله ، وعلى ما أراد منهم ؟!..

أهذه صفة الرحيم الحكيم، الذى أخبر الله ، عز وجل ، عن نفسه أنه لا يجور ولا يظلم ، وقال فى كتابه : ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[2]، وقوله ، عز وجل، : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[3]، فهذه الآية مكذِّبةٌ لقولك ، ولمن مضى من قبلك ، ولمن بقى من إخوانك ، إذ صرتم فى الفرية على الله ، جل ثناؤه ، إلى كل باب عظيم، لا تقوم له الجبال ، بمفارقتكم للقرآن صراحاً ، ومجادلتكم بغير القرآن إلا ما تعلقتم به من المتشابه، الذى جهلتم فيه التأويل والمعرفة باللغة العربية ، التى خاطب الله ، جل ثناؤه ، أهلها وفارقتم الحق ، وأبغضتم أهله ، وقد قال الله تبارك وتعالى . ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[4]، وكفى بهذه الآية كلاءة[5] وبياناً ، وقطع عذرٍ ، لمن تخلف عن الحق واهله ، لو قامت نصفه، أو إعراض عن حمية ، أو قيِّمٌ لله ، جل ثناؤه ، بواجبِ حق ، فبعداً للقوم الظالمين !

فى تفسير التيسير فى قوله : ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ﴾

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ﴾[6]، فنقول لك : ما هذا القول عندك فى قول الله ، عز وجل ، ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ ﴾، أيجوز من فعل عادل، ان يقتل رجلاً فى غير جرم ، وهو الذى أراد قتله ؟!..

---

(١) سورة يس : الآيات ٦٠ – ٦٤ .
(٢) سورة آل عمران : آية ١٠٨ .
(٣) سورة الاعراف : آية ٢٨ .
(٤) سورة النساء : الآية ٨٣ .
(٥) هكذا فى الاصل .
(٦) سورة عبس : الآيات ١٧ – ٢٠ .

ثم يقول الله : فلاناً ما أشره وما أظلمه ، هل يجوز هذا فى لغة العرب ، أو فى واضح العقول ؟!..

ثم نقول لك على إثر هذا : أحين قالَ ، عز وجل ،: ﴿ **ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ** ⟨٢٠⟩ ﴾، ما معناه فى تيسيره للسبيل ؛ «**أهو إرادته**»[١] لكفره ، أم إرادته لإيمانه؟!..

فإن قلت : هو إرادته لإيمانه .. صدقت ، وقلت الحق ، وهو قولنا ؛ لأن الله ، عز وجل، قد يسر للكفار كلهم السبيل ، ودعاهم إلى الطاعة ، وعرفهم بسبيل التقوى ، ودلهم على النجاة ، فاختاروا الكفر على الإيمان ، ولزمك أن قد رجعت عن قولك : **إن الله أراد الكفر من الكافرين** .

١٠٨ و/ وإن قلت : إن هذا التيسير / من الله ، جل ثناؤه ، للكافرين، إنما هو إلى سبيل الكفر، لا إلى سبيل الرشد .. أكذبك الله ، عز وجل ، بواضح البرهان ، وأبين البيان ، وأقوى السلطان ، بقوله ، تبارك وتعالى ، الذى لم تهتد إليه ، ولم تدبره قط فى ساعة من الساعات : ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ⟨٣⟩ ﴾[٢]، فاخبر ، عز وجل ، أنه قد هدى الكافرين والمؤمنين ابتداءً منه ، ومنّةً ونعمة بغير استحقاق استوجبوهُ ، وذلك **هدى تعريف ودلالة إلى السبيل** ، **بالكتب والرسل** ، **لا هداية جبر ولا قسر لواحد من الفريقين** ، وأخبرنا فى هذه الآية أنه قد بدأ الكفار بالدعاء والهداية إلى الإيمان ، وهم على كفرهم ، وهذه سنة الله ، عز وجل ، فى الأولين والآخرين ، أنه يدعوهم إلى دينه ، وذلك قوله ، عز وجل ،: ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ** ⟨١٢⟩ **وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ** ⟨١٣⟩ **فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ** ⟨١٤⟩ **لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى** ⟨١٥⟩ **الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ** ⟨١٦⟩ **وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى** ⟨١٧⟩ **الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ** ⟨١٨⟩ **وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ** ⟨١٩⟩ **إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ** ⟨٢٠⟩ **وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ** ⟨٢١⟩ ﴾[٣].

فاسمع إلى هذا البيان ، وإلى واضح هذا البرهان ، كيف ذهبت عنه ، وكيف خرجت منه ، وتركته صفحاً ، **فلا يبعد الله إلا من ظلم** ؟!..

ثم يكذبك بعد هذا جميع **أهل القبلة** بأسرهم أن الله ، عز وجل ، ما عنى بتيسيره

---

(١) زيادة من الهامش .

(٢) سورة الإنسان : الآية ٣ .

(٣) سورة الليل : الآيات ١٢ - ٢١

الكفار إلى السبيل، أنه لم يعن بذلك إلا سبيل الهدى والطاعة والرشد ، لا اختلاف بينهم في ذلك ، ومن رده كفر، وقوله ، سبحانه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾[1]، أهذا عندك قول من أراد منهم الكفر ، ثم سيسألهم فيقول : «كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً» ، وهو الذى أراد كفرهم ؟!..

سبحان الله العظيم ما أقبح ما قلتم ، وأوضح فساده .

وقوله ، عز وجل ،: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[2]، وقوله : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾[3]، وقول المؤمن فى سورة ياسين: ﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[4] ، وقوله يخبر عن الكفار : ﴿ .. أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾[5] ، فكل هذه الآيات تشهد على تكذيبك ، وتشهد لله، جل ثناؤه ، بالبراءة مما قلت إنه أراد كفر الكافرين .

***

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨ .

(٢) سورة المدثر : الآية ٤٩ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

(٤) سورة يس : الآية ٢٣ .

(٥) سورة القصص : الآية ٦٣ .

المسألة الثامنة عشرة

خلق الأفعال بين الله والناس

خلق الأفعال : أصولها وما يتولد منها :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى :

ان سالوك : أخلق الله الكفر والإيمان ؟ فقل : نعم خلقهما الله عملاً من العباد ، ولم يعملهما على وجه ما عملهما العباد ، العباد يزنون ويسرقون ، ولم يفعل الله ذلك ١٠٨ظ/ على ما فعله العباد ، ولكن الله ، عز وجل ، خلق عملهم، فخلق الطاعة والمعصية ، عملاً من العباد / وكذلك كل شئ صنعه العباد ، وعملوه ، فالله خالق عملهم ، عملاً منهم .

واعلم انه ليس كلام تكلم به أهل القبلة من الجور ، اقرب إلى الزندقة من قولهم : إن الله لم يخلق أفعال العباد ، فهو إذاً لم يُضحك ، ولم يُبك ، ولم يجعل اختلاف الألسنة ، ولا خلق السرابيل ؛ لأن خلق الألسنة لم يختلف ، وإنما اختلفت اللغات ، وإنما كتبت هذه المسالة، لتعرف ما يدخل عليهم فى هذا الكلام ، فاحسن اللفظ ولا تعجل .

واعلم أنهم إن قادوا كلامهم على هذا ، زعموا ، أن الله لم يخلق ثوباً ولا نهراً ولا ضحكاً ولا بكاءً ، ولم يسق الله عطشاناً ولم يطعم الله جائعاً ، ولم يجعل الله أكناناً من الجبال ،التى عملها العباد، ولا قصراً من السهل ، واشباه هذا الذى عمله العباد ، ولم يخلق الله كفراً ولا إيماناً ، ولم يجعل الله الإيمان غير الكفر ، ولا الكفر غير الإيمان ، ولم يحسّن الله إيماناً ولم يقبّح كفراً ، هوان ذلك كله عمله العباد وصنعوه وحسنوه وقبحوه ، ولم يحمل الله فى ذلك، ولم يجعله واشباه هذا ، فهو أكثر من ان نصفه لك .

بين فعل المستقبل وفعل المشارك :

رد أحمد بن يحيى :

الجواب ، قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، : قد صح لنا أنك من القوم

الذين قال الله ، جل ثناؤه ، فيهم : ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) ﴾[1]، وقد فهمنا ما ذكرت ،من فريتك على الله ، عز وجل عما قلت، ومن أن الله خلق أفعال العباد ، فخلق الكفر والإيمان، والطاعة والمعصية، عملاً من العباد ، ولم يفعل ذلك ، زعمت ، على وجه ما فعله العباد ، فقد أجبناك على أشباه هذه المسألة ، في غير موضع.

ومن جوابنا لك، أن المسألة القاطعة، التي سألناك فيها عن أيهما أفضل : أفعل الله الذى ليس للعباد فيه اكتساب ولا فعل ، أم فعل الله الذى للعباد فيه اكتساب وفعل؟!..

وتلك حجة لاقوام للمجبر بعدها ابداً ، ولا مخرج له منها ، وهى قبل كلامنا هذا ، فاستغنينا بها عن إعادتها .

وأما قولك : إنه لم يتكلم أحد من أهل القبلة بجور ، أقرب إلى الزندقة ، من قولنا هذا : إن الله لم يخلق أفعال العباد .

ونحن نقول انْ ليس قول أوسط فى التعطيل والشرك ، والخروج من الإسلام جملة ، من قولكم : إن الله خلق أفعال العباد ، ثم غضب مما خلق ، وعذّب على خلقه ، فإذا نظرت فى المسألة التى فوق هذا الكلام ، من هذا الكتاب الذى شرحناها ، كان مثلك عندما نظرت إليها ، مثل الرجل الذى ذكروا أنه أشرف على نخل البحرين ، فلما رأى
١٠٩و/ كثرته / واتساعه وعظم شأنه ، قال امرأته طالق، ما على وجه الأرض نخل هو أكثر من هذا النخل ، ثم سار أياماً حتى أشرف على نخل البصرة، فلما نظر اليها ، وبان له كثرتها وعظيم شأنها ، وهول ما عاين منها ، وأنها أكثر وأجل من النخل الذى حلف عليه ، فلما خاف الحنث – زعم – في يمينه التى حلفها ، قال عند ذلك ، إن شاء الله !!

فهذا مثلك إذا نظرت فى جوابنا فى خلق الأفعال .

وأما قولك : إنه يلزمنا أن الله ، عز وجل ، لم يُضحكْ ، ولم يُبكِ ، ولم يجعل اختلاف الألسنة ، ولا عمل السرابيل !

---

(١) سورة الكهف : الآية ١٠٤ ، كتبها الناسخ خطا هكذا : ﴿ اولئك الذين ..

حريــة الفعـل الإنسانـى :

فنحن نقول : إن الله ، جـل ثنـاؤه ، خلـق فينا الاستطاعــة قبل الفعـــل ، وفوضنا فى الحركات ، بعد الأمر والنهـى ، وحكم الكتاب ، فإن شئنا قمنا ، وإن شئنا ضحكنا ، وإن شئنا بكينا ، وإن شئنا مسكنا ، وإن شئنا فجرنا ، وإن شئنا امسكنا عن الفجور ، وإن شئنا آمنا ، وإن شئنا كفرنا ، وإن شئنا صلينا ، وإن شئنا لم نصل ، وإن شئنا صمنا ، وإن شئنا لم نصم ، ولذلك لزمتنا الحجة ، ووجب علينا الحكم من الثواب والعقاب، والجنـة والنار ، شاهـد ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤) ﴾[1] .

وأما قولـه : ﴿ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٣) ﴾[2]، فإنما يعنـى ذلك ، ما فـى الدنيا من العبر ، التى تضحك وتبكى ، الا ترى انه ، عز وجل ، قال : ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ﴾[3]، وليس هو ، جل ثناؤه ، الذى يحضر الموتى ولا يدفنهم ، فعلى هذا القياس يخرج الإبكاء والإضحاك ؛ لأن استطاعة البكاء والضحك، موجودة فى بني آدم من قبل الفعل .

وقوله ، عز وجل ، : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾[4]، والله ، عز وجل ، لم يبر[5] الأقلام ، ولم يستمد بها من الدوى ، ولم يخط بها فى الألواح ، ولا فى الصحف ، وإنما هداهم للتعليم .

وكذلك هداهم إلى صنعة الدروع وغيرها ، ولم يصنعها هو دروعاً ، عز عن ذلك رب العالمين .

هل خلق اختـلاف الألسنة ؟!..

أما اختلاف الألسنة ، فهو الدلالة على كل لغة والتعريف بها ، لأنه خلق ذلك الكلام الذى قال أهل اللغات ، وجاء فى الخبر أن لغة بنى آدم افترقت ثمانين لساناً ،

---

(١) سورة يس : الآية ٥٤ .

(٢) سورة النجم : الآية ٤٣ .

(٣) سورة عبس : آية ٢١ .

(٤) سورة العلق : الآيات ٣ - ٥ .

(٥) فى الأصل : يبرى .

فلو خلق كلام المتكلمين ، لكان الخالـق لقـول الكفار . أنـه ثالث ثلاثة ، ولو كـان ذلك منه، لم يجز في الحكمـة، ولا في العـدل أن يخلق قـولهـم أنـه ، عز وجـل ، ثالث ثلاثة ، ثم يقـول: ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ﴾[1]، ويلزمكم أنهم لو انتهـوا عن قـولهـم: إن الله ثالـث ثلاثة، كـان القـول الآخر، الذى صـاروا إليـه ١٠٩ظ/ وانتـهـوا فـيـه عن/ الأول، هو خلق الله أيضـاً، فـإذاً هو ينهـاهم عن خلقـه، ويحولهـم إلى خلقه ، وهذا هو المحـال!! .. والله، عز وجل، لايأمر بالمحال ثـم يغضب، زعـمـتم، من خلقـه، وتغـضب السـمـاوات والأرض والجـبـال، فـيكدن أن يتـشـقـقن وينفطرن ويتـهـددن من خلقه ، زعمـتم ، ثم يخلد العباد فى النار، على خلقـه وإرادته وتقديره !!

فعل الله كله حكمة :

وهذه صـفـة أهل العـبث، واللعب والتـخليط والمجانين ، وليس هذه صـفـة الحكيم الرحيم العادل ، الذى لا ضلال فى حكمته ، ولا عبث فى تقديره ، ولا حجة لأحد فى صنعه وخلقه ، عز عن ذلك ربنا وتعالى .

ثم نقول لك : أخبرنا عن إرادة الله ، عز وجل ، لكفر خلقه ، زعمت ، هل هو أهلٌ لما أراد من ذلك ؟

فـإن قلت: نعم، هو أهل لما أراد من ذلك. فـإن قلت: نعم، هو أهل لما أراد من ذلك.

لزمك أن الله ، عز وجل ، أهل أن يكفر به ! .. وبان كفرك ، وحسبك بهذا جهلاً .

وإن قلت : إن الله ليس بأهل لما أراد من الكفر .

لزمك أنه ليس بأهل لما أراد ! .. وفى هذه فضيحتك وانقطاعك، فاختر أى القولين شئت ، ففى هذه المسألة وحدها ، قطع كل مجبر على وجه الأرض .

هل خلق السرابيل؟

وأمـا السـرابيل التى سـألت عنهـا ، فـهى أيضـاً دلالة الله ، عـز وجل ، دل عليـهـا

---

(١) سورة المائدة : الآية ٧٣

المؤمنين، وتعريف عرفهم به ؛ ليتحصنوا بها عن الظالمين ، دل الله ، جل ثناؤه وعز ، نبيه داود ، صلى الله عليه ، فعملها بيده وقدَّر سردها باستطاعته ، ولم يخلق الله ، عز وجل ، الدروع خلقاً ومساميراً ، وإنما خلق الله ، عز وجل ، عين الحديد، ومن ذلك الحديد عمل الناس الدروع ، وكذلك جميع الصناعات ، ولم يخلق الدروع فيكون زرَّاداً ، ولا السفن فيكون نجاراً ، وقد قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ ﴾[1]، فهل نقول إن كُلَّ كتاب كتبه أحدٌ ، من كفر وإلحاد وتشبيه ، وجبر وشعر وغناء، وسفه وفساد، أن الله ، عز وجل ، هو الذى كتب ذلك الكتاب ؛ لأن خلقه فعله ، زعمت ، وفعله صنعه ، وأنه فعل خلق أفعالهم ؟!!..

فيلزمك أنه إذا تكاتب سفيهان بالسفه ، أحدهما إلى الآخر ، كان الله عندك هو الذى كتب ذلك الكتاب وخلقه !!.. وكفاك بهذا فريةً على الله ، عز وجل.

وقد سمعت كيف أخبر ، عز وجل ، عن أمره لداود لصنعه الدروع ، ولنبيه نوح ، صلى الله عليهما ، بعمل السفينة ، وأنه لبث سنيناً كثيرة يعملها ، وكلما مرَّ عليه ملأ من قومه سخروا منه ، ولو كان الله ، عز وجل ، الذى عملها ، لوجب عليك أنها ١١٠و / لم تنجح لله ، عز وجل ، إلا بعد سنين / كثيرة ، ولم يصح قوله : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ⑩ ﴾[2]، من غير نجار ولا زرَّاد ، ولا حداد ولا صانع !!..

فجعلت أنت أفعال العباد كلها، فعلاً لله، تعالى ؛ لجهلك بعدله وحسن تقديره ، وأنه لا يعذب على صنعه، وعلى أمر اضطر العباد إليه .

وقد أعلمناك أن الجعل فى كتاب الله ، عز وجل . على وجهين : جعل حكم وتسميه ، وجعل حتم ولا مخرج منه ؛ وقوله ، عز وجل ، : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ⑫ ﴾[3]، فذلك فى الفلك خاصةً ، دلالة وتسمية، لا أنه نجرها ولا دسرها، ولا أنهم يركبون الفلك ، لابدَّ لهم من ركوبها حتماً ، إنما الأمر إليهم، إن شاءوا

---

(١) سورة العلق : الآيات ١ – ٥ .

(٢) سورة النحل : آية ٤٠ ، أخطا الناسخ فكتبها هكذا : ﴿ إنما أمرب

(٣) سورة الزخرف : آية ١٢

ركبوها، وإن شاءوا تركوها ، تخييراً لا جبراً ، وإنما أخبرهم بالنعمة، فيما سخر لهم من العيدان ، والدلالة على عمل النجارة، والمسافرة على وجه الماء ، فهذه نعم، يجب أن نشكر ونعترف لمن تفضل بها .

وكذلك ما اعتللت به من العطشان، والجائع والعارى، فالله ، عز وجل ، الذى خلق الطعام والشراب، وأمر بالإحسان إلى الجياع والعطاش ، ولم يطعمهم من طريق الضيافة، والتلقيم لهم، ولا حمل الكؤوس إلى أفواههم ، ولا النسيج لثياب العارين ، وإنما أمر بالإحسان من بعضهم إلى بعض ، وحض عليه ، وقال ﴿ وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ [1] ، فهذا إطعامه وكسوته ونعمته ، وقال : ﴿ ..وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) ﴾[2]، وهذا هو وجه القول ، وإصابة المعنى ، لا ما ذهبت إليه من أن الله ، عز وجل ، هو الذى يفعل جميع أفعال العباد ، وأنه ، زعمت ، الذى خلق السفن والدروع ، وغير ذلك من أعمالهم التى عملوها بأيديهم ، واتخاذهم للأصنام/ !!..

فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾

فإن قلت : إنه قد قال فى كتابه : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾[3] . قلنا لك : إنه خلق الذهب والفضة، والنحاس والحديد، والخشب والحجارة، التى عملوا منها الأصنام، فصوّروها وقدّروها ونحتوها ، وليس ذلك الذى عملوا بأيديهم، فعلاً لله ، عز وجل ، وإنما فعله خلق الأشياء التى منها عملوا ، ولو كان فعل فعلهم ، لوجب لهم عليه، أن لاينديهم إلى طاعة، ولا يسألهم تقصيراً ، ولا يعذبهم على غير جرم ، وهو الذى فعل جميع أفعالهم، وقد أخبرهم أنه لايجور عليهم ، ولا يظلمهم ، وأنه يريد بهم اليسر، ولايريد بهم العسر . فأى عسر أعسر مما قلتم ، وأى ظلم أكبر مما ذكرتم؟!.. عز عن ذلك اللطيف الخبير .

***

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٣٧ .

(٢) سورة إبراهيم : آية ٣٤ .

(٣) سورة الصافات : آية ٩٦

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عند ذلك، كيف جعل الله السرابيل ١١٠ظ/التى تقى / الحر، وتقى البرد ، وكيف جعل الله من الجبال أكناناً ؟ مما لم يكن فيه ذكر ، إلا بعمل الناس، أفعل الله ذلك الخلق ووصله ، وغزل القطن ، والكتان وحاكها ؟!.. فإن قالوا : لا .. فقل كيف جعل الله السرابيل ؟!.. فإنهم لن يجدوا من أن يقولوا : خلْقُ الله عمل الله ، وجعْل عملهم .

فقل : أفليس الله جاعل عملهم، وخالقه وصانعه ؟!..

فإنقالوا : نعم . فقد أعطوك ، بأن الله خالق أعمال العباد وصنعهم ، وهذا قولنا، وهو العدل .

فإن أبوا أن يطعوك هذا ، فاعد عليهم المسالة ، فقل : كيف جعل الله إذاً السرابيل، التى تقى الحر، والتى تقى البأس ، أهو خلق الخلق وصنعه ووصله ، وهو الذى غزل وحاك وخاط الثياب ؟!..

فإنهم لن يعطوك هذا ، ولن يجدوا بداً من أن يجعلوا صنع الله فيها، خلق الله لأعمالهم ، وجعل الله لأعمالهم هو صنعه .

ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَام.. ﴾[1] .. كيف جعل الله الفلك ؟..

فإن قالوا : خلق الشجر. فقل لهم عند ذلك : أليس إذا رأينا خشبة أو شجرة ، قلنا : هذه فلكٌ؟!..

فإن قالوا : نعم.. فهذا ما لا يقبله أحدٌ ، ويعلم من سمعه انه كذبٌ ، ولن يعطوك هذا .

وإن قالوا : جعل الله لعمل العباد ، وصنع الله لعملهم ، فهو قوله : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ ﴾.

فقل لهم حينئذ : هذا قولنا ، إنا نقول : إن جعل الله للفلك ، جعله لعملها ، وكلها

(١) سورة الزخرف : الآية ١٢ .

جعـل الله ، وجعلـه فهو خلقه ؛ لأن الله جاعـل ما خلـق ، وخالق ما جعـل ، وخلـقـه وجعـله وصنعه للأشياء واحـد ، لم يصنع الله شيئاً لم يخلقه ، ولم يخلق الله شيئاً لم يجعله .

وإن ذهبـوا يلوون ألسنتهم بشئ ، فسلـهم : كـيف جـعل الله الفلك ؟.. أهو شق الخشب وحـورها ونحتـهـا ؟!.. فـإنهم لن يعطوك هذا ، ولن يجـدوا جـواباً، إلا أن يقولوا: إن جعل الله لها، خلق الله لعمل العباد لها .

رد أحمد بن يحيى:

الجواب : قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، قد فهمنا ما سألـت عنـه ، من إضـافـتك إلى الله ، جل ثناؤه ، خلق السـرابيل، التى تقى الحـر والبـأس ، وعـمل الأكنان والسفن، وغير ذلك من أفعال العباد، التى أضفت إلى الله ، جل ثناؤه ، وتريد بذلك أن تلزمنا ، أنه عـمل الزرارة والنجارة ، والخياطة والخرازة ؛ لتثبت أنه الذى فعل الزنا والشرك، والكـفر وجميع المعاصى ، جل الله وتعالى عما قلت، قدوس قدوس رب العالمين .

١١١و/ وأما قولك : إنه يلزمنا ، إذا أنكرنا عليك أن الله برئ مما أضفت إليه ، أنه لم يجعل أكناناً / من الجبال التى عـملها العباد ، وكـذلك السفن والزروع وغيرها ، فلذلك نقول : إن العبـاد هم الذين حـفروا بعض الكنان التى فى الجـبال ، وعـملوها بمعاولهم وأيديهم ، وقوتهم المركبة فيهم .

وأن الله ، عـز وجل ، لـم يعـملهـا ، ولـم يحـفـرها بالمعـاول ، وإنما جـعل الأكنان والكهـوف التى هى فى الجبال ، مخلوقة بلا معاول ولا كلفة ، قال لها : كـونى . فكانت من آخر ساعتها .

فكذلك فعله ، عز وجل ، المخلوق فى الجبال ، والعباد ما عـملوا أكنانهم التى [1] حفروها بعد الدهور الطويلة ، والتعب والنصب ، وكذلك القصور ، ولم يقولوا لها : كونى . فكانت .

---

(١) فى الأصل : الذى

وليس لله ، جل ثناؤه ، فى فعلهم لها فعل ، غير ما أعطاهم من القوة، التى اختاروا بها ما أرادوا .

فهذا قولنا ، والدليل على ذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾[١]، وقوله : ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) ﴾[٢].

أفلاه تراه كيف أضاف اتخاذ المصانع إليهم ، عاب عليهم اتخاذها ، لعلهم يخلدون، ولم يقل كما قلت ؛ أنه خلف ماعملوا فيها . فهذا شاهد من كتاب الله ، جل ثناؤه .

وزعمت أنك لا تستطيع أن تكتب علينا كل ما يدخل فى مسائلك ؛ لأنها ، زعمت ، تكثر ، وانت أيها المسكين المغرور ، لم تظن أن يحلُّ بك منا ما حل ، ولا ينزل بك ما نزل ، وليس صبىٌّ من صبيان أهل العدل، يهوله مسائل الجبر ؛ لأن الحق انما جعله الله ، عز وجل ، حقاً فى نفسه بالجد ، والباطل جعله باطلاً فى نفسه بالحكم والتسمية ، لا بالخلق والجبر .

فمحال أن يزهق حق ، ويثبت باطل ، وإنما الذى يزهق الباطل ، ويثبت الحق .

وكذلك قال رب العالمين : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) ﴾[٣]، وإلا فاوجدْنا ، إن كنت صادقَ قوىَّ الحجة ، أين موضع خلق الله لأفعال العباد ، حتى نعرف كيف ذلك الخلق ، وكيف صورته ؟!! .. وأين موضعه ، وإين يكون ، حتى تفرق لنا بينه وبين فعل العباد ، ولو بمقياس شعرة؟!! ..

فلن تجد ذلك أبداً بنور الله ، وبراءته من قولكم .. وأما قولك أنك[٤] تسأل عن قول الله، جل وعز ، جعل لكم سرابيل تقيكم الحر ، وسرابيل تقيكم بأسكم .

فقلت : كيف جعل الله السرابيل ؟ ، وكيف خلقها لهم ، وهم الذين عملوها ، كما عملوا الكفر والإيمان ؟ ..

---

(١) سورة الروم : الآية ٤١ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ١٢٩ - ١٣٠ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ١٨ .

(٤) فى الأصل : ان .

١١١ظ/ فإن قلنا لك: / زعمت : إن الله خَلَقَ الشجر ، الذى يكون منه الثياب ، وخلق الحديد ، الذى يكون منه السرابيل . فتسألنا ، زعمت : هل يجوز إذا رأينا حديداً أن نقول : هذا سرابيل ، وإذا رأينا شجر قطنٍ او قطناً أو كتاناً ، قلنا : هذه سرابيل تقينا الحر ، ولم تغزل ، ولم تنسج ، ولم تُحك ، ولم تُعمل ، وإذا رأينا جبلاً مصنوعاً ليس فيه كِنٌ ، قلنا : هذا كن ؟!!..

فإذا قلنا : نعم ، زعمت .. قلت : فهذا ما لا تقبله العقول ، ولا يمترى فيه أحد أنه كذب .

الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، فجوابنا لك أنه يلزمك فى هذه الدعوى ، مثل ما يلزمنا لك ، وقد علمت، وعلم أهل العقول ، أنا لا نقول أن الحديد ولا القطن ولا شجر القطن ، يجوز فى اللغة أن يسمى [1] سرابيل تقينا الحر وسرابيل تقينا البأس.. ولا يجوز أن يقال لجبل ليس فيه كِنٌ : إنه كِنٌ . هذا باطل فاسد ، محال من المقال لايقوله أحد ، ولا يذهب اليه متكلم .

ويلزمك ان الله ، عز وجل ، خلقها منفرداً بخلقها ، ثم أوجدها ، فعمل العباد منها السرابيل ، هم منفردون بعمل ذلك؛ لأن الله ، عز وجل ، الذى فعلها ، لم يعمل الدروع حلقاً مدَّوره ولاسمَّرها بمساميرها دُسُراً ، ولا جعل لها الجيوب ولا الأكمام ، ولا حفر الكهوف فى الجبال بالمعاول ، وإنما خلق اللهُ ، عز وجل ، الحديدَ الذى منه عُملت الدروعُ ، وخلق الشجر ، وخلق فيه القطن ، الذى منه عمل الناس الثياب، وحاكوها هم منفردون بعمل ذلك كله ، والحديد والشجر .

وجميع ما خلق الله من الاشياء ، التى منها اشتق العباد ما عملوا ، كل ذلك ، موجود غير معدوم ولا مفقوُد ، تبصرهُ الأعيان وتحسهُ الأيدى ، وتدركه جميع الحواس ، وتوقن به العقول ، ويوجد جسماً مجسماً مرأياً [2] مدركاً حاضراً معروفاً ، لا شك فيه ولا مرية .

وعند ذلك تلزمك ، أيها المفترى على الله ، عز وجل ، الفريةُ العظيمة فى قولك :

---

(١) فى الأصل : يسما .

(٢) فى الأصل : مريا .

إنه خلق الكفر والشرك وجميع القبائح والمعاصى ، كما خلق الحديد وشجر القطن ، والكهوف الموجودة فى الجبال من خَلْقِ الله ، عز وجل ، وتقديره ، وانك تُلْزِمُه ، عز وجل ، أنه خلق الدروع وحالَ الثياب وعمل السفن والصناعات والكهوف المحفورة .

فنقول لك ، أيها السائل المفترى على الله : اوجدنا الكفر والشرك والزنا والخنا ، وقول الكفار : إن الله ثالث ، ثلاثة وان له ، عز وجل ، صاحبةً واولاداً ، وكذلك ١٢٢ و/ توجدنا قتل الأنبياء وائمة الهدى ، كما أوجدتنا الحديد الذى منه عُملتْ/ الدروعُ والشجر ، الذى منه عمل القطن، والخشب الذى منه عملت السفن، وجميع ما ذكرت، حتى نبصْره بالاعيان وتلمسه الايدى، وتدركه جميع الحواس ، ويكون جسماً موجوداً معروفاً قد تميزه ، من قبل فعل الآدميين له ، كما تميز الحديد، وشجر القطن وغيره ، من قبل عمل الآدميين له، فتوجدناه جسماً معروفاً مقدوراً عليه ، ومنظوراً إليه ، اومسموعاً صوته ، اومشمومةً رائحتهُ ، او مدركاً ذوقُه ، او ملموساً بحاسة، أومحوياً بقطر من الأقطار ، كما أوجدتنا الحديد والقطن والخشب، وغير ذلك مما خلق الله ، عز وجل .

لابد لك من ذلك وإلا لزمك ، أنك تناظرنا على امر محال ، وخلق لايدرك ولايعرف ، ولا يوجد منجسماً ولا مرايأ ولا ملموساً ، فتكون دعواك باطلة بلا بينة ، ولا أمر تشهد عليه العقول والألباب، ولا تدركه الحواس، ولايوجد فى لغة العرب ، ولا يوجد فى كتاب ولا سنة !!

وإنما هذه من نزغات الشيطان ، القاها فى قلوبكم وعلى السنتكم ، لتثبتوا بها حجة المشركين والكافرين والزناة وقتلة الأنبياء، وجميع العاصين ، وان تكون الحجة لهم على الله لازمةً ، وعليه قائمة ، بما خلق لهم ، زعمت ، وفيهم من الشرك والكفر والزنا واللواط، وجميع المعاصى ، فاخذوا كل هذه الفواحش والكبائر ، من فواحش قد وجدوا ربهم ، زعمت ، قد سبق إلى فعلها ، وخلقها قبل خلقهم لها ، فمنها عملوا وفيها اخذوا ، ولولاها ما وجدوا كفراً يكفرونه ، ولا شركاً يشركونه ، ولا زناً يزنونه ، ولا لواطاً يلوطونه ، ولا قتلاً يقتلونه ، ولا عصياناً يفعلونه !..

كما أنه ، عز وجل ، لم يخلق لهم الحديد ، وشجر القطن ، والتراب والماء والحجارة، والأدم والصوف والشعر والجبال، ولم يجدوا حديداً يعملون منه الدروع،

ولا شجر قطن، يحوكون منه الثياب، ولاصوفاً يعملون منها الأكسية، وغيرذلك من الاثاث، ولا تراباً، ولا ما يعملون منه القصور، ولا خشباً يعملون منه الأبواب والسقوف.

* **ومن الحجة لنا عليك فى أن الاستطاعة قبل الفعل ، وأن أفعال العباد فى قولنا نحن ،** غير خلق الله ، عز وجل ، وأنه بريئ من خلقها ، وانها فعلهم، هم تفرَّدوا بها ، لا فعل رب العالمين ، عز عن ذلك وتعالى .

فنقول لك أيها **المجبر** ، ولإخوانك **المجبرة** : خبرونا متى خلق اللهُ ، عز وجل ، الإسلامَ أقبلَ الرسل ، أم بعد إرسال الرسل ؟!

١ـ فإن قلتم : إن الله ، جل ثناؤه ، خلق الإسلام ، قبل إرسال الرسل. لزمكم أن الاستطاعة قبل الفعل ، ولزمكم أيضاً أن إرساله لأوَّلهم ، وهو آدم ، عليه السلام ، ١١٢ظ / أن الصيام/ والصلاة والحج والعمرة والجهاد وجميع الفرائض، قد كانت معروفة موجودة محدودةً مخلوقة ، قبل أن يرسلَ الله، عز وجل، بها آدم، عليه السلام !...

ثم يلزمكم أيضاً أن يقال لكم : خبرونا عن هذه الفرائض التى[1] ، زعمتم ، أنها مخلوقة قبل بعثة آدم ، عليه السلام ، كيف هى ، وما هى ، أفى أرض أم فى سماءٍ، وكيف صُوَرُها ؟.. وهل تدركُ ببصرٍ ، أو تحس بسمعٍ ، أو تنال بلمسٍ ، أو تُذاق (بلسان) أو تشم باستنشاء؟

٢ـ فإن قلتم : إنها موجودةٌ فى الأوهام ، من غير أن تدرك بالحواس .. قلنا لكم : فقد نراكم قد أوجدتمونا قديماً ، موجوداً فى الأوهام آخر مع الله ، عز وجل ، ولايدرك بالحواس ، ولايقاس بالناس ، فيه الصفة التى وصفتم بها الواحد الذى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2]، وهذا كفرٌ بالله العظيم ، وخروج من الاسلام ، وإبطال الوحدانية ، ودعوى[3] إلهين اثنين ، صفتهما واحدة، لا فرق بينهما ؛ لأنكم

---

(١) فى الأصل : الذى .

(٢) سورة الشورى : الآية ١١ .

(٣) فى الأصل : ودعوا .

ادَّعيتم شيئاً ليس له حدٌّ ، ولا غايةٌ تعرف ، ولا نهاية يوقف عليها ، ولا تدركها الحواس ، ولا تُعلمُ هذه الصفة إلا للواحد القديم الأزلى ، الذى ليس كمثله شئ، تبارك وتعالى . . فهذه حجةٌ لازمة لك ، ودامغةٌ لدعواكم ، ولا مخرج لكم منها .

٣- وإن قلتم : إن الله ، عز وجل ، خلق الإسلام ، بعدما أرسل الرسل . لزمكم أن الاستطاعة قبل الفعل أيضاً ، وأن الله ، جل ثناؤه ، أرسلَ رسله يوم أرسلهم ، ليس معهم إسلامٌ يدعون الناس إليه ولا هدى [1] يوجبُ لهم الطاعة ، ولا تقومُ لله به على بريته حجة ، لأنه ، زعمتم ، إنما خلق الإسلامَ بعد إرسال الرسل!!

فوجبَ عليكم أنه أرسل إلى الناس رسلاً غير مسلمين ، إذ لا إسلام معهم ، وإنما خلقه ، زعمتم ، بعد إرسالهم ! . .

وكفى بهذا كفراً وجهلاً من قائله ، وفيه خروجكم من دين الإسلام .

٤- وإن قلتم : خلق الله ، عز وجل ، الإسلام ، مع إرساله للرسل ، لا قبل ذلك ولا بَعْدَهُ، رجع عليكم القول الأول ، والمطالبة لكم من خصومكم ، بأنه لأبدَّ لكم أن توجدونا الإسلام الذى ادعيتم أنه خلق مع إرسال الرسل . بحدوده وشخصه ، ولمسه وذوقه ، وسمعه [2] وصوته ، وحسه والنظر إلى صورته ، وإدراكه وإحاطة الأقطار به ، حتى يعرفَ ويوجد ، ويوقف على صورة ذلك الخلق إن كان خلقاً لله، عز وجل !

٥- وإن قلتم : إنه لايدرك إلا بالصفة لا غيرها . لزمكم أنه واحد ليس كمثله شئ ؛ لأنه قد انتظمته صفة الله ، عز وجل ، الذى ليس كمثله شئ ، فى زعمكم ، لأن كل شئ خلقه الله ، عز وجل ، من الخردلة فما فوقها فى السموات والأرض ، لابدَّ له من ستهِ حدودٍ ، تحوى كل مخلوقٍ خلقهُ الله ، عز وجل ، وهى القدام ١١٣ و/ والخلف . / واليمنة واليسرة والفوق والتحت ، فهذه الحدود لأبُدَّ لها أن تحيط بكل مخلوق ، لأن الخالقَ ، عز وجل ، لا حدَّ له ولا قدام ولا خلف ولا يمنة ولا يسرة ولا فوق ولا تحت .

---

(١) فى الأصل : هدا .

(٢) فى الأصل : سمع .

فهذا الفرق بين الخالق ، عز وجل ، وبين المخلوق ، وما ليس له حَدٌّ يُدرك بالحواسِ، فليس هو خلقاً لله ، عز وجل .

وهذا اكبر دليلٍ على أن أفعال العباد غير مخلوقة ، لو كانت مخلوقة ، لكانت بائنةً ، بمعنى تحيط به الحدود والأقطار، دون فاعليها .. **وإنما أفعال بنى آدم حركاتهم، وفعلهم هم لا فعل الله ، عز وجل ، ولا خلقه .**

٦- وكذلك الكفر ، يلزمكم فى خلقه من الحجة ، مثل ما لزمكم فى خلق الإسلام ، سوى[1] أن ادعيتم انه خلق قبل الكفار ، طالبناكم بتشخصه وحدِّه ولمسه ، ودركِ الحواس جميعا له .

فإن لم تاتوا على ذلك ببرهان ، لزمكم توحيده ، لما جعلتموه بصفة الواحد ، ولابُدَّ لكم من احد هذه الثلاثة الوجوه ، التى ذكرنا لكم، ليس لها رابعٌ ، وليس لكم من واحد منه مخرجٌ .

فاعرف ما قلت ، يا عبد الله بن يزيد البغدادى ، لإخوانك من قولك لهم : أن ليسَ قولٌ اقرب الى قول الزنادقة ، زعمت ، من قولِ اهل ا لعدل، ان ليسَ افعال العباد مخلوقة .

فاى القولين الآن اقرب الى الزندقة ، بل أيهما هو الزندقة ، بل أيها هو الشرك الأعظم ، الذى جعلتم الله ، عز وجل ، عن قولكم فيه ، شريكاً لكل مشرك ، أو فاعل فاحشة ، أو مرتكب لعظيم كفر ، فجاز على[2] حد قولكم ، قول أهل الأصنام ، وفات من جميع الأنام ، وأخرجكم من ربقة الإسلام ، فلا يبعد الله إلا من ظلم .

قال الله ، عز وجل. : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[3] ، وقال : ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[4]، أهذا عندك قول من أراد أن يكفر به ، أو قول من خلق الكذب والاستكبار وعذَّبَ عليه!!..

---

(١) فى الأصل : سوا .

(٢) ليست فى الأصل .

(٣) سورة المؤمنون : الآية ١٠٥ .

(٤) سورة المؤمنون : الآيتان ٦٦ - ٦٧ .

ثم سمى نفسه عادلاً لا يظلم ! ثم قال : ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [١]..

* وأما اعتلالك بقوله ، عز وجل ، ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [٢] ، فقد أعلمناك أن هذا خصوصٌ لا عموم، والدليل على ذلك ما يلزمك إلا قرار به، أحببت أو كرهت ، وهو قوله ، عز وجل ، ﴿ إِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [٣].

١- فنقول لك : أخبرنا عن الدهرية المعطلة ، الذين زعموا أن ليس لهم خالق ، أليس هم شئ أم لا ؟!..

فإن قلت أنْ ليسَ هم بشئ .. أكذبكَ جميعُ الخلق ، وخرجت من حدِّ الكلام ، ودخلت فى العبث .

١١٣ظ/ وإن قلت : هم شئ .. قلنا : فهل / هم يسبحون الله ؟..

فإن قلت : نعم . بَانت فضحتُكَ ، وأكذبك جميع الخلق ، لأنهم معطلة ، يجحدون الخالق ، وهم الذين ذكر هم الله ، عز وجل ، فى كتابه حين قال : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) ﴾ [٤].

وإن أقررتَ أنهم ليس يسبحون الله ، جل ثناؤه .

قلنا لك : قد صدقتَ ، وفى صدقك هذا ، يلزمك أن ليس كل شئ يسبحُ الله ، عز وجل، وإنما عنى [٥] بعضاً دون بعضٍ .

٢- وكذلك قوله : ﴿ خالق كل شئ ﴾ [٦]، إنما عنى ما خلقه ، جل وعز ، لا ما خلق العباد ، وفى هذا كفاية لمن عقل .

وإنما خلق الله ، جل وعز ، الأجسام والأعراض، لا غيرهما مما يعرف ، وليس له ، عز وجل ، خلق ثالث يعرف، إلا الأجسام والأعراض ، إلا ما قاله ، عز وجل :

---

(١) سورة التوبة : آية ٣ .

(٢) سورة الرعد ، آية ١٦ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٤٤ .

(٤) سورة الجاثية : آية ٢٤ .

(٥) فى الأصل : عنا .

(٦) سبق تخريجها قريباً .

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ⑧ ﴾[1]، ولا يقوم عرض إلا فى جسم ، ولا جسم إلا فى عرض .

فإن قلت : إنِ الأعراضَ لاتُدركُ بالحواسِ ، ويلزمكم لنا فيها ، مثل ما لزمنا لكم فى خلق أفعال العباد .

قلنا لكم : فإن جوابنا لكم فى ذلك، أن الأعراض لاتُرى ولاتسمع ولاتدرك ، وليس أفعال العباد ترى ، أيضاً ، ولا تسمع ولاتدرك بصورة ينظر إليها، ولا جسم متجسم ، إلا أن يقول قائل : إن القتل يرى بمعنى غير حركة الآدمى ، أو أن الصلاة ترى بمعنى غير حركة الآدمى ، أوأن الزنا يدرك بمعنى غير حركة الآدمىّ **(أو شئ من جميع أفعال بنى آدم ، يقال فيه أنه يدرك أو يرى بمعنى اخر غير حركة الآدمى)** [2] .

فلا يوجدُ السبيلُ إلى ذلك أبداً ، إلا أنْ توجدونا شمسين فى وسط السماء .

٣- **والدليل لنا فى الأعراض** ، وكذلك الزنا ، ليس هو شئ يدرك ولا يحس، غير التقاء الفرجين ، وحركة الفاعلين يكون مع ذلك ، ولا يوجد خلق، كما افتريت، إلا أجسامهما ، فأجسامهما خلق الله ، عز وجل ، وكذلك الزكاة، ليس هى بشئٍ يُحسُّ ولا يدرك ، غير دفع الدنانير والدراهم والحبوب ، من يد رجل إلى رجل ، فأين خلق الزكاة؟!.. أوجدناه إن كنت صادقاً حتى نعرفه بصورته !! ولن تجد ذلك أبداً ، وكذلك الجهاد ليس هو شئ يُحسُّ ولايدرك ، إلا الرجل يضع السيف، ويرفعه ، ويرسل السهم ، ويمد الرمح ويصرفه .

فأين خلق الله ، عز وجل ، لقتل الانبياء، وسفكه الدماء ، وفعله لجميع القبائح من الاشياء التى قلت فيه؛ هل هو إلا ما ذكرنا من حركات بنى آدم ، التى يرى الله، عز
١١٤ و/ وجل : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾[3] ، وتلك الحركة فهى فرع الاستطاعة التى ركبها الله ، عز وجل ، فى خلقه ، وهى القوةُ التى وهبَ لهم [4] ، وفوضهم فيها ،

---

(١) سورة النحل : آية ٨ ..

(٢) زيادة من الهامش .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

(٤) فى الهامش شرح عبارة عما يلى : (...... لا يستعملوا تلك القوة التى وهب)

وجعلهم فيها مخيرين غيرمجبورين ، فى إمساكها ولا إرسالها، إلا فى جميع ما يرضيه ، والا يعملوا بها شيئا مما يسخطه ، واعد الجنة لمن اطاعه، واعد النار لمن عصاه ، وارسل بذلك الرسل، وانزل به الكتب ، واعذر وانذر، وحذّر وكرر : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾[1] ، فمن ادعى[2] بعد هذا شيئاً ، يريد به إسقاط الحجة عن الكفار والعصاه ، ويلزمُ اللهَ ، عز وجل ، الظلم والجور ، فقد كفر بآيات القرآن ، وهو قوله ، عز وجل : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[3] ، وقوله ، عز وجل : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾[4] ، وقوله: ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[5] ، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[6] ، وقوله ، عز وجل: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾[7] .

لم يرد الله الكفر من الكفار:

وقلت انت ايها المجبر : إنه أراد الكفر من الكفار. وقد كررنا هذه الآيات ، لانها حجة الله ، عز وجل ، ولا حجة أقوى منها ، وقد وجدنا الله ، تبارك وتعالى ، وقد كرر القول فى غير موضع من كتابه، لتاكيد الحجة، والإبلاغ فى الموعظة ، وفى اقل مما قلنا كفاية، وانقطاع لكل مجبر على وجه الارض ، والحمد لله رب العالمين .

٤ – **ومن الحجة عليكم فى قولكم : إن الله ، عز وجل ، خلق الإسلام قبل إرسال الرسل .** أنه يزمكم أنه قد كانت صلاة موجودة من غير مصلّ ، وزكاة موجودة من غير متزك، وصيام موجود من غير صائم ، وحج موجود من غير حاج ، وعمرة موجودة من غير معتمر ، وجهاد من غير مجاهد ، وأمر بمعروف ونهى عن منكر من غير

---

(١) سورة الانفال : الآية ٤٢ .

(٢) فى الاصل : ادعا .

(٣) سورة النساء : الآية ١٦٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢١٣ ، وكتبها الناسخ خطا هكذا (وما اختلفوا إلا من بعد .....) .

(٥) سورة التوبة : الآية ٧٠.

(٦) سورة الانفال : الآية ٥٣ .

(٧) سورة الإسراء : الآية ١٥

قائم بذلك ، وهذا هو الخروج من المعقول، وهو يبطل قولكم أنه فعل من فاعلين ، بأوكد حجة وأوضح برهان . .

وإن قلتم : إن الله خلق الإسلامَ بعد إرسال الرسل . . لزمكم أن الاستطاعة موجودة قبل الفعل لابد من ذلك ، لانه يلزمكم أن الرسل قد دعتكم إلى أمر قبل فعلكم له ، إذ ليس من شانها ، عليها السلام ، ولا في عدل من خلقها ، تبارك وتعالى ، الدعاء إلى ما لا سبيل إلى دركه .

وإن قلتم : إن الله خلق الإسلامَ مع إرسال الرسل . . لزمكم أن توجدونا صورة الإسلام وحسه ودركه ، قبل أن يفعل . . .

فإن قلتم : إنه لايدرك إلا بالصفة . . لزمكم أنه إلهٌ موجود فيه ، مثل صفة الله ، ١١٤و/ تبارك وتعالى ، فلا خلاص لكم من هذه الثلاثة / الوجوه ، وفيها انقطاع قولكم ، وبيان جهلكم ، وفريتكم على خالقكم ، ومفارقتكم لكتابه صراحاً، وظلمكم لاهل العدل ، وكذبكم عليهم .

إلا أن ترجعوا وتتوبوا ، ويكون قولكم : إن الله ، عز وجل ، لم يخلق أفعال العباد، لا الصالح ولا الطالح ، وانه برئ من ذلك كله ، إلا ما أمر به ونهى [1] عنه ، وهو متعال عن خلق أفعال العباد ، متنزه عن خلق الفواحش، وجميع الشرك والظلم والكفر ، وقتل الرسل وائمة الهدى ، وإن لا ، فالنا لا شك فيه ، لقوله ، عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾[2]، وقوله: ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾[3]، وقوله: ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ (١٠٨) ﴾[4] ، وقوله : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا . . . ﴾[5].

أفلا تسمع إلى قولهم وإقرارهم ، أنهم الذين فرطوا ، وأنهم قد دعوا بالحسرة

---

(١) في الأصل : ونها .

(٢) سورة الأعراف : الآية ٢٨ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٣ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٠٨ .

(٥) سورة الانعام : الآية ٣١ .

على ذلك التفريط ، ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[1] ، ولم يقولوا كما قلت : يا حسرتنا على ما خلق الله فينا من أفعالنا ، وعلى ما أراد منا !! .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ ﴾[2] ، فنقول لك : أخبرنا عمّن قَدّم لهم ذلك أهو المريد لكفرهم ؟!!

فإن قلت : لا .. رجعت عن قولك بالجبر .

وإن قلتَ : نعم، المقدم لعذابهم هو المريد لكفرهم .. لزمك أن خالقكَ يدعو على نفسه بعذاب الناس، وهذا أعظم[3] كفر قال به قائل! .. فالحمد لله المعز لدينه، والموضح لبراهينه، والناصر لأهل طاعته، والذابين عن كتابه، وهو القوى العزيز.

واعلم علماً يقيناً أنه لاحد لفعل بنى آدم يدرك ، إلا حدَ فاعله ، وليس هو بشئ بائن عن فاعله ، إنما هى الحركات الموجودة فيهم ، وهى فرع لاستطاعتهم ، والاستطاعة فعل الله ، عز وجل ، والتى عليها البنية والحركات ، فعلوها بإرادتهم واختيارهم، بعد الأمر والنهى من الخالقِ الحكيم .

ولو كانت أفعال العباد قائمة موجودة وحدها على الانفراد ، بائنة عن الأجسام، ثم وصفتها المجبرة، بصفة غير ما قلنا ، للزمها أن تُثبتْ لها الحدودَ والأقطار ، وإنْ لم تَجْدها، ونفت عنها الحدودَ على الانفراد ، لزمها أنها قد وجدْتَها ، كما وجدتْ الصانع القديم ، وهذا أبطل باطل يكون ، وفيه القطع لكل مجبر على وجه الأرض، إذ لا حجة تفسدُ ما قلنا ، ولا تقطعُ ما به احتججنا .

٥- والدليل على ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾[4] ، فإنما ذلك الإفك حركاتهم ، ولو كان الإفك شيئاً غير حركاتهم ، منفرداً عن حركاتهم ؛ لوجب ١١٥و/ أنهم يخترعون عيون الأشياء، ويخرجونها من العدم الى الوجود، كفعل/ الواحد الحميد، فلايقدر على ذلك إلا الله الكبير المتعال ، الذى لايعجزه شئ وهوالولى الحميد .

---

(١) سورة الانعام : الآية ٣١ .

(٢) سورة ص : الآية ٦١ .

(٣) فى الاصل : من اعظم .

(٤) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

٦- ويلزمكم أيضاً في قولكم ، ان قلتم : إنه ، عز وجل ، **خلق الإسلامَ مع إرسال الرسل**.. ان يقالَ لكم : إن الرسل متفاوتون في البعثة ، وكلُ رسول منهم بينه وبين صاحبه، المدة الطويلة والسنون الكثيرة ، فلا يجوز لكم أن تقولوا : إنه خلق الإسلام إلامع إرسال الأول منهم ، ويبقى [١] من بقى بلا إسلام ، حتى خلق له إسلام جديد يكون معه !!..

فإن قلتم : إن خلْقَ الإسلام الأول يجُزئ من بقي .. قلنا : فقد وجدنا مع كل واحد منهم شريعةً ، تخالفُ الأخرى ، وأحكاماً تخالفُ الأحكام التي قبلها ، وهذا ينقضُ عليكم ما ادعيتم من خلق الإسلام الأول ؛ لأن مع كل نبي أمر غيرِ أمر صاحبه ، وشريعة غير شريعة صاحبه . فأين الخلق الذي ادعيتم من أن الإسلام مخلوق ؟!..

(فلا يجوز ما قلتم ، إنما الإسلام أمر ونهي، وشريعة وأحكام ، تحدثُ بحدوث النوازل) [٢]. في كل عصرٍ وزمان، فالإسلام دين الله ، عز وجل ، وهو أمرٌ أمرٍ به لا خلقاً خلقَهُ ، والشرائع مختلفة لحكمةِ المتعبِّدِ لعبادهِ ، وتصريفهم من الأمر على ما أرادَهُ .

ولو كان الإسلام مخلوقاً ، لكانت شرائعهُ شيئاً واحداً ، لا تختلفُ ولا تنتقض عن الخلقةِ الأولى ، التي فُطرتْ عليها ، والحمد لله رب العالمين .

***

عودة إلى أصل قضية خلق أفعال العباد :

وإن أبيت إلا أن الله الذي خلق أفعالِ العباد ، قلنا لك : فإنه يلزمك أن توجدنا شركاً وكفراً ، وزناً وقولاً إن الله ثالثُ ثلاثة ، وانَّ له ولداً وصاحبةً ! .. عز عن ذلك، وكذلك [٣] توجدنا قطع الطرق، وأخذ الأموال ، ونقب الحوانيت ، وغل الزكوات ، وقتل الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين .

---

(١) في الأصل : يبقا .

(٢) زيادة بالهامش .

(٣) كررها الناسخ مرتان .

فتوجدنا ذلك كله مَنْ خلق الله له ، كيف خلقه ، فاين وجده العباد حتى اكتسبوه، كما قلت، . . وابن هو ، وهل تراه الاعيان ، او هل تسمعه الآذان ، او تدركه العقول منفرداً ، وهل تدركهُ الارجل، وهل يدرك بالذوق او الشم ، وهل تحويه الفكر ، وهل تقع عليه الخواطر ، وهل تحويه الاقطار منفرداً ، كما تحوى سائر الاشياء المحوية الموجودة ، حتى يصحُ لك، وتتبين حجتك فيه ونعلم ، نحن وأصحابك ، انك صادق في دعواك ، ان الله خلق الشرك والكفر وجميع المعاصى ، فيصح ذلك ، لنا ولك ولجميع الناس ، كما صَحَّ الحديد ، الذى قلت ، الذى فيه عُملتْ الدروعْ ، والشجر الذى حدثَ فيه القطن ، فعملت فيه الثياب ، والخشب الذى عملت منه السفن ، كما قلت ؟. . صح لك ، لعمرى . وهذا حق ان الحديد ١١٥ظ/ الذى عملت منه / الدروع، وشجر القطن، وخشب السفن، والأكنان فى الجبال ، كل ذلك موجودٌ ، وعَمل منه الناس جميعَ الصناعات التى (عملها) [1] بنو آدم ، وإنما عملوها من اشياء وجدوا الله ، عز وجل ، قد سبق إلى خلقها وإحداثها ، وافتطارها من قبلهم ، فاخرجها من العدم إلى الوجود ، لم يشاركه فى خلقها أحد ، ولم يسبقه إليها صانع ، فعمل الناس منها جميع ما عملوا من الصناعات، التى لا تقوم الدنيا ولا تعمر إلا بها وبعملهم لها ، وذلك من الدلائل العظام على التوحيد ، ان احداً لا يحدث جسماً ، ولا يخترع صنع شئ من جميع الأشياء المجسمة ، ولا يقدرُ على إحداث ذلك كله ، إلا الله القوى العزيز .

فمن صُنعه وَخلقه وفطرته واختراعه عملوا ، ولولا ما وجدوا من ذلك ، ما قدروا على شئ يعملون منه مصالحهم ، لان هذه الأشياء، مشاهدة مرئية موجودة ، تدرك لا شك فيها ، من درك الحس، من الشَم والذوق والسمع والبصر .

وأما الشرك الذى ذكرت ، أنت وإخوانك المجبرة ، وجميع المعاصى الذى ادعيتم أن الله ، عز وجل ، خلقها أخرجها من العدم الى الوجود ، فيلزمكم لنا أن تأتوا عليها بدليل وبرهان ، اضوى وأوضح من نور الشمس الطالعة ، حتى يتبينَ للناسِ صدقكم ، ولن تجدوا ذلك أبداً ، ولن تقدروا عليه .

---

(١) بياض فى الأصل .

لأن المعنى الذى ذهبتم إليه ، فسميتموه خلقاً لله ، عز وجل عما قلتم ، إنه حركات العباد، التى يتحركون بها بالقوة التى فيهم ، والله ، عز وجل ، وإنما خلق الاستطاعة، وهى القوة المركبة فى بنى آدم ، وهم فيها مخيرون، إن شاءوا تحركوا بها، وإن شاءوا لم يتحركوا ، فالاستطاعة من الله ، عز وجل ، موهوبة مِنَّة ونعمَة، والحركات ليست من الله ، عز وجل ، وإنما هى فعلهم هم ، لا فعل الله ، عز وجل، وشاهد ذلك القوى الواضح من كتاب الله ، عز وجل ، قوله : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] ، فلو كان الله ، عز وجل، وهو خالق لنظرهم الى المحارم ، والخالق لحركاتهم فى الفروج، التى يتحركُ بها الأدميون ، لم يجز فى الحكمة ولا فى العدل ، أن يقول للمؤمنين يغضوا أبصارهم، ويحفظوا فروجهم !..

وإنما نهاهم ، عز وجل ، عن أمرٍ هو إليهم ما يكون له ، إن شاءوا فعلوه ، وإن شاءوا لم يفعلوا.

وقوله ، عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾[2]، ولو كان الله ، عز ١١٦ و/ وجل، خلق حركاتهم بالأصوات لم ينههم عن خلقه ، وإنما نهاهم.

عز وجل، عما يعلم أنهم يقدرون على تركه ، والله ، عز وجل ، فلم يخلق حركات العباد، وهى الزنا الذى تحركوا له ، والقتل الذى تحركوا له. والشرك الذى تحركوا له، وحركوا فيه ألسنتهم وأيديهم ، وقالوه بأفواههم وأهوائهم ، كذلك جميع الظلم والفواحش التى حركوا فيها جوارحهم وحواسهم ، وقد حظر الله ، عز وجل ، عليهم أن يستعملوا تلك الحركات إلا فى الطاعات ، والكف عن المحرمات .

فعصى [3] من عصى ، فوجبت له النار ، وأطاع من أطاع ، فوجبت له الجنة ، ليس جبراً ولا إكراهاً ولا خلق فعل .

والله ، عز وجل ، لم يخلق شيئاً من جميع أفعالهم ، ولو خلقها ، لكان شريكاً

---

(١) سورة النور : الآية ٣٠ .

(٢) سورة الحجرات :الآية ٢ .

(٣) فى الأصل : عصا

لهم، إذا كان لهم فى شئ من افعالهم ، قل أو كثر ، شريكاً ، لم يكن إلهاً ، ولزمه من الجور والظلم ، والخروج من الحكمة والعدل ، فى عذاب من خلق فعله ، ما يلزم الجائرين .

ودليل ذلك أن نقول لك : هل يعذب الله ، عز وجل ، داود عليه السلام ، فى عمل الدروع ، التى قلت ، أو يعتب ذلك عليه ، وهل سمعته قال : لمَ فعلت، ولمَ عملت الدروع ؟!!.. وإنما اخبره انه علَّمهُ صنعةَ الدروع ، ولم يخبرنا انه هو الذى خلق الدروع .

وكذلك آدم ، ﷺ ، لم يعذبه الله ، عز وجل ، فى حَوْكِ الثياب ، ولا الحرث ، ولا فيما عمل من الصناعات ، ولا قال لنوح ، ﷺ ، قول تعنيف فى عمل السفينة ، ولا عذبه على عملها ولا سمعته فى شئ من كتابه ، قال لمؤمن ولا لكافر: لم عملتم الدروع ، ولم عملتم الأكنان فى الجبال ، ولم عملتم الآلات ، إلا ان يعملوها لباطل ، او معصية لله ، وجل ثناؤه ، فهناك يقع التعنيف ، ويجب العذاب .

وإنما قال لهم ، عز وجل ، لم كذبتم رسلى ، وأعرضتم عن كتبى ، والحدتم فى صفتى ، وشبهتمونى بالجائرين ، وقتلتم انبيائى ، والأئمة من خلفائى ، والمؤمنين من اصفيائى ، ولم كفرتم بى، وعبدتم غيرى، وخالفتم امرى ونهى ؟!!!..

فهذا يوجبُ ان ليس لأجل خلقه لما خلق، يُعذبُ عباده ، إنما يُعذِّبهم لما خلقوه هم، وأتوه عامدين ، بأهوائهم وإرادتهم وحركاتهم .

فهذا جوابنا لك على دعواك فى خلق الكفر ، الذى زعمت ان الله ، عز وجل ، خلقه وأراده ، وهذا ما لا مخرج لك فيه ، لأنا سألناك انْ توجدنا شركاً وكفراً ١١٦ظ/ وظلماً وفواحش مخلوقةً منها . أخذ العباد (منها) [1] ما عملوا ، ومنها اكتسبوا ما به كفروا ، كما أوجدتنا الحديد والقطن والخشب، والاشياء المخلوقة الموجودة، التى احتججت بها علينا فى مسالتك هذه ، ولن تجد شركاً ولا كفراً ولا فسقاً ولا فواحش ، اخذ منها العباد ما عملوا ، ولا منها ما اكتسبوا ما به أحدثوا!

---

(١) ليست فى الأصل .

فلا سبيل لك إلى وجود ذلك أبداً ، حتى تناول النجوم من أعنان السماء بكفكَ!.. ولن يكون ذلك أبداً ، وفى هذا بطلان قولك ، ولزوم حجتنا لنا ، ووجوب النار عليك، إلا أن ترجع ، وتتوب عما قلت أنت ، ومن تبعك ، والحمد لله رب العالمين.

***

نقض المجبرة فى أن خلق الله ، غير خلق عباده فى الكفر والإيمان :

وأما قولك : إن الله ، عز وجل ، الذى خلق الكفر والإيمان ، على وجه غير ما خلقه العباد، (فإن)[1] العباد، زعمت، يزنون ويسرقون، وهذا، زعمت، لايجوز على الله..

ولا نعلم أحداً أجترأ على ما اجترأت عليه ، من هذا القول الفاحش ، الذى استخرجته من عقلك ، فنقول لك : أيها المغرور ، الأعمى فى دينه ، والجاهل بربّه ، فقل أيضاً : **إنه قد يجوزُ أن يرى على غير وجه الحقيقة من المعاينة ، غير نظر الأعيان** ، ويسمع ، على غير وجه من حقيقة السمع ، غير سمع الأذان ، وانه شاهد الخليقة بالحواس من حقيقة المشاهدة والحس المحسوس ، الذى يعقل من غيرحسٍ ، ولا مشاهدة!.. وكل هذا لا يجوز ، كما استحال ما قلت .

وأخبرنا ما الفرق بين قولك هذا ، الذى ضاهيت فيه قول **النسطورية** [2]، من **النصارى** ، وبين قولهم ، إذ زعمت النسطورية أن **عيسى** ، ﷺ ، ابن لله على معنى زعموا غير معنى الولادة!!

فنقول لك : هل يلزم النسطورية بهذا القول، كفرٌ أم لا ؟..

فإن قلت : إنه يلزمهم الكفر بهذا القول .

لزمك مثله ؛ لأنك زعمت أن لله، عز وجل ، فعل الزنا والسرقة على وجه غير ما فعله العباد .. وانه قلت : إنه لايلزم النسطورية، بهذا القول، كفرٌ .. خرجت من قول **أهل الصلاة**، وفارقت **أهل الإسلام** .

---

(١) ليست فى الأصل .

(٢) **النسطورية** : فرقة من النصارى

وإن قلت : إنه يلزمهم بهذا القول الكفر[١] .. لزمك مثله ، سواء ؛ لأنهم جاءوا بكلام محال، وجذ بكلام محال مثله ، لا فرق بينهما في وجه من الوجوه ، وقد (قال) علي بن الحسين [٢]، رحمة الله عليه : «ليست في محال القول حجة، ولا في المسألة عنه جواب» .

فقد أعظمت الفرية، بقولك هذا على خالقك، فلا يبعد الله إلا من ظلم. ١١٧ و/ وكيف لا يلزم خالق الزنا والسرقة وجميع المعاصي / عيب ما خلق، وكيف لايفسد قوله؟!.. فتبارك الله أحسن الخالقين .

فإن قلت : إنه لا يلزمه عيب ما خلق .. قلنا : وكذلك يلزمك أنه [٣] يلحقه حمد ما خلق.

فإن قلت ذلك ، خرجت من الإسلام ، ومن قوله : ﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾[٤]، وكيف ما قلت ، لزمك فيه الكلام ، حتى ترجع إلى الحق، فتقول : إن الله ، عز وجل ، لم يخلق شيئاً من جميع ما افتريته عليه ، فنفلجك .

في حقيقة العقول :

ثم نسألك فنقول لك : **هل العقول** المركبة فينا ، تدلنا على غير الحق إنه حق ، وعلى غير الباطل أنه باطل ؟!!.

فإن قلت : نعم ، إن الأشياء تخالف العقول ، وإن العقول لا تميز الحسن من القبيح، ولا الحق من الباطل .. خرجت من حد من يكلم ، وأكذبك جميع الخلق ؛ لأنه يلزمك . إن قلت بهذا . أن العقول لاتميز الليل من النهار ، ولا القحط من الإمطار. ولا الظلمة من الأنوار ، ولا السوام [٥] من الأشجار. ولا غير ذلك مما تحوى الأقطار .

---

(١) كرر العبارة لتكرار اللزوم .

(٢) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ابو الحسن ، الملقب بزين العابدين ، واحد الائمة الإثنى عشر عند الإمامية ، واحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع والجود والسخا، ولد سنة ٣٨ هـ وتوفى سنة ٩٤هـ في خلافة عبد الملك بن مروان .

(٣) ليست في الأصل.

(٤) سورة البقرة : الآية ١٥٣ .

(٥) أي الرعي منها .

وإن قلت: لايجوزُ ذلك، أن تستحيلَ الأشياء في العقول، وتقلب على غير وجوهها[١] حتى لا تميزها العقول، لزمك أن الذى قلت باطل وكفر، من أنه يخلق الزنا، على معنى غير الزنا، والسرقة، على معنى غير السرقة، وفى هذا كفاية، والحمد لله رب العالمين.

الفرق بين الأسماء الحسنى والقبيحة خلقاً:

ثم نقول لك: أليس تقر لنا أن لله[٢]، عز وجل، الأسماءَ الحسنى؟..

فإن قلت: نعم.. قلنا لك: أفليس افترض الله، عز وجل، ان تدعوه بأسمائه الحسنى حيث قال: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**﴾[٣]؟!..

فإذا قلت: نعم.. قلنا لك: فهل يجوز لنا ولك، أن ندعوا الله، عز وجل، فنقول له: ياخالق الكفر والشرك والزنا واللواط والأشعار والغناء، وجميع المعاصى، اغفر لنا؟!!..

فإن قلت: نعم، ذلك جائز ان يُدعا به.. قلنا: فما الفرق بين الأسماء الحسنى، والأسماء القبيحة، حتى نعرف بعضها من بعض؟!..

فإن قلت: إن هذه الأسماَء التى ذكرنا حَسَنةٌ جميلة، لا عيب فى الدعاء بها.. لزمك أن الزنا والشرك والكفر وجميع الفواحش والمعاصى، كل ذلك، حسنٌ جميل لا عيب فيه، ولا عيب على من دعا[٤] الله، عز وجل، به، وسماه خالقاً له.

وإن قلت: إن هذا الدعاء لا يليقُ بالله، جل ثناؤه عما قلتم، وأنه لا يجوز أن يُدعا به، لقبحه وشناعته، وكذب من دعا به.

لزمك ان حجتك علينا فيه كاذبةٌ باطلة فاضحة، وانك مبطلٌ فى قولك: إن الكفر والمعاصى كلها خلق الله، عز وجل عما قلت، وافتريت انت، ومن تبعك على مقالتك. وكفى[٥] بهذا كفراً، وصدوداً عن القرآن، أن يضافَ الى الله، جل ثناؤه،

---

(١) فى الأصل: ايضا وجهها.

(٢) فى الأصل: الله.

(٣) سورة الاعراف: الآية ١٨٠.

(٤) فى الأصل: دعى.

(٥) فى الأصل: وكفا.

ما برئ منه ، وعنف فيه إبليس وجنوده ، وأوجب لهم على إتيانه، النار التى لا تطفئ . ١٧٧ظ / فبعداً للقوم الظالمين!! / .

وأما قولك : إن الله ، عز وجل ، خلق الأسماء كلها .. فالرد عليك أنا نقول لك : أخبرنا عن اسم «محمد» ، صلى الله عليه ، هل هو المعنى [١] فى خلق الله ، عز وجل ، له ، ولما قالت قريش من تسميها ، النبى ﷺ ، أنه مُذَمَّ ؟!! .

فالله، عز وجل ، قد سمَّاه محمداً وأحمداً وسمَّته قريش مُذَمَّماً. فقال ، صلى الله عليه ، : «ألا ترون نصر الله لى على قريش، حين سَمَّوْنى . مذمماً ، وأنا محمد» [٢] .

فنقول لك : إذا كان الله ، عز وجل ، وهو الذى خلق اسم محمد ، وخلق اسم مذمم، أىُّ عيب على قريش فى قولها لمحمد ، عليه السلام ، أنه مذمم ، كلاهما خلق الله ، عز وجل ؟!! .

زعمتم – وجدَ المسلمون الله ، زعمتم ، قد سماه محمداً ، فسمُّوه بذلك ، ووجد المشركون الله ، عز وجل ، قد سماه مذمماً فسموه بذلك ، فماذا عليهم ، والله الخالق للاسمين، والفاعل للقولين ، والمريد للمعنيين ؟!! .

فإنكم تنقطعون ها هنا ، ولا تجدون حجة تدفعوننا بها ، إلا أن تجسروا ، فتزعموا أن الله ، عز وجل ، هو الذى سمى [٣] رسوله ، ﷺ ، مذمّما! ..

فيبين جهلكم وكفركم، لجميع من صلى القبلة ، وكفى بهذا [٤] جهلاً وخروجاً من الحق .

* ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى ، ثم سلهم عن الأصنام من خلقها ، وجعلها أصناماً؟ ..

---

(١) فى الأصل : المعنا .

(٢) الحديث : عن أبى هريرة ، ﷺ ، فى : البخارى، ٤ / ١٨٥ – ١٨٦ (كتاب المناقب ، باب ما جاء فى أسماء رسول الله ، ﷺ)، وأوله : «ألا تعجبون كيف يصرف الله عنى شتم قريش ... الحديث وهو . فى : النسائى (بشرح السيوطى) ٦/ ١٢٩ ، ١٣٠ (كتاب الطلاق ، باب الإبانة والإفصاح ..) ؛ والمسند، ١٣ / ٥٠ ط . دار المعارف .

(٣) فى الأصل: سما .

(٤) فى الأصل : وكفا بهذى .

رد احمد بن يحيى :

الجواب قال أحمد بن يحيى - صلوات الله عليه - نحن نقول لك هل : خلقها أصناماً وأوثاناً وانصاباً ، فسمَّاها بذلك الاسم ، وكان ذلك الاسم يُدْعى « بُددُ » وتعرفُ به قبل أن يعبدها من نحتها ، وجعلها صوراً من المشركين ، في الزمان الأول ، وفي زمان منداد بن إسماعيل [1] ؟!! .

فإن قلت : إن ذلك كان اسمُ الحجارة ، تعرفُ في العرب ، قبل ابتداع من ابتدعها ، وعبادة من عبدها ، اكذبك جميع الخلق ، وشهدوا على بطلان قولك .

لأنها لم (تزل) [2] تشاء تُعرفُ بأن اسمها حجارة ، وصخر وصفوان وصفا [3] ، وغير ذلك من الأسماء ، فلما نحتها الكفار بأيديهم ، وصوّرُوها بحركاتهم ، وسموها أصناماً وأوثاناً ، وسموها بالأسماء المحدثة منها اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، وإساف ونائلة ، ويغوث ويعوق ونسراً ، وغير ذلك ، وهي التي ذكرها اللهُ ، عز وجل ، في كتابه ، وعنّفهم على اتخاذها وتسميتها ، مما دَلَّ على براءته من خلق ماخلقوا فيها ، من التقدير والتصوير والخرط والنحت ، فقال : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ
١٨٨و / الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا / قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ [4] .

كأنك ، يا لك الويل ، لم تسمعْ هذا القول في كتاب الله قط ، ولم يخطر لك على بال ، حين زعمت أن الله ، عز وجل ، خلق الأصنام ، وذهبت بجهلك إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[5] ، وإنما عنى بهذه الآية ، أنه خلق الحجارة وجميع الأشياء ، التي عملت منها الأصنام ، إذ لا خالق للأصل غيره ، وإنما وقع العيب والتعنيف عليهم ، في نحتها وتقديرها وتصويرها ، وعبادتها لا غير ذلك .

---

(١) يقال إن أول من أدخل عبادة الأصنام على العرب هو عمرو بن لحي بن غالوثة بن عمرو بن عامر .

(٢) زايدة في الهامش .

(٣) الحجارة الملساء .

(٤) سورة النجم : الآيات ١٩ - ٢٣ .

(٥) سورة الصافات : الآية ٩٦ .

وقوله : ﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾(١). فلمَ عُدوا لهم من دون الله أنصاراً ؟!.. أفلا تسمع أيها المغرور إلى قوله ، عز وجل : ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾ (٢) ، ولم يقل إنهم أدخلوا النار بخلقه لفعلهم !..

فسبحان الله العظيم ، ما أجهلك وأجهل من أصغى (٣) إلى قولك ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾(٤)، ﴿ وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ ﴾(٥)، فاسمع الى تفسير الفرية ، فلو كان الله ، عز وجل ، هو الذى خلق الفرية ، كما زعمت ، للزمه أنه قد خاب ، عز وتعالى عن ذلك ، لقوله : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ ﴾؛ لأن من خلق الفرى فهو خائب ، ومن خلق الكذب فهو كاذب.

وكذلك قال ، عز وجل : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ (٦) ، فلو كان الله ، عز وجل ، هو الذى دساها ، للزمه أنه شتم نفسه بنفسه ، وخيَّبها ، حيث قال : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾، ولا تدسية أعظم من الكفر!..

وقد زعمت أنه أراد منهم الكفر وخلقَهُ ، وخلْقُه ، زعمت ، فعله وصنعُهُ ، فيلزمك فى هذه الآية أنه دساهم بالكفر ، وانه يلزمه انه قد خاب من دساها ، وبالله لو لم يكن لنا فى القرآن غير هذه الآية ، لكانت كافية قاطعة لكل مجبرٍ على وجه الأرض ، الا لعنة الله على الظالمين .

***

فى القدرة والمشيئة وتعلقها بالعلم :

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عن وجه ما وضعوا ، مما أخطؤا فيه تأويل قدرة الله، عز وجل .

---

(١) سورة نوح الآيات ٢٣ – ٢٥ .

(٢) زيادة من الهامش .

(٣) فى الأصل : أصغا .

(٤) سورة الشعراء : الآية ٢٢٧ .

(٥) سورة طه : آية ٦١ .

(٦) سورة الشمس : الآيات ٧ – ١٠ .

فإنهم عابوا علينا أنْ قلنــا : إن كل شــئ أخبـرنا الله به أنـه، لا يـكون أو يكون، فإنـه لا يجوز على الله ، عز وجل ، أن يقول إنه إنْ شاء كان على وجه إن شاء ، فإن ما يجــهل ومـا لا يعلمــه ، لإنا مــتى قلنا ذلك ، قلنا : لا ندرى لعل الله إن شــاء قـال ١١٨ظ/ البـاطل.. تعـالى الله ربنا وتبـارك ، لقـد حـملنا أهل البـدع على أن تكـلمنا بكل قبيح ما / ما يدخل عليهم في كلامهم ، مع أن الله، تبارك وتعالى ، قد وصفه بعض الكفار ، فقالوا: ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾[1] .

فوصف كذبكم ، ولولا ذلك ما وصفنا كذبهم ؛ لأنَّ متى قلنا : إن القيامة إن شاء الله لم يقمها . قلنا : إن الله كذب ، وإن قلنا : إن الله إن شاء لم يفعل ، قلنا : إن شـاء الله أخلف الميــعــاد ، ولا يجوز على الله هذا ، إلا أن يشاء أن يكون غـيـر مـا عُلم أنه يكون!.. ولا يشـاء أن يخلف وعده ، ولا يشاء أنْ يتخذ الولد، ولا يشاء أن يتخذ معه إلهاً ، تبارك وتعالى ، ولايجوز على الله هذا الكلام فى قول العدل ، إنما يشاء أنْ يكون ماعلم انه يكون، ولا يشاء أنْ ينقص ملكه ، ولا يشاء أن يغيرَ صفته ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

***

رد أحمـــد :

الجواب قال أحمد (بن)[2] يحيى ، صلوات الله عليه : زعـمت أنَّا وضعنا خطأ ، أخطأنا فيه تأويل قدرة الله ، عز وجل، منه أنه لايكون أو يكون .

فإنه لا يجوز على الله ، عز وجل ، أن نقول : إنه إن شاء كان ، على وجه أنه إن شاء كان ما يجهلُ وما يعلم ! .

١ – وقد فهمنا هذا القول من أوله إلى آخره ، فأجزأنا ذلك عن إعادة قولك ، لأنك إنما مَدارُكَ على الفرية على الله ، عـز وجل ، وعلى إبطال كـتـابه ، وعلى إبطال أمـره لخلقه بالإيمان، والرجوع عن الخطا، والتوبة عن الكفـر والظلم ، واجتهادك فى دعاء

(١) سورة المائدة - الآية ٦٤ .

(٢) فى الأصل : احمد يحيى

الكفار إلى أنه لا يعلم الله، عز وجل ، منهم الكفر ، وأن يَدَعوا الكفر والشرك ، ويرجعوا إلى الإيمان والهدى والطاعة ، وأنك إنما تريدُ في قولك : إنَّ من علم الله منه الكفر ، أنه ليس له حيلة في الرجوع إلى الإيمان بوجه من الوجوه ، زعمت ، لأنَّ ذلك العلم الذى علمه الله ، عز وجل ، عندك ، هو الحائل بينهم وبين الإيمان!.. زعمت .

حقيقة فهم المجبرة للعلم الإلهى :

* وهذا كفرٌ غلطت فيه ، وخالفت القرآن ، وجهلت كيف العمل به ، ولم يبلغه عقلك ، وذلك أنَّ المجبرة أنزلو العلم بمنزلة الشئ المانع الدافع لهم ، الحائل بينهم وبين طاعة الله ، عز وجل ، فالتوبة عن خطايهم [1] ، وتركهم قوله ، جل ثناؤه ، بعد ما علم أن القاسطين يكونون لجنهم حطباً .

فأخبر ، تبارك وتعالى، أن علمه ليس هو المانع ، ولا حائل دون الاستقامة على طريق الهدى ، وأنهم إنما هلكوا وصاروا حطباً لجهنم ، باختيارهم ، واتباع أهوائهم ، لا يعلمه ، عز وجل ، الذى قلت : إنه حال بينهم وبين الطاعة ، فقال ، ١٩٩ و/ جل ثناؤه : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ / فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) ﴾[1] ، وقد أعلمناك ، أن تأويل الفتنة فى القرآن يُخرجُ على عشرة وجوه فى كتاب الله ، والله ، عز وجل ، لا يفتن المستقيمين ولا يضل المطيعين ، لأنه ، عز وجل ، إنما أخبرنا أنهم لو استقاموا على الطريقة ، لأحسن إليهم وأسكنهم جنَّته، ولم يخبرنا أنهم إن استقاموا فتنهم على جهة ما ذهبتم إليه من الإغواء . ألا ترى أنهم لو استقاموا على الطريقة ، لم يعلم منهم الكفر ، الذى صيَّرهم به حطباً لجهنم ، وأنهم لو أرادوا الهدى [2] لم يعلم الله ، عز وجل ، منهم الكفر، والشاهد على ذلك لنا أن الله ، عز وجل ، إنما افترض

---

(١) سورة الجن : الآيات ١٥ - ١٨ .

(٢) فى الأصل : الهدا .

على الخلقِ الخروج من الكفر ، ولم يفترض عليهم الخروج من العلم ؛ ولو كان الامر (كما) ذهبتْ إليه عقولكم الصداة [1] ، لم يجز للحكم العادل ، الذى لا يظلمُ، ان يقول : ﴿ فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ⁽٢٠⁾ ﴾[2]، ويقول: ﴿ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾[3]، وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ⁽٦٤⁾ ﴾[4].

وليس فى القرآن من أوله الى أخره، آية واحدة تشهد لكم على أن علم الله ، عز وجل ، هو الذى منع الناس عن الإيمان ، وحال بينهم وبين الطاعة، ولا حملهم على الكفر ، فإنْ وجدتم آية واحدة تشهد لكم بذلك ، فالقول قولكم.

أو وجدتم آية توجبُ انَّ الله ، عز وجل ، قال لأحد من خلقه الأولين او الآخرين : ادخلو النار بما علمت منكم ، وادخلوا الجنة بما علمت منكم !.. لأنه ، جل وعز، إنما يعاقب ويثيبُ على الأعمال، لا على علمه بالأعمال .

وقد اجبناك فى العلم ، فى أول كتابنا هذا ، بما فيه الكفاية ، إلا انك تكرر مسائلك [5] فلا نجد بُداً من ان نكررَ ما قد انقضى [6] فيه الجواب ، لئلا تعتلق علينا بحجة ، أو تقول قد تركوا بعض مسائلى .

هل يشاء الله أن يفعل ما لا يجوز؟!

٢- وأما قولك : إن الله ، عز وجل ، لو شاء لفعل ما لا يجوز فعله ، من ان لا تكون القيامة [7]، وان يتخذ الولد ، وان يخلف الوعد ، وان يبدل القول !!..

فهذا كله قولكم انتم ، وهو لازم لكم ، وليس أهل العدل والتوحيد يقولون هذا

---

(١) فى الاصل : الصداه .

(٢) سورة الانشقاق : الآية ٢٠ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

(٤) سورة النساء : الآية ٦٤ .

(٥) فى الاصل : مسالك .

(٦) فى الاصل : نقضا .

(٧) فى الاصل : القيمة .

القول، هم اعرف بتوحيد الله ، سبحانه ، وأقومُ بعدله من ان يقال لهم هذا القول، وينسبَ إليهم، بل هذه صفتكم أنتم ، وصفة إخوانكم الأشقياء المجبرة الجهلاء .

٣- **وأما قولك : إن أهل البدع حملوك على أن تكلم بما لا تريدُ** ، ونحن نقول ، على أهل البدع لعنة الله (و) لعنة اللاعنين ، وكيف يكون أهل البدع من قام بالقرآن، وعرف تأويله وتنزيله، ومحكمه ومتشابهه ، واخذ الحق من معادنه، ١٩٩ظ / الذين قال الله ، عز وجل ، : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣)﴾[١]. وقوله : ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[٢]؟!!!..

ثم نقول : أنت أعرف بعدل الله أم موسى ، صلى الله عليه ؟!!.

فإن قلت : إنك أعرف من موسى. كفرت .

وإن قلت : إن موسى ، صلى الله عليه ، أقوم بعدل الله منك ، وأعرف بدينه.

فما تقول في موسى ، صلى الله عليه ، لما قتل القبطي : ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (١٥)﴾[٣]، ولم يقل : هذا من قضاء الله ، عز وجل ، وإرادته.

يجبُ في هذا القول أنك أعلم من موسى ، ﷺ، واقوم بعدل الله ، عز وجل ، وكذلك قال الله ، عز وجل ، لمحمد ، صلى الله عليه : ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾[٤]، وقال يعقوب ، صلى الله عليه ، ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١٨)﴾[٥]، اولا ترى أن الله ، عز وجل ، قد نفى عن الأنبياء ، صلوات الله عليهم ، ما الزمته وان ليس واحد منهم أضاف ذنبه إلى خالقه ، كما اضفتَ .

---

(١) سورة النحل : الآية ٤٣ .

(٢) سورة النساء : الآية ٨٣ .

(٣) سورة القصص : الآية ١٥ .

(٤) سورة سبا : الآية ٥٠ .

(٥) سورة يوسف : الآية ١٨ .

٤- **وأما قولك أنا أخطأنا فى صفة قدرة الله** .. وليس القول كما قلتَ ، ولكنا نقول : إن الله عز وجل ، قد صدق فى قوله : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ** ﴾[1] ، وقوله : ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا** ﴾[2] ، وما أشبه هذه الآيات فى القرآن .

فإن كان ذلك إنما دلنا به على إثبات قدرته ، وأنه لو شاء لحال بين الكفار وبين الكفر، حتى[3] لايقدرون على فعله بالجبر منه لهم والقهر ، ولو شاء الله لهدى الناسَ جميعاً ، أى جبراً وقسراً ولا يرسل إليهم الرسل ، ولاينزل عليهم الكتب ، ولكن لم يكن ذلك من حكمته ، وإنما أخبرنا بقدرته على ذلك ، وأنه لا يفعله ، حتى يروا أنهم إنما فعلوا ما فعلوا من المعاصى ، عن غير غلبة له ، عز وجل ، ولا ضعفٍ كان منه عنهم .

فأما قوله : ﴿ **وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣)** ﴾[4] فإن المجبرة يتعقلون بهذه الآية ولايقرأون ما بعدها ، وهو قوله ، عز وجل ، : ﴿ **فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)** ﴾[5].

فصح أنه بما كسبوا لا يفعل الله ، عز وجل ، ولا بإرادته لمعصيتهم ، مع أن هذه الآية إنما حكمها من أحكام الآخرة ، وليست من أحكام الدنيا ؛ ألا ترى كيف قال ، عز وجل ، وعنى أن المخاطبةَ فى الآخرة لا فى الدنيا : ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣)** ﴾، يعنى ممن عصى[6] فى الدنيا وخالف أمره . ثم قال بعد هذا ﴿ **فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا** ﴾.

١٢٠ و/ فصح أنه فى الآخرة / تكون هذه المخاطبة، والعدل فى الآية قائم بنفسه، لاجبر فيه ولا قسر، ولا مخرج لملحد مجبر ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة الانعام : الآية ١١٢ .

(٢) سورة السجدة : الآية ١٣ .

(٣) فى الأصل : حيا .

(٤) فى الأصل : يقرون .

(٥) سورة السجدة : الآية ١٤ .

(٦) فى الأصل : عصا

٥- وأما قولك : إنه يلزمنا أنا نقول: إن الله ، عز وجل ، لو شاء لم يكن ربّاً ، وانه لو شاء لظهر للناس ، وما قد ذهبتَ به فى هذا الموضع من الخطأ والتخليط .

فأهل العدل أعلم بالله ، عز وجل ، وبتوحيده الذى انت به جاهل ، فلن يقولوا مثل ما قلت . وإنما يجبُ عليك ، لو استعملت الادب والحكمة ، ان تخاطبنا بما قلنا

فاما ما ليس هو من قولنا، فلم تكرٌره وتذكر فيه الكلام ، ولكنْ وجدتَ جهالاً لا يميزون عليك قولك ، وقلدوك امر دينهم ، فاهلكتهم، فلا يبعد الله إلا من ظلم.

وهيهات شرفُ الحق وعظم قدره ، وقدر اهله ، من ان تَخطَفه ايدى الباطل ، او تفتاتوا على اهله بحجة .

فاربعْ على ظلعك ، وقس بشرك بقترك [1] ، واخرج مما قلنا ، وافهم ما به اجبنا ، وارع من استطعت من أهل الجبر ، فإنكم لا تقومون بحجة واحدة من هذا الكتاب، ولا تقدرون لها على دفع ولا نقض ، بحول الله وقوته.

وهذا قول مُدلٌ بفلجه ، لان دين الله ، عز وجل ، لا تقوم له الجبال ، وما كان من الله ، عز وجل ، فلن يغلبَ ابداً ، وغيره دين الشيطان ، ودينُ الشيطان إلى البوارِ والدمار والدبار والخسران ، فلايقوم الباطل للحق ابداً .

وسألتِ عن ام موسى ، صلى الله عليه ، وعن فرعون ، لعنة الله ، وقد اعْدتَ هذه المساله ، وقد مضى جوابنا لك فى هذا الكتاب بما فيه الكفاية.

وذكرت الاستطاعة فى قتل موسى ، صلى الله عليه ، وقد أجبناك ايضاً فى باب الاستطاعة بما فيه الكفاية ؛ واوضح البرهان ، وما لايقدر له احد من المجبرة ، ولا غيرهم ، على نقض ابداً .

أدلة أخرى فى الاستطاعة :

ونحن نقول لك فى الاستطاعة ايضاً : اخبرنا هل افترض الله ، عز وجل ، على

---

(١) مثل جارٍ ، معناه توبيخ الخصم والحط من شانه .

الناس عندما بعث إليهم محمداً ، صلوات الله عليه وعلى آله ، أن يقولوا : لا إله إلا الله ، وأن يقرّوا أن محمداً رسول الله ؟!..

فاذا قلت : نعم . قلنا لك . فأخبرنا هل افترض الله ، عز وجل ، عليهم من ذلك، ما يقدرون عليه ويمكنهم ، أم ما لا يقدرون عليه ولا يمكنهم؟

فإن قلت : إن الله ، عز وجل ، افترض عليهم أمراً لا يقدرون عليه ولايمكنهم[1].

لزمك أنه افترض عليهم ، ما لم يجعل لهم السبيل إليه ، ولا المقدرة ، وأنه قد أبطل في قوله في كتابه ، ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) ﴾[2] ، أي عرّفناه طريق الخير والشر والحق والباطل، ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا .. ﴾[3] .. فأي دلالة إلى سبيل أعظم من هذه الدلالة .

١٢٠ ظ/ ويكفيك أيضاً قوله ، عز وجل :/ ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[4]، و ﴿ إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾[5]، وإن قلت : إن الله ، عز وجل ، افتراض عليهم أمراً يقدرون على اتباعه وفعله ويمكنهم ، بطلت دعواك في الاستطاعة أنها مع الفعل ، ولزمك أن الاستطاعة قبل الفعل ، ولولا ذلك لما افتراض الله عليهم أمراً لايقدرون عليه ، من قبل أن تقع استطاعتهم فيه مع فعلهم ، فيلزم أنه يكلف الفروض قبل وجود الاستطاعة .

وهذا ما لا يجوز في عدل ، ولاحقٌ ولا حكم ولا عقل ، وهذه وحدها تكفي من عقل .

***

---

(١) تكررت العبارة في الأصل واظنه سهواً من الناسخ .

(٢) سورة البلد : الآيات ٨ - ١٠ .

(٣) سورة البلد : الآيات ١١ - ١٥

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٨٦

(٥) سورة الطلاق : الآية ٧

الاستطاعة مع الفعل عند المجبرة :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم : عن قول الله ، عز وجل : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ [الْبَيْتِ] مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧) ﴾(١).

فقل أخبرونى : ما الحج عندكم ، اليس هو الطواف بالبيت ، والموقف فى عرفات والمشعر، وقضاء تلك المناسك بمكة ومنى (٢) ؟!..

فإن قالوا: بلى (٣) . فقل أخبرونى عمن له مائة (٤) الف (٥) دينار، والف جمل ، وأشباه ذلك، وهو صحيح ، يستطيع الحج، وهو بالبصرة أو بخراسان ، أو ببلد من البلدان ناحية عن تلك المواقف والمشاهد ؟

فان قالوا : نعم . فقل افليس يستطيع الطواف بالبيت ، ووقوفاً فى تلك المواقف ، وهو مقيم فى بلده ، لاياتى مكة ، ولا يقربها ؟!.. افليس قد يستطيع الطواف بالبيت ، وهو مقيم ببلده(٦) ، ولم يذهب فيكون مقيماً بخراسان ؟!؟..

رد أحمد بن يحيى :

١- الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، زعمت انه لا يكون حج الرجل ولا يستطيع انْ يطوف بالبيت ، ولاياتى جميع المناسك، وهو فى بلده، وكذلك لا يجوز فى غيره من أهل خراسان ولا العراق ولا مصر، وغيره من البلدان .

تريد بذلك - أن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل ، وذلك خطأ منك ، وجهل بالاستطاعة كيف هى .. وقلت : هل يستطيع من بالبصرة ومن بالكوفة (أو غيرهم) ، أن يحجوا وهم فى بلدانهم ؟!..

---

(١) فى الأصل : ولا غيرهم .

(١) سورة آل عمران : الآية ٩٧ :

(٢) فى الأصل : ويمنا .

(٣) فى الأصل : بلا .

(٤) فى الأصل : معه .

(٥) فى الأصل : الف .

(٦) العبارة مكررة فى الأصل بداية من : لا ياتى مكة ..

ونحن نقول : إن الله ، جل ثناؤه ، لم يفرض الحجَ على من بالبصرة ولا على من بالكوفه ولا من غيرهم ، أن يحجوا وهم فى بلدانهم !.

ولكنا نسألك : هل يستطيع من بالبصرة ومن بالكوفة ومن بخراسان ، أن يقوم الرجل منهم فيرمى ، بالحجارة إلى رأس نخلة ، (أو إلى) رأس جداره ، ويطوف ببيته أشواطاً ، ويحلق رأسه ويشرب (من) بئره التى فى داره ، ويفعل ما أراد من مجئ أو ذهاب ، أو تكبير أو تهليل ، أو قول أو عمل أو ذبيحة ؟!..

فإن قلت : لا يقدر على ذلك أحد من أهل هذه البلدان التى سميت ، أكذبك جميع الناس، وخرجت من حد من تكلم . وبان جهلك .

وإن قلت : نعم ، هم يقدرون على ما ذكرتم ، هم وغيرهم من أهل البلدان .

١٢١و/ قلنا لك : فتلك الاستطاعة التى هى مركبة فى الآدمى بها يعمل ./ جميع المناسك إذا صار إلى مكة .. فإن قلت : إن الاستطاعةَ منه لا تكون إلا مع فعله . لزمك لنا أنك قد أقررت أن الاستطاعة ، قد كانت موجودة فيه فى بلده ، وإنما عليه المسير والمسافرة ، حتى يؤدى المناسك وفروض الحج بالاستطاعة ، التى أقررت أنها موجودة فيه ، قبل أن يخرج من بلده ، وقد قطعناك فى الاستطاعة، بما قد شرحاه فى صدر كتابنا هذا ، بما كان فيه الكفاية ، غير أنا لا نجد بداً كلما أعدت مسألة[1] أن نعيد الجواب فيها .

هل يستطيع الإنسان الكفر والإيمان فى وقت واحد؟

٢- وأما قولك لنا : هل يستطيع العباد الكفر والإيمان جميعاً؟.. فجوابنا : إن هذا قول محال؛ لأنه لا يجوز أنْ يكون القائم قاعداً ، والقاعد قائماً فى حالة واحدة .

ولكنا نقول : إن العباد يستطيعونَ أن يؤمنوا ويستطيعون أنْ لا يكفروا ، وإن دخلوا فى الإيمان وقبلوه ، ودانوا به ، استطاعوا بعد ذلك الخروج منه ، إن أرادوا ، لأنك تعلم كيف حُكْمُ الإسلامِ فى المرتد ، وهذا أكبر دليل ، على أن المؤمن يقدرُ أن يرتدَّ .

---

(١) فى الأصل : مسئله

وكذلك إذا دخل العبادُ في الشرك واعتقدوه ، استطاعوا تركَه والخروج منه إلى الإيمان ، وهذا مشاهدٌ معروف لا ينكره أحدٌ ، أن المؤمنَ إن شاء كفر ، وأن الكافر إذا شاء آمن ، وليس قولك : إن من علم الله [1] ، عز وجل ، منه الإيمان ، لايستطيع الكفر ، ومن علم منه الكفر ، لايستطيعُ الإيمان .. هذا القول الذى قلت لايجوز ، لأنه نفسُ الجبر ، الذى هو دينك ودين إخوانك، وليس هو دين الله ، عز وجل ، والشاهدُ على بطلان دعواك ، قولُ الله ، عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[2]، وقوله فى المنافقين : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[3].

افتراك ، ويحك ، ما تدبَّرت هذه الآيات قط ، ولاافكرتَ فيها ، وإلى برهان عدل الله، جل ثناؤه ، وبراءته من ذنوب الظالمين !.. وكأنك مارايت ولاسمعت بكافر أسلم ، ولا بمؤمن ارتد عن الإسلام ، ولم تسمع بحكم المرتد ولا بذكره فى القرآن !! .

ولا قوله ، عز وجال ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾[4] ، فذكر ، عز وجل ، أنهم يرتدون باختيارهم ويؤمنون باختيارهم ، لا جبراً ولا قسراً .

٣- **ومن الحجة فى قولك** : إن الله ، عز وجل ، خلق بعضَ الناس كافراً ، وبعضهم مؤمناً .. وهذا أعظم الفرية على الله ، جل ثناؤه ، وأوضحه رداً لكتابه .

فنقول لك عند ذلك : أخبرنا عن قول الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ ، زِيَادَةٌ فِي

---

(١) مكررة فى الأصل .

(٢) سورة النساء : الآية ٦٤ .

(٣) سورة التوبة : الآيات ٧٥ - ٧٧ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٥٤ .

الْكُفْرِ﴾[1] ، ما يريد بهذا القول ، وما هذه الزيادة التى ذكرأنها مزيودة [2] فى الكفر ، هل تلك الزيادة منه زادها فى ا لكفر ، أم هى من الكفار زادوها هم فى الكفر؟!..

١٢١ ظ/ فإن قلت : إن الله / عز وجل ، زادها فى الكفرَ .. قلنا لك : فأخبرنا عن خلقه لهذا الزيادة ، التى زادها فى الكفر ، زعمت ، بعد ما خلق الله الكفر ، عزَّ الله عما قلت ، كيف هى ، وما صورتها ، وأين المقدار الذى بان لك منها ، فى الزيادة فى نفس الكفر ، وهل هى موجودة أو لا ؟!!..

فان قلت : إنها موجودة محدودة ، من قبل زيادتها فى الكفر ، لزمك أن تعرفنا بها، حتى نعرفها ، كما عرفتها بعينها وحدودها !..

– وإن قلت : إنها ما زاد الكفار فى الشهود وما أحدثوا ، لزمك أنها فعل الكفار، لا فعل الله ، عز وجل ، إذ لم تأت على تلك الزيادة ببينةٍ ولا حجة ، ولا جسمٍ يحسُّ، وأنهم هم زادوها فى كفرهم ، أى أحدثوا إلى الكفر كفراً ، وذلك هو الحق.

– وإن قلت : إنها فعل الله ، عز وجل ، وخلقه ، لزمك أن ليس لله ، جل ثناؤه ، بين السموات والارض إلا فعل يُدركُ ويُحس ، ويعرف بعينه وحدوده ، ويبين بنفسه عن فعل بنى آدم ؟!!.

– وإن قلت : انه لا يدرك ولايُحس ولايُعرف . لزمك انه بصفة الواحد الذى ليس كمثله شئ ، ولا يقع عليه الحواس!...

لأن الله ، عز وجل ، أخبر نبيه ، صلى الله عليه ، عما أحدثت بنو كنانة [3] من مدركة فى الشهور ، حتى كانوا يرون الحج عاماً فى ذى الحجة ، وعاماً فى المحرم.

فقال الله ، عز وجل ، يخبر نبيه ، صلى الله عليه ، إن ذلك فعلهم لا فعلهُ ؛ فقال :

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣٧ .

(٢) هكذا فى الاصل ، والصواب مزيدة .

(٣) كنانه : قبيله عربية

﴿ يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾[1]، فلو كان هذا فعله ما عنفهم عليه، ولا عجَّبَ نبيه ، صلى الله عليه ، عنهم ، ولا أضاف ذلك الفعل إليهم !!.

فيلزمه أنه قد دخل فيما عاب ؛ لقوله ، عز وجل ،: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (١١٢) ﴾[2].

فصح وثبت أن الشئ الزائدَ فى الكفر ، هوفعلهم الذى زادوه فى الكفر ، لأن الكافرَ يمكنه الزيادة فى ظلمه وفجوره وكفره ، كما يمكن المؤمن الزيادة فى إيمانه ، لما يكسب من الخيرات والمسارعة فى طلب الدرجات ، وذلك كله فعل العباد لا فعل الله، عز وجل، وقد وجدنا العرب قد أقرت بذلك الذى زادت من النسئ، وتشرفت به ، وفخرت بفعله ، على غيرها من العرب فى الجاهلية ، وانتم أيها المجبرة تعذرونهم ، وتلزمونا لله ، عز وجل ، فعلهم ، وهم يفتخرون بذلك، ويضيفون فعلهم إلى أنفسهم لا إلى خالقهم .

قال شاعرهم :

ألیس النسئُ سنتنا علیکم ... بدعناه، ونحن المبدعونا

جعلنا الحج فى وقتين ... لما ملكنا الناس طراً خاضعينا

أفلا تراه كيف أضاف فعل النسئ إليهم، انهم هم أبدعوه وسنُّوه للناس ، وأن الله ، عز وجل ، لم يسنَّه ، ولم يبدعه ، وأنه ، جل ثناؤه ، برئ منه .

وقال الكميت بن زيد الأسدى [3] ، رحمه الله ، فى الإسلام ، يذكر النسئ ماكان من فعل عمر بن يحيى الكنانى .

١٢٢و/ ونحن الناسئون على معدٍ ... شهورهم الحرام إلى الحليل [4]

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣٧ .

(٢) سورة النساء : الآية ١١٢ .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) ذكر البيت ابو على القالى فى اماليه ولم ينسبه لاحد ١ / ٤ وهو من بحر الوافر .

أفلا تراه يذكر أنهم هم الذين فعلوا النسئ ، وان الله ، عز وجل ، لم يفعله وأنه ، تبارك وتعالى ، قد أوضح فى كتابه انه برئ من النسئ ، وأنهم هم الذين أبدعوه ، ولذلك حرَّمه وأبطله وعاب على فاعله وذمّه ، وأمرَ نبيه ، صلى الله عليه ، بالحج المستقيم ، والحق الذى هوخلاف النسئ وانت تزعم أن الله ، عز وجل ، أراد كفر الكفار ، وخلقه وقضاه !!.. عز الله وجل عما قلت وعلا علواً كبيراً .

ألا تسمع إليه كيف يقول - عز وجل : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾(١)، افلا تسمعه ، عز وجل ، يخبر بمضادتهم له ، مخالفتهم إرادته .

أهذا قول من فعل فعلهم ، أو قول من قدَّره عليهم ؟!..

سبحان الله العظيم ، ما أعظم ما قلتم، وأبين جهلكم وفريتكم عليه ، عز الله ، عز وجل، عن ذلك وعلا علواً كبيراً .

ثم قال ، جل ثناؤه : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (١٤٧) ﴾(٢)، اهذا قول من جعلهم كفاراً ، ثم قال عز وجل : ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾(٣) ، فهل رأيت حكيماً قط فعل فعلاً ، وهو لا يريد ذلك الفعل ؟!..

كأنك لم تسمعه ، عز وجل ، حيث يقول : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣) ﴾(٤)، أفلا ترى أيها الهالك فى دينه المفترى على ربه ، أنَّ الفريقين جميعاً هما اللذان (٥) اتبعا ما أرادا وما اختارا لأنفسهما ، وحكى الله عنهما ، ولم يقل فى نفسه ، جل ثناؤه ، أنه جعلهما على تلك المنزلتين ، ولا قدَّر عَليهما تلك الحالتين ، إلا الأمر والنهى ؟!.. قدوس قدوس رب الملائكة والروح .

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣٧ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٤٧ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٤٨

(٤) سورة محمد : الآية ٣ .

(٥) فى الأصل : الذان .

ونحن نسألك فنقول : أخبرنا عن رجل سرق من صندوق رجل مائة [1] دينار ، فلما صار بها فى بعض الطريق ، سقط منها خمسون ديناراً ، فلما أصبحَ ظفر به وأخذه ، فقال الرجل له : أين الدنانير ؟..

مثل للإيضاح :

قال : ضاعت منى ، ولم يبق معى إلا هذه الخمسون الباقية ، فجاء به الرجل الى قاضيكم ، فاستعدى عليه ، وطالبه بالمائة دينار كلها . فقال الرجل السارق : الله ، عز وجل ، هو الذى قضى [2] عليَّ بسرقة هذه الدنانير ، وهو الذى أذهب نصفها، وهو الذى ترك معى نصفها وليس على لوم! .

فنقول لك : ما قولك فيما يقول قاضيكم فى هذا الحكم ، هل يلزم الرجل السارق المائة كلها ، أو يقبل منه الخمسين ، ويسقط عنه غرامة الخمسين الأخرى ؟!..

فإن قلت : يقبل منه . لزمك أن قاضيكم أعدل، عندكم، حكماً من الله ، عز
١٢٢ظ/ وجل، الذى ألزم السارق المائة دينار كلها ، ولزمكم ان قاضيكم قد حكم . بخلاف حكم النبى ، صلى الله عليه ، وبخلاف أحكام قضاة الإسلام ، مع ما يلزمك فى قطع يده ، وفريتك على ربك ، وإلزامك ، له سرقة السارق ، وأنه خلق فعله، وقضاه وقدره وأراده ، ثم أمر بقطع يده ! .

وهكذا أخبرنا ، عز وجل ، عن عمل الشيطان بالانسان ، حيث يقول : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[3]، فوصفتم الله ، عز وجل، فى الجور والظلم لعباده، بصفة الشيطان وما يفعل بحزبه الكافرين !!.. سبحانه الله العظيم العلى عن قولكم .

وإن قلت : إن القاضى لا يسمع دعواه ، ولا ينظر فى حجته ، فإنه يغرِّمه الخمسين التى ضاعت منه، ولم يقبل [4] قوله : إن الله ، عز وجل، هو الذى قضى عليه سرقة المائة الدينار .

---

(١) فى الأصل : مئة .

(٢) فى الأصل : قضا .

(٣) سورة الحشر : آية ١٦ ، أخطا المؤلف فى ذكرها .

(٤) فى الأصل : ولم يقبل .

قلنا لك : فكيف يجوز أنه يغرّمه وحده المائة الدينار ، وقد صح أنه معه آخذاً آخر أعانه على أخذ الدنانير ، وقدَّره على سرقته ، ولم يخل فعله الذى شايعه وقدره عليه ، وأراد منه ما صنع وهو الفاعل لفعله ، والخالق لتلك السرقة والمريد لها؟!.

فكيف يلزمه قاضيكم المائة الدينار كلها ، وقد صح له أنه معه غيره ؟.. والواجب عليه في العدل أن يغرَّمه نصفها ، ويغرم الذى صح عنده أنه غير برئ من فعل هذا السارق نصفها الآخر ؛ لأن هذا هو العدل . فاختر أى ذلك شئت !.

فأيهما ما قلتَ به سقطتْ دعواك ، وبطلت حجتك ، والحمد لله رب العالمين .

***

الاحتجاج بآية البغاء على عدل الله :

وقد قال الله ، عز وجل ، ما يشهد للعدل، وظهور حجتنا على حجتكم ، قوله عز وجل : ﴿ **وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾** ﴾(1) .

فلو كان الله ، عز وجل ، هو الذى أراد منهن الفجور ، وقضاه عليهن، وخلقه من فعلهن ، ما نهاهم عن إكراههن على الفجور.. وكيف ينهاهم عن إكراههن على شئ أراده وقدَّره وخلقه ؟!..

سبحانه الله العلى العظيم ، ما أشنع هذا القول، وأفسد حجة من ادعاه .

وأما قوله : ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾** ﴾ ، فقد جاء فى التأويل ، إن ذلك يخرج على وجهين :

١- أما أحداهما : فإنه ، عز وجل ، يقول : ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾** ﴾، لمن كف عن إكراههن وتاب، فإنه يغفر له ما قد مضى من إكراههن ، إذا صحت توبته .

٢- والوجه الآخر : فقوله : ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾** ﴾، يعنى بهن

---

(١) سورة النور : الآية ٣٣ .

إذا حملوهن من الإكراه على الفجور على ما لايُردنَ، والاول احبُ الوجهين إلينا ، والحمد لله رب العالمين.

مقالة العباد بين الحقيقة والافتراء :

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم هل كلفكم الله، تعالى، ان تعلموا انكم ١٢٣و/ مخلوقون، وتعلموا ان الله خلقكم ونهاكم ان تروا انكم خالقون ، أو ترون ان الله مخلوق ؟ . . /

فان قالوا : نعم. فقل : هل تقدرون على ان تروا ان الله مخلوق، وانكم خالقون؟ .. فإن قالوا: نعم[1] . .

فقل : أفليس تقدرون، وتستطيعون أن تروا انكم خلقتم السموات والأرضين، وما فيهن ، وتقدرون وتستطيعون أن تروا ربكم دابة من الدواب وانه مخلوق ؟! . .

فان قالوا : نعم . فقد اعطوك أنهم يقدرون على ذلك، فما تريد منهم بعد هذا؟! . .

وأى فرية أعظم من هذه الفرية ، من ان يقول عبدٌ : إنى اقدر واستطيع وأرى انى خلقت كل شئ!! . . حتى يكون ذلك مبلغهم من العلم ، وأرى أن خالقى دابة أو شجرة، وأنى خلقته وصنعته !!

رد أحمد بن يحيى : هناك فرق بين قول الحقيقة وادعائها :

الجواب قال أحمد بن يحيى : صلوات الله عليهما ، جل الله وعزّ وجل وتقدس عما قلت ، وإليه من الفرية اضفت ، فقد فهمنا ما ذكرت وقلت ، ولسنا نقول ما قلت من القول الشنيع . فاسمع جواب مسألتك هذه ، واصغَ إليها ، فإنك قد اهلكت اتباعك وافسدت عليهم دينهم ، فلا يُبعد الله إلا من ظلم .

ونحن نقول فيها : إن الخلق كلهم يقدرون ويستطيعون، ان يقولوا فى الله ، عز وجل ، من القول القبيح، والصفة الفاحشة الشنيعة ما ذكرت ؛ لان ذلك يمكنهم

---

(١) من عندنا وليست فى الأصل .

ويستطيعونه ، كما استطعتموه من إلزامكم له شرك المشركين ، وكفر الكافرين ، وخلق زنا الزناة ، وسرقة السُّرّاقُ ، وغير ذلك من جميع المعاصى ، فالخلق يقدرون على أن يقولوه قولاً بألسنتهم وأهوائهم ، إن أحبوا ذلك ، لم يَحُلْ بينه وبينهم حائل ، لما كان الأمر من الله ، سبحانه ، تخييراً لا جبراً ، فافهم هذا القول .

وأما أن يقدروا ويستطيعوا أن يروا فى أنفسهم ، بالحقيقة ، أنهم خلقوا السموات والأرضين ،وأنهم خلقوا الأشياء التى ذكرت ، وأن صانعهم دابة وشجرة ، زعمت ، هذا مالا يجوز ولا تقبله العقول ، لأن عقولهم المركبة فيهم، لا تدلهم أبداً على أن يدَّعوا فعل ما لم يفعلوا إذا تركوا المكابرة ، لأنه صحيح فى عقولهم ، وعند أنفسهم بالحقيقة ، أنهم لم يفعلوا إلا ما فعلوه ، فافهم هذا الباب .

ولكنهم يقدرون أن يقولوا أنهم خلقوا السموات والأرض قولا بألسنتهم ، وهم يعلمون عند الصدق لعقولهم ، أنهم قد كذبوا وقالوا الباطل للحقيقة المتقررة فى أنفسهم ، أنهم يعجزون عن جميع ما ذكرت . فليس أحد يرى فى نفسه إذا صدّقها ، أنه فعل أمراً لم يفعله .

فأما القول باللسان ، فهو يمكنهم ، كما أمكنك أن قلت على الله عز وجل ، الفرية والكذب .. واحتججتَ على أهل العدل بخلاف ما فى كتابه ، أما خلق الأفك فذلك جائـز أن يفعلـه أهل الإفك ويخلقوه ، وخلقهم له هو فعلهم ، وذلك جائز فى اللغة العربية أن يسموا صنعهم خلقاً ، وكلُ صانع لشئ فهو خالقٌ له ، ولذلك لم يجُزْ على الله. عز وجل، ١٢٣ظ/ خلق غيره ولا صنع غيره ، قال الكميت بن زيد :

أرادو أن تبـدل خالقـات   أديمهـم بعـس ويعتدينـا [١] .

والخالقات عند العرب النساءَ الدابغات للأدم ، وهن الفاريات للأدم أيضاً .

وقال زهير بن أبى سلمى [٢] يمدحُ هرم بن سنان بن أبى حارثة الغطفانى

---

(١) البيت : لم أجده فى ديوان الكميت : وهو من بحر الوافر .

(٢) **زهير بن أبى سلمى** : زهير بن أبى سلمى بن ربيعة المزنى ، من مضر : حكيم الشعراء فى الجاهلية ، له أخت شاعرة ، وولداه كعب وبجير شاعرين ، عرف عنه تنقيح الشعر حتى صارت له قصائد تسمى الحوليات ، وأشهر شعره «أمن أم أو فى دمنة لم تكلم».. طبع ديونه عدة مرات ، وتوفى سنة ١٣ ق.هـ. انظر ترجمته فى الزركلى : الأعلام ٢ / ٥٢ ، وكذلك الأغانى ١٠ /٢٨٨ - ٣٢٤.

وأراكَ تفــــرى مــــا خلقـــــتَ   وبعضُ القوم يخلقُ ثُمَّ لايَفْرى [1]

فهذا الشاهد من لغة العرب ، والذى قلت فامر لايجوز أن يرى العباد أنهم خلقوا ما لم يخلقوا ، لأن هذا أمر مستحيل ، وإذا استحالت الأشياء فى عقول الخلق ، كما وصفت ، سقطت عنهم الحجة ، لما دخلَ فى العقول من الفساد .

فأما أن يقولوا قولاً بالمكابرة والظلم واتباع الهوى ، وهم يعلمون عند أنفسهم غيره، فذلك الصحيح فى عقولهم ، فهذا ما لا يجوز غيره . فافهم ما قلنا ، فإن الحق لا يشوبه الباطل .

هل يحول علم الله بين الإنسان والإيمان والطاعة :

ومن الحجة لنا عليك فى أن العباد يستطيعون ، ويقدرون أن لا يعلم الله ، عز وجل ، منهم الكفرولا الشرك ولا شيئاً من جميع الظلم .

قوله لنبيه ، صلى الله عليه : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[2] ، فنقول لك : أخبرنا عن هذه الآية أهى على الحقيقة من قول الله ، عز وجل ، أنه أرسل رسوله إلى الناس جميعاً ، أم هى آية يجوز تأويلها عندكم ، أنها إلى بعض الناس دون بعض ؟.

فإن قلت : نعم ، إنه يجوز أن يكون تأويلها إلى بعض الناس ، دون بعض .. أكذبك جميع أهل القبلة من الفرق كلها ، وأكذبك الله ، عز وجل ، بقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾[3] ، والكافة فى لغة العرب هى العامَّة للكل ، لا خصوص فيها .

ثم نقول لك : أخبرنا هل أراد رسول الله ، صلى الله عليه ، من الخلق كلهم أن يجيبوا دعوته ، ويدخلوا فى الإسلام ، حتى لا يتخلف منهم أحد ، أم لم يُرد ذلك ؟ وهل أمره الله ، عز وجل ، بدعاء الجميع ، أم لم يأمره إلا بدعاء البعض ؟! .

---

(١) والبيت فى ديوانه ، ص٩٤ ، وجمهرة أشعار العرب القرشى ٢ / ٢٤٠ . وفى اللسان ١١ / ٣٧٥، وجاء على هذا النحو:

ولأنت تفرى ما خلقتَ   وبعضُ القومِ يخلُق ثم لا يَفرى.

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .

(٣) سورة سبأ : الآية ٢٨ .

فان قلت : إن الله ، عز وجل ، أمره بدعاء البعض دون البعض ، كان هذا هو الكفر، والرد للقرآن صراحاً .

وإن قلت : إن الله ، جل ثناؤه، قد أمرَ بدعاء الناسِ جميعاً إلى الاسلام على ما نجده منصوصاً فى القرآن ، وأراد ذلك منهم رسول الله ، صلى الله عليه ، لزمكَ ان الله ، عز وجل، أرادَ ذلك منهم (و) رسول الله صلى الله عليه .. (و) لزمك ان الله ، عز وجل ، أرادَ إسلامهم كلهم ، وبطل قولك وسقطت حجتك ، ان ، زعمت ، أرادَ منهم الكفر، لعلمهِ انهم لا يومنون!..

ولو كان ما قلت حقاً ، لم يقل لهم رسول الله ، صلى الله عليه ، عن الله ، جل ثناؤه: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾(١)، ولم يُقم الرسول ، صلى الله عليه ، على كلهم الحجة، وقد علم أن منهم من لايؤمن ، وأن الله ، عز وجل ، قد علم ان منهم من لايؤمن ، فقد صح أن العلم ليس هو الذى منعهم، ولا حال بينهم وبين الطاعة ، وفى أقل من هذا كفاية لقوم يعقلون ، والحمد لله رب العالمين .

١٢٤و / ومن الحجة عليكم أيها المجبرة فى قولكم / إن الله ، تبارك وتعالى ، خلق الكفرَ والشركَ والزنا واللواط ، وقتل الأنبياء وأئمة الهدى ، وقطع الطرق وجميع الفواحش والكذب .

ان نقول لكم : اخبرونا كيف جوابكم للزنادقة واليهود والنصارى ، إذا سألوكم فقالوا لكم : نحن نجد فى كتابكم ، وتحتجون علينا ، ان ربكم قال لنبيكم : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾(٢)؟.. يخبر أنه لا خالق معه ، يخلق ما خلق ، وانه هو الذى خلق ، وانه لا خالق معه يخترع الأشياء ، ويقدر على الأشياء ، أليس هذا هو خالق عندكم وفى كتابكم ؟!.. فلابد لكم من نعم .

فإذا قلتم ذلك ؛ قالوا لكم : فاخبرونا الآنُ عن قوله ، يضيف إلى عباده : ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾(٣)، نجد هذا فى كتابكم .. افليس هذا القول قد دَلَّ على ان ثم خالقاً آخرَ غيره ، يخلق الإفك؟!

---

(١) سورة الاعراف : الآية ١٥٨ .

(٢) سورة فاطر : الآية ٣ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

هذا نجده فى قرآنكم ، الذى تدعون أنه من عند حكيم عادل ، حيث يقول : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾[١]، هذا ، زعمتم ، فى قرآنكم، فلابُدَّ لكم أن تجيبوهم بنعم !/

فيقول لكم السائل عند ذلك : فأىُّ اختلاف يكون أعظم من هذا الاختلاف ، وأى مناقضة ؟!!...

ثم قال يعنف قوماً ، فقال لهم : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ ، فلابد لكم، إنكم قد لزمتكم المناقضة والاختلاف ؛ لأن هذا بيِّنٌ واضحٌ فى القرآن ، لاحيلةَ لكم فى دفعه ولا ردِّه.
فإن قلتم لهم : كلُّهُ خلق الله ، عز وجل ، وفعله هو خلق الإفك ، وغيره مما خلق الله ، مثل السموات والأرض والشمس والقمر وغير ذلك ، لزمكم أنَّ قولَه : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾، ينقض قولُه: ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ !.. ويفلجكم خصماؤكم من اليهود ومن النصارى والزنادقة وجميع ، من خالفكم ، لابدَّ لكم أن تخلصوا منهم بحجة ، فإن جسرتم على أن تقولوا : إن الله خلق الإفك ، وغيره من جميع الظلم ، لزمكم فى ذلك خصلتان فاضحتان .

١- أما واحدة : فيجب عليكم أن القرآن يختلف ويتناقضُ .
٢- والخصلة الأخرى: فيلزمكم أنكم جعلتم خالقكم فى عداد الكذابين ، الذين يفعلون الإفك ويلزمونه غيرهم ، ممن لم يفعله .

فلا يزال الكلام يُكررُ عليكم أبداً ، ويدخل عليكم فى التوحيد وحكمة الحكيم وعدل العادل ، الفساد والوهن ، والخلل الذى لابعده من العبث أبداً ، حتى ترجعوا عن قولكم ، وإلا بان كفركُم ، فتقرروا أن الذين خلقوا الإفك هم العباد ، الذين لاطاقة لهم بخلق شئ من جميع الأشياء ، (إلا) الإفك والمعاصى ، وما أتوه من العدوان، الذى اختاروه ، وأنهم لايقدرون على خلق شئ ، غير المعاصى التى من فعلهم ، ولما أرادوا خلق خردلة ما قدروا عليها ؟!.. لأن ذلك ليس فى قوتهم ، وخلق الإفك وجميع المعاصى فى قوتهم ، وهم فى ذلك مخيرون تخييراً .

فإما أنْ يقدروا على خلق شئ غير ذلك ، فيخرجوه من بعده إلى (العجز)[٢]

---

(١) سورة النساء : الآية ٨٢ .

(٢) مكان هذه الكلمة بياض فى الأصل .

١٢٤ظ/ فلا سبيل لهم إليه ، والدليل على / ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) ﴾[١] .

وإن الله ، جل ثناؤه ، هو الخالق القوى القادر ، الذى يخترع الأشياء فيحدثها ، ويخرجها من العدم إلى الوجود ، فذلك الاختراع والابتداع، لما لم يكن شيئاً موجوداً ، هو الخلق الذى خلقه الله ، عز وجل ، لا خالق له معه ، ولا مشارك له فيه ، ولا صانع له معه .

وأما اكتساب بنى آدم ، فذلك خلقهم الذى هو حركاتهم المتولدة من قواهم ، وقواهم هى الاستطاعة المركبة فيهم التى يسالون عنها ، ولا يعاقبون عليها ولا عيب فيها ؛ لأن ذلك فعله ، جل ثناؤه ، الذى قال فيه : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣) ﴾[٢]، وإنما عاب عليهم ، وعاقبهم ولزمتهم له الحجة فى الحركات التى اكتسبوا بها المعاصى ، واختاروا ذلك الاكتساب باتباع الهوى ، والأثرة لعلها جُلُّ الدنيا .

***

(١) سورة الحج : الآيتان ٧٣ - ٧٤ .

(٢) سورة الأنبياء : ٢٣

المسألة التاسعة عشرة

فى تفسر قوله : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

وليس نجد ، نحن ولا أنتم ، ها هنا خلقاً مخلوقاً محاطاً به ، خلَقَهُ العبادُ إلا حركاتهم ، وليست تلك الحركات خلقاً لله ، جل ثناؤه ، ولا فعلاً ، ولو كانت الحركات خلقه وفعله ، لكان بالصحة الصحيحة الشاتم لنفسه ، والمدعى لنفسه الأولاد والصواحب والأنداد ، والشركاء والأضداد ! .

ولو كان كما قلتم ، لكان القاتل لرسله والسافك لدمائهم ، والواضع للسيوف لهم فى رؤسهم ، والقاتل للائمة الراشدين والشهداء والصالحين والمؤمنين ، ولكان الفاعل لكل ظلم وكفر ، وجور فى الأرض ، مما كرهه ونهى عنه ، وعابه وعنّف عليه وأعدَّ عليه ، النيران والعذاب الأليم، الذى لا انقطاع له ، وجعله [1] فيه من الأحكام فى الدنيا من القتل والصلب ، وقطع الأيدى والأرجل ، وسائر الحدود ما عظم فيه النكال، وجل عن كل مقال ، فتبارك الله أحسن الخالقين ؛ العدل الرؤف الرحيم البرئ مما قلتم، والمتعالى عما إليه أسندتم .

أفيكون بهذا ، ويحك، يا عبد الله بن يزيد البغدادى، من النكال فى الدنيا والآخرة، صفة من فعل شيئاً بقومٍ وأرادَه منهم ، وخلقه من فعلهم ، وسمّى نفسه عادلاً وحكيماً ورحيماً، وأنه لايظلم ولايجور ! .. فهذه صفةُ خالقكَ عندك وهذا تقديره وحكمته ! .. جل الله وتعالى ، وتقدس عما قلتم علواً كبيراً .

فان قلتم : إنه قال ، عز وجل ، فى كتاب الله : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[2] ، فلذلك ألزمناه خلق كل شئ .

قلنا لك : أيها المغرور فى دينه ، الذى لم يلقَ العلماء ، ولم يغترف من عين الماء ، ١٢٥و/ إن القرآن عزيز مبين ، عظيم القدر ، واضح المنازل ، زاهى السراج ، وليس / هو بعجمى ولاغبى ، ولاخافى المعانى ، عن أهل العلم ، وأهل اللغة العربية والبيان وورثة الحكمة من أهل بيت النبوة ، عليهم السلام .

---

(١) فى الأصل : وجعله .

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٠٢ .

من المجاز اللغوى :

ألا ترى أن العرب تقول : دخلنا السوق فوجدنا فيه من كل شئ ، وهم لم يجدوا فيه رسول الله ، ﷺ ، وهو من أعظم الأشياء!..

وكذلك لم يجدوا فيه من مات من المؤمنين ولا من أبائهم وإخوانهم ، وكذلك لم يجدوا فيه قطع السحاب ، ولا نجوم السماء ، وهذه أشياء لم يجدوها !.. فجاز ذلك فى اللغة .

وتقول العرب : دعانا فلانٌ إلى منزله فأطعمنا من كل شئ ، وهو لم يطعمهم لحم خنزير ، ولا لحم الأسود ، ولا لحم الإنسان ، ولا لحم الحيات ، فجاز ذلك فى اللغة أنه أطعمهم من كل شئ ، وهذه أشياء لم يطعمهم إياها !..

تعميم الخاص فى اللغة :

تقول العرب : من الخصوص فى الكلام مانجعله عاماً ، وإنما نزل القرآن بلغاتهم المعروفة ، وشاهد ذلك قول الله ، عز وجل، : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[1] ، والدليل على صدق قولنا كتاب الله ، عز وجل ، حيث قال فى ملكة سبأ : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) ﴾[2] ، فنقول لكم : هل أوتيت شمساً وقمراً ونجوماً وسماء وأرضا وجنة وناراً ؟!.. أو هل أوتيت فرجاً كفرج الرجل ، أو لحية كلحية الرجل ،وهل أوتيت ولداً من غير فحلٍ ؟!... فكل هذه أشياء لم تؤتها ، بإجماع الخلق كلهم ، وقد قال الله ، عز وجل ، فيها : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) ﴾. وهذه أشياء كثيرة لم تؤتها ، وكفى بهذا بياناً وحجةً قاطعة لدعواكم.

وكذلك قوله ، عز وجل : ﴿ واللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[3] ، إنما عنى به مما خلق خاصة ، ولم يعن بذلك الشرك ولا الكفر ولا الإفك ولا سائر المعاصى ، التى خلقها العباد وهو البرئ من ذلك ، عز وجل .

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٤ .

(٢) سورة النمل : الآية ٢٣ .

(٣) سورة الزمر : الآية ٦٢ .

مثال مفهوم النفس بين الله والإنسان :

والدليل لنا على ذلك ايضاً قوله ، عز وجل ، ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] .. فاخبر ان له نفساً ، عز وتعالى ، ثم قال بعد ذلك : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[2] ، فاجمل ها هنا ان كل نفس ذائقة الموت ، ولم يستثن نفساً بعينها ، فلو وجب ما قلتم في خلق الأشياء ، لوجب في النفس ها هنا ، مثل ما ادعيتم ! .. جل الله وتعالى عما تقولون علواً كبيراً .

وقوله ، عز وجل : ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾[3]، ثم قال : ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ﴾[4]، فدل بذلك إنما خص الريح أنها دمرت بعض الأشياء، لا كلها ، بعدما قال : « تدمر كل شئ » ، يعني ، عز وجل ، وما أرسلت عليه خاصة لا عامة ، الا ترى أنها تدمر مساكنهم ، وأنها لم تدمر السماء ولا الأرض، ولا الجبال ولا النبي هوداً ، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ، ولا من كان
١٢٥ظ/ معه من المؤمنين، وان الآية خاصة دون عامة ، وان الآية توجب عليكم في / قول الله ، عز وجل : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ انه يعني ، عز وجل ، مما خلق هو وصنع وابتدع ، لا ظلم الظالمين، ولاجور الجائرين ، فجعل ذلك خصوصاً في خلقه المنفرد به لاعموماً خلق غيره ، وعذب عليه فاعله . فهذا اكبردليل ، واوضح حجة ، واقطع لكل مفتر .

﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ .. ﴾ :

وقوله ، عز وجل : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[5]، فقالوا: انطقنا الله الذى انطق كل شئ، وهو خلقكم اول مرة ، واراد الله ، عز وجل ، بهذا خاصاً دون عام ، لانه لم ينطق الجبال ولا الأشجار ، ولا البهائم ولا كثيراً مما خلق، وإنما هذا خصوص من دون عموم .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٣٠ .
(٢) سورة آل عمران : الآية ١٨٥ .
(٣) سورة الاحقاف : الآية ٢٥ .
(٤) سورة الاحقاف : الآية نفسها .
(٥) سورة فصلت : الآية ٢١.

مثل قوله ، عز وجل : ﴿والله خالق كل شيء﴾، فالكفر ليس هو غير ما ذكرنا لك ، من حركات بني آدم واعتقاد قلوبهم ، لا شئ غير ذلك ، ولا تجده أبداً ، لا أنت ولا أخوانك المجبرة ؛ لأنك سميت كفراً مخلوقاً ، لا حجة لك عليه ولا برهان ، إذ لا يدركُ ببصر ولا يلمس ولا يُحاط به بقطر ، حتى يُعرف ويميز خلق الله ، عز وجل ، من خلق بني ادم .

فقد جاءك في هذا من البيان والحجة من كتاب الله ، عز وجل ، ما في أقل منه أكفى [1] الكفاية ، وجاءك من لغة العرب ما فيه البيان .

قال الشاعر ، يمدح رجلاً :

فلو كانَ للشكرِ حَدٌّ يُحَدُّ   إذا ما تأملهُ الناظر
لصورتُه لك حتى تَراهُ   فتعلم أني امرؤ شاكرُ [2]

فقدعلمت العرب أن ليس للشكر حدٌّ يُدرك ، ولا صورة تنال ، حتى يعرف الشكر بتلك الصورة ، فلا حد له يوقف عليه ، غير حركات بني آدم ، من شكر اللسان والمكافاة بالفعل الذي هو حركة أيضاً ، ولايُعرف للشكر معنى آخر ، غير ذلك إلا اعتقاد القلب .

وكذلك الكفر مثله سواء ، وجميع الأفعال ، ولو كان الشكر الذي عنى [3] الشاعر، انه يريد أن يشكر به ملكاً من ملوك الظالمين المعاندين لله، عز وجل ، هو مخلوق ، لكان الله ، عز وجل ، هو الشاكر للملوك المشركين ، والكافرين المعاندين له بعد قوله : ﴿فإنَّ اللهَ عدوٌّ للكافرين ۝٩٨﴾[4]، والعدو لا يشكر عدوَّه ، في سبب من جميع الاسباب ، ولا يشكره على لسان غيره ، ولا يصح هذا في العقول أبداً ، وكفى [5] بهذا حجة .

إلا أن تقول ، أنت يا عبد الله بن يزيد البغدادي ، وإخوانك المجبرة : إن جميع

---

(١) في الأصل : اكفا .
(٢) البيتان من بحر المتقارب .
(٣) في الاصل : عنا .
(٤) سورة البقرة :الآية ٩٨ .
(٥) في الاصل : وكفا .

ما سمينا من الشرك والكفر والفواحش ، والقتل والزنا والخنا واللواط والكذب، والإفك وجميع الجور والظلم ، هو شئ مخلوق موجود ، إلا انه لا تراه العيون، ولاتدركه الحواس ، ولا تناله الجوارح ، ولا تلمسه الايدى ولا تحيط به الاقطار.

فنقول لك عند ذلك : فإنه يلزمك فى هذا القول فسادان عظيمان ، وكفران اثنان، فى كليهما بطلان دعواك ، وبيان كذبك ونقض فريتك وفضيحتك.

١٢٦ و/ (١) اما أحدهما : فيلزمك انك قد اثبت شيئاً لا تدركه الابصار ، ولا تلمسه الأيدى ، ولا / تقع عليه الخواطر ، ولا الاماكن ، ولايُدرى ما كنهه ، فيبطل عليك قولك بالتوحيد ؛ لانك قد ادعيت موحداً ! . .

(٢) ثانياً : فيه صفة معبودك الذى وجدته ، فزعمت ان هذا الآخر نظير له ، ونِدٌّ لا تدركه الحواس ، ولا تناله الخواطر ، ولا تحويه الاماكن ، فيفسد عليك دعواك فى التوحيد ، وتكفر بهذا القول الذى وصفت به افعال العباد .

يلزمك أنك قد وجدت شيئاً آخر ، غير الذى ليس كمثله شئ ، وكفى بهذا جهلاً وعمى [1] وفضيحة ، على من زعم انه يقول بالتوحيد .

لا توحيد بغير عدل :

وقد اعلمناك ان لا قوام لقائل بتوحيد الله ، عز وجل ، ولا ينفع ذلك دون القول بالعدل ، لانه من زعم ان الله ، عز وجل ، فعل شيئاً مما كره ، او خلق شيئاً مما عنه نهى [2] ، او دخل فيما عاب ، او عاقب على فعل نفسه ، او غضب من إرادته ، او عنَّف احداً على خلقه ، كان هذا غاية التشبية .

وانه لم يفرق بينه وبين خلقه ، وقد شبهه بالجائرين والجاهلين والعبَّاثين ، والجورة المتعنتين والمفسدين ، وكم ينفعه ما ادعى من التوحيد ، ولم يستحق اسم موحِّد لما قد قرنه به ، عز وجل ، من الجبر والتجوير والتشبيه بالظالمين ، والتسوية بينه وبين الشيطان الرجيم فى العداوة للخلق، وإرادة المعاصى منهم، وحملهم على ما يهلكهم ،

---

(١) فى الاصل : وكفا .. وعما .

(٢) فى الاصل : نها .

ويورثهم الخلود فى النار أبداً الأبيد ، سبحانه الله العظيم رب العرش الكريم، الحكيم العادل الرحيم عما قلتم ، وبه دنتم ، وفيه ناظرتم ، وبه إلينا كتبتم ، وعنه سألتم ، وفيه لعنتم .

فهذا جوابنا لكم ، فى نقض جميع ما قصدتم ، من الفرية على رب العالمين ، فصرتم له خصماء ، ولحزبه أعداء ، وعن طاعته عُنداء ، ولمن خالفه أولياء ، فالحمد لله ، الذى حجب الحق ، بشواهد العدل ، وأوضح القرآن ، وشافى البيان ، عن كيد الكائدين ومعاندة المعاندين ، وإلحاد الملحدين.

***

براءة يوسف من جهالات الجبرة:

وأما ما ذكرت من يوسف النبى ، صلى الله عليه ، فإن يوسف لم يعص الله ، عز وجل ، ولم يهم له بمعصية ، على ما ذهبتم إليه ، ولو كان هَمَّ له بمعصية . لم يقل فيه من جميل الثناء والمدح والشكر ، ما لا يزال يُقرأ أبداً ، حتى تزول الدنيا ، وتَزْلُفُ الآخرة من قوله ، عز وجل، : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) ﴾[١] .

الصرافة:

وليس يكون المخلص ، من هَمَّ بفعل فاحشة ، والصرف من الله ، تبارك وتعالى ، وأنه يَرَّأه (من) الظلم ، وحمده على ما اختار ، ولم يجبره على اعتزال المرأة جبراً ، فلا يجب له حمد ولا أجر .

وليس لله ، جل ثناؤه ، يفعلُ فعل العباد من الطاعة ، ولا من المعصية ، ولا يجوز ذلك ، ولا يكون أبداً ولا كان فيما مضى[٢]؛ لما فى ذلك من فساد الحكمة ، ووجوب القهر والختم .

وقد احتججنا عليك فى ذلك ، بما جُزءٌ منه فيه يكفى، من عقل وأنصف، وخاف

---

(١) سورة يوسف : الآية ٢٤ .

(٢) فى الأصل : معنا .

عـذاب الآخـرة : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ
١٢٦ط / لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) / وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨) ﴾[1]، فسعد من سعد باكتسابه ، وشقى من شقى باكتسابه، لا حتماً ولا جبراً .

قاعــدة :

وقد قالت الحكماء [2] : **استعمال النظر فيما لا يدرك علمه من دين الله ، عز وجل، إلا من جهة الجبر ، جهل وبائن عن الصواب ، وكـذلك استعمال الجبر فيما لايردك علمه من دين الله ، عز وجل، إلا من جهة النظر ، جهل وبائن عن الصواب .**

فليتـق الله من نظـر فى كتابنا هذا ، وليُعمل الفكر فيه ، فإنَّ الإقـدام على النـار ، الخطر العظيم ، وما بعد الحق لا الضلال ، والله ولى المتقين .

***

التكليـف قـدر الطاقـة :

ثم قال **عبدا الله بن يزيد البغدادى** : ثم سلهم عمن ذكر الله ، عز وجل ، فى الكتاب أنهم لايعلمون ولايعقلون ولايبصرون ، أحق ذلك من الله؟

فان قالوا : نعم . فقل : كيف وانتم تزعمون انهم يعلمون ما يعلم الأنبياء ، والله يصفهم بغير ذلك؟ . .

وانهم إن قالوا : إنهم لا يدركونه إلا بالفعل حتى يفكروا . . فقل : افليس توسعون لهم حتى يكفروا ؟ . . وإلى أى وقت يفكرون ؟ . . كم هو ؟! أساعة أم ساعتان ؟ . .

فإنهم لن يفيدوا لك أيضاً هذا ؛ لأنهم إن وسعوا له ساعة ، وسعوا له ساعتين أو يوماً وسعوا له يومين ، وليس لهذا وقت عندهم . . وسيفرُّون من هذا الكلام ، واعلم

---

(١) سورة هود : الايات ١٠٣ - ١٠٨ .

(٢) يعنى الفلاسفة المسلمين . . اهل النظر من المتكلمين .

انك لن تسالهم عن شئ، اشد عليهم من هذا واشباهه ، ولانهم يقولون : لا يكلفُ اللهُ الناسَ إلا ما يستطيعون .

رد أحمد بن يحيى :

١- الجواب قال قال **أحمد بن يحيى** ، صلوات الله عليهما وعلى آبائه الطاهرين : **إن الله** ، تبارك وتعالى ، أعطى [1] خلقه الاستطاعة التى ركبها فيهم ، **من الحواس الخمس ، والعقول التى بها يعرفون الخير من الشر ، والحق من الباطل ، والصواب من الخطأ** ، ثم **أرسل إليهم الرسل** ، وانزل عليهم الكتب ، وافترض عليهم الطاعة ، وندبهم إلى الجنة وحذّرهم النارَ ، وأحبَّ لهم النجاة ، تخييراً لا قسراً ، ولا جبراً ، وكذلك حكمته فى الأولين والآخرين ، انه أمر تخييراً ونهاهم تحذيراً ، فلم يطع كرهاً، ولم يعص مغلوباً ، ولم تقسر القلوب على طاعته قسراً ، ولم يحملها على طاعة جبراً .

بل الواجب عليهم أن ينصتوا للرسل ، ولما جاءت به ، فينظروا بعقولهم فى قولهم، فيأخذوا الحسن، ويتركوا القبيح ، وذلك قوله ، عز وجل ، ﴿ **فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾** ﴾[2] .

فلم يخرج فى حكمة الحكيم ، أن يحمد احداً من الخلق ، على فعله وخلقه هو ، وإنما حمدهم وأثنى عليهم بفعلهم ، ووجبت لهم الهداية منه ، أن سماهم مهتدين ، أى حكم لهم بالهدى ، وأسماهم بـه لا انهم جبروا عليه جبراً ، فاى أجر لمجبورٍ ، أو حمده لمكر ؟!!..

كما قال سبحانه : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ....** ﴾[3]، ثم قال : ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ** ﴾[4]، **كل ذلك جعل حكم وتسمية لا جعل قهرٍ وجبرٍ .**

ولو كان كذلك ، لم يكن للائمة الذين يهدون بامره ثواب ولاحمد ؛ لانه أكرههم

---

(١) فى الاصل : اعطا .

(٢) سورة الزمر : الآيتان ١٧ - ١٨

(٣) سورة السجدة : الاية ٢٤ .

(٤) سورة القصص : الآية ٤١ .

، ولا يكون على الائمة الذين يدعون إلى النار عقاب ولاذم ؛ لانه اكرههم ايضاً وجعلهم دعاه الى النار ، وقد قال الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1].

٢- واما قولك فى التفكر : فلعمرى لقد قال الله ، عز وجل : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾[2].

والهداية من الله ، عز وجل ، لا تجب ولا تكون لكافر ، معرض عنه ، بعيد غيره ، ويأكل رزقه، ويجعل له الصواحب ، والاولاد والشركاء والأضداد ، فيجبره على الطاعة، ويميل قلبه الى الهدى، من قبل ان يكون هو الراغب فى الهدى ، والمقبل إلى الطاعة .

لأن مثل ذلك مثل رجل وقع فى بئر ، فأشرف عليه الناس ، فقالوا له : اخرجُ . فقال: لست اخرج حتى تدلوا إليّ حبلاً اخرج به ، وإلا فلستُ اخرج ابداً ، وكذلك الكافرُ ، عندكم فى قولكم ، لا يخرج من الكفر ابداً ، حتى يجبره الله على الهدى ، أو يمدَّه بالقسر والإكراه لقلبه ، وهو فى غاية الكفر ، وغاية الضلال ، والإعراض عن خالقه، وهو غير مستوجب من الله ، عز وجل ، للرشد ولا مستحق للهدى ، ولا المعونة ولا الرحمة .

وقد قال الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[3]، ولم يقل إنها قريب من المشركين ، وقال : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾[4]، ولم يقل فسأكتبها للذين يشركون ، قال : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[5].

فان قلتم ايها المجبرة : إن الكافر لايقدرُ أن يخرجَ من الكفر، حتى يكن الله ، جل ثناؤه، هو المخرج له من الكفر بالجبر والقسر ، ويجعل فى قلبه الهدى، جبراً وإكراهاً. لزم فى المعقول انه لا حمد لمكره ، ولا لوم على عاص مدحورا . .

---

(١) سورة يونس : الآية ٤٤ .

(٢) سورة الروم : الآية ٨ .

(٣) سورة الاعراف : الآية ٥٦ .

(٤) سورة الاعراف : الاية ١٥٦ .

(٥) سورة النازعات : الآيتان ٤٠ - ٤١ .

ولم يكن لإرسال الرسل معنى ، ولا لإنزال الكتب بأمر ونهى ، وتحذير وتخويف ، وترغيب وحض وزجرٍ . فلا معنى لذلك .

مقالة الأمم على رسلهم فى ضوء المفهوم الجبرى :

ولكان من حجج الأمم على رسلها ، أن تقول لها - حجة قاطعة تفلج بها الرسل :-

•أيها الرسل إنّ أمرنا ليس فى أيدينا منه قليل ولا كثير ، لا نقدر من أنفسنا على طاعة ولا معصية ، ولا نملك لأنفسنا هدىً ولا غياً ، فاذهبوا إلى ربكم ، فاسألوه أن يخلى سبيلنا ويجعل لنا طريقاً ، حتى نُسلم ونتبعكم .

١٢٧ظ/ فإنه ليس لقوله : ﴿ **فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ** ⦗٢٠⦘ ﴾[١]، معنى ، وقد علم / أنه قد حال بيننا وبين الإيمان ، وكذلك فلا معنى لقوله : ﴿ **أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ** ﴾[٢]، وكذلك لا معنى لقوله : ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ** ﴾[٣]، وكذلك لا معنى لقوله : ﴿ **وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ⦗١٣١⦘ ﴾[٤] ، وكذلك لا معنى لقوله : ﴿ **اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ** ⦗٤٣⦘ **فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ** ⦗٤٤⦘ ﴾[٥]، وكذلك لا معنى لقوله : ﴿ **إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ** ﴾[٦] . فكان هذا القول من حجة الكفار على الرسل.

ثم قالوا لهم : فلا نجدُ لإرسالكم معنى ، وقد حال ربكم بيننا وبين الطريق ، ولم يوجدنا فسحة إلى سبيل ، ولم يرد منا أن نؤمن ، لأنا إنْ آمنا ، كما قال غيرنا، **وكما قال كبيرنا عبد الله بن يزيد البغدادى - كان ذلك الإيمان إبطالاً لعلمه ،** وقد ذكرأنه قد أرسلك إلينا ، يا محمد كافة كلنا ، بعد ما أراد أن يكون بعضنا مؤمناً وبعضنا كافراً ، على ما قال شيخنا **عبدالله بن يزيد البغدادى، وإخوانه المجبرة!!..**

---

(١) سورة الإنشقاق : الآية ٢٠ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٣٣ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٣١ .

(٥) سورة طه : الآيتان ٤٣ - ٤٤ .

(٦) سورة يس : الآية ١٤ .

فكيف تدعوننا أيها الرسل إلى الإيمان ، وتسفكون دماءنا ، وتغصبون أموالنا ، وذرارينا ، وليس نقدر على الإيمان بحيلة ، لأن الله أراد منا أن نكون كفاراً ، ولوآمنا لبطل علمه؟!.

ثم نحن من بعد هذا نقتلكم يا معشر الرسل والأئمة من أولادكم ، وهو الذى قضى علينا قتلكم ، وخلق فعلنا بكم ، وقدَّره علينا وأراده منا ، ثم أنزل فى كتابه يعيِّرُنا ويعنفنا ويعيبُ علينا قتلنا لرسله !!.

ويقول فى كتابه : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾[1]، وبعد ما قال : ﴿ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧) ﴾[2].

فلمَ عابَ علينا قضاءَهُ الحق ، وكل شئ فى الأرض ، زعمت المجبرة ، بقضائه وقدره، وفعل مخلوق لفاعله ، لاحيلة فى تركه ولا نقدر على الخروج منه؟!.. فكيف تطلبون منا ، يا معشر الرسل، ما لا نقدر على تركه، ولا نقدر على الخروج منه ؟..

ونحن ، يا معشر العرب ، فيقول الشاعر منا الشعر ، فلا يقبلُ منه (معناً)[3] و(لفظاً)[4] لا معنى فاسداً ولا كاملاً مستحيلاً ، حتى يستقضى فيه، ويبعد منه التناقض ، ويسقطُ شعرُهُ إذا أخطأ ، ويقدم عليه غيره من الشعراء .

فكيف نقبلُ منكم ، يا معشر الرسل ، كتاباً سماوياً - زعمتم - نجده نحن متناقضاً ، يفسد بعضه بعضاً ، فانصفوا ، ففى النصفة تجب الحجة ، ويغلب الحق ، ويصح لنا صدقكم ، وتلزمنا طاعتكم ، وقد ذكر ربكم ، أيها الرسل ، فى كتابه أن قضاءه حقو وأنه يقضى الحق ؟!!..

ثم قال بعد ذلك : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾[5]، فما هذا التخليط يا معشر الرسل ؟!.. اصحّوا لنا رسالتكم القويمة ، وحكمة ربكم العادل الحكيم ، الذى - زعمتم - فإذا صح عدل ربكم وحكمته ، عرفنا ما تدعوننا إليه وصح الخطاب ،

---

(١) سورة البقرة : الآية ٦١ .
(٢) سورة الأنعام : الآية ٥٧ .
(٣) هكذا فى الأصل .
(٤) ليست فى الأصل .
(٥) سورة آل عمران : الآية ٢١ .

بيننا وبينكم ، وقام الحق ، وسقطت الدعوى الباطلة، من قولنا وقولكم ، يا معشر الرسل .

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه :

١٢٨و / فما ترى قول عبد الله بن يزيد البغدادى، وأصحابه المجبرة لمن احتج عليهم بهذا الاحتجاج ؟ وما ردهم عليه ، وما ظنهم برد الرسل على الأمم . ما حجتهم عليهم فيما قالوا . . أتراه يقول : إن الأمم قد صدقت فى دعواها على الرسل ؟!!.

فإن قال : إن الأمم قد صدقت فى دعواها على الرسل ، واحتجت بالصواب ، كفر بالله العظيم ، وصح كُفره ، وخروجه من فيه الإسلام .

وإن قال : إن الأمم قد كذبت ، ولم تحتج على الرسل بحق ، وأنها مبطلة فى دعواها على الرسل، رجع عن قوله ، وصحَ كذبه ، وبان للخلق أنا قد غلبناه وقطعنا حجته ، وبانت فضيحته ، وأنه يلزم المجبرة أن الذى ادعت باطل ، بصحة القرآن ، وأنه لايتناقض ، وبطل دعواهم ، وأنه قد أكذب أهل مقالته ، وشهد عليهم بالتكذيب .

لمَ أخطأ المجبرة :

وإنما جاء غلط عبدالله بن يزيد البغداى ، وإخوانه من المجبرة ، وأعجابهم برايهم ، من قلة علمهم بمعانى القرآن ، وجهلهم بالتأويل ، وتعلقهم بالمتشابه بصحة التأويل من علم أهل العلم بشواهد الحق ، وتصريف اللغة العربية وأنه لم يعرف الحقائق فى الكلام من المجازات ، ولم يأخذ الحق من معدنه ، وإنما دان بالتقليد ، وكذلك إن من تحته (كفروا) بتقليدهم له ، فلا يبعد الله إلا من ظلم .

أهمية المنهج اللغوى فى فهم القرآن :

ونحن نسأله الآن : ما مخرج قول الله ، عز وجل حيث يقول : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾[1]، وقوله : ﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾[2]، وقوله: ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٥

(٢) سورة التوبة : الآية ٧٩

خَادِعُهُمْ ﴾[1] هذا على حقيقته أم على مجاز كلام عربى يحتمل التأويل؟!.

الحقيقة والمجاز:

فإن قالوا : إنه على حقيقة لا مجاز فيها ، ولا يحتمل التأويل ، لزمه أن ربه يستهزئ كما يستهزى السفهاء ، ويسخر كما يسخر السخفاء ، ويخدع كما يخدع الضعفاء !.

وإن قالوا : إن هذا القول على مجاز الكلام .. قلنا له : هذا هوالحق ، وله تأويل جهلته ، وقد رجعت عن قولك ، وكذلك جهلت قوله الذى احتججت علينا به ، فى قولك : ﴿ لايعلمون ، ولا تعقلون ، ولايبصرون ﴾ . ﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾[2] ، له تأويل كما لهذا تأويل غلطت فيه ، لأنهم لو كانوا لا يعلمون ولا يعقلون ولايبصرون ، لسقطت عنهم الحجة ، كما سقطت عن الأطفال والمجانين ، إلا أن كلامك على اتباع الهوى والإعجاب ، لا نذير للكتاب ، ولا تتفكر فى الصواب .

تأويل آيات الصفات الخبرية:

ثم نسألك أيضاً عن اعتقادك فى التوحيد ؛ لأنك تقول : زعمت - أنك موحدٌ، ومحالٌ ما أنتم كذلك!.

فنقول لك : ما قولك فى قول الله ، عز وجل : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾[3]، وقوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) ﴾[4]، وقوله : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ﴾[5]، وقوله : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[6]، وقوله : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩) ﴾[7]، وقوله : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾[8]، وقوله : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً

---

(١) سورة النساء : الآية ١٤٢ .
(٢) سورة النجم : الآية ٣٠ .
(٣) سورة البقرة : الآية ٢١٠ .
(٤) سورة طه : الآية ٥ .
(٥) سورة غافر : الآية ١٥ .
(٦) سورة القمر : الآية ١٤ .
(٧) سورة طه : الآية ٣٩ .
(٨) سورة القلم : الآية ٤٢ .

١٢٨ظ/ ﴿مَنثُورًا (٢٣)﴾[١]، وقوله / : ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩)﴾[٢]، هل هذا القول كله الذى نراه يلزم التشبيه على الحقيقة (و) لا تأويل له ؟ أم هو على مجاز الكلام ، قول عربى يجب تأويله وإلا لزم التشبيه ؟!!.

فان قلت : إنه على الحقيقة لا تأويل له . لزمك التشبيه لخالقك ، وخرجت مما ادعيت من التوحيد، الذى قلت به ، وفلجك المشبهة .

وإن زعمت أنه على مجاز الكلام ، له تأويل فى اللغة العربية ، إذ لا يسعك غير ذلك ، وإن لا ، شبهت وكفرت .

قلنا لك : فكذلك يلزمك أن للآيات المتشابهات ، اللاتى تعلقت بهن المشبهة ، تأويلاً فى العدل ، على الحقيقة والخروج من الجبر ، وأنها مجاز كلام لم تعقله أنت ، ولا إخوانك المجبرة ، ولم تهتدوا إلى القول فيه على الله ، جل ثناؤه ، بالعدل ، فإن انكرت التأويل حميَّة وتعززاً ، انكرت عليك المشبهة تأويلك فى التوحيد ، ولزمك مثل ما تدعى ، ولا مخرج لك من هذا الباب ، بحيلة محتال .

فكيف ما قلت فخدك الأسفل ، وحجتك الفاسدة ، والحمد لله رب العالمين .

***

فى التكليف وشرائطه :

وأما قولك فى تكليف العباد ، فالتكليف لازم لكل بالغ وبالغة من ولد آدم ، ممن صحَّ عقله وبدنه ، وقد قسَّمَ الله ، عز وجل ، عليهم ، بفضله ، النعم التى تفضل بها عليهم ، **فعلى قدر صحة العقول والجوارح والحواس ، يلزم التكليف .**

ومن زال عنه شئ من ذلك ،كان التكليف على قدره، وإن زالَ الأمر كله ، سقط التكليف كله .

والعجب لك ، لم سميته تكليفاً ؟!.. وإنما أصل قولك أنهم جبروا جبراً ، وخلقت

---

(١) سورة الفرقان : الآية ٢٣ .

(٢) سورة النور : الآية ٣٩ .

أفعالهم ، والمجبور والمخلوق فعله ،ليس هو مثل المكلف ، الذى إن شاء فعل ، وإن شاء لم يفعل ، وقد أعددت التفضيل لبعضهم على بعض ، وأكثرت إعادة الكلام ، الذى لا وجه له ، ويجزؤنا فيه المعنى الواحد ، عن تكريره للمعانى ، التى تقتضى وجهاً واحداً .

وإنما مثلك فى كتابك الذى وضعته على أهل العدل ، وزخرفت فيه الغرور لأصحابك ، ومنّيتهم الأباطيل ، وأعلمتهم ان أهل العدل لا يقدرون لهم على دفع ، ولا كسر حجة ، وفى كل مسألة [1] تقول إن أهل العدل يفرونَ عن كلامك هذا ، وانتم تقطعونهم من هذالموضع ، ، وهذا من اشد ما تسالون عنه ! .. فكان مثلك فى ذلك مثل زق منفوخ لا شئ منه ، إلا الرياح ، ثم عمد إليه رجل بإبرة فمخرقُه بها ، فانفشَّ جميع ما فيه ، والحق فاجل واشرف من ان يخفى [2] على العقلاء ، واهل التمييز والنظر ، وقد رددنا عليك من الحق ، ما فيه الشفاء لكل مسلم .

١٢٩و/ ثم نقول لك : ما تقول فى قول الله ، عز وجل ، : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ / الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥ ﴾[3] !! ..

فنقول لك ياعبد الله بن يزيد البغدادى : إن هذه الكلمة خلق الله ، عز وجل ، وصنعه ، وإرادته أم لا ؟! .

فإن قلت : إنها خلق لله ، عز وجل ، صنع وإرادة .. لزمك أنه غضب من خلقه وصنعه وإرادته .

وهذا خروج من الحكمة ، ويجب أنه عذّب على ذلك ، بعدما قال : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ۝٤١ ﴾[4] .

---

(١) فى الاصل : مسلة .

(٢) فى الاصل : يخفا .

(٣) سورة الكهف : آيات ١ - ٥ .

(٤) سورة النجم : الآيات ٣٩ - ٤١ .

ثم نقول لك : وأخبرنا لم قال : ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾، مستعظماً لها ومستقبحاً ومستشنعاً ، وهو الذى خلقها وأرادها وصنعها ، أهكذا[1] يكون الحكيم الذى لا يظلم ؟!!.

وإن قلت : لا أقول ذلك ، رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا . .

ثم نقول لك : ما الفرق بين قوله فى عيسى ، عليه السلام ، أنه كلمته ألقاها إلى مريم ، وذكر فى كتابه أنه كلمةٌ له ، خلقهَ وصنعه وأراده ؟

الكلمة (عيسى) بين مراد منها الله ومقالة الكفار :

والدليل على أن عيسى كلمته ، قوله ، عز وجل ، ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ﴾[2]، وقال أيضاً : ﴿ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾[3]، فنقول لك : ما الفرق بين هذه الكلمة المعنى بها عيسى ، عليه السلام ، وبين الكلمة الكبيرة عندالله ، عز وجل ، التى خرجت من أفواه الكفار ، الذين قالوا : اتخذ الله ولداً؟!.

فإن أدعيت فرقاً بينهما ، غير أن الله ، فى زعمك ، هو الذى خلقهما وصنعهما وقدرهما وأرادهما ، لم تقدر على ذلك بحيلة محتال ، ولا بوجه من الوجوه ، لما زعمت إن الله ، عز وجل ، هو الذى خلق الكلمتين وأراد المعنين .

فيلزمك عند انقطاعك عن الفرق بين الكلمتين ، أن القوم الذين قالوا : اتخذ الله ولداً ، إنما غضب الله عليهم ، وعاب فعلهم ، وحكى[4] لنبيه ، صلى الله عليه ، عظيم كفرهم ، وأوجب عليهم فيه عظيم العذاب الأليم المقيم ، وأنه لم يكن فى خلقه لعيسى وجعله إياه كلمةً ، غضب منها على احد ولا عيب ، ولا استعظام ولا عذاب مقيم .

فكلاهما ، زعمت ، كلمة لا فرق بينهما خلقهما الله ، عز وجل ، ووضعهما –

---

(١) فى الأصل : اهكذى :

(٢) سورة آل عمران : الآية ٤٥ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٧١

(٤) فى الأصل : حكا

على زعمك – فعذب عباده على واحدة وغضب منها ، ولم يغضب من الاخرى ، ولم يعذب عليها ، وهما سواء فى الخلقة والصنعة والإرادة ! . . **فأين العدل والحكمة ، والإرادة فى هذا الباب ؟!** . .

بينه لنا وميَزه ، إن كنت من الصادقين ، اوارنا الفرق بينهما ، إن كنت من المهتدين! . . ولا تجد فرقاً بين ذلك ابداً .

وهذه قاطعة لحجتك ومدحضة لقولك ، إلا ان ترجع فتزعم ، إن الكلمةَ التى غضبَ الله منها ، وعذب عليها ، إنما هى إرادة الكفار ، وقولهم باختيارهم، لا صنع الله ، جل ثناؤه ، وان عيسى كلمته وخلقه ، لا تباعة على احد فى ذلك ، وهذا هو ١٢٩ظ/ الحق ، وهو دين الله الذى / لا مخرج لمسلم منه ، ومن قال بغيره كفر ، ووجب عليه العذاب ، والحمد لله رب العالمين .

ثم نقول لك ايضاً : اخبرنا عن قول الله ، عز وجل ، للكفار : ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾[1] . . فنقول لك : ارايت إن ردُّوا عليه فقالوا : ذلك بما خلقتَ من افعالنا واردته من كفرنا وقدرته وقضيته . . هل يكذبون فى هذا الجواب ام يصدقون ؟

فإن قلت : إنهم يكذبون . رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا بالعدل .

وإن قلت : إنهم قد صدقوا فى هذه الدعوى ، فى قولهم إن الله ، عز وجل ، خلق افعالهم وقدرها وقضاها واردها .

قلنا لك : فقد اكذبك الله ، جل ثناؤه ، ووجدنا القرآن بشهدُ بخلاف ما قلت ، من إقرارهم على انفسهم ، وإبرائهم لخالقهم واضافتهم الظلم والمعاصى إليهم ، لا إليه، عز وجل ، حيث قالها : ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[2] ثم قال : ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾[3]، فعجَّب نبيه، صلى الله عليه ، كما تسمع ما لهم عن التذكرة معرضين ! . . . لعلمه انه لاحائلَ بينهم، وبين التذكرة .

---

(١) سورة المدثر : الآية ٤٢ .

(٢) سورة المدثر : الآيات ٤٣ – ٤٨ .

(٣) سورة المدثر: الآية ٤٩ .

فمـا تقـول لو ردوا عليـه فى هـذا الموضـع، حـين قـال لهـم: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) ﴾. فقالوا : انت بنا ، لولاك لعرفنا رشدنا .. هل يصدقون فى الحجة أم يكذبون ؟! ..

فان قلت : صدقوا .. لزمك أن حجتهم وحجتك ، أقوى من حجة الله، عز وجل!! ..

وإن قلت : كذبوا . رجعت عن قولك !.

مثال لرجل لاقدرة له يعنى لااستطاعة له :

ثم نقول لك أخبرنا : ماتقول فى رجل من المسلمين خرج غازياً للروم فى بلدها ، فحاربهم وقتا ، ثم إنه وقع فى أيديهم ، فأخذوه اسيراً فوضعوه فى الحبس والحديد ، فلما دخل شهر رمضان ، عرضوا عليه الدخول فى النصرانية ، والقول بأن المسيح ابن الله، فكره ذلك وامتنع عليهم منه .

فلما امتنع أخذوه ، فربطوه فى الحبال ، وغلُّوا يده إلى عنقه ، ثم أخذوا المغْرى الذى يغُغِّية الصبيان ، وهو المسعط [1] فى لغة العرب ، وأوجروه [2] الخمر كرها ، وهو مضجع [3] ، لا حيلة له فى نفسه ، ولا دافع عنه ، ثم جعلوا يسقونه إياه ، وكذلك وَدَك [4] الخنزير ، فلم يزل على ذلك سنةً على تلك الحال ، حتى إذا لم يبق من السنة إلا يوم واحد أطلقوه .

فنقول لك ، ولمن قال بقولك : أليس قد علم الله ، عز وجل ، أنه قد فعلوا به ذلك الفعل ، فأكرهوه على شرب الخمر ، وودك الخنزير، حين أوجروه إياه كرها ، وهو لا حيلة له فى نفسه ؟! ..

فإذا قلت : نعم ، قد علم الله ذلك منه ومنهم .. قلنا لك : فهل على هذا الرجل لله، عز وجل، فى ذلك الذى أكره عليه، حجة أو تباعة .. أو هل يجب عليه عذاب أم لا؟!.

---

(١) فى القاموس وعاء السعوط .

(٢) صبوا الخمر فى حلقه طبًا .

(٣) ملقى .

(٤) سمن الخنزير

فإن قلت : نعم عليه حجة وذنب ، وعذاب وتباعة ، كَذَّبْكَ جميعُ المسلمين ، وخرجتَ من الحق والمعقول .

١٣٠و/ وإن قلت : لا / حجة عليه ولا ذنب . قلنا لك : صدقت ؛ لأن الحجة عليه ، فيما علم يقدر عليه .

مثال له عند القدرة يعنى عند الاستطاعة :

ثم نقول لك أيضاً : أرايت هذا الرجل بعينه شرب الخمر ساعة واحدة، أو جرعة واحدة بطيب من نفسه ، واتباع هواه ، اليس قد علم الله ، عز وجل ، ذلك من فعله؟

فإن قلت : لم يعلمه .. كفرت .

وإن قلت : إنه قد علمه .

قلنا لك : فهل يعاقبه على شرب تلك الجرعة وحدها أم لا يعاقبه ؟

فإن قلت : انه لا يعاقبه .. ابطلت وعد الله ، عز وجل ، وخالفت المسلمين ، وخرجت من الكتاب .

وإن قلت : انه يعاقبه بشربه للخمر ، واتباع شهوته فى تلك الجرعة .

قلنا لك : فكيف يعاقبه فى شرب سنته كلها على ما شرب ، وصار فى بطنه من ودك الخنزير ، ويعاقبه على شرب جرعة فى ساعة من نهار عمداً؟! .

فإن قلت : إن الرومَ أكرهوه على ذلك ، فلم تلزمه عقوبته ؛ وهو اختار الشرب لنفسه فى هذه الساعة الواحده، فلذلك لزمته العقوبة .

قلنا : فقد لزمك الآن أن ليس علم الله ، عز وجل ، يثيبُ العباد ولا يعاقبهم ، وإنما يثيب ويعاقب على ما فعله العباد بانفسهم ، وذلك قوله ، عز وجل ،: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا .. ﴾[1] .

وبطل قولك ، انت واصحابك ، فى اعتلالكم علينا بعلم الله ، جل ثناؤه ، أن من

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٧ .

قبل علمه ، كان الفساد عليهم في أديانهم ، وأن بالعلم ضلوا ، زعمتم ، وهلكوا ، وكذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً .

والواجب على من سمع كتابنا هذا ، أن ينعم النظر فيه ، وليذكر وقوفه بين يدى الله ، عز وجل ، فأى القولين كان الحجة فيه أغلب وأوكد ، وأقوى فى كتاب الله عز وجل ، فليتبع الحق من ذلك ، فليس بعد الحق إلا الضلال ، والحمد لله رب العالمين .

***

احتج المجبر بقوله : ﴿ وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) ﴾

ثم قال **عبدالله بن يزيد البغدادى** : ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه : **﴿ وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) ﴾**[١] ، **﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢٠) ﴾**[٢] ، وأشباه هذا فى كتاب الله ، عز وجل ، وليس لهم فى وجه أخذوا فيه من الوجوه راحة .

فالزم كل مسالة [٣] على وجهها ومعناها وحدها ، فإنهم لن يفيدوا لك حينئذ وجهاً ، خالفوا فيه العدل ، وسنردهم إلى قولك ، أو تنكسر عليهم وجوههم التى وضعوها ؛ لأنها جاءت من غير الله ، عز وجل .

رد أحمد بن يحيى وتفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) ﴾ :

الجواب قال **أحمد بن يحيى** ، صلوات الله (عليه) [٤] ، وعلى آبائه الطاهرين .

١ - وسألت عن قولك الله ، عز وجل : **﴿ وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) ﴾** ، وظننت لجهلك باللغة ، وعجزك عن العلم بتصريفها فى اللسان العربى عند العرب ، الذين خاطبهم رسول الله ، صلى الله عليه ، وعلى آله وسلم ، وذلك قول الله ، جل

١٣٠ ط / ثناؤه ، : **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ / قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾**[٥] ، وقال :

---

(١) سورة الكهف : الآية ١٠١ .

(٢) سورة هود : الآية ٢٠ .

(٣) فى الأصل : مسله .

(٤) ليست فى الأصل .

(٥) سورة إبراهيم : الآية ٤

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ ﴾[1]، وقال الله ، عز وجل ، يحكى عنهم يوم القيامة : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾[2]، يعنى ، تبارك وتعالى، وبذلك كانوا لا يبصرون الحق ، ولا يميلون إليه بقلوبهم ، ولا يريدونه بشئ من حواسهم ، ولا يصغون إليه بآذانهم ، ولا يريدون أن يسمعوه باختيارهم، وإعراضهم وكراهيتهم للحق واستماعه ، وهم فى ذلك يقدرون أن يسمعوا وينصتوا إليه ، لو أرادوا ؛ لأن الله ، عز وجل ، جل ثناؤه ، لم يحل بينهم وبين الاستماع ، وقد قال الله ، عز وجل : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾[3]، وفى موضع آخر : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ.... ﴾[4] ، يعنى ما أسمعهم وما أبصرهم مثل ما تقول العرب ، أكرم بفلان . أى : ما أكرمه ، وقوله ، عز وجل ، يعنّفُ الكفار ويعجّبُ نبيه ، عليه السلام ، من كذبهم : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[5]، فلو كان فى آذانهم وقر ، لم يسمعوا دعاء النبى ، صلى الله عليه ، لهم إلى الاسلام، ولم يجز أن يخاطبوه ولا يردوا عليه هذا القول ، وهم لم يسمعوا قوله حين دعاهم ، فهذا أوضح شاهد عليك .

وقال الله ، عز وجل ، فى أهل النار : ﴿ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[6]، فإن كان هذا القول على ظاهر الآية ، أهل النار لا يسمعون ، عندكم أيها المجبرة ، فهو خير لهم أن لايسمعوا ما فيها من البلايا والأهوال ، والأصوات المنكرة والمكروهة ، وأصوات السلاسل والأغلال ، وفيها من الانكال .

فإن قلت : إنهم فيها لايسمعون . وحقّقت ذلك ، لأنْ يجوز كذلك ... اكذبك الله ، جل ثناؤه ، فى القرآن المبين ، حيث يقول ، يوجبُ أنَّ أهل النار يسمعُ بعضهم بعضاً ، فقال : ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا

---

(١) سورة الشعراء : الآية ١٩٥ .
(٢) سورة الكهف : الآية ١٠١ .
(٣) سورة الاعراف : الآية ١٩٨ .
(٤) سورة مريم : الآية ٣٨ .
(٥) سورة فصلت :الآية ٥ .
(٦) سورة الانبياء : الآية ١٠٠ .

فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ (٢١) ﴾[١]، فقد صح وثبت أن هذا قول من يسمع بعضهم عن بعض ، ولو كان لا يسمعون فيها شيئاً من الرحمة ولا الخير .

وقوله : ﴿ **وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١)** ﴾[٢] ، وإنما يعنى بذلك أنهم لا يريدون استماع الحق ولا الرغبة فيه ، ولم يستعملوا استطاعتهم في طلبه ، كما قال ، جل ثناؤه ، : ﴿ **الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي** ﴾[٣]، والله جل ثناؤه ، لايُذكر بالأعين ، وإنما يذكر بالألسن ، وهذا دليل على أن القوم المجبرة ، إنما هلكوا في الدين من جهلهم ،بمعانى اللغة العربية ، وإعراضهم عن الأئمة الذين ١٣١و/ استخلفهم / الله ، عز وجل ، على عباده وبلاده ، وجعلهم ورثه لنبيه ، صلى الله عليه وعليهم .

٢- **ومن الحجة على ما قلنا فى معرفة اللغة العربية** ، قول الشاعر :

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياةَ لمن تنادى [٤]

يعنى بذلك الأحياء الذين لا يريدون استماعه ، ولا القبول عنه ، فقال : ولكن لا حياة لمن تنادى ، وفيهم الحياة موجودة ، فافهم معنى اللغة العربية ، كيف تتصرف .

ثم قال فى صفة سمع الميت الجائز عند العرب فى لغتها ، وما يروى عن **قيس بن عاصم التميمى، ثم المنقرى** [٥] ، وهو الذى وفدَ على رسول الله ، صلى الله عليه ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه ، هذا سيدُ أهل الوبر ، فلما حضرته الوفاة دعا

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٢١

(٢) سورةالكهف : الآية ١٠١

(٣) الآية نفسها .

(٤) البيت : لم أجده فى المصادر .

(٥) **قيس بن عاصم بن سنان المنقرى السعدى التميمى** ، ابو على : أحد أمراء العرب وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة فيهم. كان شاعراً ، اشتهر وساد فى الجاهلية . وهو ممن حرم على نفسه الخمر فيها ، ووفد على النبى ، ﷺ ، فى وفد تميم (سنة ٩هـ) فاسلم، وقال النبى ، ﷺ ، لما راه : هذا سيد أهل الوبر! . . واستعمله على صدقات قومه . ثم نزل **البصرة** فى أواخر ايامه ، وروى احاديث ، وتوفى بها نحو (سنة ٢٠هـ) . . انظر ترجمته فى الأعلام للزركلى ٥/ ٢٠٦ ، وكذلك الإصابة لابن حجر ت ٧١٩٤ ، وأخباره فى خزانة الأدب للبغدادى ٣/ ٤٢٨ . وغيرها من كتب التراجم والأدب

بناته وخاصته ، فقال لهم : لا أسمعن من يندبني ويبكي عليّ بعد موتي ، فجاز هذا في لغة العرب ، والميت لا يسمع بكاء ولا غيره .

لا أســمعنك بعد المـوت تندبني ... وفـي حـياتي مـا زوّدتني زادا

وقال عمارة بن عقيل التميمي [1] يحض قومه على المواصلة ، وترك القطيعة .

فدَونكما يا بني نـزار تلاقيا ... كما لفَّ البردُ اليمانيُّ بالبردي

ولا تسمعاني الزورَ في الهام هامتي ... ترامِيكما بالنبل ويحكما بعدي .

فقال : ولا تسمعاني تراميكما بالنبل ويحكما بعدي ، وهو قد علم ، وعلمت العرب ، أنه لا يسمع بعد الموت ، ولكن جاز ذلك في لغة العرب ، التي لا يقوم بمعرفتها إلا أهل العلم .

وإنما غلط هؤلاء المجبرة في دينهم ، فكذبوا على ربهم ، وألزموه ذنوبهم ، وخلق أفعالهم لجهلهم بما ذكرنا من لغة العرب ، ومعاني القرآن الذي خاطب به رسول الله ، صلوات الله عليه ، قومه الفصحاء البلغاء ، فافترت المجبرة على الله ، عز وجل ، وتأولوا كتابه على مبلغ عقولهم ، وتعلقوا بالمتشابه الذي لا علم لهم بتأويله ، وزعموا أنهم أتوا في ذنوبهم ، ودخل عليهم البلاء من قبل ربهم ! ... وكذبوا عليه ، سبحانه ، وزعموا أنا نحن المفترون عليه ، عز وتعالى .

السمع في الآخرة بين الحقيقة والمجاز:

٣- ومن الحجة عليك في اعتلالك علينا بقول الله ، عز وجل : ﴿ وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) ﴾[2] فنقول لك : ما تقول في قول الله ، عز وجل ، بخبر عن أهل النار إذ قال : ﴿ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ (١٠٠) ﴾[3]، أتقول إن هذا القول على حقيقته لا ١٣١ظ/ مجاز له ولا تأويل فيه، وتقول إنهم صم لا يسمعون/ قليلاً ولا كثيراً؟! ..

---

(١) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي ، شاعر مقدم ، فصيح . من أهل اليمامة . كان يسكن بادية البصرة، ويزور الخلفاء من بني العباس فيجزلون صلته ، وبقي إلى ايام الواثق . وعمي قبل موته ، وهو من احفاد جرير الشاعر ، وكان النحويون في البصرة يأخذون اللغة عنه ، توفي سنة ٢٣٩هـ . انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ٥ / ٣٧.

(٢) سورة الكهف : الآية ١٠١ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ١٠٠ .

أكذبك ، عز وجل ، حيث يقول : ﴿ وإذْ يتحاجُون في النَّارِ فيَقولُ الضُعَفاءُ للَّذينَ استَكْبَرُوا إنَّا كُنَّا لَكُمْ تبَعًا فهَلْ أَنتم مُغْنُونَ عنَّا نَصيبًا مّنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذينَ استَكْبَرُوا إنَّا كُلٌّ فيهَا إنَّ اللَّهَ قَدْ حكَمَ بيْنَ الْعِبادِ (٤٨) ﴾[١]، وليس بدٌّ للمتحاجين أن يسمع بعضهم بعضاً ، وكفى بهذه الحجة فاضحة لك .

٤- ومن الحجة عليك أن نقول لك . أخبرنا عن قول الله ، جل ثناؤه ، لنبيه محمد ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، حين قال له يعاتبه على إذنه للقوم الذين أذن لهم فقال : ﴿ عفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣) ﴾[٢].

فنقول لك : هل كان رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، يستطيع ويقدر أن لا يأذن لهم ؟!..

فإن قلت : نعم .. لزمك أنك قد رجعت عن قولك ، وبطل قولك أن الاستطاعة مع الفعل ، وصرت إلى الحق وهو قولنا .

وإن قلت : إن رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، لم يكن يستطيع ولا يقدر أن لا يأذن لهم ، إلا مع الفعل ... لزمك أن الله ، عز وجل ، قد عاب عليه ، وعنَّفه في أمر ، لم يكن له عليه استطاعة ولا يقدرهُ ، وهذا أعظم الجور، وأردَّه للقرآن ، إذ يقول : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[٣]، و ﴿ إلاَّ مَا آتاهَا ﴾[٤].

ثم نقول لك أخبرنا عن قول الله ، عز وجل ، لنبيه داود ، صلى الله عليه : ﴿ يَا دَاوُودُ إنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[٥]. أليس قد قال ، عز وجل ، هذا القول لدواد ، صلى الله عليه ؟

---

(١) سورة غافر : الآيتان ٤٧ - ٤٨ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٤٣ .

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٤) سورة الطلاق : الآية ٧ .

(٥) سورة ص : الآية ٢٦

فإن قلت : نعم . قلنا لك : فهل أمرهُ الله من الحكم بالحق ، وترك الهوى، بما يقدر عليه وهو يملكه [1] ، وهو له مستطيع قبل فعله ؟

فإن قلت : نعم .. تركت قولك ، وصرت إلى قولنا .

وإن قلت : لا لم يكن داود يستطيع الحكم بالحق ، ولا ترك اتباع الهوى ، إلا مع الفعل لذلك .

لزمك أن الله ، عز وجل ، قد كلف داود ما لا يطيق ولا يملك ولا يقدر عليه ، وليس موجوداً في بنيته ، وأن قوله : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا ﴾، و ﴿ إلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ باطل لا يصحُّ ، وليس له حقيقة ! .. وهذا أعظم الكفر ، والخروج من الإسلام جملة .

ثم كذلك يلزمك جميع ما أمرت الأنبياء من هذا النحو ، على الأمر لها بالفروض اللازمة لها وللأمم ، ولو كان هؤلاء القوم الذين ذكرت أنهم لا يستطيعون سمعاً ، على ما توهمت، وذهبت إليه من الجبر والفرية على خالقك ، جل ثناؤه، لما لزمتهم لله ، عز ١٣٢و/ وجل ، حجة ، ولاكانت عليهم له مطالبة ، إلا أن تقول : إن الأصم ./ تلزمه الفرائض التي من طريق السمع ! ..

فإن قلت : كذلك .. أكذبك جميع أهل القبلة ، لأن الأصم لا حجة عليه في الفرائض ، التي هي من قبل الأمر المسموع من القرآن ، وغيره مما لا يدرك في الدين إلا من جهة السمع ، وكفى عليك بهذا القضاء ، فضيحة في دينك ، فقد بان خطاؤك وغلطك ، فيما سألت عنه ، وذهبت فيه إلى الجبر ، وفارقت أهل العدل .

ولوكانوا لا يستطيعون سمعاً على ما ذهبت إليه ، لبطل قوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ⑮ ﴾[2]، ولا يجوز بعثة الرسل إلى من لا يسمع قول الرسل، وهذا واضح لا يقدر له أحد على رد ، وفيه الكفاية الكافية ، والحمد لله رب العالمين .

***

---

(١) في الهامش ما يدل على أن هذه النسخة مقابلة على أخرى أقدم منها .. وهذا يدل على أنها مقابلة أكثر من مرة .

(٢) سورة الإسراء : الآية ١٥ .

العقد بعد انتهاء العدة :

٥ - ومن الحجة عليك فى أن الاستطاعة قبل الفعل، قوله ، عز وجل : ﴿ **وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ** ﴾[١]، الا ترى أنهم لو أرادوا النكاح ، قبل بلوغ الكتاب أجله ، لأمكنهم ذلك ، ولإمكانة لهم ومقدرتهم عليه ، ووجوده فيهم قبل فعله .

افترض الله ، عز وجل ، عليهم أن لايعزموا على النكاح ولا يفعلوه ، حتى يبلغ الكتاب أجله ، وهو وفاء العدّة ، وبلوغ الأجل ، وهذا أقطع ما يكون لكم فى قولكم أن الاستطاعة مع الفعل .

قصة ابني آدم :

٦- ومن الحجة لنا عليك في الاستطاعة قبل الفعل قول الله ، عز وجل : ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠)** ﴾[٢]، افلا ترى أيها المغرور فى دينه ، كيف أخبر الله ، عز وجل ، أن نفسَه التى طوَّعت له قتل أخيه ، وأن الله لم يرد ذلك ، ولم يخلقه ، ولم يقدِّره ، وأن الاستطاعة مع كليهما ، موجودة قبل فعلهما ، مقرين بذلك مصدقين بها .

فنزل هذا القرآن ، غير مكذب بقول هذا لصاحبه «**لاقتلنك**» . لعلمه أنه قادرٌ على قتله قبل فعله ، وقول الآخر: «**ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك**». لعلمه أنه قادر على قتله قبل فعله ، فلذلك كَفَّ وتورّعَ ، ولو كان يعلم انه لا يقدر على ذلك ، لم يجز على الله ، جل ثناؤه ، أن يخبر عنه ويصوبه فى فعل ما لا يقدر عليه ، والله ، عز وجل، برئُ من فعل الذى قتلَهُ ، لذلك صار القاتل ظالماً متعدياً، إذ[٣] لم يكف استطاعته عن الظلم ، واستعملها فى الفساد ، وامسك الآخر /

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٣٥ .

(٢) سورة المائدة : الآيات ٢٧ - ٣٠ .

(٣) فى الأصل : إذا .

١٣٢ظ / ولم يعجل إلى القتل الذى له فيه استطاعة ، وهو له ممكن من قبل فعله، وهذا خبر الله ، عز وجل ، وهذا كتابه ، ينطق بخلاف قولك ان الاستطاعة مع الفعل ، وفى هذه الآية من الحجة عليك فى إثبات العدل وبراءة [1] الله ، عز وجل، من قتل مظلوماً .

قوله ، عز وجل ، : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾، ولم يقل : فقضيت عليه قتل اخيه ولا إرادته منه ، ولا خلقت فعله ، وكان من ندامته انه يحمله ، فيما يقال على عاتقه مائة عام ، لا يدرى كيف يصنع ، ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[2]، ثم قال الله ، عز وجل ، على اثر هذا مثبتاً للعدل ، ومبرءاً لنفسه من الظلم : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا .... ﴾[3]، افلا ترى كيف ندم ابن ادم ، ولام نفسه على انه لم يدفن اخاه ، وقد كان يمكنه قبل فعله ، ومستطيع لذلك ، ولذلك قال : ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ؟ ! ﴾ ، لعلمه انه قد كان قادراً مستطيعاً ان يدفن اخاه، ولو كان لا يستطيع دفنه ما قال : ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ ﴾ ، ولا يجوز ان يخبر الله ، عز وجل ، بما لا يكون .

وكيف يتلهف على أمر لم يكن يستطيعه إلا مع فعله ، وكيف يحكى الله، عز وجل، خبراً لا يصح ولايجوز فى العقول، ولا يستطيعه الناس إلا مع فعلهم له ؟ ! . .

فاعرف قدر هذه الحجج القاطعة لك ، ففيها كفاية لمن عقل ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) فى الأصل : مراءاة.

(٢) سورة المائدة : الآية ٣١ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٣٢

أمر الله بالحجاب:

٧- ومن الحجة في أن الاستطاعة قبل الفعل، قول الله، عز وجل، ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..... ﴾[١]، ففي هذه الآية دليلان اثنان على أن الاستطاعة قبل الفعل، ألا ترى أنه أمر النساء أن لا يضربن بأرجلهن، لما علم أن معهن استطاعة الضرب بالأرجل، من قبل أن يفعلن، فافترض عليهن أن لا يضربن بأرجلهن، ولو لم يكن معهن استطاعة الضرب بالأرجل، من قبل أن يفعلن، فافترض عليهن أن لا يضربن بأرجلهن، ولو لم يكن معهن استطاعة الإمساك عن الضرب بأرجلهن، لم يفترض عليهن أمراً لايقدرون عليه، وتكليف ما لا يطاق عن الحكيم العادل، منفيٌّ.

وكذلك قوله أيضاً: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾، فلم يكن ليأمرهم، عز وجل، ويفترض عليهم التوبه من قبل أن يجعل لهم السبيل إليها، ويمكنهم منها.

١٣٣و/ وأكبر الشاهد لنا على / ذلك قوله، عز قوله، عز وجل: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾[٢]، ويلومهم كما تسمع، على ترك التوبة، التي هي ممكنة لهم، إن أرادوها. فهذا أكبر دليل، وأقوى حجة: ﴿ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠١) ﴾[٣].

أهذا ويحك قول من حال دون التوبة والإيمان ؟!.. سبحان الله العظيم.

الصبر عند اللقاء وعدم الإدبار:

٨- ومن الحجة في أن الاستطاعة قبل الفعل، قوله عز وجل، : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) ﴾[٤]، فهذا يوجب أنهم كانوا يستطيعون أن لا يولوا الأدبار من قبل الفعل، ولولا ذلك ما قال، عز وجل،

---

(١) سورة النور: الآية ٣١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٧٤.

(٣) سورة يونس: الآية ١٠١.

(٤) سورة الأنفال: الآية ١٥.

﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) ﴾[١]، فلم يكن الله ليغضبَ عليهم ، فى أمر لا يستطيعون إليه حيلة .

٩- ومن الحجة لنا فى إثبات العدل ، وأن الله ، عز وجل ، لم يعذب أحداً ، إلا بظلمه وجرمه ، وإثمه وغشمه ، وسوء اختياره ، قوله ، عز وجل ، : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾[٢]، ولم يقل : بما قضيت عليهم ، وقدرت وأردت .

وقد روى عن كعب الأحبار [٣]، رحمه الله ، أنه قال : قرأت فى الكتب السالفة الأولى ، ومن يظلم يخرب بيته ، فكنت ذلك فينة من دهرى ، حتى بعث النبى محمداً ، صلوات الله عليه وعلى آله ، فلما سمعت به سرت إليه ، وأسلمت وأقمت عنده ، وتصفحت ما نزل عليه من القرآن ، وطلبت نظيراً لتلك الآية التى وجدتها فى التوراة ، فلم أجد ، فبينا أنا على ذلك ، إذ نزل عليه ، صلوات الله عليه ، هذه الآية ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾[٤].

فالله ، عز وجل ، لا يواخذ أحداً من جميع خلقه ، إلا بعد ظلم وذنب بدأ به هو ، واكتسبه واختاره بعد النهى عنه والدعاء الى غيره من الطاعة ، ولم يرد منهم ، عز وجل ، أن يكفروا ولا أن يدبروا أمره ، ألا تسمع الى قوله نوح ، صلى الله عليه ، : ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) ﴾[٥] ثم قال ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) ﴾[٤]، ثم كان من ردهم عليه ، أن قالوا : ﴿ لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ

---

(١) سورة الانفال : الآية ١٦ .

(٢) سورة النمل : الآية ٥٢ .

(٣) كعب الأحبار هو : كعب بن ماتع بن ذى هجن الحميرى ، أبو إسحاق : تابعى . كان فى الجاهلية من كبار علماء اليهود فى اليمن ، وأسلم فى زمن أبى بكر ، وقدم المدينة فى دولة عمر ، فاخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة ، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة ، وخرج إلى الشام ، فسكن حمص ، وتوفى فيها سنة ٣٢هـ ، عن مائة وأربع سنين . انظر ترجمته فى الاعلام للزركلى ٥ / ٢٢٨ ، وكذا حلية الأولياء لأبى نعيم ٥ / ٣٦٤ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير : ٣ / ٤٠٥ .

(٥) سورة نوح : الآيات ٧ - ١٣

الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً ﴿٢٤﴾ ﴾[1]، افلا تسمع إلى هذه القول العجيب ، والحكمة البالغة ، وأين هذا من دعواك يا عبد الله بن يزيد البغدادى، وأخوانك المجبرة ، الذى أسندت فيه إلى خالقك ، جل وتعالى ، أنه أراد الكفر من الكفار ، جراءة على الله ، جل ثناوه ، ١٣٣ظ/ وتعامياً عن كتابه ، ومكابرة للعقول ، وميلاً إلى / تقليد الرجال ، بلا حجة ولا بصيرة ، ولا شاهد من كتاب الله ، عز وجل ، إلا ما تعلقت به من متشابه القرآن الذى جهلت تأويله ، فقد علمت ما ورد عليك فى كتابنا هذا ، من الكسر لحجتك، واستشهاد القرآن عليك ، والحجة الواضحة التى لا مخرج لكم منها أيها المجبرة أبداً.

الراسخون فى العلم والتأويل :

وقد قال الله ، تبارك وتعالى ، ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿٧﴾ ﴾[2].

فقال قوم : إن الراسخين فى العلم لا يعلمون تاويل الكتاب .. جهلاً منهم ، وبلى[3]، لعمر الله ، إن الراسخين ليعلموا تاويل الكتاب ، (وما) تحتاج إليه الأمة من أمر دينها ، الذى تعبدها الله ، عز وجل ، به ، ولولا ذلك لم يجب لهم اسم الرسوخ فى العلم ؛ لأن من لم يعلم تأويل القرآن لا يجب له اسم الرسوخ فى العلم ، وإن لا ، ففيما رسخ إذا لم يعلم تأويل القرآن ؟! .. فاولئك هم ائمة الهدى من أهل بيت النبوة ، عليهم السلام ، والراسخون فى العلم ، هم أهل التنزيلُ والتاويل.

العلم فى آل بيت رسول الله :

ولو لم يكن عندهم علم الكتاب ، لما جاز ان يقول الله ، جل ثناؤه ، : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[4]، والذكر فهو محمد ، صلى الله عليه

---

(١) سورة نوح : الآيتان : ٢٣ - ٢٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٧ .

(٣) فى الأصل : وبلا .

(٤) سورة النحل : الآية ٤٣ .

وعلى آله وسلم ، دليل ذلك قول الله ، عز وجل ، : ﴿ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ...... ﴾[1]، فصار الذكر هو الرسل ، وهذا ما لا يُدفع ، فصار أهل البيت ، عليهم السلام ، هم المأمور الخلق بسؤالهم ، ولم يكلفوا أن يسألوا عبد الله بن يزيد البغدادى ، ولا عبد الرحمن بن خليل ، ولا عبد الكريم بن نعيم ، ولا مسلمة بن كريمة، ولا عبد الصمد ، ولا المعلِّم، ولا نجدة بن عامر ، ولا أبا مروج السدوسى ، ولا فلاناً ، إلا أن يدعى عبد الله بن يزيد البغدادى ، أن[2] هؤلاء النفر الذين سمينا أن جبريل ، صلوات الله عليه ، كان يهبط على جدهم ، وفى بيوتهم قد ربوا بين التنزيل والتأويل ، وغذاهم الرسول ، وناغاهم جبريل ، وتنزيل فيهم من الله ، عز وجل ، : ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ... ﴾[3]، فإن صح ذلك فَهُمْ أولى وأحق ؛ وإن لم يصح ، فغيرهم أولى بالمقام ، وأحق بالذب[4] عن الإسلام ، والقيام بالأحكام منهم .

فهذا جوابنا لعبد الله بن يزيد البغدادى على مسائله ، والحمد لله .

***

وصية الإمام بنشر الكتاب :

قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى – صلوات الله عليه وعلى آبائه ١٣٤و/ الطاهرين/ ومن وصل إليه من هذا الكتاب ، فلم يوضحه للناس ، ويبينه للمسلمين ؛ فهو فى أعظم الحرج حتى يكون الله ، جل ثناؤه ، هو المطالب له يوم القيامة ، بما كنتم من الحق ، قال الله ، عز وجل ، : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠) ﴾[5]، والله ، عز وجل ، حسيب من ظلم : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾[6]، وصلى الله على سيد المؤمنين ، وإمام المسلمين ، وعلم المهتدين،

---

(١) سورة الطلاق : الآيتان ١٠ – ١١.

(٢) فى الأصل : ((و)) .

(٣) سورة الشورى : الآية ٢٣ .

(٤) الدفاع والتصدى لأعدائه .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٤٠ .

(٦) هذا آخر رد المؤلف على عبد الله بن يزيد البغدادى المجبر ، ويليه رسالته فى الرد على المجبرة فى اعتقادهم عن إبليس ووساوسه . وقد نشرناها مع مؤلفنا «إبليس بين الحقيقة والوهم» بعد تحقيقها والتعليق عليها .

وخيرة رب العالمين ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، الأمين الصادق على الله ، جل ثناؤه ، والمستضيء بكتابه ، والتابع لأمره ، حتى مضى صابراً محتسباً ناصحاً، فصلوات الله عليه ، وبركاته، ورحمته عليه وعلى آله الطيبين الأخيار الصادقين الأبرار، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

***

انتهى كتاب النجاة

المحقق

إمام عبد الله

فهــرس الموضوعـات التفصيلـى

***

***

الموضوعــــات	صفحة

***

١٩ - المسألة التاسعة عشرة : دور اللغة فى فهم العقيدة :

***

التعريف بالمؤلف

الاسم: إمام حنفى سيد عبد الله

مواليد : القاهرة ٢ / ٩ / ١٩٦٢

خريج : - كلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٨٤ .

- حصل على ماجستير الفلسفة الإسلامية ١٩٩٧ .
- كما حصل على دبلوم الخطوط العربية ١٩٩٠ .
- بالإضافة إلى دبلوم عام فى التربية ١٩٩٦ .
- وكذلك دبلوم خاص فى التربية ١٩٩٧ .
- هذا بالإضافة إلى دورات عديدة فى تحقيق التراث ، والقراءات ، وتعليم وتوجيه اللغة العربية والتربية الإسلامية .

العمل : - عمل المؤلف فى حقل التربية والتعليم مدرساً للغة العربية والتربية الإسلامية منذ وقت مبكر وحصل على العديد من شهادات التفوق والتقدير فى هذا المجال من مصر والكويت والسعودية .

- كما عمل المؤلف فى حقل تحقيق التراث والمراجعة العلمية ، وشارك فى إصدار العديد من الموسوعات الفقهية واللغوية ، من ذلك على سبيل المثال المغنى لابن قدامة طبعة « هجر » والطبقات الكبرى فى رجال الشافعية للسبكى .
- للمؤلف إنتاج علمى وأدبى يعتز به ، حاز به إعجاب وتقدير العديد من الأساتذة المتخصصين

***

المؤلفــــات

أولا الدراســـات :

١ - الآراء الكلامية والصوفية للقشيرى « رسالة ماجستير غير منشورة » . .

٢ - عقيدة التنزيه عند المسلمين .

٣ - نقد المسلمين للثنوية والمجوس .

٤ - الإمامة عندا لمسلمين .

٥ - دراسة فى التحسين والتقبيح .

٦ - دراسة فى موقف الزيدية من الصحابة .

٧ - مقدمة فى الجهاد .

٨ - الخوارج طليعه التكفير فى الإسلام .

٩ - إبليس فى التصور الإسلامى بين الحقيقة والوهم .

ثانيــا الأعمال المحققــة :

* أعمال يحيى بن حمزة العلوى ت ٧٤٩

١٠ - الرائق فى تنزيه الخالق .

١١ - الجواب الناطق بالصواب القاطع لعرى الشك والارتياب .

١٢ - الجواب القاطع للتمويه عما يرد على الحكمة والتنزيه .

١٣ - الدعوة العامة .

١٤ - عقد اللآلى فى الرد على أبى حامد الغزالى .

١٥ - الكوكب الوقاد فى أحكام الاجتهاد .

١٦ - الوصايا .

١٧ - خواتم الحكم « لعلى دده » .

***

* أعمال القاسم بن إبراهيم الرسى ت ٢٤٦ هـ

١٨ - الدليل الكبير فى الرد على الزنادقة والملحدين .

١٩- الرد على الملحد ومناظرته .

٢٠- الرد على النصارى .

٢١- الرد على الرد على الرافضة .

٢٢- المسترشد .

٢٣- الرد على ابن المقفع .

***

*** أعمال أحمد بن يحيى ت ٣٢٥ هـ**

٢٤- النجـاة .

٢٥- مسائل المجبرة عن وسوسة إبليس وسائر الشياطين .

٢٦- الرد على الإباضية .

***

٢٧- الخلاصة النافعة . **لأحمد بن الحسن الرصاص ت ٦٥٦ هـ**

*** أعمال غير مطبوعة وتصدر قريباً :**

٢٨- مصباح العلوم فى معرفة الحى القيوم « » » »

***

٢٩- الشمس الكاشفة لشبهة الفلاسفة الكاسفة

لعبد الله بن على الهادى إلى الحق

٣٠- التعليم عن بعد - مفهومه وآثاره فى التربية الرسمية

بحث حصل على امتياز فى مناهج التربية - **غير منشور**

بمعهد الدراسات التربية ١٩٩٧

٣١- المعجز **«للقاسم العيانى ت ٤٠٤ هـ»** .

* دواوين شعرية .

٣٢- أحلم بالقدس .

٣٣- بغداد صبراً .

٣٤- الأميرة التى سكنت بقلبى .

٣٥- ووقعت ببئر الأحزان .